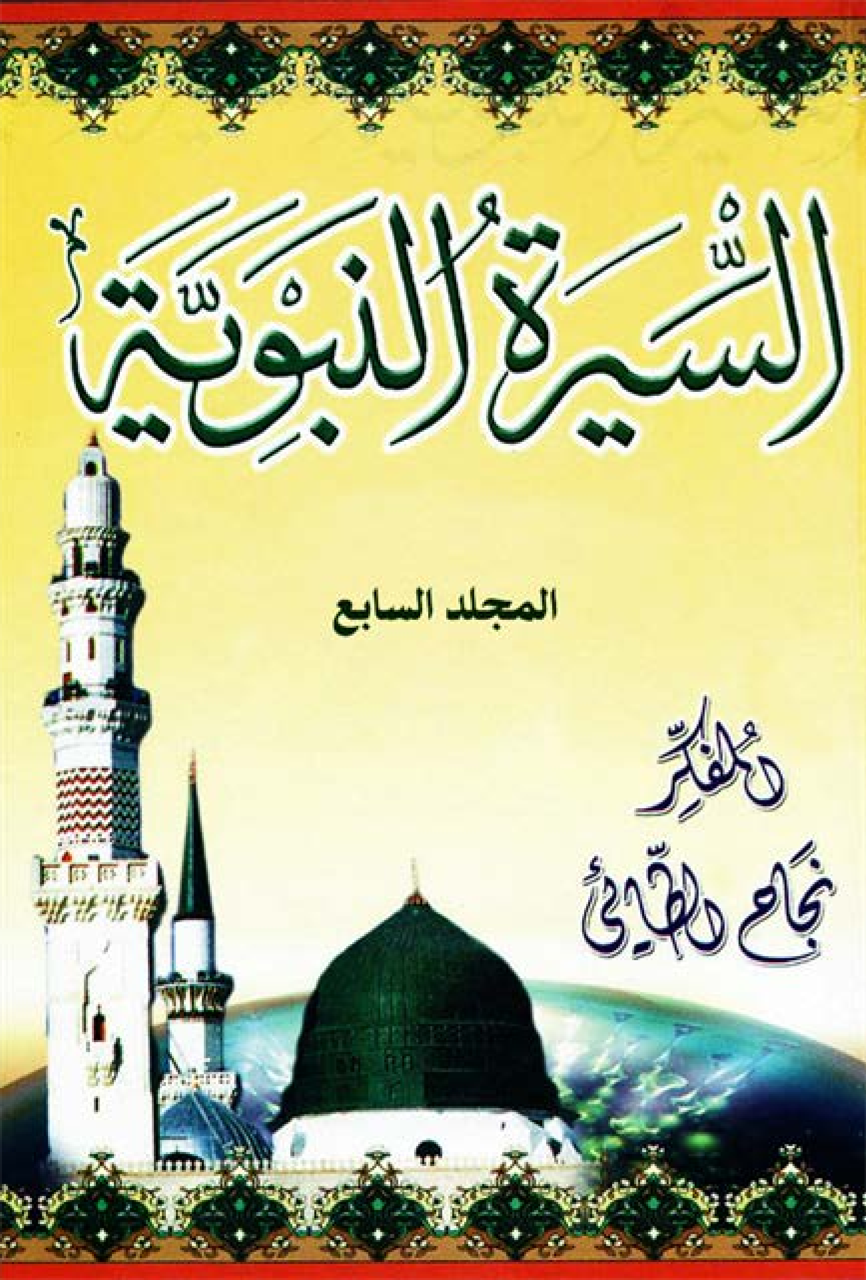


السيرة النبوية
المجلد السابع
المفكر
نجاح الطائي

نظريات الخليفة عثمان بن عفان



الجزء السابع

تأليف

نجاح الطائي

بسم الله الرّحمن الرّحيم

السيرة النبوية / ج ٧ ـ ٨
المفكّر الإسلامي الدكتور نجاح الطائي
الطبعة ١ / ١٤٢٦ هـ ـ ق ، ١/١ ١٣٨٤ هـ ـ ش
١ / ٢ / ٢٠٠٥ م ، الثالثة
الكمية: ١٥٠٠ عدد
دار الهدىٰ لإحياء التراث لندن ـ بيروت
بيروت ـ ساحة الحمراء ،البناية المركزية، قم ـ مجمع قدس ١٧.
BEIRUT_LONDON
WWW.ALTAEI.COM

الإهداء

أهدي بحثي هذا إلى سيد الرسل وقدوة البشرية، ونموذج الحضارة والأخلاق محمد ﷺ، وإلى كل ساعٍ لمعرفة حقيقة السيرة النبوية وسيرة الصحابة بعيداً عن مكائد الطغاة وزيف أعوانهم.

الشيخ الدكتور نجاح الطائي



أعطى القرآن الكريم أسساً رصينة لرقيّ الإنسان والأخذ به نحو الإمام كانت وما زالت هي القواعد الفذّة في التربية والأخلاق.

فتحوّل الأنصار بهذه الأسس إلى أنصار الله ورسوله وإلى مجتمع عالي ونافع في ظلمات الكفر. وأمراض الجاهلية.

في حين أصرّ المجتمع المكّي على انحرافه وزيغه برفضه الإسلام ومعاداته الرسول ﷺ.

واستمرّ عناده المذكور طيلة وجود رسول الله ﷺ في مكّة والمدينة وبعد فتح مكّة تحوّل كفره إلى نفاق، فأظهرت القيادات القرشية إسلاماً وكتمت نفاقاً.

وبانتقال تلك القوى الظالمة إلى المدينة واستقرارها فيها برزت قرون الفتنة في مدينة الرسول ﷺ متسبّبة في مقتل خاتم الأنبياء ﷺ واستحواذ الطغاة على السلطة وهكذا تربّعت قريش على مقاليد السلطة في الجزيرة العربية بأخلاقها المنبوذة وتقاليدها البالية.

ولمّا احتكرت قريش الحكومة وتولّت عليها بدأ الصراع على السلطة وهذا أمر طبيعي في كلّ الحركات المشابهة في التاريخ.

فانقسمت تلك الجماعة السياسية إلى حزبين حزب مع أبي بكر وحزب معارض له مع عمر.

واشتدّ الخلاف بين المتنافسين حتىٰ انتهىٰ بتمكّن الحزب الثاني من قتل زعيم الحزب الأوّل أبي بكر.

واستمرّت المسيرة على نهج أسلافها فقتلوا أتباع أبي بكر وأعوانه وقادة جيشه.

فتحسّس المسلمون حركة مصرع رسول الله ﷺ وابنته وحفيده بوجع أليم على يد طغاة مكّة وأذنابهم.

وتخوّف المسلمون من الحركة الثانية المتمثّلة في مقتل أبي بكر والمقرّبين إليه. فانتقل الصراع إلى داخل الجهاز الحاكم للدولة آخذاً طابع الخشونة ومتوسّلاً بالقتل للوصول إلى غاياته، ومن يدخل في هذا المشروع الخطير لا يطمئن في مركزه ولا يأمن في سواحله، وفعلاً انقسم هذا الجهاز السياسي الإداري إلى قسمين مرّة أخرىٰ فتمكّن عثمان وأتباعه الأمويون بالمكر والحيلة من قتل عمر بن الخطّاب.

وبهذا القتل الثالث برزت أركان الفتنة أكثر فأكثر وازداد الساخطون على النظام وتضاعف الساعون للوصول إلى الحكم. فلم يرض الزبير وطلحة وعائشة وعبدالرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقّاص وبعضهم رجال شورىٰ عمر من التفرّج على عثمان والأمويين في الإنفراد بالسلطة والأموال.

ولم يقبل الناس انحراف الدولة عن الشريعة وتلاعبها بالأموال واستهانتها

بحقوق الأمّة وزيغها عن السلوك النبوي، فازداد بعد الحكومة عن الإسلام تدريجيّاً وعظمت الفتنة وازداد خطرها، ومقابل هذا الخطر استمرّ عثمان في تهييج مشاعر الناس بأعماله وولاته، فالطليق ابن أبي سرح يستفزّ المسلمين في أفريقيا، والطليق الثاني الوليد اليهودي يصلّي سكراناً ويمارس السحر والشعوذة في مسجد الكوفة، ومعاوية بن هند يعمل بالطقوس الجاهلية في الشام ويحرّك مشاعر المؤمنين والمؤمنات.

أمّا مروان بن الحكم طريد رسول الله ﷺ فأصبح وزير عثمان يدير دفّة السلطة على سياسة أبيه الحكم بن أبي العاص في عاصمة الإسلام ومدينة الأنصار.

فنمت المعارضة الشعبية وتطوّرت المعارضة الجماهيرية فالكلّ أصبح ساخطاً على الدولة بدءاً من المهاجرين والأنصار ومروراً بالسياسيين القدماء وانتهاءاً بالمسلمين الجدد في الأمصار.

فوجد عثمان رايات المعارضة بيد عائشة وطلحة والزبير وعبدالرحمن بن عوف وعمرو بن العاص ومحمّد بن مسلمة وسعد بن أبي وقّاص ورايات أخرىٰ بيد عمار بن ياسر والمقداد وأبي ذر وعبدالله بن مسعود ومالك الأشتر ومحمّد بن أبي بكر ومحمّد بن أبي حذيفة وأبيّ بن كعب وحذيفة بن اليمان.

فلم يتّبع عثمان سياسة رسول الله ﷺ في إرضاء المسلمين والعدالة في الحكم ولم يتوسّل بسياسة أبي بكر وعمر في جذب رجال الحزب القرشي والاعتماد عليهم في كبح جماح المخالفين بل سار على النظرية الأموية في الاستهانة بالجميع والتوسّل بالقتل والنفي والتجويع لتدمير المعارضة!!

والكتاب المطروح بين يدي القارئ الكريم يبيّن الأوضاع التي عاشتها

الساحة الإسلامية في زمن عثمان بن عفّان. والجوانب التي ذكرت عن هذه الساحة في تلك الفترة السياسية الحرجة، والأخطاء المرتكبة من النظام المتسبّب في سقوطه وزواله. فيذكر هذا السفر تراجم رجال الدولة ورجال المعارضة كما كانت في واقعها.

ويبيّن الأسباب الكامنة خلف بروز المعارضة واشتدادها، ولقد كتب الكثير من الناس عن تلك الفترة الزمنية وبرّروا ذلك بأدلّة واهية لا تقنع القارىء الواعي.

فوقف رجال الحزب القرشي مع الدولة في سرقتها الخزينة العامّة ومخالفة الشريعة.

ووقف آخرون مع المعارضة الجماهيرية وأيّدوها في حركتها التصحيحيّة الراغبة في تقويم الدولة وإعادتها إلى حالتها في زمن رسول الله ﷺ.

وبسبب ذلك بذل الأمويون أموالاً طائلة في سبيل خلط الأوراق وكتم الحقائق ودفن مثالب بني أمية وطمس محاسن المعارضة.

فزاد القصّاصون والرواة في حكاياتهم وانتفخت جيوبهم فأظهروا قضية نفي أبي ذرّ إلى صحراء الربذة وحيداً فريداً مقتولاً كما قالها رسول الله ﷺ بصورة أخرى، على أنّه هو الراغب في الذهاب إلى الصحراء وحيداً.

لنفي مظلومية أبي ذر، وقالوا بأنّ الخليفة أعطاه قطيعاً من الماشية؛ بينما قال النبي ﷺ التعرّب بعد الهجرة حرام.

في حين مات أبو ذر عطشاناً غريباً في تلك الصحراء القاحلة البعيدة عن الماء والكلاء والمهجورة من الناس!

وقد بذل معاوية ملايين الدراهم الفضّية ومئات الآلاف من الدنانير الذهبية

في سبيل طمس معالم السيرة النبوية وسيرة الصحابة وتحريف الحديث الشريف.

ولم يكتف بالسلطة السياسية والإدارية بل راح يفكّر في تغيير تراث الأمّة لصالح طغاة مكّة وفي غير صالح المهاجرين والأنصار. وسار كتّاب التاريخ والحديث في معظمهم على نهجه وطريقه غير آبهين بالتحذيرات الإلٰهيّة والنبوية، والحقّ يدفعنا اليوم للنهوض بأعباء الأمّة وتحمّل المسؤولية في هذا المجال وإنارة الطريق لأجيالنا القادمة لرؤية الحقّ واضحاً ومعرفة الواقع دون تشويش.

فلنضع أيدينا سوية في هذا الدرب الإلٰهي الديني ونخطوا الخطوة الأولىٰ في هذا المجال، والسلام عليكم.

نجاح الطائي

القسم الأول:

عثمان في زمن النبي ﷺ

الباب الأول:

الحالة الاجتماعية



الفصل الأول:

التنافس الهاشمي - الأموي

بنو أمية وأصلهم

هناك أدلّة كثيرة على انحدار بني أمية من أصل غير عربي نذكر منها:

١ ـ كانت العرب في الجاهلية تعتق عبيدها إن أرادت وتزوّجهم من كرام العرب ثمّ تُلحقهم بها.

فكان أمية من الروم استلحقه عبد شمس إذ جاء: أميّة بن عبدشمس بن عبدمناف إنّما هو عبد من الروم، وأميّة تصغير أمة فنسبه إليه[1].

٢ ـ وبنو أمية كلّهم ليسوا من صميم قريش وإنّما يلحقون بهم ويصدق ذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام لمّا كتب له معاوية: إنّما نحن وأنتم بنو عبدمناف.

فكان جواب علي عليه السلام ليس المهاجر كالطليق وليس الصريح كاللصيق[2].

---

(١) إلزام الناصب ١٠٤ ـ ١٠٥، شرح النهج ١٥ / ١٩٨ ـ ٢٩٥.

(٢) البحار ٣١ / ٥٤٣، ٥٤٤، ٣٣ / ١٠٧.

فهذه شهادة من علي عليه السلام إنّ بني أميّة لصّاق وليسوا صحيحي النسب إلى عبد مناف ولم ينكر معاوية ذلك.

٣ ـ وقال البهائي صاحب الكامل: إنّ أميّة كان غلاماً رومياً لعبد شمس فلمّا ألفاه كيّساً فطناً أعتقه وتبنّاه فقيل أمية بن عبدشمس.

كانوا يعملون بذلك قبل نزول الآية المحرّمة، لذا روي عن الإمامين الصادقين الباقر والصادق في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿الٓم، غُلِبَتِ الرُّوْمِ﴾.

إنّهم بنو أميّة[١].

فظهر هنا نسب عثمان ومعاوية وحسبهما غير العربي[٢].

٤ ـ وقال ابن قتيبة الدينوري: كان أبو سفيان أعور العين من أصل غير عربي[٣].

٥ ـ ولم يكن لعبد شمس ابن يأخذ بضعه ويرفع من قدره ويزيد في ذكره ولهاشم عبدالمطّلب سيّد الوادي غير مدافع أجمل الناس جمالاً وأظهرهم جوداً وأكملهم كمالاً وهو صاحب الفيل والطير والأبابيل وصاحب زمزم وساقي الحجيج[٤].

وأجمعت الرواة على أنّ من أخذ الإيلاف لقريش هاشم بن عبدمناف، فلمّا مات قام أخوه المطّلب مقامه[٥].

---

(١) البحار ٣١ / ٥١٦، ينابيع المودّة، القندوزي ٤٢٦.

(٢) البحار ٣١ / ٥٤٤.

(٣) المعارف ٥٨٦، ابن قتيبة.

(٤) شرح النهج ١٥ / ٢٠٢.

(٥) المصدر السابق.

وكان هاشم رجلاً كثير السفر والتجارة يسافر في الشتاء إلى اليمن وفي الصيف إلى الشام وشرك في تجارته رؤساء القبائل من العرب ومن ملوك اليمن والشام نحو العباهلة باليمن واليكسوم من بلاد الحبشة ونحو ملوك الروم بالشام فجعل لهم معه ربحاً فيما يربح وساق لهم إبلاً مع إبله فكفاهم مؤونة الأسفار على أن يكفّوه مؤونة الأعداء في طريقه ومنصرفه. فكان في ذلك صلاح عام للفريقين(١).

٦ ـ وقال سفينة مولى رسول الله ﷺ: أمّ أميّة الزرقاء وكانت في الجاهلية من صواحب الرايات(٢)، وكان أميّة ممّن اشتهر بالزنا وكذلك كان ابنه حرب(٣).

وقال معاوية إنّي أحبّ أن ألقىٰ رجلاً قد أتت عليه سن وقد رأى الناس يخبرنا عمّا رأى.

فقال بعض جلسائه: ذلك رجل بحضرموت. فارسل إليه، فأُتي به، فقال له: ما اسمك؟

قال: أمد.

قال: ابن من؟

قال: ابن أبد.

قال: ما أتىٰ عليك من السِنّ؟

قال: ستّون وثلاث مئة.

قال: كذبت.

ثمّ إنّ معاوية تشاغل عنه، ثمّ أقبل عليه ما اسمك؟

---

(١) شرح النهج ١٥ / ٢٠٢.

(٢) الروض الأنف ٥ / ١٨٦، الأمثال، الاصبهاني.

(٣) شرح النهج ٣ / ٤٥٦ المثالب، هشام بن الكلبي ٦٣.

قال: أَمَد.

قال: ابن مَن؟

قال: ابن أبد.

قال: كم أتىٰ عليك من السنّ؟

قال ثلاث مئة وستّون سنة.

قال: فأخبرنا عمّا رأيتَ من الأزمان، أين زماننا هذا من ذلك؟

قال: وكيف تسأل من تُكَذِّب؟

قال: إنّي ما كذّبتُك، ولكنّي أحببت أن أعلم كيف عقلك.

قال: يوم شبيه بيوم، وليلة شبيهة بليلة، يموت ميّت ويولد مولود، فلولا من يموت لم تسعهم الأرض، ولولا من يُولد لم يبق أحد على وجه الأرض.

قال معاوية: فأخبرني هل رأيت هاشماً؟

قال: نعم رأيته رجلاً طُوالاً، حسن الوجه، يقال إنّ بين عينيه بركة أو غُرّة بركةٍ.

قال معاوية: فهل رأيت أُمَيّة؟

قال: نعم، رأيته رجلاً قصيراً أعمىٰ، يقال: إنّ في وجهه لشرّاً أو شؤماً.

قال معاوية: فهل رأيت محمّداً؟

قال: مَن محمّد رسول الله ﷺ؟

قال: نعم.

قال: ويحك، ألا فخّمته كما فخّمه الله فقلت: رسول الله.

قال معاوية: فأخبرني، ما كانت صناعتك؟

قال: كنت رجلاً تاجراً.

قال معاوية: فما بلغت تجارتك؟

قال: كنت لا أشتري عَيْباً ولا أردُّ ربحاً.

قال له معاوية: سَلْني.

قال: أسألك أن تدخلني الجنّة.

قال معاوية: ليس ذلك بيدي، ولا أقدر عليه.

قال: أسألك أن ترُدَّ علي شبابي.

قال معاوية: ليس ذلك بيدي ولا أقدر عليه.

قال: لا أرىٰ بيديك شيئاً من أمر الدنيا ولا من أمر الآخرة.

قال: فردَّني من حيث جئت.

قال معاوية: أمّا هذا فنعم.

ثمّ أقبل معاوية على أصحابه فقال: لقد أصبح هذا زاهداً فيما أنتم فيه راغبون(١).

هذه مجموعة من الأدلّة على نسب أميّة غير العربي أدرجناها ليعرف القارئ نسب أميّة البعيد عن العرب وكيف حوّلت السياسة نسبهم إلى العرب وجعلت الخلافة فيهم بينما أخرجت الأنصار العرب منها.

فليتابع المطالع والمحقّق ما ذكرته وما أذكره له لاحقاً بدقّة ليتعرّف على الكثير من الأحداث المهمّة في تاريخ المسلمين.

فكان الأمويون من المشركين غير العرب وأبو سفيان كان رأساً من رؤوس

---

(١) السجستاني (المعمّرون والوصايا) ص ١٠٨، مختصر تاريخ دمشق ٥ / ٣١، ٣٢.

الأحزاب على رسول الله ﷺ في حياته وكهفاً للمنافقين في أيّامه[١].

وشارك أبو سفيان في أحداث قتل رسول الله ﷺ وواقعة السقيفة إذ جاء في الرواية الصحيحة: وأصحابنا مجمعون على أنّ رسول الله ﷺ قُبض وأبو سفيان حاضر في المدينة[٢].

وأيّد وجوده المذكور هشام بن الكلبي صاحب التاريخ والنسب والواقدي[٣].

وهو الذي ساعد على اغتصاب السلطة من أمير المؤمنين علي عليه السلام لصالح أبي بكر مقابل تولية أبي بكر لاثنين من أبنائه!

وساعد أبو سفيان على إيصال الخلافة إلى عثمان بن عفان، ولمّا صارت إليه قال أبو سفيان في مجلسه وبحضور باقي الأمويين: يا معشر بني أميّة إنّ الخلافة صارت في تيم وعدي حتى طمعت فيها وقد صارت إليكم فتلقّفوها بينكم تلقّف الكرّة فوالله ما من جنّة ولا نار[٤].

وقال أيضاً: إنّما هو الملك وما أدري ما جنّة ولا نار[٥].

التنافس الهاشمي الأموي

أمّا عن التنافس الهاشمي الأموي فقد بدأ بعد إلحاق عبدشمس لغلامه أمية به؛ إذ أصبح هذا الغلام الرومي منافساً عنيداً لهاشم بن عبدشمس ساعياً بجدّ في سبيل الحيلولة دون وصول هاشم إلى أهدافه المتوخّاة وغاياته الحضارية.

(١) الأغاني، الإصفهاني ٦ / ٥٢٢، تاريخ اليعقوبي ٣ / ٢١٨.

(٢) النزاع والتخاصم ٧٣.

(٣) المصدر السابق.

(٤) الأغاني ٦ / ٣٥٠.

(٥) النزاع والتخاصم ٥٦، الأغاني ٦ / ٣٥١ـ٣٥٦.

وبينما كان هاشم سائراً على خطئ جدَّيه إسماعيل وإبراهيم عليهما السلام كان أمية تابعاً خطئ عبيد مكة.

ومن أعماله المثبّتة عليه سرقته للحجيج.

اعتدائه على المساكين ظلماً وعدواناً ممّا اضطرّ أولاد عبدالمطّلب لملاحقته والانتقام منه ففرّ إلى بيت عبدالمطّلب فوضع عبدالمطّلب جفنته عليه علامة لإيوائه وإجارته.

وقد ذكر عبدالله بن عباس هذه الحادثة لمعاوية مستهيناً بأميّة ومُمَجِّداً لعبدالمطّلب عندما فضَّل معاوية جدَّه على زعماء مكّة.

وعاند أميّة هاشماً ظلماً وعدواناً فتباريا عند كاهن الحجاز على بذل مائة ناقة والنفي عن مكّة عشر سنوات ففاز بالفضائل والمحاسن هاشم وخسر أمية فنُفي إلى الشام عشر سنوات كاملة.

وعلى أثر تلك الأعمال استفحل العِداء بين بني هاشم وبني أميّة، فلمّا عاد أمية من الشام جهد جهده في سبيل الانتقام من بني هاشم، ووقف المطّلب إلى جانب أخيه هاشم في حين وقف نوفل إلى جانب أمية.

وتوارث الأبناء هذا العداء البغيض النابع من حسد أمية وحقده على هاشم وبنيه، وكثيراً ما يفجر الطغاة حقدهم في مذبحة أو مذابح جماعية وكذلك كان الأمويون الذين شاركوا في مؤامرات اغتيال النبي صلى الله عليه وآله ومحاربته.

ثمّ انضمّوا إلى حملة اغتيال فاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله.

ثمّ قتل معاوية الحسن بن علي عليهما السلام، وقتل يزيد الحسين بن علي عليهما السلام وأهل بيته.

ثمّ قتل الأمويون في دولتهم بني هاشم شرّ قتلة ولاحقوهم تحت كلّ حجر ومدر، وبلغ بهم الحقد أن لعنوا علياً عليه السلام على مآذن المسلمين مدّة أربعين سنة[١]!

وورث عثمان بن عفان ذلك الحقد المتأصّل من آبائه وأرحامه، ففرّ من معارك المسلمين الحاسمة تاركاً رسول الله صلى الله عليه وآله طعمة لسيوف قريش، ولم يحارب الكافرين قط ولم يقتل مشركاً قط، وآوىٰ في بيته جاسوس قريش معاوية بن المغيرة الأموي، فأخبرت رقية (ربيبة النبي صلى الله عليه وآله) رسول الله بقضية معاوية فانتقم منها عثمان بقتله إيّاها[٢].

ولمّا وصل العباسيون إلى الحكم انتقموا من الأمويين شرّ انتقام ردّاً على أفعالهم العدوانية بحقّ الهاشميين.

ويذكر بأنّ العداء المستفحل لا ينتهي إلّا ببحيرة من الدماء، فالأمويون لم ينتقموا من بني هاشم فقط بل انتقموا من الأنصار أيضاً ردّاً على معارك بدر وأُحد والخندق، فقتلوهم في واقعة الحرّة وفَجَروا بنسائهم وذبحوا أطفالهم وسرقوا ممتلكاتهم[٣]، وقتلوا ثلاثين ألفاً من المسلمين[٤].

الصراع الحاد بين هاشم وأميّة

لقد كانت العلاقة بين بني هاشم وبين بني أميّة سيّئة جدّاً منذ التنافس الخطير بين هاشم وأمّية على القيادة والزعامة.

---

(١) جواهر المطالب ،ابن الدمشقي ٢ / ١٧٦.

(٢) سيرة ابن هشام ٢ / ١٠٤، البحار ٦٤ / ٣٦٣.

(٣) شذرات الذهب ١ / ٧١.

(٤) الغارات، الثقفي ٢ / ٦٠٤، دلائل الإمامة، الطبري ١٩٨.

ونادراً ما تتحسّن العلاقات السيّئة بين طرفين وغالباً ما تتدهور يوماً بعد آخر، ومصداق ذلك العلاقة بين بني هاشم وبين بني أميّة التي بدأت باختلاف وتنافس بين إثنين ثمّ استفحلت في أولادهم.

ولمّا نزلت الرسالة الإسلامية على محمّد الهاشمي ﷺ رفع الأمويون (أبو سفيان والحكم بن أبي العاص ومعاوية والعاص بن سعيد وعتبة بن ربيعة وابنه الوليد وأخوه شيبة) والأمويات وعلى رأسهن هند وحمّالة الحطب راية المعارضة على رسول الله ﷺ وأهل بيته ورسالته.

واستمرّوا في رفعها في زمن عثمان ومعاوية ويزيد ومروان وأولاده فكان ذلك بداية لانقسام المسلمين إلى شيعة وسنّة.

فالشيعة أتباع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، والسنّة أتباع معاوية بن أبي سفيان بن حرب. سواء كانوا يدرون أو لا يدرون.

والسنّة اليوم غافلون عن الأسباب الحقيقيّة وراء هذا الانقسام والمثقّفون منهم تتنوّر أذهانهم مع مطلع كلّ يوم جديد ويلتحقون بركب محمّد ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين ﷺ.

واستفحل الصراع بين العائلتين الهاشمية والأموية بعد معارك بدر وأحد، فقد قتل أمير المؤمنين علي ﷺ جماعة من بني أميّة وهم: العاص بن سعيد بن العاص[1]، وحنظلة بن أبي سفيان و عبيدة بن سعيد بن العاص[2]، والوليد بن عتبة وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة وعقبة بن أبي معيط[3]، في ارض المعركة.

---

(١) الإرشاد، المفيد ١ / ٧٦.

(٢) تاريخ أبي الفداء ١ / ١٨٩.

(٣) مغازي الواقدي ١ / ١٥٢، طبقات الشعراء، ابن سلام ٦٤، ٦٥.

وفي معركة أُحد قتلت هند بأوامرها حمزة ولاكت كبده ومثّلت بجسده.

وغضب عثمان على رقيّة ربيبة رسول الله ﷺ لإخبارها النبي ﷺ بإخفاء عثمان لجاسوس قريش (معاوية بن المغيرة بن أبي العاص)، وكان معاوية بن أبي العاص قد شارك في تمزيق أوصال حمزة[١].

فقال عثمان لرقية: لا تخبري أباك.

فقالت: ما كنت لأكتم النبي ﷺ عدوّه[٢].

ولما أُخبر جبرئيل عليه السلام رسول الله ﷺ بوجود جاسوس قريش في المدينة قتل النبي ﷺ جاسوس قريش معاوية بن المغيرة الأموي[٣].

فانتقم عثمان لذلك وقتل رقية[٤].

فثأر النبي محمّد ﷺ لرقية من عثمان فطرده من جماعة المشيّعين لها ولعنه[٥].

وشارك عثمان في الهجوم على بيت فاطمة بنت محمّد ﷺ وقتلها[٦].

وقتل معاوية الحسن بن علي عليه السلام[٧].

وقتل يزيد الحسين بن علي عليه السلام وأولاده في كربلاء.

وهكذا استفحل الصراع بين الأسرة الهاشمية والأسرة الأموية؛ ولأنّ عثمان

---

(١) السيرة الحلبية ٢ / ٢٦٠، أنساب الأشراف، البلاذري ١ / ٣٢٧.

(٢) الكافي ٣ / ٢٥١.

(٣) الكافي ٣ / ٢٥١ ـ ٢٦٣، المستدرك، الحاكم ٤ / ٤٧.

(٤) صحيح البخاري طبع سنة ١٣٠٩، ١ / ١٤٦، ١٥٢، المستدرك، الحاكم ٤ / ٤٧.

(٥) الكافي ٣ / ٢٥١ ـ ٢٥٣، الاستيعاب المطبوع بهامش الإصابة ٤ / ٣٠١، قاموس الرجال ١٠ / ٤٠٨ ـ ٤٠٩، الإصابة ٤ / ٣٠٤، المستدرك الحاكم ٤ / ٥٢، فتح الباري، ابن حجر ٣ / ١٢٧، مسند أحمد برواية الصراط المستقيم ٣ / الباب ١٢ / ٣٤.

(٦) الاختصاص، المفيد ١٨٤ ـ ١٨٧.

(٧) دلائل الإمامة الطبري ١٦٠، البحار ٤٤ / ١٤٥، تاريخ ابن عساكر ٤ / ٢٢٦.

واحداً من الأمويين فقد نصرهم بلسانه ويده وقلبه وبقي مخلصاً لمنهجهم وساعياً لأهدافهم ومحارباً لعدوّهم ومحبّاً لمحبّهم مختلفاً في ذلك عن علي عليه السلام الذي دافع بنفسه وماله وولده عن محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ورسالته وأهدافه.

الفصل الثاني:

نسب عثمان وصفته واخلاقه

نسب عثمان بن عفان

هو عثمان بن عفّان بن الحكم بن أبي العاص بن ذكوان بن أمـية الرومـي[1]، كنيته أبو عمرو وأبو عبدالله وأبو ليلى، مولده في السنة السادسة بعد الفيل، بويع له سنة ٢٤ هجرية.

ولا يتّحد نسب عثمان مع رسول الله ﷺ في عبدمناف وكذلك لا يتّحد نسب الأمويين مع بني هاشم؛ لأنّ الأمويين لا ينحدورن من صلب عبدشمس فلم يكن عبدشمس جدّهم، بل ينتسبون إلى غلام عبدشمس المسّمى أميّة.

وأمّية رجل اشتراه عبدشمس فأصبح من عـبيده وكـان يـنحدر مـن نسـل رومي، يوم كان الروم يتسلّطون على بلاد الشام ويحكمونها.

---

(١) العدد القوية في المخاوف اليومية ٢٠٠ ـ ٢٠١، البحار ٣٠ / ٥٤٣، إلزام النـاصب ١٠٤، شرح النهـج ١٥ / ١٩٨، النزاع والتخاصم ٢٢، الروض الأنف ٥ / ١٨٥.

فاتّضح السبب في عدم تسمية الأمويين ببني عبد شمس بن عبدمناف في حين سمّي بنو هاشم بن عبدمناف بالهاشميين.

فالعرب كانوا يعتنون بالأنساب ويتدارسونها، ويتساهلون في بعض جوانبها، ولكنّهم يعرفون الأصيل من اللصيق من التسمية، ومن إشاعة الأنساب الصحيحة.

وممّا يتساهلون فيه نسبة الغلام إلى مولاه إن أراد المولىٰ ذلك، فعبد شمس ألحق غلامه الرومي أميّة به وزوّجه امرأة حرّة كي يكمل الأمر فتمّ ذلك.

وكان عثمان بن عفان ينتمي إلى أبي العاص بن ذكوان بن أميّة.

وكان لأمّية عدّة أولاد من صلبه وهم حرب وأبو حرب وسفيان وأبو سفيان وعمرو.

وكان لأمية غلام يسمّي ذكوان ألحقه أمية به فأصبح ذكوان بن أمية، وكانت العرب تسعىٰ لتكثير رجالها لاستخدامهم في الحرب والعمل، وإحدىٰ وسائلهم في ذلك إلحاق العبيد بهم وخصوصاً العبيد الأشدّاء والأقوياء والأذكياء.

وكانت العرب تعتني عناية خاصّة بالنسب العربي الأصيل وتزداد عنايتها وتتكثّف بالنسب القرشي الأصيل المنحدر من صلب إسماعيل وإبراهيم عليهما السلام

وكلّما تطوّرت الحياة الاقتصادية والاجتماعية والأمنية في مكّة ازدادت أعداد المهاجرين إليها من الحبشة ومن باقي أقطار شبه الجزيرة العربية، وتلبّس هؤلاء تدريجيّاً بالنسب القرشي!

والتصق عبيد قريش وحلفاؤهم بالنسب القرشي أيضاً.

فتهكّم معاوية بن أبي سفيان من نسب سعد بن أبي وقّاص القرشي بينما هو من

قبيلة بني عذرة[١].

واستنكر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام نسب معاوية القرشي.

ورفض علماء الأنساب انتساب أبي بكر وعمر للأصل القرشي وهم من أصل حبشي[٢].

وفضح عقيل بن أبي طالب نسب الوليد بن عقبة بن أبي معيط الرومي اليهودي واستبعد أصله القرشي[٣].

ولمّا أصبح النسب القرشي أحد شروط الخليفة اهتمّ الكثير من الناس بإلصاق أنفسهم بقريش ولو بطرق غير شرعية وغير أخلاقية، فوافق زياد بن أبيه على إلصاق معاوية له بأبي سفيان لاستكمال شروط الخلافة بالرغم من أنّ هذا يعني تأييده لزنا أمّه سمية بأبي سفيان على فراش زوجها عبيد!

ورغم معارضة الإسلام لهذا الفعل الشنيع قائلاً: الولد للفراش وللعاهر الحجر!

وبينما استنكر المسلمون هذه الأفعال الغير الدينية والغير اجتماعيّة تقدّمت عائشة بنت أبي بكر وأيّدت بدعة معاوية وزياد فكتبت رسالة جاء فيها من عائشة إلى زياد بن أبي سفيان[٤]!

ممّا يعني طمسها لنصوص القرآن والحديث الحاثّة على العفّة والفضيلة وإمضائها تخرّصات ابن هند وابن سميّة ولكنّ الله سبحانه وتعالى أوقف هذه

---

(١) شرح النهج، المعتزلي ١١ / ٦٧.

(٢) راجع كتاب هل اغتيل النبي محمّد صلى الله عليه وآله للمؤلّف.

(٣) البحار ٤٤ / ٨١.

(٤) مختصر تاريخ دمشق، ابن منظور ٩ / ٧٨.

المسرحية الزانية فقتل معاوية زياداً الطامع في الخلافة سنة ٥٨ هجرية قبل بيعته ابنه يزيد ففشلت جهود معاوية وزياد وعائشة في طمس ركن أخلاقي قويم من أركان الشريعة الإلهيّة.

﴿وَيَمْكُرُوْنَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ المَاكِرِيْنَ﴾[١].

وإلحاق معاوية لزياد بالنسب القرشي كان امتداداً لاستلحاق عبدشمس لغلامه أميّة بهذا النسب الباهر والطاهر.

وكانت هند مغيلمة تواقع الرجال وتحبّ مواقعة السودان من الرجال[٢].

وقد افترشها وحشي الزنجي قاتل حمزة لنذر نذرته للأصنام وعهد أعطته لوحشي إنّ قتل هو حمزة[٣].

وجدّة أبي سفيان الزرقاء كانت من ذوات رايات الفحش في الجاهلية[٤].

وما ولد لهند والزرقاء من أولاد أُلحق بالنسب القرشي!

وكان عثمان بن عفان من صلب الأمويين ولا يتّصل نسبه بعبدشمس بن عبدمناف كما ذكرنا. لكنّه يتّصل بذلك النسب التصاقاً شأنه في هذا شأن معاوية بن أبي سفيان. والتصاقه بالنسب القرشي أعرق من التصاق أبي بكر وعمر وسعد بن أبي وقّاص.

وكان عفان في منزلة اجتماعية وضيعة في قريش لم تؤهّله لمكانة راقية في المجتمع المكّي وكان ناقراً بالدفّ[٥] في تلك المدينة ولم يعرف بفضائل راقية ولا مناقب عالية في صفوف القرشيين.

---

(١) الأنفال ٣٠.

(٢) الغارات، الثقفي ٢ / ٩٣٨، الطرائف، ابن طاووس ٥٠١، البحار ٣٣ / ١٩٨.

(٣) الأربعون حديثاً، ابن بابويه ٩٢.

(٤) الغارات، الثقفي ٢ / ٩٣٨، شرح النهج ٢ / ١٢٥.

(٥) المثالب، هشام ابن الكلبي ٣٠.

صفة عثمان وأخلاقه

صفته: كبير اللحية عظيمها، أسمر اللون، أصلع، عظيم الكراديس عظيم ما بين المنكبين، يصفّر لحيته[١].

كان عثمان قصير القامة وأحول العينين[٢] في وجهه أثر مرض الجدري[٣]؛ لذلك رفضت الكثير من النساء الزواج معه كما ذكرت النصوص في هذا الكتاب.

قال الشعبي عن عثمان: كان عثمان غضباً سبّاباً[٤].

يستخدم لسانه ويده ورجله في سبيل الوصول إلى أهدافه فقال بلسانه للنبي ﷺ في يوم شهادته: يهجر.

أي يهذي، ولم يقوَ على نطق هذا سابقاً إلّا أبو لهب وأبو جهل وابن أبي معيط!

واستخدم عثمان لسانه في يوم شهادة رسول الله ﷺ كذباً، واحتيالاً قائلاً: لم يمت رسول الله وإنّما ذهب إلى ربّه وسيعود، وتوعّد مع عمر أصحاب النبي ﷺ[٥].

وكان أوّل من رآه مسجّىً فأنكر موته عثمان[٦].

فمنع مع عمر الناس من دفن رسول الله ﷺ ريثما يعود أبو بكر من السنح وريثما يأتي المنافقون وقبائل الأعراب: أسلم وتميم وغطفان إلى المدينة وتتهيّأ الخطّة المعدّة للإنقلاب على الحكم وأخذ السلطة.

---

(١) الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٣ / ١٨٥.

(٢) النزاع والتخاصم، العثمانية، الجاحظ.

(٣) البحار ٣١ / ٢٩٥، النزاع والتخاصم، العثمانية، الجاحظ، المنتظم ٤ / ٣٣٤، تاريخ ابن الوردي ١ / ١٤٦.

(٤) المثالب ٦٩.

(٥) العثمانية، الجاحظ ٧٩.

(٦) المصدر السابق.

ولمّا دخلت قبيلة أسلم الأعرابية المدينة قال عمر: ما إن رأيت أسلم حتىٰ تيقّنت بالنصر[١].

واستخدم يده في قتل رقية ربيبة رسول الله ﷺ.

واستخدم رجله في رفس عبدالله بن مسعود وعمار بن ياسر في زمن حكومته[٢].

وفي السنة الأولىٰ للهجرة النبوية وأثناء بناء المسجد النبوي أراد عثمان ضرب عمار بعصا في يده[٣].

ممّا يبيّن عداء بني أمية المسلمين منهم والكافرين لعمار وابن مسعود ومن الأسباب التي قتلت عثمان بن عفّان خشونته وغلظته مع الناس فقال عنه النبي ﷺ: فرعون هذه الأمّة.

فلكلّ فعل ردّ فعل يساويه في القوّة ويعاكسه في الاتّجاه.

وألّب عثمان عليه القبائل العربية جميعاً فقد شارك في قتل وجرح أفراد من هذه القبائل.

إذ شارك في محاولة اغتيال النبي ﷺ في العقبة.

وقال للنبي ﷺ يهجر في بيته وفي يوم موته.

وشارك في قتل فاطمة بنت محمّد ﷺ، فأثار غضب أهل البيت ﷺ عليه وقتل أبا بكر وعبدالله بن مسعود وأبا ذر والمقداد وعبدالرحمن بن عوف وآخرين وهم

---

(١) البحار ٢٨ / ٢٣٥، تاريخ الطبري ٢ / ٤٥٨ وط اوربا ١ / ١٨٤٣، تاريخ ابن الأثير ٢ / ٢٢٤.

(٢) المسترشد، الطبري ١٦٦، تفسير الطبرسي ٢ / ٤٣٠، الأنوار العلوية، النقدي ٤٥٠.

(٣) تاريخ الخميس ١ / ٣٤٥، السيرة الحلبية ٢ / ٧٢، وفاء الوفاء ١ / ٣٢٩، الروض الأنف ٤ / ٢٣٥، ٢٣٦، سيرة ابن هشام ٢ / ١٤٢.

من قبائل مختلفة.

فشاركت هذه القبائل في الثورة الكبرىٰ عليه وقتله.

بينما وحّد رسول الله ﷺ هذه القبائل وأرضاها وآلّف بين قلوبها وأعطاها حقوقها وتعامل معها بكلّ أناقة ولطف.

الفصل الثالث:

وزوّر معاوية الأنساب

عثمان ابن البيضاء حقيقة أم اختلاق؟

كان لعبد المطّلب بن هاشم عشره أسماء غير اسمه المشهور تعرفها العرب وملوك العجم وملوك الحبشة وملوك القياصرة وهي: عامر وشيبة الحمد وسيد البطحاء وساقي الحجيج وساقي الغيب وغيث الوادي في العام الجدب وأبو السادة العشرة وحافر بئر زمزم وله اسمان آخران.

وأولاده عشرة عبدالله وأبو طالب والعباس وحمزة والزبير وأبو لهب وضرار وحجول (الغيداق) ومقوّم والحارث واسمه أبو السادة العشرة.

وبناته ستّ أمّ حكيم وهي أميمة البيضاء وبرّة وعاتكة وصفيّة وأروى وأيمة[1].

وانحصر النسل بأربعة منهم نسل أبي طالب والعباس وأبي لهب والحارث...

---

(١) البحار ٢٢ / ٢٤٧، طبقات ابن سعد ١ / ٩٣، كشف الغطاء، ٢ / ٣٦٢، المجموع، النووي ١٦ / ٩٠.

وأسلم من أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس.

وأسلم من عمّاته صفية وأروىٰ وعاتكة[(١)].

وجعل قصّاصوا الحكم الأموي البيضاء شقيقة لعبدالله والد النبي ﷺ في حين لم تكن مع عبدالله من أم واحدة[(٢)].

وقال الزبير بن بكار الناصب العداء لأهل البيت عليهم السلام: إن البيضاء وعبدالله ولدا توأمين[(٣)]، ولم يكن لها ذريّة.

وأراد الأمويون الفسقة إلصاق نسب عثمان الظالم برسول الله ﷺ كذباً وافتراءاً. وكان عفّان سيء الصيت هلك في الجاهلية، إذ كان من المخنّثين اللاعبين بالطبل والعود فهو من الراقصين المطربين[(٤)].

فجاء أن أروىٰ أمّ عثمان هي بنت البيضاء إذ ولدت البيضاء عامراً وأروىٰ وطلحة وأمّ طلحة. فتزوّج عفّان أمّ أروىٰ فولدت عثمان بن عفّان!

ثمّ خلّف عليها عقبة بن أبي معيط فولدت له الوليد وخالداً وأمّ كلثوم بني عقبة[(٥)].

وأمّ البيضاء فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم ويكنّىٰ عثمان أبا عمرو وأبا عبدالله وأبا ليلى الأموي[(٦)].

---

(١) البحار ٢٢ / ٢٤٧.

(٢) فتح الباري ٧ / ٤٤.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٧ / ٤٤.

(٤) المثالب، ابن الكلبي ٤٢.

(٥) طبقات ابن سعد ٨ / ٤٤، تهذيب الكمال، المزّي ١ / ٢٠٢.

(٦) طبقات خليفة ٣٩، تهذيب الكمال، المزي ١٩ / ٤٤٦.

وعثمان بن عفان بن أبي العاصي بن أمية الرومي.

وفي وجهه أثر الجدري[١]، وكان الجدري يخرّب وجه ضحيّته ويجعله قبيحاً.

والأظهر أنّ جدّة عثمان هي البيضاء أمّ سهيل الفهري[٢]. لكن بني أمية غيّروا الأسماء لصالح عثمان الأموي مثلما غيّروا له كلّ شيء!، وقالوا كذباً: إنّ عامر بن كريز والي عثمان على البصرة ابن البيضاء بنت عبدالمطّلب[٣]، وقد مات سنة ٥٩ هجرية.

وقالوا: زوج البيضاء كريز بن ربيعة الأموي ثمّ طلب ابنه عامر بن كريز من عثمان زيارة ابنه عبدالله والي البصرة فاشترط عليه عثمان أن لا يقيم هناك؛ لأنّه كان فاسقاً أحمقاً.

وفي صلاة الجمعة ألقى عبدالله خطبة بحضور أبيه عامر فأشار عامر إلى ذكره وقال لجليسه: لقد خرج عبدالله ابني من هذا![٤]

وقالوا كذباً إنّ عامر بن كريز الفاسق جاء بابنه عبدالله عند ولادته إلى النبي ﷺ فتفل في فمه للبركة[٥].

وكيف يأتي به أبوه إلى رسول الله ﷺ في المدينة المنوّرة.

١ ـ وهو ولد في مكّة! هذا أوّلاً.

٢ ـ وكان أبوه عامر فاسقاً أحمقاً لا يؤمن بالرسالة.

---

(١) تاريخ بن الوردي ١ / ١٤٦.

(٢) التاريخ الكبير، البخاري ٤ / ١٠٣.

(٣) إكمال الكمال، ابن ماكولا ٧ / ١٦٧.

(٤) الإصابة، ابن حجر ٣ / ٤٨٣.

(٥) الإصابة، ابن حجر ٥ / ١٤.

ولا يتمكّن الكاذبون المفترون الإجابة عن سؤالي أبداً؛ لأنّ قضية البيضاء بنت عبدالمطّلب جدّة عثمان قضية مختلقة لا أساس لها من الصحّة. وضعها قصّاصوا بني أمية كسباً للدنانير الذهبية والدراهم الفضية المبذولة في طريق الكذب والبهتان، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

قال ابن حجر: إنّ عثمان عيّن عبدالله بن عامر على البصرة سنة ٢٩ هجرية.

وكان الولاة في البصرة والكوفة ومصر يبذلون الأموال الطائلة لرفع شأنهم الأموي واختلاق المناقب الواهية وهم من الطلقاء المحاربين للإسلام ومن عائلة بني أمية الملعونة على لسان رسول الله ﷺ. وهم الشجرة الملعونة في القرآن الكريم.

٣ ـ وعندما قتل الامام علي عليه السلام عقبة بن أبي معيط في معركة بدر لم تشفع له زوجته أروى بنت كريز المفترض أن تكون ابنة عمّة النبي ﷺ (من أمّها البيضاء).

ولم يذكرها عقبة في حديثه مع النبي ﷺ في مكة المذكور في معظم كتب التفسير والحديث والسيرة.

والسبب لم يختلق الأمويون كذبة أروى بنت البيضاء بنت عبدالمطّلب إلّا في زمن الأمويين.

٤ ـ وقد أسلم الوليد بن عقبة وأخوه عمارة يوم فتح مكّة قهراً فكانا من الطلقاء.

ولا يوجد ذكر لإسلام أروى بنت كريز ولم يُذكر حديث بينها وبين رسول الله ﷺ ابن خالها كما افترضوا في اطروحتهم الكاذبة.

فالرواة أهملوهما لعدم وجود نسبة بينها وبين خاتم الأنبياء محمّدﷺ. والتاريخ لم يذكر لها حادثة مع أرحامها بني هاشم وبعد تربّع الأمويين على حكم المسلمين بدأت أكاذيبهم في هذا المجال والمجالات الأخرى.

٥ ـ لو كانت البيضاء بنت عبدالمطّلب أمّاً لعامر بن كريز وأروى بنت كريز ومن أرحام النبي محمّدﷺ القريبين فلماذا لم تذكرهما الأحداث في مكّة؟

ما هو موقفهما من الإسلام؟ ما هو موقفهما من تعذيب الناس للنبيﷺ وعليّ؏ والمسلمين؟ ما هو موقفهما من حصار شعب أبي طالب؟ ما هو موقفهما من الهجرة النبوية إلى المدينة؟ ما هو موقفهما من الحروب الكثيرة بدر، أحد، الخندق، الحديبيّة، فتح مكّة؟

بينما اهتمّ الرواة بشرح علاقة أولاد أبي لهب برسول اللهﷺ بعد الفتح الإسلامي. وذكروا عقيل بن أبي طالب والعباس بن عبدالمطّلب، كما ذكروا صفية بنت عبدالمطّلب في أحداث ووقائع كثيرة ومختلفة.

ولم يذكر التاريخ رأي أروى في الموقف السيء لزوجها عقبة في حقّ رسول اللهﷺ. ولم يذكر الرواة لنا شيئاً عن رأي أروى بنت كريز في قتل علي؏ لزوجها عقبة بن أبي معيط. ولم تعتب على رسول اللهﷺ عدم اهتمامه بأولادها الأيتام ولا يوجد حديث بين عقبة بن أبي معيط والنبيﷺ حول قرابة زوجته من خاتم الأنبياءﷺ. وكذلك لا يوجد حديث حول هذا الموضوع بين النبيﷺ والوليد بن عقبة بن أبي معيط.

وكذلك لم يذكر هذا الأمر بين أمير المؤمنين علي؏ والوليد بن عقبة رغم

الأحداث الكثيرة بينهما في زمن أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية.

وهذا التجاهل الكامل لقرابة أروى بنت كريز من النبيﷺ نابع من عدم وجود علاقة رحمية بين أروى وبني هاشم، ممّا يعني عدم حصول علاقة رحمية بين خاتم الأنبياءﷺ وعثمان. كما أنّ عقيل بن أبي طالب قال عن عقبة بن أبي معيط: إنّه يهودي من صفورية في فلسطين[1].

ولو كانت زوجته أروى بنت البيضاء بنتاً لعبدالمطّلب لذكرها عقيل عالم النسب وبيّن حالها من الزواج مع اليهود. في حين لم يحصل هذا أبداً.

وقد ذكر الرواة زواج أبي لهب عمّ النبيﷺ من أمّ جميل الأموية، في معظم الأحداث في مكّة والمدينة حتى ذكروها في محادثات معاوية مع ابن عباس في دمشق.

إذ قال معاوية لابن عباس :أين عمّك أبو لهب في جهنم؟

فقال: عندما تذهب إلى جهنّم ستجده على يدك اليمنى ملتحفاً عمّتك أمّ جميل.

وقال معاوية للناس هذا عقيل عمّه أبو لهب.

فقال عقيل: هذا معاوية عمّته حمالة الحطب[2].

ولم تكن هناك علاقة رحمية ظاهرة بين الوليد بن عقبة وبني هاشم ولو كانت لأظهرها الوليد في شعره. كما أنّ عثمان بن عفّان لم يذكر علاقة رحمية له مع النبيﷺ وعليّ من جانب النساء لا في مكّة ولا في المدينة. وحتى في الأيّام العصيبة لم تذكر تلك العلاقة الرحمية المختلَقة.

---

(١) مروج الذهب، المسعودي ١/٣٣٦، كتاب المثالب، هشام بن الكلبي، باب أدعياء الجاهلية، السيرة الحلبية ٢/١٨٦.

(٢) الأمالي، المرتضى ١ / ٢٠٠.

فعثمان شارك في محاولة قتل رسول الله ﷺ في العقبة[١]، وشارك عثمان في قول يهجر للنبي ﷺ في يوم شهادته ومنع دفنه مع عمر مدّة ثلاثة أيّام[٢]، ولم تذكر العلاقة الرحمية النسائية بين النبي ﷺ وعثمان، وشارك عثمان في حمل الحطب والنار على دار فاطمة بنت محمّد ﷺ المتسبّب في قتلها[٣].

ولم تذكّره فاطمة سيّدة نساء العالمين ذلك أثناء الهجوم، عليها بل كان عثمان واحداً من الغرباء شأنه في ذلك شأن عبدالرحمن بن عوف وأبي عبيدة بن الجرّاح وسعد بن أبي وقّاص. لكنّ الأمويين ألصقوا عثمان بأحاديث مختلقة كثيرة ومتنوّعة لرفع شأنه على باقي الصحابة فجعلوه إبناً لعبدالمطّلب من أمّه.

واخترعوا زواجه من اثنين من بنات رسول الله ﷺ وسمّوه ذا النورين كذباً وبهتاناً[٤].

وأنّه أنفق أمواله على حروب المسلمين وشراء بئر رومة وغيرها من الأحاديث الأموية التي صنعتها ألسنة القصّاصين على مدىٰ مئة سنة من حكم الأمويين.

ولو طالت أيّام حكم الأمويين خمسمائة عام لجعلوا عثمان في كلّ صغيرة وكبيرة وطمسوا فضائل أهل البيت ﷺ والصحابة أجمعين.

وقالوا: حبل الكذب قصير؛ أي إنّه يُكشف ويصبح عاراً على فاعليه؛ لأنّ الكذب من علامة المنافقين. فعثمان لم يذكر علاقة الرحم النسائية بينه وبين بني

(١) المحلّى، ابن حزم ١١ / ٢٢٥.
(٢) الطبقات، ابن سعد ٢ / ٢٧٣، المصنّف، ابن أبي شيبة باب المغازي.
(٣) الاختصاص، المفيد ١٨٤ ـ ١٨٥ ط مكتبة الصدوق.
(٤) راجع قضية زواجه المختلقة في هذا الكتاب.

هاشم في أيّام حكومته رغم الأحداث الساخنة بين بني هاشم وبني أميّة.

وحتىٰ في أيّام محاصرة داره ومحاولة الثوّار قتله لم يذكر عثمان هذا الأمر الزائف المخترع في زمن معاوية.

والعجيب في القضية أيضاً أنّ أروىٰ بنت كريز بنت البيضاء وأمّ عثمان كما يدّعون عاشت إلى سنّ تسعين سنة وماتت في زمن سلطة عثمان فهو الذي صلىٰ عليها ودفنها[1]، بينما لم يذكر الرواة لها حادثة واحدة في التسعين سنة تبيّن علاقتها الرحمية ببني هاشم؟!

ولو كانت طرشاء خرساء عمياء لذكر التاريخ علاقتها بصفية وبني هاشم! لكن لم يذكروا شيئاً واحداً عن علاقتها الرحمية بخالتها صفية بنت عبدالمطّلب الموجودة في المدينة. كذلك لم يذكر التاريخ كلّه علاقة رحمية بين عثمان ابن البيضاء بنت عبدالمطّلب والزبير ابن صفية بنت عبدالمطّلب رغم الأحداث الساخنة بين الإثنين ومشاركة الزبير في الثورة على عثمان ومنعه الماء والطعام عنه ثمّ قتله ومنع دفنه!

إنّ رجال التاريخ والرواة تركوا هذا الأمر لعدم وجود هذه العلاقة أصلاً وعدم وجود امرأة في الدنيا باسم أروىٰ بنت البيضاء بنت عبدالمطّلب!!

فالبيضاء بنت عبدالمطّلب الهاشمية امرأة لا انجاب لها لكن يد السياسة الأموية جعلتها جدّة لعثمان بن عفّان الأموي؛ لإخفاء الحقائق الباهرة في فسق عفّان الأموي وتخنّثه ولعبه بالدفّ المشهورة بين رواة وعلماء المسلمين[2]، وإخفاء

(١) الإصابة، ابن حجر ٨ / ١٠.

(٢) الصراط المستقيم، المثالب، هشام بن الكلبي، باب المخنّثين، الطرائف ابن طاووس ٤٩٩، ٣ / ٣٠، مسند أحمد بن حنبل ٦ / ٣٦٠.

الحديث النبوي في لعن النبي ﷺ آل أبي العاص (وعثمان منهم) مرّات عديدة.

وإنّهم أناس جبابرة فراعنة ظلمة سرّاق بيت المال وقد سمع جميع الصحابة هذا القول النبوي الشريف.

وهذا الحديث من أركان جواز الثورة على عثمان في نظر الصحابة فالمهاجرون والأنصار ما كانوا ليثوروا على عثمان دون هذا الحديث وأعمال عثمان السيّئة وفتوى عائشة وأحاديث النبي فيه وفي آل أبي العاص.

قال خاتم الرسل ﷺ: لو بلغ آل أبي العاص (عائلة عثمان) ثلاثين رجلاً اتّخذوا مال الله دولاً وعباده خولاً ودينه دخلاً[1].

واستمرّ كذب القصّاصين والرواة في عثمان وأخيه من أمّه الوليد بن عقبة حتىٰ طفح الكيل وأزكم أنوف القارئين والسامعين.

فقد قالوا: لمّا ولدت أمّ حكيم (البيضاء) أروىٰ بنت كريز سمعت قائلاً يقول في المنام: (الرجل الشريف) صميم لمسود حليم ومقسّم كريم وشاعر عذوم[2]. في بطن أمّ حكيم (البيضاء)[3]. فولدت عثمان بن عفّان فهو القمس الحليم.

أراد الأمويون المساواة بين رسول الله ﷺ وبين عثمان فنسبوا عثمان إلى البيضاء بنت عبدالمطّلب أوّلاً. واختلقوا هذه الرواية على لسانها ثانياً.

وكانت آمنة بنت وهب أمّ النبي محمّد ﷺ قد رأت في المنام حين حملت

---

(١) دولاً أي يكون لناس دون ناس. والخول الخدم والعبيد، والدخل العيب والغشي والفساد والمراد هنا إدخالهم في الدين أموراً لم تجرِّبها السنّة، النهاية ابن الأثير، مسند أحمد بن حنبل ٣ / ٨، من مسند أبي سعيد الخدري، كنز العمال ١١ / ١٦٥، البحار ٢٢ / ٤٢٧، العمدة، بن بطريق ٤٧٢ ح ٩٩٣، الفائق ١ / ٤٢٠.

(٢) أي صبور وهو الوليد بن عقبة.

(٣) كتاب المنمق، محمّد بن حبيب البغدادي ٣٣٥، نسب قريش ١١٣.

بمحمّد ﷺ فقيل لها: إنّك قد حملت بسيّد هذه الأمّة فإذا وقع إلى الأرض فقولي أعيذه بالواحد ـ من شرّ كلّ حاسد[١].

فالوليد الفاسق صلى بالناس صلاة الصبح أربع ركعات ثمّ قال لهم مستهزئاً بالصلاة ءأزيدكم؟[٢].

وعثمان قتل الصحابيين الجليلين أبا ذر الغفاري وعبدالله ابن مسعود لأمرهما إيّاه بالمعروف ونهيه عن المنكر وختم أيّامه بقتل المقداد بن عمرو والمدهش أنّهم أرجعوا الوليد بن عقبة الفاسق إلى البيضاء بنت عبدالمطّلب وأنّ جبرائيل نادىٰ به وهو في بطن البيضاء!

قالوا: إن لم تستح فافعل ما شئت! والولد يكون في ظهر جدّه لا في بطن جدّته أوّلاً وثانياً: الوليد فاسق بنصّ القرآن الكريم فكيف ينادي به جبرائيل إذ قال تعالىٰ:

﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ﴾[٣].

وأجمع المفسرون على نزولها في الوليد الفاسق. كما أنّ الوليد بن عقبة بن أبي معيط رجل يهودي كما قال النبي محمّد ﷺ وعقيل بن أبي طالب فأين هو من البيضاء بنت عبدالمطّلب واصلة من صفورية في فلسطين[٤]!

ورابعاً قال عقيل بن أبي طالب عالم الأنساب: الوليد لا ينتمي إلى عقبة بن أبي معيط فهو أكثر منه سنّاً!![٥]

---

(١) دلائل النبوّة، البيهقي ١ / ٢٨، ٨٣.

(٢) الاستيعاب، ابن عبدالبرّ ٤ / ١٥٤، أسد الغابة ٥ / ٤٥٢.

(٣) الحجرات / ٦، البداية والنهاية ٨ / ٢٣٤، تفسير ابن كثير، الآية، أسد الغابة ٥ / ٤٥١، تاريخ دمشق ٢٦ / ٣٢٨.

(٤) مروج الذهب، المسعودي ١ / ٣٣٦، المثالب، هشام الكلبي باب أدعياء الجاهلية، السيرة الحلبية ٢ / ١٨٦.

(٥) المصدر السابق.

وهكذا جعل راوي بني أمية الفاجر عثمان والوليد في منزلة النبي ﷺ ومن المنتمين إلى عبدالمطّلب، لكنّ القرآن الكريم أبطل هذه الأطروحة الأموية الفاسدة وكذّب احدوثتها وفضح قائليها بآيتين:

الشجرة الملعونة في عثمان وأرحامه، وآية الفاسق.

والملاحظ في عائلة أروىٰ وعقبة بن أبي معيط اليهودي اللااستقامة في الأخلاق والدين.

فقد قالت أروىٰ أمّ الوليد للوليد: يا بني أبوك ألأم وأخبث من عقبة[1]. وهي تبيّن هنا عدم انتمائه لعقبة!

فأيّ عائلة هذه فيها عفّان المتخنّث وعقبة اليهودي اللئيم الفاجر ووالد الوليد الأفسق من عقبة وأخبث!

---

(١) الاحتجاج، الطبرسي ١ / ٤١٢.

الفصل الرابع:

هل كان عثمان صهرا للنبي؟

أحاديث النبي ﷺ في بني أميّة

قال رسول الله ﷺ في بني أمية: إذا بلغ بنو العاص ثلاثين رجلاً اتّخذوا دين الله دغلاً، وعباد الله خولاً، ومال الله دولاً[1].

وكان أبغض الأحياء إلى رسول الله ﷺ بنو أمية وبنو حنيفة، وثقيف[2].

وقال رسول الله ﷺ في مروان بن الحكم: هو الوزغ بن الوزغ الملعون بن الملعون[3].

في حين قال عثمان في بني أمية عكس ما قاله رسول الله ﷺ سجية منه في مخالفته لرسول الله ﷺ[4].

---

(١) المستدرك، الحاكم ٤ / ٥٢٦.

(٢) المصدر السابق ٤ / ٥٢٨.

(٣) المستدرك، الحاكم ٤ / ٥٢٦.

(٤) فتح الباري، ابن حجر ١٣ / ٩٥، تحفة الأحوذي، المباركفوري ٦ / ٢٥٢.

أولاد خديجة من رسول الله ﷺ

ولدت خديجة من رسول الله ﷺ القاسم وبه كان يكنّى ﷺ[١]، وولدت له أيضاً عبدالله[٢]. ثم ولدت له فاطمة ؈[٣].

وقالوا: إنّ زينب وأمّ كلثوم ورقية بنات خديجة من رسول الله[٤] وقد كذّبنا ذلك. في المواضيع القادمة.

وقال البعض إنّ هند ابن خديجة وهو ابن هالة، بل إنّ أبا هالة كنيته أيضاً أبو هند فاختلط عليهم[٥]!

وقال المقدسي: ولدت خديجة لرسول الله ﷺ عبدمناف في الجاهلية وولدت له في الإسلام غلامين وأربع بنات: القاسم وبه كان يُكنّى: أبا القاسم، فعاش حتى مشى ثمّ مات، وعبدالله مات صغيراً، وأمّ كلثوم، وزينب، ورقية، وفاطمة[٦].

وقال القسطلاني إنّها ولدت لرسول الله ﷺ إثني عشر ولداً كلّهم ولد في الإسلام عدا عبدمناف[٧] ولم يحدّد أسماءهم.

والحارث بن أبي هالة لا رابطة له بخديجة ونسبوه إليها وللتخلّص من ذلك فقد ذكروه أوّل شهيد في الإسلام، قُتل بعد بعثة رسول الله ﷺ[٨]!!

---

(١) المواهب اللدنيّة ١ / ١٩٦.

(٢) المواهب اللدنية ١/ ١٩٦، البدء والتاريخ ٤ / ١٣٩، ٥ / ١٦.

(٣) المواهب اللدنيّة ١ / ١٩٦.

(٤) المصدر السابق.

(٥) راجع نسب قريش، مصعب الزبيري ٢٢، سيرة مغلطاي ١٢.

(٦) البدء والتاريخ ٤ / ١٣٩، ٥ / ١٦.

(٧) المواهب اللدنية ١ / ١٩٦.

(٨) الإصابة ١ / ٢٩٣، الأوائل، العسكري ١ / ٣١١، ٣١٢، محاضرة الأوائل ٤٦.

بينما كان أوّل شهيد في الإسلام سميّة أمّ عمّار بن ياسر، ثمّ ياسر أبوه[١]؟

من هو الصهر الوحيد للنبي ﷺ؟

لقد أنزل بنو أمية نقمتهم وحقدهم على خديجة فلم يذكروها بخير بل جعلها راويتهم أبو هريرة في الجنّة في منزل من قصب[٢]!

ولو كانت خديجة أُمّاً حقّاً لزوجتي عثمان الأموي رقية وأمّ كلثوم لأعطوها مكانتها اللازمة واظهروا فضائلها! وأسكنوها في منزلة الجنة الأولى.

ولكنّهم حاولوا الإستفادة من جاه وشرف رسول الله ﷺ لصالح عثمان الأموي فجعلوه ذا النورين! وانتقصوا من جانب آخر خديجة ورسول الله ﷺ حقداً منهم عليهما وعلى عليّ ﷺ وفاطمة ﷺ.

ولم يحتجّ عثمان في حياته بأنّه صهر النبي ﷺ أبداً.

ولم يقل النبي ﷺ: عثمان صهري.

بينما قال رسول الله ﷺ لعلي ﷺ: يا عليّ أوتيت ثلاثاً لم يؤتهنّ أحد ولا أنا، أوتيت صهراً مثلي ولم أوت أنا مثلي.

وأوتيت صدّيقة مثل ابنتي، ولم أوت مثلها (زوجة).

وأوتيت الحسن والحسين من صلبك ولم أوتَ من صلبي مثلهما ولكنّكم مني، وأنا منكم[٣].

---

(١) صفّين، المنقري ٣٢٥.

(٢) الروض الأنف، السهيلي ٢ / ٤٢٤.

(٣) مناقب الكشي مخطوط، المناقب، عبدالله الشافي ٥٠ مخطوط، درر السمطين، الزرندي الحنفي ١١٤، مقتل الحسين، الخوارزمي ١ / ١٠٩، إحقاق الحقّ (قسم الملحقات) ٤ / ٤٤٤، ٥ / ٧٤، مناقب ابن شهر آشوب ٢ / ٢٣٣.

فهذا أوضح دليل على أنّه ﷺ الصهر الوحيد للنبي ﷺ.

وقال عمر: لقد أوتي ابن أبي طالب ثلاث خصال لئن تكون لي واحدة منهنّ أحبّ إليّ من حمر النعم: زوّجه رسول الله ابنته وولدت له و...(١).

فلم يقل عمر: زوّجهُ إحدىٰ بناته بل قال زوّجهُ ابنته، وهذا يفضح سعة الهجمة الأموية لاغتصاب فضائل أهل البيت ﷺ وكثرة أكاذيبهم ولو كان عثمان صهراً للنبي ﷺ لمّا قال الرسول لعلي ﷺ: أوتيت ثلاثاً لم يؤتهنّ أحد.

وقال الجوهري واصفاً قول الرسول ﷺ في الغدير: عليّ الرضي صهري فأكرم به صهراً(٢).

ومن الأدلّة الأخرىٰ على كون علي ﷺ صهراً وحيداً للنبي ﷺ:

عن أبي ذر الغفاري قال رسول الله ﷺ: إنّ الله تعالى اطلّع إلى الأرض اطّلاعة من عرشه ـ بلا كيف ولا زوال ـ فاختارني نبياً، واختار علياً صهراً وأعطىٰ له فاطمة العذراء البتول، ولم يعط ذلك أحداً من النبيين. وأعطي الحسن والحسين ولم يعطِ أحداً مثلهما، وأعطي صهراً مثلي وأعطي الحوض، وجعل إليه قسمة الجنة والنار، ولم يعطِ ذلك الملائكة(٣).

ولو كان عثمان صهراً للنبي ﷺ أيضاً لذكره!

إذن حشروا عثمان صهراً للنبي ﷺ كذباً وزوراً في زمن حكم معاوية وباقي الأمويين ولم ينطق بها عثمان أبداً في زمن حكمه. ولم يسمع بها في حياته.

وقال عبدالله بن عمر لأحد الخوارج: أمّا عثمان فكان الله عفا عنه وأمّا أنتم

---

(١) الصواعق المحرقة الفصل ٣، الباب ٩، المستدرك، الحاكم ٣ / ١٢٥.

(٢) مناقب ابن شهر آشوب ٢ / ٢٣٣.

(٣) ينابيع المودّة ٢٥٥، إحقاق الحقّ (الملحقات ٧ / ١٨).

فكرهتم أن تعفوا عنه. وأمّا علي، فابن عمّ رسول الله ﷺ وختنه، وأشار بيده، فقال هذا بيته حيث ترون[١].

فاقتصر ابن عمر على وصف علي عليه السلام بختن رسول الله، ولو كان عثمان ختنه أيضاً لذكره، ولأسرع البخاري إلى ذكر ذلك!

فيتوضّح أنّه ختنه وصهره ﷺ من الأوصاف المخصوصة بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

والجدير بالذكر أنّ لقب ذي النورين قد أضفاه الأمويون متأخّراً على عثمان، ولم يكن له ذكر في زمن النبي ﷺ والخلفاء. بل حتى في زمن حكومة عثمان لم يكن له ذكر.

وفي أيّام حصار المسلمين لبيت عثمان لم يحتجّ بنو أمية وأعوان عثمان على الجماهير الغاضبة بلقب ذي النورين، ولو كان له واقع لاستخدمه الأمويون خير استخدام ولقاله عثمان لعائشة أثناء صراعها الدامي والعنيف!

هل كانت فاطمة عليها السلام بنتاً وحيدة للنبي ﷺ ؟

المطالع للسيرة النبوية بدقّة يدرك وجود رابطة مصاهرة بين النبي محمّد ﷺ وعلي عليه السلام من خلال زياراته المتكرّرة لبيت فاطمة عليها السلام.

فبعد نزول آية التطهير بقي ستّة أشهر يمرّ على بيت فاطمة عليها السلام ويقول: السلام عليكم يا أهل بيت النبوّة[٢].

---

(١) صحيح البخاري ٣ / ٦٨.

(٢) سنن الترمذي ٢ / ٢٩، تفسير الطبري ٢٢ / ٥، مسند أحمد ٢ / ٢٥٢.

وذكر رسول الله فاطمة ﷺ كثيراً في أحاديثه فقد قال: من تسرق قطعت يدها، ولو كانت فاطمة بنت محمّد. وذكر كثيرون آلاف الروايات عن رابطة فاطمة ﷺ بأبيها:

قال رسول الله ﷺ: فاطمة أمُّ أبيها[١].

وروى ابن عباس إنّ النبي ﷺ كان إذ قَدِم من سفرٍ قبَّل ابنته فاطمة ﷺ[٢].

ولم نجد ذكراً لمروره ﷺ على بيت زينب ولا رقية ولا أم كلثوم!

وجاء عن ابن مسعود: بينما رسول الله ﷺ عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس وقد نحرت جزور بالأمس، قال أبو جهل: أيكم يقوم إلى سلا جزور[٣] بني فلان فيأخذه فيضعه في كتفي محمّد إذا سجد؟

فانبعث أشقى القوم فأخذه، فلمّا سجد النبي ﷺ وضعه بين كتفيه فاستضحكوا، وجعل يميل على بعض وأنا قائم أنظر لو كانت لي منعة طرحته عن ظهر رسول الله ﷺ.

والنبي ﷺ ساجد ما يرفع رأسه حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة ﷺ، فجاءت وهي جويرية، فطرحته عنه ثمّ أقبلت عليهم تشتمهم[٤].

فأين أمّ كلثوم؟

وقال المقدسي: كلّ ولد النبي ﷺ ولدوا في الإسلام[٥].

---

(١) أسد الغابة ٧ / ٢٢٠، الاستيعاب ٤ / ٣٨٠.

(٢) أسد الغابة ٧ / ٢٢٤، مجمع الزوائد ٨ / ٤٢، ذخائر العقبى ٣٦.

(٣) لفافة الولد في بطن الناقة كالمشيمة.

(٤) صحيح مسلم ٥ / ٦٦ ح ١٧٩٤، صحيح البخاري ٣ / ١٣٩٩ ح ٣٦٤١، مسند أحمد ١ / ٦٨٨، دلائل النبوّة، البيهقي ٢ / ٢٧٩ ـ ٢٨٠.

(٥) البدء والتاريخ، المقدسي ٤ / ١٣٩، ٥ / ١٦.

وجاء عن معركة أحد: جرح وجه رسول الله ﷺ وكسرت رباعيته، وهشّمت البيضة على رأسه، فكانت فاطمة ؑ بنت رسول الله تغسل الدم، وكان علي بن أبي طالب ؑ يسكب عليها بالمجن[١].

وقدم رسول الله ﷺ من غزاة له فدخل المسجد فصلىٰ فيه ركعتين وكان يعجبه إذا قدم أن يدخل المسجد فيصلي فيه ركعتين، ثمّ خرج فأتىٰ فاطمة، فبدأ بها قبل بيوت ازواجه، فاستقبلته فاطمة ؑ وجعلت تقبّل وجهه وعينيه وتبكي[٢].

ففي كلّ هذه الأحاديث نجد علاقة الأبوّة موجودة بين رسول الله ﷺ وفاطمة ؑ فقط، ولا نجد ذكراً لهذه العلاقة بينه ﷺ وبين ربيبتيه زينب ورقية! لا في مكّة ولا في المدينة!

وورد في رواية: جاءت فاطمة ؑ بكسرة خبز في معركة الخندق فرفعتها إليه، فقال: ما هذه يا فاطمة ؑ[٣].

وكان رسول الله ﷺ إذا سافر كان آخر عهده بإنسان من أهله فاطمة ؑ وأوّل من يدخل عليه إذا قدم فاطمة ؑ[٤].

وأنّ فاطمة سلام الله عليها شكت ما تلقي من أثر الرحىٰ فأتى النبي ﷺ سبيٌ فانطلقت فلم تجده فوجدت عائشة فأخبرتها، فلمّا جاء النبي ﷺ أخبرته بمجيء فاطمة ؑ، فجاء النبي ﷺ إليها[٥].

(١) صحيح البخاري ٤ / ١٤٩٦ ح٣٨٤٧، صحيح مسلم ٤ / ٦٤ ح ١٧٩٠.

(٢) المستدرك، الحاكم ٣ / ١٦٩، ح٤٧٣٧، حلية الأولياء ٢ / ٣٠، المعجم الكبير، الطبراني ٢٢ / ٢٢٥ ح٥٩٥، مجمع الزوائد ٨ / ٢٦٢.

(٣) كنز العمال ١ / ٧٧، الطبقات ٨ / ٢٤، مجمع الزوائد ٨ / ٢٦.

(٤) مسند أحمد ٥ / ٢٧٥، سنن أبي داود ٤ / ٨٧ ح٤٢١٣، المستدرك ١ / ٦٦٤ ح ١٧٩٨، ٣ / ١٦٩ ح ٤٧٣٩، الصواعق المحرقة ١٠٩ / ١٨٢.

(٥) صحيح البخاري ٣ / ١٣٥٨ ح٣٥٠٢، وص ١١٣٣ ح ٢٩٤٥، صحيح مسلم ٥ / ٢٦٢ ح٢٧٢٧، سنن أبي داود / ٣١٥ ح٥٠٦٣، حلية الأولياء ٢ / ٤١.

ومئات الأحاديث الأخرى المشابهة المثبتة لعلاقة الأبوّة بين محمّد رسول الله ﷺ وابنته فاطمة عليها السلام، ولا يوجد مثل هذه الأحاديث بين النبي ﷺ من جهة وزينب ورقية من جهة أخرى.

فهل غفل الأمويون عن سيرة النبي ﷺ مع رقية وأمّ كلثوم، أم كان قصدهم إضفاء لقب ذي النورين على عثمان الأموي!

وإذا كانت أمّ كلثوم آخر من تزوّج من بنات النبي ﷺ، وبقيت بنتاً تعيش مع أبيها كما يدَّعون، فلماذا لم نَرَ لها ذكراً مع رسول الله ﷺ مثلما جاء من الروايات في فاطمة عليها السلام وأبيها ﷺ؟!

وذكر رقية اقتصر على حياتها مع عثمان بن عفان وكذلك اقتصر ذكر زينب على حياتها مع أبي العاص.

ولا يوجد ذكر لأمّ كلثوم مع النبي ﷺ وعثمان، ممّا يبطل قضية وجود هذه المرأة في الدنيا! بل هي من مختلقات الأمويين. ولو كان لها وجود لخطبها الأنصار والمهاجرون في المدينة، ولم يذكر ذلك أحد! ولو كانت تعيش لوحدها مع رسول الله ﷺ في المدينة لذكرت الروايات سيرتها في المدينة معه بنصوص صحيحة.

رقية وأمّ كلثوم امرأة واحدة أم إثنتان؟

لقد حاول الأمويون تبعاً لسياسة معاوية في إضفاء الفضائل على عثمان، اختراع مناقب له في هذا المجال. ومن هذه المناقب لقب ذي النورين على تقدير زواج عثمان من ابنتي رسول الله ﷺ رقية وأُمّ كلثوم.

وكيف يزوّجه ابنته الأخرىٰ وكان قد لعنه وطرده وأمّ كلثوم حسب ما يقولون آخر من تزوّجت من بنات رسول الله ﷺ؟

وبسبب هذا الهدف المنشود خبط الرواة خبطة عشواء في هذا السبيل لوضع تلك المنقبة فاختلفوا في رواياتهم اختلافاً شديداً.

وهذا الموضوع يدخل ضمن أمر معاوية بإيجاد مناقب لعثمان بن عفان، وأبي بكر وعمر لمنافسة بني هاشم وبالخصوص أهل البيت عليهم السلام[١].

لقد اخترعت السياسة امرأتين باسم أمّ كلثوم، الأولىٰ جعلتها بنتاً لرسول الله ﷺ وزوّجوها من عثمان بن عفان الأموي.والثانية صنعتها يد الزبير بن بكّار وجعلتها بنتاً لعلي وفاطمة عليهما السلام وزوجها من عمر بن الخطّاب.

قال المفيد: إنّ خبر تزويج عمر من أمّ كلثوم غير ثابت؛ لأنه من طريق الزبير بن بكار[٢]. والزبير بن بكار من الناصبين العداء لعلي عليه السلام.

ومن الروايات المزيّفة رواية زواج عتبة وعتيبة ابني أبي لهب بأمّ كلثوم ورقية[٣] لإثبات وجود بنت للرسول اسمها أمّ كلثوم.

والحقيقة تتمثّل في زواج عتبة وأبي العاص بن الربيع برقية وزينب ربيبتي رسول الله ﷺ مجازا ،وقالوا :زيد بن محمد وهو ابن حارثة فقد جاء في رواية صحيحة:

«قد زوّج رسول الله ﷺ ابنتيه قبل البعثة كافرين يعبدان الأصنام أحدهما

---

(١) الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٣ / ١٦٢، الاستيعاب ١ / ٦٥، الإصابة ١ / ١٥٤، تاريخ الطبري ٦ / ٧٧، مختصر تاريخ دمشق ٣ / ٢٢٢، الأغاني ١٥ / ٤٤، شرح النهج ١ / ١١٦.

(٢) المسائل السروية، المسألة العاشرة.

(٣) الدرّ المنثور ٦ / ٤٠٩، أسد الغابة ٥ / ٤٥٦، نسب قريش ٢٢.

عتبة بن أبي لهب، والآخر أبو العاص بن الربيع. فلما بُعث النبي ﷺ فرّق بينهما فمات عتبة على الكفر، وأسلم أبو العاص فردّها عليه بالنكاح الأوّل»[١].

وجاء في كتابي الأنوار والبدع في رواية صحيحة :أنّ رقية وزينب كانتا ابنتي هالة أخت خديجة[٢].

وتزوّجت رقية عثمان بن عفان وهاجرت معه إلى الحبشة في السنة الخامسة من البعثة وكانت حاملاً، ثمّ رجعت معه إلى المدينة وماتت هناك[٣].

وفي رواية مختلفة :تزوّج عثمان رقية في مكّة ثمّ ماتت في المدينة مرجع المسلمين من غزوة بدر، فتزوّج بعدها أمّ كلثوم وماتت في سنة ثمان، وقيل ماتت ولم يبن بها عثمان[٤].وبسبب عدم وجود حقيقة وسيرة معلومة لتلك المرأة (أمّ كلثوم) فقد قالوا بموتها المبكّر في السنة الثامنة!

ومن أدلّة عدم وجود إمرأة بإسم أمّ كلثوم ما يلي:

قال البلاذري في رواية صحيحة : إنّ خديجة تزوّجت رسول الله ﷺ وهي عذراء، وكانت رقيّة وزينب ابنتي هالة أخت خديجة[٥].فقالوا ربائب النبي ﷺ مجازا.

ولمّا هاجر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ؑ إلى المدينة اصطحب معه

---

(١) عدّة رسائل للشيخ المفيد ص ٢٢٩، المسائل السروية، المسألة العاشرة، خرج عتبة بن أبي لهب من مكّة إلى المدينة مستخفياً لقتل رسول الله ﷺ فقتله أسد في الطريق، البحار ١٧ / ٤١٢.

(٢) البحار ٢٢ / ١٩١.

(٣) الإصابة ٤ / ٣٠٤، ٤٩٠ نهاية الارب ١٨ / ٢١٢، ٢١٤، تهذيب تاريخ دمشق ١ / ٢٩٨.

(٤) قاموس الرجال ١٠ / ٤٠٦، تنقيح المقال ٣ / ٧٣، ٧٤، عن قرب الإسناد.

(٥) مناقب آل أبي طالب ١ / ١٥٩، الاستغاثة، علي بن أحمد الكوفي ٨٩.

الفواطم وأمّ أيمن وجماعة من ضعفاء المؤمنين[١].

فأين كانت أمّ كلثوم؟ أمّ أنّ خديجة ولدتها في المدينة!!

وللهرب من عدم وجود سيرة لأمّ كلثوم في مكّة فقد جعلوها أُصغر بنات النبي ﷺ إذ جاء:

كانت فاطمة وأختها أمّ كلثوم أصغر بنات رسول الله ﷺ، واختلف في الصغرىٰ منهما، وقال ابن السراج: سمعت عبدالله الهاشمي يقول: ولدت فاطمة في سنة إحدىٰ وأربعين من مولد النبي ﷺ[٢].

ولمّا أنكرت السيرة النبوية ذكر طفولة أمّ كلثوم في بيت النبي ﷺ في المدينة فقد قدّمها البعض في العمر على زينب ورقية وفاطمة[٣]! فجعلوا رقية هي الأصغر من الكلّ حتىٰ من فاطمة عليها السلام[٤].

أي حار الكتّاب المتأخّرون في عمر أمّ كلثوم وعدم زواجها وبقائها إلى العشرين أو الثلاثين من عمرها تنتظر موت أختها رقية ليتزوّجها عثمان فيصبح ذا نورين!

وجاء عن المقدسي قوله: كلّ وُلدِ النبي ﷺ ولدوا في الإسلام عدا عبدمناف فإنّه ولد في الجاهلية[٥]، وطبقاً لهذا القول يستحيل أن تكون زينب ورقيّة من بنات

---

(١) السيرة الحلبية ٢ / ٥٣.

(٢) الاستيعاب بهامش الإصابة ٤ / ٣٧٣، ٣٧٤، نهاية الإرب ١٨ / ٢١٣.

(٣) المواهب اللدنية ١ / ١٩٦.

(٤) الاستيعاب بهامش الإصابة ٤ / ٢٩٩، ٢٨٢، البداية والنهاية ٢ / ٢٩٤، نسب قريش ٢١ مختصر تاريخ دمشق ٢ / ٢٦٣، ٢٦٤، الدرّ المنثور ٦ / ٤٠٤، السيرة الحلبية ٣٠٨/٨٣ الإصابة ٤ / ٣٠٤، دلائل النبوّة البيهقي ٢ / ٧٠، تاريخ الخميس ١ / ٢٧٣، الوفاء ٦٥٦.

(٥) البدء والتاريخ ٤ / ١٣٩، ٥ / ١٦، المواهب اللدنية ١ / ١٩٦.

رسول الله ﷺ؛ لأنّهما تزوّجتا عثمان وأبا العاص في الجاهلية.

وإذا قلنا بولادتهما بعد المبعث فيستحيل تزويج رسول الله ﷺ زينب لأبي العاص الكافر، ويستحيل أن يتزوّج عثمان رقية وعمرها دون السنة الخامسة من العمر!

والحقيقة التي عليها معظم العلماء والرواة أنّ فاطمة اصغرهنّ سنّاً[(١)]. فولادة فاطمة عليها السلام في السنة الخامسة من البعثة[(٢)].

والصحيح أنّ عتبة بن أبي لهب طلّق زوجته رقية بعد المبعث النبوي فتزوّجها عثمان بن عفان، وبقي أبو العاص بن الربيع مع زوجته زينب ربيبة رسول الله ﷺ طول مدّة بقاء النبي ﷺ في مكّة ولم يطلّقها رغم طلب طغاة قريش ذلك.

وفي معركة بدر أسر أبو العاص بن الربيع، فاتّفق معه رسول الله ﷺ على طلاق زينب لأنّها مسلمة وهو كافر فأخلىٰ سبيلها وأرسلها إلى المدينة[(٣)].

وجاء عن زواج عثمان برقية: إنّ عثمان «تعاهد مع أبي بكر: لو زوّج مني (الرسول ﷺ) رقية لأسلمت وذلك بعد أن بشّرته كاهنة بنبوّة رسول الله ﷺ»[(٤)].

أي أنّ شرط دخول عثمان الإسلام تزويجه رقية، فتألفه رسول الله ﷺ مثلما تألف الكثير بالأموال وغيرها.

---

(١) الأوائل، العسكري ١ / ١٦٦، الروض الأنف ١ / ٢١٥، السيرة الحلبية ٣ / ٣٠٨، تاريخ الخميس ١ / ٢٧٢، بهجة المحافل ٢ / ١٣٧، ذخائر العقبى ١٥٣.

(٢) البحار ٤٣ / ١ ـ ١٠ عن الكافي مروج الذهب ٢ / ٢٨٩، إثبات الوصية، المسعودي، ذخائر العقبى ٥٢، تاريخ الخميس ١ / ٢٧٨.

(٣) شرح النهج ١٤ / ١٩٢، الإصابة ٣ / ٥٩٨، أسد الغابة ٥ / ٣٨٤.

(٤) مناقب آل أبي طالب ١ / ٢٢.

ولأنّ عثمان أسلم في سبيل الدنيا بخبر كاهنة وزواج من بنت جميلة بقي مكبّاً عليها تاركاً للجهاد فاراً من الحرب نابذاً للعدالة في توزيع الأموال والمناصب الحكومية كارهاً لرسول الله ﷺ وأهل بيته، محبّاً لبني أميّة الزائغين عن الدين مضحّياً بنفسه في ذلك الطريق!

وكانت رقية ذات جمال رائع[1]، وعثمان رجل مغمور.

وبعد معركة أحد بقي معاوية بن المغيرة الأموي في المدينة يتجسّس أخبار المسلمين، فذهب ليلاً للاختفاء في بيت عثمان بن عفان الأموي، وفي البيت رقية ربيبة رسول الله ﷺ، فأخفاه عثمان وعرفت رقية ذلك!

فنزل جبرئيل من السماء وأخبر النبي ﷺ بالقضية، فأرسل ﷺ جماعة من المسلمين إلى بيت عثمان فجاءوه بمعاوية بن المغيرة.

فطلب عثمان من النبي ﷺ العفو عنه وإمهاله ثلاثة أيّام، فوافق النبي العطوف ﷺ على ذلك، فبقي معاوية في أطراف المدينة يتجسّس فأرسل إليه الرسول ﷺ عليّاً فقتله.

فاعتقد عثمان بن عفان أنّ رقية هي التي أخبرت رسول الله ﷺ بأمر معاوية بن المغيرة وليس جبرئيل مثلما يدّعي رسول الله ﷺ تنكّراً منه لقول رسول الله ﷺ فقتلها ثمّ وطأ جاريتها قبل دفنها!

وأخبر جبرئيل النبي ﷺ بقتل عثمان لرقية وبذلك منعه من دخول قبرها قائلاً: لا يدخل قبرها مَن قارف (جامع) الليلة أهله[2].

---

(١) المواهب اللدينة ١ / ١٩٧، دخائر العقبى ١٦٢، التبيين في أنساب القرشيين ٨٩، نور الابصار ٤٤.

(٢) الطبقات ٨ / ٣٨، مسند أحمد ٣ / ١٢٦، ٢٢٨، الحاكم ٤ / ٤٧، السيرة الحلبية ٢ / ٢٦٠، النزاع والتخاصم، المقريزي ٢٠، أنساب الأشراف ١ / ٣٣٧، ٣٣٨، الغدير ٩ / ٣٢٩.

فانتشر الخبر بين المسلمين وساءت سمعة عثمان في إخفائه لمعاوية في بيته وخيانته للمسلمين وقتله رقية ومنعه من دخول قبرها!

وللتستّر على هذه القضية فقد صنع الأمويون لرسول الله ﷺ بنتاً اسمها أمّ كلثوم وزوّجوها من عثمان!!

ووضعوا رواية كاذبة على لسانه ﷺ: لو كنّ عشراً لزوجتهنّ عثمان[1]!

وأراد الأمويون أيضاً تفضيل عثمان على بني هاشم وأبي بكر وعمر والصحابة جميعاً؛ لكونه ذي نورين!

وقد توفيّت زينب سنة ثمان للهجرة بالاتّفاق، وتوفي أبو العاص بن الربيع بعد وفاتها بأربع سنوات، أي في السنة الثانية عشرة في خلافة أبي بكر[2].

الملاحظ بأنّ رجال السقيفة جميعاً كانوا من المحاربين للإسلام في المعارك الإسلامية الحاسمة أو من المسلمين الفارّين عن المعارك مثل أبي بكر وعمر وعثمان وابن الجرّاح وابن عوف وابن العاص وخالد بن الوليد ومعاوية بن أبي سفيان والمغيرة بن شعبة وأسيد بن حضير وبشير بن سعد.

مقتل رقية

وهي رقية بنت هالة[3] بنت خويلد وخالتها خديجة. ولما مات أبوها وأمّها ربّاها رسول الله ﷺ.فأصبحت بمنزلة ربيبته أي أضحت ربيبته مجازا.

وتزوّجها في مكة عتبة بن أبي لهب، ثم طلقها بأمر أبيه وأمه حمالة الحطب[4].

---

(١) الطبقات ٨ / ٣٨، سير أعلام النبلاء ٢ / ٢٥٣.

(٢) سير أعلام النبلاء ١ / ٣٣٥.

(٣) زبدة البيان، الأردبيلي ٥٧٥.

(٤) البحار ٢١ / ٣٦٩.

ثم طلب عثمان من رسول الله ﷺ أن يزوّجه رقية ويدخل الإسلام، فتألّفه رسول الله ﷺ وزوّجه إيّاها.

ثم ساءت علاقته بها مثلما ساءت علاقة عثمان برسول الله ﷺ وعلي عليه السلام وعمار بن ياسر وصحابة رسول الله ﷺ.

ولم يذب عثمان في الإسلام كما ذاب عمار وسلمان والمقداد وأبو ذر وسعد بن عبادة ففي معركة بدر امتنع عثمان عن المشاركة فيها فعيّره بذلك عبدالرحمن بن عوف وابن مسعود والمقداد[1].

واستنقاص هؤلاء الصحابة لعثمان يثبت فراره ولا يترك المجال للشكّ في هذا الموضوع إذ استمروا في تعييره بذلك الأمر على مدى سنوات عديدة ولم يتخلص عثمان من تلك القضية حتى في أواخر سني عمره.

ولا يمكن اجتماع هؤلاء الصحابة على الكذب خاصة وإنّ جميع كتب السيرة والحديث والتفسير تتفق على امتناع عثمان عن المشاركة في معركة بدر[2].

ولم تتمكن المؤسسة الأموية من الوقوف أمام تلك الأحاديث المتواترة.

وقد حدثت معركة بدر في السنة الثانية للهجرة.

وفي السنة الثالثة للهجرة حدثت معركة أحد، وفي تلك السنة فر عثمان بن عفان فراراً لم يفره باقي الصحابة إذ عاد بعد نهاية الحرب بثلاثة أيام لذهابه إلى منطقة الجلعب فقال له ولصحبه رسولُ الله ﷺ:

لقد ذهبتم بها عريضة[3].

---

(١) شذرات الذهب ١ / ٢٤٦، تاريخ المدينة المنورة ٣ / ١٠٣٢، شرح النهج ١ / ٦٦.

(٢) شذرات الذهب ١ / ٢٤٦، تاريخ المدينة ٣ / ١٠٣٢، شرح النهج ١ / ٦٦.

(٣) سيرة ابن كثير ٣ / ٥٥، البداية والنهاية ٤ / ٣١، ٣٢.

وفي هذه الحادثة الثانية أيضاً كانت الأحاديث متواترة والأخبار شائعة بما لا مجال للشك والطعن فيها فذكر فرار عثمان في معركة أحد الكتّاب الأمويون وغيرهم.

فأصبح عثمان الأموي معروفاً بالهزيمة بين صحابة رسول الله ﷺ، ومن الطبيعي ان يكون مهاناً ومطروداً عن المنزلة الرائدة والفاضلة التي حصل عليها سائر المسلمين المشاركين في هاتين المعركتين. وعلى رأسهم بطل المسلمين علي بن أبي طالب ؑ.

ومن الطبيعي أن تكون نظرة المسلمين لعثمان نظرة شك وريبة سيما وإنه من اعوان القرشيين عامة والامويين خاصة، ودعمت هذه النظرية وجود أبي سفيان الأموي زعيماً لقريش وقائداً لجيشها.

فكثرت وازدادت النقمة الإسلامية على عثمان الفار في معركتين عظيمتين بين الموحدين والكافرين وشاعت الطعون عليه فلم يتمكن من القضاء عليها حتى في أيام حكومته، رغم مرور اكثر من ثلاثين سنة على هاتين الواقعتين.

ورغم القوة القاهرة التي كان يتمتع بها والمعتمدة على البطش والقتل والتبعيد وقطع الموارد المالية والطرد من المناصب الحكومية عيّره الصحابة في خلافته بإنتهاكاته العديدة للتشريع الاسلامي والدماء الكثيرة التي هدرها.

وهكذا أصبح اسم عثمان بن عفان في القائمة الأموية المعادية بعد مرور فترة قصيرة على مكث المسلمين في المدينة.

والذي فجّر الأحداث قضية معاوية بن المغيرة بن أبي العاص الأموي فهذا الرجل كان مع قريش في معركة أحد التي انتصر فيها المشركون.

ثم قام مع هند بنت عتبة بتمزيق أوصال حمزة سيد الشهداء[١]. فجدع أنف حمزة ومثّل فيمن مثّل[٢].

وبعد انسحاب جيش المشركين بقي معاوية بن المغيرة يتجسس أخبار المسلمين وتحركاتهم العسكرية مما أوقعه في مأزق وخاف وقوعه بأيدي المسلمين أسيراً فجاء إلى بيت عثمان بن عفان لاجئاً.

ورغم الواجب الديني الداعي لطرد ذلك المجرم الخطير فقد قام عثمان بن عفان باخفائه في زاوية من زوايا بيته.

وهذا العمل بيَّن تفضيل عثمان لبني أمية على رسول الله ﷺ، وهذا الحب العثماني لبني أميّة استمر طيلة حياة عثمان قبل وبعد زمن حكومته وقد قال عثمان رأيه بصراحة في هذا الأمر. والمدهش في قضية معاوية بن المغيرة الأموي ذهابه إلى بيت عثمان بن عفان دون تردد.

وهذا الأمر لا يحدث إلّا إذا كان عثمان منسجماً مع السيرة الأموية ومنسّقاً مع قيادة مكّة! وكيف لا يكون منسجماً معها وهو الذي امتنع من محاربة قريش في بدر وأحد.

وباختفاء جاسوس قريش في بيت عثمان أصبح ذلك البيت وكراً لجواسيس المشركين.

وإخبار النبي ﷺ للمسلمين بهذه القضية سيكون قطعاً من دلائل النبوة له ﷺ.

---

(١) السيرة الحلبية ٢ / ٢٦٠، أنساب الاشراف ١ / ٣٣٧.

(٢) النزاع والتخاصم ٢٠.

وكان عثمان قد قال لزوجته رقية: لا تخبري أباكِ.

فقالت: ما كنت لأكتم النبي ﷺ عدوّه[١].

فنزل جبرئيل من السماء وأخبر الرسولَ ﷺ باخفاء عثمان لمعاوية في بيته فأرسل ﷺ مجموعة من الصحابة إلى بيت عثمان فأخرجوا معاوية منه، وجاءوا به إلى رسول الله ﷺ.

فجاء عثمان وتوسّل برسول الله ﷺ للصفح عن معاوية، فتركه ﷺ وأمهله ثلاثة أيام للخروج من المدينة وأقسم النبي ﷺ على قتله إن وجده في أطرافها، وسار رسول الله ﷺ إلى حمراء الأسد.

لكن معاوية لم يخرج منها وبقي في اطراف المدينة يتجسس أخبار جيوش المسلمين!

فأخبر جبرائيل رسولَ الله ﷺ بذلك فارسل علياً ﵇ وعماراً إليه فقتله علي ﵇[٢].

وبعد مقتل معاوية بن المغيرة الأموي بأمر رسول الله ﷺ ثارت ثائرة عثمان بن عفان على رقية لدرجة أن تطاول عليها ضرباً وقال: أنتِ أخبرتِ أباكِ بمكانه.

فبعثت إلى النبي ﷺ ثلاث مرّات تشكو ما لَقِيت والنبي ﷺ لا يستجيب.

وفي الرابعة أرسل النبي ﷺ عليّاً ﵇ ليأتي بها؛ فإن حال بينه وبينها أحد فليحطمه بالسيف، فأخرجها علي ﵇.

فلما نظرت إلى النبي ﷺ رفعت صوتها بالبكاء، وبكى النبي ﷺ وأخذها

(١) الكافي ٣ / ٢٥١.

(٢) السيرة الحلبية ٢ / ٢٦٠، النزاع والتخاصم ٢٠، أنساب الاشراف ١ / ٣٣٧، شرح النهج ١٥ / ٤٦، ٤٧، البحار ١٤٥/٢٠، البداية والنهاية ٤ / ٥١.

إلى منزله وأرتهم ما بظهرها ثم ماتت رقية في اليوم الرابع.

وبات عثمان ملتحفاً بجاريتها[١].

وورد في دعاء شهر رمضان ذكر لهذه الحادثة حيث جاء:

«اللّهم صلّ على أُم كلثوم بنت نبيّك والعن من آذىٰ نبيّك فيها»[٢].

وأُم كلثوم هو كنية رقية.

«وانتقصت عائشة عثمان بفعله ذاك (قتله رقية) قائلة: ولكن كان منك فيها ما قد علمت»[٣]

ولقد لفت نظري شدة ثأر عثمان لابن عمه معاوية بن المغيرة إذ لم يكتفِ بقتل رقية بل جامع جاريتها في ليلة قتلها[٤]!

وهذا فعل لا يغتفر ولقبح الجريمة فقد أخبر جبرئيل النبي ﷺ بذلك.

العقاب النبوي

ومن الطبيعي اشتداد حزن رسول الله ﷺ على ربيبته المظلومة المقتولة في سبيل الله والشهيدة في طريق الإسلام.

فكيف إذا أضيف إلى ذلك نكاح عثمان لجاريتها في ليلة موتها وقبل دفنها فرغب رسول الله ﷺ في الانتقام لها على طريقته الخاصة فكان أعظم عقوبة نبوية

---

(١) الكافي ٣ / ٢٥١ - ٢٥٣ - الإصابة ٤ / ٣٠٤. الإستيعاب المطبوع بهامش الإصابة ٤ / ٣٠١. قاموس الرجال ١٠/٤٠٨ - ٤٠٩.

(٢) رجال المامقاني ٣ / ٧٤، قاموس الرجال ٦ / ٤٠٦، ٤٠٧.

(٣) قاموس الرجال ١٠ / ٤٤٠.

(٤) المستدرك. الحاكم ٤ / ٥١ طبع سنة ١٤١١ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

لعثمان.

إذ قال رسول الله ﷺ: لا يتبعنا أحد ألمّ (نكح) بجاريته البارحة[1]. قال ذلك أمام المشيّعين من الصحابة.

فعند ذلك عرف عثمان بأنّه المقصود بذلك الكلام النبوي. فكان موقفاً محرجاً له وخطيراً فهو بين أمرين:

الأوّل: البقاء ضمن المشيّعين وهذا ما يدفع بالرسول ﷺ للإشارة إليه بأنّه هو المقصود بكلامه.

والثاني: العودة إلى بيته وترك مراسم التشييع وسيكون ذلك أمام أنظار المشيّعين الآخرين، فعندها يشترك المسلمون في تشييع رقية ويطرد زوجها فقط!

وهذه ضربة قوية لسمعة عثمان ومنزلته الاجتماعية والسياسية.

وقد انتخب عثمان الطريقة الأولىٰ فبقي في صفوف المشيّعين غير مهتم لقول رسول الله ﷺ والإخبار السماوي.

فكرّر النبي ﷺ القول ثلاث مرّات فلمّا كان في الرابعة قال ﷺ: لينصرفن أو لأسمينّه باسمه.

فأقبل عثمان متوكّئاً على مولىٰ له فقال: إنّي أشتكي بطني.

فقال النبي ﷺ: انصرف[2].

وجاء عن أنس بن مالك: لمّا شهد دفن ابنته العزيزة وقعد على قبرها، ودمعت

---

(١) سنن البخاري طبع سنة ١٣٠٩، ١ / ١٥٢، ١٤٦ مستدرك الحاكم ٤ / ٤٧، الإصابة ٤ / ٣٠٤، الروض الأنف ٣ / ١٢٧، فتح الباري ٣ / ١٢٧، البداية والنهاية، ٥ / ٤٧، الكافي ٣ / ٢٥٢، ٢٥٣.

(٢) الكافي ٣ / ٢٥١ – ٢٥٣، الإستيعاب المطبوع بهامش الإصابة ٤ / ٣٠١، قاموس الرجال ١٠ / ٤٠٨ – ٤٠٩، الإصابة ٤ / ٣٠٤.

عيناه فقال: أيّكم لم يقارف الليلة أهله؟

فقال أبو طلحة: أنا فأمره أن ينزل في قبرها.

قال ابن بطال: أراد النبي ﷺ أن يحرم عثمان النزول في قبرها، وقد كان أحقّ الناس بذلك؛ لأنّه كان بعلها، وفقد منها علقاً لا عوض منه؛ لأنّه حين قال: أيّكم لم يقارف الليلة أهله؟ سكت عثمان ولم يقل: أنا؛ لأنّه قارف ليلة ماتت بعض نسائه! ولم يشغله الهمّ بالمصيبة وانقطاع صهره من النبي عن المقارفة، فحُرم بذلك ما كان حقّاً له، وكان أولىٰ به من أبي طلحة وغيره.

وهذا بيّنٌ في معنى الحديث، ولعلّ النبي قد كان علم بالوحي، فلم يقل له شيئاً؛ لأنّه فعل فعلاً حلالاً غير أنّ المصيبة لم تبلغ منه مبلغاً حتىٰ حُرِم ما حُرِم من ذلك بتعريض غير صريح[1].

وقال أحمد بن حنبل: فلعنه رسول الله ﷺ خمس مرّات! ومنعه ﷺ من حضور مراسم تشييعها ودفنها قائلاً: لا يتبعنا أحد ألمَّ بجاريته البارحة لأجل أنّ عثمان ألمَّ (جامع) بجارية رقية، فرجع عثمان بدعوىٰ ألم في بطنه[2].

وقال الحاكم في المستدرك: جامع عثمان امرأة في ليلة وفاة رقية[3].

وقال ابن حبيب: إنّ السرّ في إيثار أبي طلحة على عثمان (في نزول قبرها) إنّ عثمان كان قد جامع بعض جواريه في تلك الليلة فتلطف ﷺ في منعه النزول في قبر زوجته بغير تصريح[4].

---

(١) الروض الأنف ٥ / ٣٦٢.

(٢) مسند أحمد برواية الصراط المستقيم ٣ / الباب ١٢ / ٣٤، المستدرك، الحاكم ٤ / ٥٢، الأربعين، القمي الشيرازي ٥٨٧، الروض الأنف ٥ / ٣٦١ ـ ٣٦٣، الطبقات، ابن سعد ترجمة أمّ كلثوم.

(٣) المستدرك، الحاكم ٤ / ٥١، ٥٢.

(٤) فتح الباري ٣ / ١٢٧، المستدرك، الحاكم ٤ / ٥٢، الطبقات، ابن سعد ٨ / ٣٨، مجمع الزوائد ٩ / ٢١٧.

وقال الكليني في الكافي: إنّ رقية لما قتلها عثمان وقف النبي ﷺ على قبرها فرفع رأسه إلى السماء فدمعت عيناه وقال للناس: إنّي ذكرت هذه وما لقيت فرققت لها واستوهبتها من ضمة القبر[١].

وذلك الطرد النبوي لعثمان من مراسم دفن زوجته هو اعظم عقوبة ينالها مسلم . وهذه العقوبة هي التي شجعت المسلمين على الثورة عليه والنيل منه ثم تركه جثة هامدة على مزابل المسلمين ثلاثة أيام ثم دفنه في مقابر اليهود![٢].

ورغم هذه العقوبة فقد استمر عثمان في نهجه الأموي فبدل رجوعه عن ذلك مضى في عمله انتقاماً لذلك! وكان مع عمر يمنعان الناس من دفنه ﷺ وينا ديان بعدم موته وذهابه إلى ربّه![٣] وامتنع عن حضور مراسم دفن رسول الله ﷺ.

أي إنّ رسول الله ﷺ قتل معاوية بن المغيرة، وعثمان قتل رقية واحدة بواحدة!

ولكن اين معاوية من رقية، فمعاوية مجرم حارب المسلمين ومثّل بجسد حمزة سيد الشهداء وتجسس على المسلمين، ورقية لم ترتكب ذنباً ولم تقتل أحداً.

ثم لم يعيّن رسول الله ﷺ عثمان في أي منصب حكومي. ولم يقرّ عثمان بالجريمة وعفا الرسول عنه باعتباره وليّ الدم، برغبة نبوية في عدم قتل أصحابه.

الإنتقام العثماني

إنّ عثمان الأموي سار على المنهج القبلي البعيد عن العدل فقتل فرداً من الأفراد

---

(١) قاموس الرجال ١٠ / ٤٣٩.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٧٦.

(٣) العثمانية، الجاحظ ٧٩.

المحسوبين على القبيلة التي قتلت ابن عمه.

والأنكى من ذلك إنّ عثمان لم يصدق المقولة النبوية بإخبار جبرئيل له بوجود معاوية بن المغيرة في بيت عثمان وأصرّ على اعتقاده المبني على أخبار رقية للنبي ﷺ بذلك وهذا شيء خطير؛ لأنّ المسلم يؤمن بالإخبارات الغيبية وبنفيها ينتفي الإسلام، إذ قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[1].

وانتقم عثمان بن عفان مرّة ثانية لنفسه بالمشاركة مع معاوية في الهجوم على بيت فاطمة بنت محمد ﷺ وقتلها[2].

فيكون عثمان قد قتل رقية ربيبة النبي ﷺ وشارك في قتل فاطمة بنت النبي ﷺ.

وانتقم عثمان من علي عليه السلام قاتل معاوية بن المغيرة[3] بالأفعال السابقة التي فعلها عثمان ضد رسول الله ﷺ وابنته فاطمة عليها السلام، وما فعله من اغتصاب خلافته وهضم حقوقه وانتقاص منزلته.

ولما كان عمار بن ياسر هو الشخص الثاني المشارك في قتل الكافر معاوية بن المغيرة الأموي فقد انتقم منه عثمان بن عفان إذ هجم عليه بنفسه في صلاة الجمعة في مسجد رسول الله ﷺ فضربه بيده ورجله ففتق بطنه[4].

ثم قتله الأمويون في معركة صفين وشوّهوا سمعته فأبرزوه في صورة عبد الله

---

(١) البقرة ٢، ٣.

(٢) الاختصاص للمفيد ١٨٤-١٨٧.

(٣) الكافي ٣ / ٢٥١ - ٢٦٣.

(٤) البحار ٣١ / ١٩٤، شرح النهج ١ / ٢٣٩، العقد الفريد ٢ / ٢٧٢، الشافي، المرتضى ٤ / ٢٩١.

بن سبأ[١].

واستفحل العداء بين الهاشميين والأمويين فشارك معاوية بن أبي سفيان في الهجوم على بيت فاطمة عليها السلام وقتلها.

وثأر المشركون لقتلاهم في بدر وفي معركة أحد، فعبث يزيد بن معاوية برأس الحسين بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله انتقاماً لبدر ومقتل معاوية بن المغيرة قائلاً:

ليت أشياخي ببدر شهدوا ... جزع الخزرج من وقع الأسل[٢]
لأهلوا واستهلوا فرحاً ... ثم قالوا يا يزيد لا تشل
قد قتلنا القرم من ساداتهم ... وعدلناه ببدر فاعتدل
لعبت هاشم بالملك فلا ... خبر جاء ولا وحي نزل
لست من خندف إن لم انتقم ... من بني أحمد ما كان فعل[٣]

فقالت له زينب: ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوءا أن كذّبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤون[٤].

وانتقم لاحقاً عبدالملك بن مروان (حفيد معاوية بن المغيرة) لجدّه بظلمه لأهل البيت عليهم السلام ومطاردتهم وقتلهم.

أي إنّ الأمويين (عثمان ومعاوية بن أبي سفيان ويزيد وعبد الملك بن مروان) قد انتقموا لقتلاهم مرّات عديدة في بدر وأحد رغم موتهم على الكفر وأعمالهم المخزية.

---

(١) راجع كتاب عبد الله بن سبأ لمرتضى العسكري.

(٢) الأسل: السيف.

(٣) أعلام النساء ١ / ٥٠٤، البداية والنهاية ٨ / ١٩٢.

(٤) بحار الانوار ٤٥ / ١٣٣.

والإعتداء على النساء عادة قرشية جاهلية ارتكبوها بحق رقية وفاطمة عليها السلام وفعلوها مع زينب ربيبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكانت حامل إذ هجم عليها عمرو بن العاص وهبار بن الأسود في الطريق بين مكّة والمدينة فاسقطت جنينها[1].

من منع البكاء على المظلومين؟

لقد دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للبكاء على حمزة قائلاً: على مثل حمزة فلتبكِ البواكي وبكى هو عليه وعلى رقية أمام المسلمين.

وتأثّر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بموت رقية ومظلوميّتها المرّة فقال ألحقي بسلفك الصالح عثمان بن مظعون، وفاطمة عليها السلام على شفير القبر تنحدر دموعها في القبر[2]. فجعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم يمسح الدموع عن وجه فاطمة عليها السلام[3].

ثم وقف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على قبرها ورفع يديه تلقاء السماء ودمعت عيناه[4].

ورغم الموقف النبوي ببكائه صلى الله عليه وآله وسلم فقد خالف عمر ذلك.

إذ أخرج النسائي وابن ماجة عن أبي هريرة: مات ميت في آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم فاجتمع النساء يبكين عليها فقام عمر ينهاهن ويطردهن ويضربهن بسوطه، فأخذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم سوطه وقال: دعهن يبكين يا عمر[5] فإن العين دامعة والقلب مصاب والعهد قريب[6].

---

(١) شرح النهج ٦ / ٢٨٢، ١٤ / ١٩٢، الإصابة ٣ / ٥٨، أسد الغابة ٥ / ٣٨٤.

(٢) وسائل الشيعة ٢ / ٩٢١.

(٣) السنن الكبرى البيهقي ٤ / ٧٠.

(٤) كتاب الزهد، الحسين بن سعيد الكوفي ٨٧.

(٥) مستدرك الوسائل، النوري ٢ / ٤٦٧.

(٦) عمدة القاري، ٤ / ٧٨.

أقول: لقد خاف عمر يومها انفجار الوضع على عثمان ومقتله لقتله رقية فعمل ما ذكرناه!

ولقد عُرف عمر بن الخطاب بمنعه البكاء على الميت، ومن خلال قراءتي للسيرة النبوية وكتب الحديث وجدت بأنّه صاحب نظرية خاصة تتمثل في منع البكاء على المقتولين بيد رجال الحزب القرشي وإجازته للبكاء على غير هؤلاء! وهناك مصاديق كثيرة.

فقد منع عمر البكاء على رقية؛ لأنّ قاتلها عثمان بن عفان، والبكاء عليها يسبّب حركة اجتماعية سياسية دينية تهدّد عثمان وأصحابه.

ثم منع فاطمة من البكاء على رسول الله ﷺ بعد مقتله؛ لأنّه قُتِل بيد زعامة الحزب القرشي[1]. فبنى لها علي عليه السلام بيتاً لذلك الغرض سمّي بيت الأحزان.

ولمّا قُتِل أبو بكر بيد الحزب القرشي منع عمر البكاء والنوح عليه فأدخل الرجال بيت عائشة وضرب أُم فروة بنت أبي قحافة فأعمىٰ عينها وأصبحت عوراء[2].

لأنّ ذلك المجلس الجماهيري في البكاء والنوح والرثاء للميت قد يسبب انتفاضة عارمة على الدولة المتسببة في قتل أبي بكر فلم يراعِ عمر حرمة لأمّ فروة وغيرها ولم يهتم لعائشة ونداءاتها في تحريمها على عمر وجماعته دخول بيتها أثناء مراسم العزاء[3].

(١) راجع كتاب هل اغتيل النبي محمد ﷺ للمؤلف.

(٢) راجع كتاب اغتيال الخليفة أبي بكر والسيدة عائشة للمؤلف.

(٣) تاريخ الطبري ٤ حوادث سنة ١٣ هـ. تاريخ ابن الأثير ٢ / ٢٠٤، كنز العمال ١٨ / ١١٨ كتاب الموت، طبقات ابن سعد ٢٠٨.

ولمّا أمر عمر بن الخطاب بقتل خالد بن الوليد وتحقّق ذلك عمل بنو مخزوم مجلساً نسائياً لهذا الغرض فهجم عمر وجماعته عليه وضرب النائحة وكشف شعرها.

ولم يراع في ذلك حرمة لقبيلة بني مخزوم الكبيرة ولا لأمّ المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية خالة خالد التي أقامت مجلس العزاء في بيتها، وضرب كل نساء بني مخزوم الحاضرات في المجلس بنفسه وبدرته[1]!

في حين بكىٰ عمر طويلاً على قتلى المشركين في بدر الذين ألقاهم رسول الله ﷺ في القليب قائلاً:

وكائن بالقليب قليب بدر ... من الفتيان والعرب الكرام
أيوعدنا ابن كبشة أن سنحيا ... وكيف حياة أصداء وهام
أيعجز أن يردّ الموت عنّي ... وينشرني إذا بليت عظامي
فقل لله يمنعني شرابي ... وقل لله يمنعني طعامي[2].

لقد أدرك المسلمون قيمة البكاء على الميت والرثاء عليه وأجاز القرآن الكريم ذلك ودعا النبي ﷺ للبكاء على حمزة وبكىٰ هو عليه وبكيٰ على الحسين عليه السلام.

وشرعت زينب في معركة خطابية رثائية عارمة للتعريف بثورة وشهادة الإمام الحسين[3].

فهذه نصوص صحيحة وصريحة في جواز البكاء على الميت كافية لبيان هذا الموضوع.

---

(١) عبقرية عمر، العقاد ٣٣.

(٢) اسباب النزول، الواحدي وأخرجه الطبري في تفسيرها لآية: لا تقربوا الصلاة وانتم سكارىٰ ٢ / ٢٠٣، ٢١١، ربيع الابرار، الزمخشري، تفسير الآية.

(٣) سبل السلام، ابن حجر ٢ / ١١٥، الاحتجاج ١ / ١٩٤.

الباب الثاني:

الاعتقاد والأعمال



الفصل الأوّل:

اعمال عثمان وثقافته وتوجهاته

إسلام علي‌ﷺ وأبي بكر وعثمان

السؤال المطروح في بداية الكتاب هو: هل أعْلَم النبيﷺ النـاس بـاستلام عثمان المستقبلي للحكم؟

وهل بيّن خاتم الأنبياءﷺ صلاح أو طلاح عثمان في السياسة والإدارة؟

مواضيع الكتاب ستجيب عن ذلك.

جاء في الروايات عن أوّل المسلمين:

قال ابن إسحاق: أوّل من اتّبع رسول اللهﷺ وآمن به من أصحابه علي بن أبي طالبﷺ وهو ابن تسع سنين، ثمّ زيد بن حارثة، ثمّ أبو بكر بن أبي قحافة[1].

وعن أبي الخطاب عن نوح بن قيس عن سليمان بن أبي فاطمة عن معاذة بنت عبدالله العدوية قالت: سمعت علي بن أبي طالب على منبر البصرة وهو يقول: أنـا

---

(١) المعارف، ابن قتيبة ١٦٨.

الصدّيق الأكبر آمنت قبل أن يؤمن أبو بكر، وأسلمت قبل أن يسلم، أبو بكر[١].

وقال علي عليه السلام: أنا أوّل من صلّى مع رسول الله صلى الله عليه وآله[٢].

وقال ابن كثير: والظاهر أنّ أهل بيته صلى الله عليه وسلّم آمنوا قبل كلّ أحد: زوجته خديجة ومولاه زيد وزوجة زيد أمّ أيمن، وعلي، وورقة[٣].

وقال ابن عبد ربّه: أسلم علي عليه السلام وهو ابن خمس عشرة سنة، وهو أوّل من شهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله[٤].

وقال سلمان الفارسي عن النبي صلى الله عليه وآله: أوّل هذه الأمّة وروداً عليَّ الحوض أوّلها إسلاماً علي بن أبي طالب عليه السلام[٥].

وقال النبي صلى الله عليه وآله لفاطمة عليها السلام عندما زوّج عليّاً منها: زوّجتُك سيّداً في الدنيا والآخرة وأنّه لأوّل أصحابي إسلاماً وأكثرهم علماً وأعظمهم حلماً[٦].

وجاء بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله تولّى تسميته بعلي وتغذيته أيّاماً من ريقه المبارك يمصّ لسانه[٧].

وقال الدمياطي في سيرته بأنّ النبي صلى الله عليه وآله بدأ صلاته في يوم الإثنين وعلي بدأ صلاته معه في يوم الثلاثاء. وجاء في أسد الغابة أنّ أبا طالب رأى النبي صلى الله عليه وآله وعلياً يصلّيان وعلي على يمينه، فقال لجعفر عليه السلام: صلْ جناح ابن عمّك فصلّ عن يساره،

(١) السيرة النبوية، ابن كثير ٢ / ٤٣٢، المعارف، ابن قتيبة ١٦٩.

(٢) المصدر السابق.

(٣) تاريخ الخلفاء، السيوطي ٢٤.

(٤) العقد الفريد، ابن عبد ربّه ٤ / ٢٩٠.

(٥) السيرة الحلبية ١ / ٢٦٨.

(٦) المصدر السابق.

(٧) خصائص العشرة، الزمخشري.

وكان إسلام جعفر بعد إسلام أخيه علي بقليل[١].

وجاء في الحديث: ثلاثة ما كفروا بالله قط مؤمن آل يٓس، وعلي بن أبي طالب عليه السلام، وآسية امرأة عمران[٢].

وعن ابن إسحاق: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكّة وخرج معه علي مستخفياً من قومه وعن عفيف الكندي: بينما أنا عند العباس بمكّة في المسجد إذا رجل مجتمع أي بلغ أشدّه خرج من خباء قريب منه فنظر إلى الشمس فلمّا رآها مالت توضّأ، فأسبغ الوضوء، أي أكمله، ثمّ قام يصلّي أي إلى الكعبة، ثمّ خرج غلام مراهق أي قارب البلوغ، فتوضّأ ثمّ قام إلى جنبه يصلّي، ثمّ جاءت امرأة من ذلك الخباء فقامت خلفهما، ثمّ ركع الرجل وركع الغلام وركعت المرأة، ثمّ خرّ الرجل ساجداً وخرّ الغلام وخرّت المرأة، فقلت: ويحك يا عباس ما هذا الدين؟ فقال: هذا دين محمّد بن عبدالله أخي يزعم أنّ الله بعثه رسولاً وهذا ابن أخي علي بن أبي طالب وهذه امرأته خديجة[٣].

وفي الاستيعاب جاء: ولم يتبعه على أمره إلّا امرأته وابن عمّه هذا الغلام وفيه إنّ عليّاً قال: لقد عبدالله قبل أن يعبده أحد من هذه الأمّة خمس سنين[٤].

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإنّه لأوّل أصحابي سلماً[٥].

---

(١) أسد الغابة، السيرة الحلبية ١ / ٢٦٩.

(٢) السيرة الحلبية ١ / ٢٧٠.

(٣) السيرة الحلبية، الحلبي الشافعي ١ / ٢٧١، السيرة النبوية، ابن كثير ١ / ٤٣٠.

(٤) الاستيعاب، ابن عبدالبر.

(٥) السيرة الحلبية ٢ / ٢٠٦، مستدرك الحاكم ٣ / ١٢٩، كنز العمال ١٥ / ٩٥، مجمع الزوائد ٩ / ١١٢، تاريخ بغداد ٤ / ١٩٥.

ويذكر أنّ معظم العلماء والكتّاب والرواة قالوا: بإسلام علي بن أبي طالب ﷺ أوّلاً، منهم: ابن قتيبة، وابن عبد ربّه، والدمياطي، وابن إسحاق، والحلبي، وابن عبد ربّه[1].

وقال النبي ﷺ: صلّت الملائكة عليّ وعلى علي سبع سنين قبل الناس[2].

وعند هجرة المسلمين إلى الحبشة لم يكن عمر قد أسلم بعده، فعدّ ابن الجوزي المهاجرين إلى الحبشة ممّن أسلم قبل عمر[3].

بل إنّ عمر أسلم بعد بيعة العقبة؛ لأنّه أُخبر بأنّ أخته لا تأكل الميتة[4].

وتحريم الميتة قد جاء في سورة الأنعام النازلة جملة واحدة عندما كانت أسماء بنت يزيد الأوسية آخذة بزمام ناقته[5].

وأسلم عثمان بعد أبي بكر، ولمّا كان إسلام أبي بكر متأخّراً يكون إسلام عثمان متأخّراً أيضاً.

ولقد أسلم أبو بكر بعد فشل الحصار لشعب أبي طالب، وقد انتهى الحصار في السنة العاشرة للبعثة النبوية المباركة ثمّ أسلم عثمان ثمّ أسلم عمر، وهو إسلام متأخّر، فيكون إسلامهم قبل الهجرة بسنة تقريباً.

وكلّ النصوص التأريخية تؤكّد عدم إسلامهم في زمن الحصار القرشي الذي

---

(١) المعارف، ابن قتيبة ١٦٨، العقد الفريد، ابن عبد ربّة ٤ / ٢٩٠، السيرة الحلبية ١ / ٢٦٨، سيرة الدمياطي ٢ / ٢٠٦، السيرة النبوية، ابن كثير ١ / ٤٣٠.

(٢) كشف الغمّة، الاربلي ١ / ٣٣٣ ـ ٣٣٤، السنن الكبرى ٥ / ١٠٧، خصائص النسائي ٢٩، ح٦، طبعة دار الكتاب العربي ـ بيروت.

(٣) تاريخ عمر لابن الجوزي ٢٨، ٢٩.

(٤) مصنّف الحافظ عبدالرزاق ٥ / ٣٢٦.

(٥) الدرّ المنثور ٣ / ٢، عن الطبراني وابن مردويه، واسلام الأوس ومجيء نسائهم قد حدث بعد بيعة العقبة الأولى.

دام ثلاث سنوات.

وقد أسلم عمر في بيت زيد بن أرقم أي بعد وفاة أبي طالب باتّفاق الآراء. وفي تلك الأيّام أسلم أبو بكر وعثمان وطلحة بن عبيدالله وعبدالرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجرّاح وسعد بن أبي قّاص؛ لذا فقد أسلم أبو بكر وعمر وعثمان في طبقة المتأخّرين ويمكن مقارنة إسلامه مع ابن الجرّاح ومع طلحة بن عبيدالله ومع صهيب الرومي؛ لأنّهم جميعاً أسلموا بعد الحصار الاقتصادي.

ومؤامرة الأمويين المتمثّلة في رفع منزلة أبي بكر وعمر وعثمان وخفض منزلة أمير المؤمنين علي عليه السلام هي التي صنعت روايات مزيّفة في إسلام الثلاثة مبكّراً.

وقد دفع معاوية أموالاً طائلة في هذا المجال فجعل المتزلّفون أبا بكر أوّل الناس إسلاماً؛ لأنّه أوّل الخلفاء، ولو كان عمر أوّل المسلمين لقالوا بأنّه أوّل الخلفاء.

وهذه المهازل السياسية أصبحت معروفة عند المؤمنين[1].

ويحتاج المرء لمعرفة تاريخ عثمان بن عفان للتأكّد من قابليّته على إنجاز أعمال كالاغتيال والتزوير وغيرها، المتّهم بالقيام بها في أيّام حكومة النبي ﷺ وأبي بكر وعمر وفي زمن سلطته وهذه بعض أعماله:

فراره من الزحف:امتنع عثمان بن عفان من الاشتراك في معركة بدر إذ جاء: إنّ سعيد بن زيد وعثمان وطلحة لم يحضرا بدراً[2].

فرّ عثمان بن عفان من معركة أحد[3].

(١) مختصر تاريخ دمشق ١٨ / ٢٦٩ ط دار الفكر.

(٢) شذرات الذهب ١ / ٢٤٦.

(٣) تاريخ ابن الوردي ١ / ١١١.

لذا قال له عبدالرحمن بن عوف في أيّام خلافته:

أبلغه عنّي أنّي لم أغب عن بدر، ولم أفرّ يوم عينين (أحد)[١].

ولم يبايع النبي ﷺ في بيعة الرضوان، إذ لبّىٰ دعوة أبي سفيان للعمرة في الكعبة ولم يطف رسول الله ﷺ[٢]!وأخفىٰ عثمان أحد جنود الكفار في معركة أحد والمسمّىٰ معاوية بن المغيرة بن أبي العاص الأموي، فنزل جبرائيل من السماء وأخبر الرسول ﷺ بعمل عثمان، فأرسل رسول الله ﷺ جماعة إلى بيت عثمان وأخرجوا معاوية منه.ولمّا أراد الرسول ﷺ قتله تشفّع فيه عثمان، فلم يقتله رسول الله ﷺ وأمهله ثلاثة أيّام.وبقي معاوية بن المغيرة في المدينة يتجسّس أخبار الرسول ﷺ والمسلمين فأخبر جبرائيل الرسول ﷺ بذلك فأرسل إليه من قتله[٣].ونزول جبرائيل من السماء لإخبار رسول الله ﷺ بعملية عثمان السرّية والخطيرة كشف كامل عن طبيعة شخصية عثمان الأموية القريبة من توجّهات وأعمال أبي سفيان ومعاوية ومروان.

فقال محمد ابن مسلمة :عثمان قتل نفسه[٤].لكثرة جرائمه .

ويعتبر مروان بن الحكم الوجه الحقيقي لعثمان بن عفان لذا زوّجه ابنته وأعطاه الوزارة، ومنحه فدكا الخاصّة بفاطمة الزهراء عليها السلام[٥].

وفي فتح مكّة طلب رسول الله ﷺ قتل عدّة أشخاص محاربين لله ولرسوله

---

(١) تاريخ المدينة المنوّرة، ابن شبة ٣ / ١٠٣٣، طبع مكّة، تفسير ابن كثير ١ / ٣٢١، مثالب العرب، ابن الكلبي ص ١٨٢.

(٢) راجع بيعة الرضوان في هذا الكتاب.

(٣) السيرة الحلبية ٢ / ٢٦٠، النزاع والتخاصم، المقريزي ص ٢٠، أنساب الأشراف ١ / ٣٣٧ـ٣٣٨.

(٤) الشافي، المرتضى ٤ / ٢٦٥ .

(٥) البحار، المجلسي ٣١ / ٣١٨، العقد الفريد ٢ / ٢٦١، شرح النهج ١ / ٦٧.

منهم عبدالله بن أبي سرح فلم يقتل عثمان المـومن إليه بل أخفاه في بـيته، ثمّ جـاء لاحقاً إلى رسول الله ﷺ يطلب الأمان له[١]!

وقتل عثمان بن عفان زوجته رقية بنت النبي ﷺ بالتبنّي إذ جاء:

«روىٰ أحمد في مسنده عن أنس أنّه لمّا ماتت رقية بنت النـبي ﷺ بـضرب زوجها عثمان لعنه النبي ﷺ خمس مرّات، وقال ﷺ: لا يتبعنا أحـد ألمّ بجـاريته البارحة لأجل أنّ (عثمان) ألمّ (جامع) بجارية رقية، فرجع جماعة وشكىٰ عثمان بطنه ورجع»[٢].

وفي يوم الخميس كان عثمان بن عفان من جملة الأشـخاص الذيـن قـالوا إن رسول الله ﷺ: يهجر. في اعتداء صارخ على خاتم الأنبياء ﷺ.

وشارك عثمان في محاولة قـتل رسـول الله ﷺ في العـقبة، في مـرور جـيش المسلمين إلى تبوك[٣].

وكان عثمان مع عمر يمنعان الناس من دفن جثمان الرسول ﷺ بعد وفاته بحجّة صعوده إلى السماء كعيسىٰ ﷺ، أو ذهابه إلى الله تعالىٰ كموسىٰ ﷺ[٤].

وجاء بأنّ أوّل من رأى النبي ﷺ مسجّىٰ فأنكر موته هو عثمان ابن عفان[٥].

وفي أيّام خلافة عثمان بن عفان كانت احدىٰ نظرياته البارزة الاغتيال:

* فقد اغتال أبا ذر الغفاري بنفيه إلى صحراء الربذة[٦]؛ لأنّه حـارب الفـقر

(١) فتوح البلدان، البلاذري ص ٥٤، تاريخ أبي الفداء ١ / ٢٠٦ طبع دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(٢) الصراط المستقيم ٣ / الباب ١٢ / ٣٤.

(٣) المحلّىٰ، ابن حزم الأندلسي ١١ / ٢٢٥.

(٤) العثمانية، الجاحظ ص ٧٩.

(٥) المصدر السابق.

(٦) تاريخ أبي الفداء، عماد الدين أبي الفداء ١ / ٢٣٣.

والإسراف وعارض كعب الأحبار اليهودي وفضح سرقات الأمويين من بيت المال.

فكان عثمان يرفض الحرّية ويعارض العدالة المالية التي يدعو إليها أبو ذر ويغضب لإبداء الصحابة آراءهم السياسية والاقتصادية والدينية.

بينما فتح الرسول الأعظم ﷺ باب المشاورة وإبداء الرأي ورفض الاستبداد وطبّق العدالة وطرد الأمويين.

* واغتال عبدالله بن مسعود في مسجد رسول الله ﷺ يوم أمر خادمه بذلك، فأقدم خادمه على كسر ضلع عبدالله بن مسعودا متسبّباً في موته[1].

* أقدم عثمان على اغتيال وصيّه في الخلافة عبدالرحمن بن عوف[2]!

* بينما عفا عثمان عن عبيدالله بن عمر الذي قتل مجموعة من المسلمين وهم: الهرمزان، وجفينة، وزوجة أبي لؤلؤة، وصبيّته[3].

ضرب عثمان عمار بن ياسر بنفسه ففتق بطنه[4]؛ لأنّه عارض قتل المؤمنين المحتجّين!

* عاهد عثمان محمد بن أبي بكر وأنصاره من أهالي مصر بشهادة جماهير المسلمين على إقالة عبدالله بن أبي سرح من ولاية مصر.

ولمّا عاد هؤلاء إلى مصر أرسل عثمان خلفهم خادمه إلى ابن سرح يأمره بقتل محمّد بن أبي بكر وأصحابه[5]!

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٧٠.

(٢) بحار الأنوار، المجلسي ٢٨ / ٢٩٦.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٦١.

(٤) الإمامة والسياسة، ابن قتيبة ١ / ٣٣.

(٥) الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٣ / ١٦٨، ١٦٩.

وأفعاله تلك، دالّة على قدرته وتجربته في إزهاق الأرواح وعدم اهتمامه بأموال ودماء المسلمين.

وهذه تدعم الأدلّة الصحيحة على قتله لأبي بكر.

بل إنّه أراد أن يفعل مع محمّد بن أبي بكر ما فعله مع أبيه من قبل، ولولا ذكاء محمّد بن أبي بكر وأصحابه في تفتيشهم أمتعة خادم عثمان وعثورهم على رسالته المخفية في داخل قنّينة الماء لاغتال محمّد بن أبي بكر كما اغتال أبا بكر وأصحابه من قبل!

فتكون النتيجة اشتراك عثمان في محاولات اغتيال رسول الله ﷺ وأبي بكر وأبي ذر وعبدالرحمن بن عوف وعبدالله بن مسعود ومحمد بن أبي بكر.

وعن منزلة عثمان قال أسامة بن زيد لعمرو بن عثمان: أمي خير من أمّك وأبي خير من أبيك: وقُبض رسول الله ﷺ وأنا أمير على أبيك وعلى مَن هو خير من أبيك على أبي بكر وعمر وأبي عبيدة[1].

أثر الثقافة الأموية في توجّهات وأعمال عثمان

كان أمير المؤمنين علي عليه السلام من الساعين لتطبيق الشريعة الإسلامية في الدماء والأموال والحقوق الاجتماعية والدينية فقتل الكافرين في الحروب لتثبيت راية لا إله إلّا الله محمّد رسول الله ﷺ فسمّته الكفّار بالموت الأحمر[2].

بينما احتاط في إراقة دماء المسلمين فحرّر أسرىٰ معركة الجمل من السجن ولم يقتل الممتنعين من بيعته مثل سعد بن أبي وقّاص وصهيب الرومي وعبدالله بن عمر

---

(١) أمالي الطوسي ٢١٣، البحار ٣٠ / ٤٣٢.

(٢) المناقب، ابن شهر آشوب ١ / ٢٤٣، البحار ٣٩ / ٥٨.

ومحمّد بن مَسْلَمة وغيرهم.

ومبدأ النبي ﷺ يتمثّل في عدم قتل أسير أبداً.

وفي الأموال ابتعد أمير المؤمنين علي عليه السلام عن كنزها وجمعها وقسمها بالعدل والسوية فأعطى لنفسه كخليفة ما أعطاه لغلامه قنبر، وألبس غلامه الجديد واقتنع هو بالبالي من اللباس ولم يسمح للأموال بالمكوث في بيت المال فكان سرعان ما يوزّعها ويصلّي في مكانها.

ولم يعطِ أخاه عقيلاً درهماً من بيت المال فذهب عقيل إلى معاوية للحصول على المال بل لم يسمح علي عليه السلام لابنته زينب بإعارة مضمونة لعقد ذهبي من بيت مال المسلمين سائراً على خطىٰ رسول الله ﷺ، فأحمىٰ علي عليه السلام حديدة ووضعها في يد عقيل المطالب بالمال فاحترفت يد عقيل.

فقال علي عليه السلام: تكلتك الثواكل يا عقيل أتئنُّ من حديدة أحماها إنسانها للعبه وتجرّني إلى نارٍ سجرها جبارها لغضبه أتئنُّ من الأذىٰ ولا أئنُّ من لظىٰ[1]؟

وعلى عكس هذه الصفات المحمّدية العلوية كان عثمان فقد كان أموياً صرفاً في الأموال والدماء والحقوق لا يهتمّ لإراقة الدماء ظلماً ولا يعتني بإزهاق الأنفس عدواناً، ولا يخاف إعطاء المال باطلاً.

وسيرة أفراد بني أمية في الناس معروفة في الجاهلية والإسلام في مكّة والمدينة وخالف هذه السيرة خالد بن سعيد بن العاص ومعاوية الثاني (اللذين كانا من أنصار أهل البيت عليهم السلام) وعمر بن عبدالعزيز. إذ كانوا من المتأثّرين بسيرة ونهج علي بن أبي طالب عليه السلام.

---

(١) رسائل المرتضىٰ ٣ / ١٣٩، نهج البلاغة ٢ / ٢١٧، البحار ٧٢ / ٣٦٠، شرح النهج ١١ / ٢٤٥.

فحرب بني أمية كان حارساً للحجيج القادمين إلى مكّة وفي ذات الوقت كان يسطوا عليهم. حينما تسنح الفرصة.

وأبو سفيان كان من رموز مكّة وفي عين الوقت كان يظلم الفقراء ويعتدي على المساكين.

ولمّا أصبح عثمان خليفة كان أموياً للعظم في سلوكه وأخلاقه ومعاملته مع الدماء والأموال والحقوق، تاركاً لسيرة المصطفى ﷺ، وتابعاً لثقافته الأموية، رغم دخوله في الإسلام وهجرته إلى المدينة، فَقُتِلَ بأعماله.

وسار معاوية أيضاً على نظريات آبائه ولم يحد عنها قيد أنملة، رغم السماحة النبوية في حقّه وحقّ أبيه فقد حرّرهما النبي ﷺ من العبودية في فتح مكّة قائلاً لكفّار مكّة: اذهبوا فأنتم الطلقاء.

وأغدق عليهما النبي ﷺ من غنائم حنين، لكنّهما استمرّا في المنهج الجاهلي ولم يحيدا عنه قيد أنملة.

وكان رسول الله ﷺ قد أخبر الناس بتولّي عثمان الملك ومقتله بأعماله.

وأخذ عنه ذلك عمر بن الخطّاب فقال عدّة مرّات بتولّي عثمان السلطة ومقتله بأعماله.

وأثر الثقافة والعادات العائلية واضح في العائلة الأموية فيزيد بن معاوية كان كأبيه وجدّه عدوّاً لأهل البيت عليهم السلام حقوداً على الأنصار شارباً للخمر مجاهراً بها ميّالاً للخلاعة والفساد، مستهيناً بالكعبة حارقاً لها.

وسار مروان على نهج أبي سفيان وعثمان ومعاوية ويزيد فقتل معاوية بن يزيد غيلة ثمّ قتل الوليد بن عتبة بن أبي سفيان غيلة وخطى مع أولاده الملوك ذات

الخطوات التي خطاها الحكم بن أبي العاص وحرب وأميّة في مكّة.

فالأمويون يعتمدون على الاغتيالات في تصفية أعدائهم وهي ثقافة يهودية أخذها طغاة مكّة وساروا عليها.

وهذه الثقافة لم يتحمّلها الصحابة من عثمان بن عفان وكيف يتحمّلون وهم يشاهدون أصحابهم يقتلون بها كأبي ذر وعبدالله بن مسعود وعبدالرحمن بن عوف وأبيّ بن كعب والمقداد بن عمرو.

ولولا الثورة الإسلامية العارمة المؤدّية بحياة عثمان بن عفان لقتلَ عثمانُ محمّد بن أبي بكر ومحمّد بن أبي حذيفة ومالك الأشتر وطلحة والزبير وباقي رجال المعارضة.

لكن معاوية أكمل تلك الأطروحة الأموية الكافرة فقتل مالك الأشتر وعمّار بن ياسر وسعد بن أبي وقّاص ومحمّد بن مسلمة وعائشة ومحمّد بن أبي بكر وعبدالرحمن بن أبي بكر والإمام الحسن بن علي عليه السلام وزياد بن أبيه.

وأكمل باقي ملوك الأمويين هذا الموضوع بحذافيره مبتعدين عن الإسلام وأصوله اعتماداً على الدهاء وقد رفض النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذلك قائلاً: المكر والخداع في النار[1].

هل هاجر عثمان إلى الحبشة ؟

عثمان بن عفّان من قبيلة بني أميّة من عائلة أبي العاص التي أنذر النبي صلى الله عليه وآله وسلم الناس من أعمالها قائلاً:

(١) البحار ٣٣ / ١٩، البداية والنهاية ٣ / ٢٦٣.

إذا بلغ آل أبي العاص ثلاثين رجلاً جعلوا مال الله دولاً وعباد الله خولاً ودين الله دخلاً"[1].

ذكر أبو ذر الحديث عند عثمان وأيّده معاوية أيّام ملوكيّته وجميع الصحابة. وهذا من علوم الغيب التي أعطاها الله تعالىٰ لرسوله فصحّت تماماً.

إذ فعل عثمان بمال المسلمين عملاً أبته نفوس المؤمنين فاستقال من عمله أميناً لبيت مال المسلمين في زمنه عبدالله بن مسعود. القائل لعثمان: كنت أظنّ أنّي خازن للمسلمين فأمّا إذا كنت خازناً لكم فلا حاجة لي في ذلك وألقىٰ مفاتيح بيت المال[2].

واستقال زيد بن أرقم من منصبه كأمين لبيت مال المسلمين، وهما صحابيّان جليلان فضّلا الآخرة على الدنيا فمات ابن مسعود بضرب عثمان سنة ٣٢ هجرية[3].

واستقالة ابن مسعود وابن أرقم أكبر فضيحة مالية لعثمان لا ينكرها إلّا المعتوه المغفّل. وقتل عثمان أبا ذر الغفاري والمقداد بن عمرو وعبدالله بن مسعود

وكانت بنوا أمية تدعم عثمان في مكّة والمدينة قبل فتح مكّة وبعدها؛ وأبو سفيان أجاره وحماه؛ لذا لم يتعرّض عثمان لأذىٰ أحدٍ في مكّة.

وكان أهالي مكّة لا يتعرّضون بأذاً لأحد وهو في جوار كافر مكّي، فكيف إن كان مثل أبي سفيان.

وفي مكّة عرف بعض القرشيين الكفرة انتصار الإسلام ودولة النبي ﷺ من

(١) الفائق، الزمخشري ١ / ٣٦٤، شرح النهج ٣ / ٥٦، كنز العمال ١ / ٤٠٣، مجمع البيان، الطبرسي ٨ / ٣٨٦.

(٢) البحار ٣١ / ٢٢٠، شرح النهج ١ / ٦٧، أنساب الأشراف ٥ / ٥٢، ٢٨، أنساب الأشراف، البلاذري ٥ / ٣٠، العقد الفريد ٢ / ٢٧٢.

(٣) تهذيب التهذيب ٤ / ١٢١.

اليهود والنصارىٰ والكهنة فدخلوا في الإسلام رغبة في الملك والمال. وسار عثمان سيرة جيّدة مع قريش في مكّة والمدينة لم يحاربها ولم يجرح مشاعرها في عبادتها السقيمة فاحبته رجالات قريش المشركة واعتقدوا به اعتقاداً راسخاً لا يتزلزل، واطمأنوا إليه.وأسلم عثمان متأخرا بعد بيعة العقبة الاولى .

وكيف يهاجر وبنو أمية يجيروه وهم قادة الكفر في مكّة. ولمّا رغب النبي ﷺ بالهجرة إلى المدينة دعا المسلمين إلى الهجرة إليها فهاجر أبو بكر وعمر وعثمان إليها قبل هجرة رسول الله ﷺ[١].

وتبيّنت علاقة عثمان بقريش مكّة واضحة في أمور عدّة وخطوب شتّىٰ:

لم يقتل عثمان كافراً في كلّ حروب المسلمين[٢].

فرّ عثمان من المعارك[٣].

لم يبايع بيعة الرضوان[٤].

في قضيّة الحديبية أراد أبو سفيان الأموي شقّ الصفوف الموحّدة للمسلمين فدعا بعضاً منهم للعمرة ومنع النبي ﷺ والمسلمين منها!

إذ دعا أبو سفيان عثمان بن عفّان وعبدالله بن أبيّ زعيم المنافقين فلبّىٰ عثمان دعوته وذهب إلى العمرة. وأراد عبدالله زعيم المنافقين تلبية الدعوة القرشية، فمنعه ابنه المؤمن عبدالله[٥].

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ / ١٢١.

(٢) راجع مغازي الواقدي وتاريخ الطبري وغيرهما.

(٣) سيرة ابن دحلان ١ / ٣١٣، دلائل النبوّة، البيهقي ٣ / ١٠٦، تفسير ابن كثير ١ / ٦٥٧.

(٤) سيرة ابن حبّان ١ / ١٨٢، شذرات الذهب ١ / ٢٤٦، سيرة ابن دحلان ١ / ٣١٣، دلائل النبوّة، البيهقي ٣ / ١٠٦، تفسير ابن كثير ١ / ٦٥٧.

(٥) أنساب الأشراف ٥ / ٣٦، المستدرك، الحاكم ٣ / ١٠٥، المسترشد، الطبري ١٦٤، تفسير السيوطي ٢ / ٨٦، لسان العرب ١٣ / ٨٢، سنن البخاري ٤ / ٢٠٣، تفسير القرطبي ٤ / ٢٤٥، البداية والنهاية ١ / ١٩١.

لذا أصبح عثمان شخصاً محبوباً في مكّة ومفضّلاً على غيره ومكروهاً عند المسلمين.

ولمّا استلم الحكم منع المال عن الأنصار والمهاجرين وأعطاه للأمويين وباقي طلقاء مكّة فازدادوا حبّاً وولعاً به.

ولمّا استلم معاوية بن أبي سفيان الحكم دعا الناس لذكر الحديث الكاذب في مدح عثمان فشرع الأمويون والقرشيون في ذكر فضائل لعثمان ليس لها صحّة ولا أصل.

مثل هاجر عثمان الهجرتين، وأنّه ذو النورين.

والمسلمون لم يهاجروا إلى الحبشة هجرتين بل هي هجرة واحدة، والهجرة الثانية جاءت من دعاة الآيات الشيطانية الذين قالوا: باتّفاق النبي ﷺ مع كفار قريش ونزول سورة النجم:

﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾[1]. ووسوس الشيطان للنبي ﷺ قائلاً: تلك الغرانيق العلىٰ وإنّ شفاعتهنّ لترتجىٰ، فقالوا كذباً: إنّ النبي ﷺ اعتقد الوسوسة من جملة الوحي فسجد مع الكافرين. وفرح المشركون فحملوا الرسول ﷺ.

وهذا من أكاذيب الأمويين أيّام حكمهم للتشكيك في خاتم الأنبياء وفي القرآن المجيد.

الهجرة الثانية الى الحبشة اكذوبة أموية

اخترع الحزب القرشي أكذوبة مفادها: مدح النبي ﷺ أصنام العرب اللات

(١) النجم ١٩ ـ ٢٠.

والعزّىٰ ومناة، وتلقّ الرسول الوحي من الشيطان. وهدف قريش إعلاء شأن أصنامها واتّهام النبي ﷺ في رسالته ومصداقيّته والتشكيك في القرآن الكريم.

والقصّة الكاذبة تتمثّل في جلوس النبي ﷺ مع كفّار قريش بعد هجرة المسلمين إلى الحبشة بحوالي شهرين فأنزل الله تعالىٰ سورة النجم فقرأها النبي ﷺ حتىٰ إذا بلغ قوله تعالىٰ: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾[1]. وسوس إليه الشيطان بكلمتين هما: (تلك الغرانيق العلىٰ وإنّ شفاعتهنّ لترتجىٰ)، فظنّ النبي ﷺ أنّهما من جملة الوحي، ولمّا بلغ السجدة سجد وسجد معه المسلمون والمشركون وسجد الإنس والجنّ وطار الخبر في مكّة وفرح المشركون فحملوا الرسول ﷺ، وطافوا به في مكّة من أسفلها إلى أعلاها.

ولمّا أمسىٰ جاءه جبرائيل فعرض عليه السورة وذكر الكلمتين فيها فأنكرهما جبرائيل فقال للنبي ﷺ: قلتَ على الله ما لم يقل؟

فأوحىٰ الله إليه: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا﴾[2].

ودعموا هذه القصّة الكاذبة بالآية القرآنية: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ...﴾[3].

والصحيح أنّ الله تعالىٰ بيّن رأيه في رسوله قائلاً: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[4]

---

(١) السيرة الحلبية ٢ / ٢٠٢، البداية والنهاية ٣ / ٨٨، سيرة ابن هشام ١ / ٣٦٥.

(٢) الإسراء ٧٣.

(٣) الحج ٥٢، ٥٣، تفسير الطبري ١٧ / ١٣١ ـ ١٣٤، تفسير الدرّ المنثور، السيوطي ٤ / ١٩٤، فتح الباري ٨ / ٣٣٣.

(٤) النجم ٤.

﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾[١].

وكذّب بالله تعالى سلطة الشيطان على المؤمن قائلاً:

﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[٢].

﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾[٣].

ولم تأت أحاديث نبوية تؤيّد هذه القصّة ممّا يبيّن كذبها، إذ لو كانت القصّة مختلقة في زمن النبي ﷺ لكذّبها النبي في حينه لكنّها وجدت في العصر الأموي.

وسار معظم المؤرّخين والحفّاظ على نظرية الحزب الأموي فذكروا قضية الغرانيق في كتبهم[٤]. أي سار عليها علماء السنّة وكذّبها علماء الشيعة.

واستفاد سلمان رشدي السني من هذه القصّة فألّف كتابه الآيات الشيطانية اعتماداً على كتاب البخاري ومسلم.

وكذّب محمّد بن إسحاق هذه القصّة وألف في ذلك كتاباً قال بأنّها من وضع الزنادقة[٥].

وقال أبو حيّان: إنّه نزّه كتابه من قصّة الغرانيق[٦].

وقد كذّب هذه القصّة السيد المرتضى، وابن العربي، والبيهقي، والرازي،

---

(١) الحاقة ٤٤، ٤٥.

(٢) النحل ٩٩.

(٣) الإسراء ٦٥.

(٤) البدء والتاريخ، البلخي ٢ / ٥٤، عيون الأثر، ابن سيد الناس ١ / ١٥٨، تاريخ الطبري ٢ / ٧٧٦، تاريخ ابن الأثير ٢ / ٧٧، البداية والنهاية ٣ / ١١٣، سيرة ابن إسحاق ١٧٧.

(٥) راجع البحر المحيط لأبي حيان ٦ / ٣٨١.

(٦) تفسير البحر المحيط ٦ / ٣٨١.

والنووي، والنسفي، والقاضي عبدالجبار[١]. والدمياطي والحافظ عبدالعظيم المنذري.

وكذّب اليعقوبي قضية الغرانيق وما اتّصل بها من الهجرة الثانية إلى الحبشة فلم يذكرها في تاريخه. ورغم هذا دوّنها المتأخّرون في كتبهم.

كذب الهجرة الثانية إلى الحبشة.

وبقي جعفر وصحبه ١٢ سنة في الحبشة لتبليغ الإسلام وعادوا في فتح خيبر.

وجاء في الخبر الصحيح كانت الهجرة إلى الحبشة واحدة فقد روىٰ الواقدي أنّ أوّل من هاجر منهم أحد عشر رجلاً وأربع نسوة[٢].

وقال ابن جرير وآخرون بل كانوا إثنين وثمانين رجلاً سوىٰ نسائهم، قال عبدالله بن مسعود: «بعثنا رسول الله ﷺ إلى النجاشي ونحن ثمانون رجلاً، ومعنا جعفر بن أبي طالب وعثمان بن مظعون... فدخلوا على النجاشي ولم يسجدوا له.

فقال أعوان الملك: ما لكم لم تسجدوا للملك؟

فقال (جعفر بن أبي طالب): إنّ الله عزّ وجل بعث إلينا نبيّه فأمرنا أن لا نسجد إلّا لله تبارك وتعالىٰ»[٣].

ومن الطبيعي أن تكون الهجرة إلى الحبشة مثل الهجرة إلى المدينة متفرّقة مستخفية على أن يكون التقاؤهم في جدّة أو في الساحل وهذه هجرة واحدة.

---

(١) تنزيه القرآن عن المطاعن ٢٤٣، فتح الباري ٨ / ٣٣٣، تفسير الرازي ٢٣ / ٥٠، المواهب اللذينة ١ / ٥٣، السيرة الحلبية ١ / ١١.

(٢) البداية والنهاية ٣ / ٨٤.

(٣) دلائل النبوّة، البيهقي ٢ / ٢٩٨.

لكن مخترعي قصّة الغرانيق احتاجوا لتكميل قصّتهم عودة المسلمين من الحبشة بعد شهرين من وصولهم إليها لتكمل أكذوبتهم فقالوا: عاد المسلمون إلى مكّة منهم عثمان بن مظعون.

ولم يكن كذبهم مرتّباً إذ كيف يصل خبر المصالحة بين رسول الله ﷺ والكفار بهذه السرعة القياسية إلى الحبشة، أوّلاً.

وثانياً كيف يعودون دون موافقة النبي ﷺ بذلك ودون حصولهم على ضمان لعودتهم إلى مكّة.

والنبي ﷺ أرسل هؤلاء إلى الحبشة للفرار من طغاة مكّة في سنة خمس من البعثة النبوية .

وتبليغ الإسلام ثانياً.

لذلك لم يعودوا إلى المدينة بعد استقرار النبي ﷺ فيها مدّة سبع سنوات (١) .

---

(١) تاريخ ابن الاثير ٢ /٧٧، تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢٩، تاريخ الطبري ٢ / ٦٩.

الفصل الثاني:

عثمان ـ الجهاد

الفارّون من معركة بدر

لقد شارك المهاجرون والأنصار في معركة بدر الكبرىٰ وسجّلت أسماؤهم في قائمة المجاهدين المضحّين والذين وصفهم الله تعالىٰ خير وصف بقوله الشريف: ﴿والسّابِقُوْنَ السّابِقُوْنَ أُوْلَئِكَ المُقَرَّبُوْنَ فِي جَنّاتِ النّعِيْمِ﴾[1].

في حين فرّ من المعركة المتخاذلون:

وكان المسلمون المحاربون ٦١ أوسياً و ١٧٠ خزرجيّاً و ٨٢ مهاجراً.

والذي وصموه بالفرار في معركة بدر هو عثمان بن عفان، وقد وصفه بذلك عبدالرحمن بن عوف[2]؛ إذ تغيَّب عثمان بن عفان عن حضور هذه المعركة، فذمّه لاحقاً ابن عوف وعلي بن أبي طالب عليه السلام وطلحة بن عبدالله[3].

---

(١) الواقعة ١٢.

(٢) تفسير ابن كثير ١ / ٦٥٧.

(٣) المثالب، ابن الكلبي ١٨٢، أنساب الأشراف ١ / ٣٢٦.

وكما تغيَّب عثمان عن حضور معركة بدر فقد تغيَّب عن حضور بيعة الرضوان في الحديبية[١].

وحاول الأمويون إخفاء هذا الأمر وتبريره، فقالوا: إنّ النبي ﷺ قد أبقى عثمان عند زوجته لمرضها ونحن نعلم بأنّ علاقته مع رقية كانت غير جيّدة، ولم تكن رقية مريضة.

وافترى الأمويون رواية مرض رقية في أيّام معركة بدر لأمرين.

الأوّل: التستّر على فرار عثمان في معركة بدر.

وثانياً: التستّر على قضية اغتيال عثمان لرقية بعد معركة أحد[٢]!

وإنّ فرار عثمان في المعارك اللاحقة يكشف عن هويّته الجهادية، قال عبدالرحمن بن عوف مخاطباً عثمان:

أبلغه عنّي أنّي لم أغب عن بدر، ولم أفِرّ يوم عنين (أحد)[٣].

ولما بايع عبدالرحمن عثمان بن عفان أدرك المقداد وباقي الصحابة أنّها قضية دنيوية معارضة للشرع وأهل البيت ﷺ فقال لعبدالرحمن: اللهم كثّر أمواله!

ولمّا امتنع عثمان من ردّ السلطة إلى ابن عوف دبَّ الخلاف بين الجانبين.

قال ابن عبد ربّه: لمّا أحدث عثمان من تأمير الأحداث من أهل بيته على الجلّة من أصحاب محمّد، قيل لعبدالرحمن: هذا عملك! قال: ما ظننت هذا! مضى، ودخل عليه وعاتبه وقال: إنّما قدّمتك على أن تسير فينا بسيرة أبي بكر وعمر، فخلفتها

---

(١) مسند أحمد ١ / ٦٨، البداية والنهاية ٧ / ٢٠٧، شرح النهج ١٥ / ٢١، ٢٢ الغدير ٩ / ٣٢٧، مغازي الواقدي ١ / ٢٧٨، الدرّ المنثور ٢ / ٨٩، الرياض النضرة ٢ / ٤٠، محاضرات الأدباء للراغب ٢ / ١٨٤، المستدرك ٣ / ٩٨.

(٢) راجع ذلك في موضوع معركة أحد.

(٣) تاريخ المدينة المنوّرة، ابن شبة ٣ / ١٠٣٣ طبع مكّة.

وحابيت أهل بيتك وأوطأتهم رقاب المسلمين. فقال: إنّ عمر كان يقطع قرابته في الله، وأنا أصِل قرابتي في الله. قال عبدالرحمن: لله عليّ ألاّ اكلّمك أبداً! فلم يكلّمه أبداً حتى مات. ودخل عليه عثمان عائداً له في مرضه، فتحوّل عنه إلى الحائط ولم يكلّمه[١].

فكان ابن عوف مهاجراً لعثمان حتى ماتا[٢].

وتبعاً لأوامر معاوية في إيجاد مناقب للخلفاء ومنع ذكر عليعليه السلام فقد جاء: أنّ عليّاً قال: من أشجع الناس؟

قالوا: أنت. قال أشجع الناس أبو بكر، لما كان يوم بدر جعلنا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عريشاً فقلنا: مَن مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أي مَن يكون معه لئلا يهوي إليه أحد من المشركين فوالله ما دنا منّا أحد إلاّ أبو بكر شاهراً بالسيف[٣].

لقد حاول الراوي التمويه على كذبه بذكر الرواية على لسان عليعليه السلام وإلاّ فهزائم أبي بكر في الحروب واضحة ومعروفة عند كُتّاب السيرة، واعترف أبو بكر بهزيمته في أحد باكياً كما سترى، وأنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم أعرض عن قولي أبي بكر وعمر في معركة بدر[٤] الداعين للهزيمة. ولم يشاركا في معركة بدر وانحرفا جانباً وفرّ عثمان.

وقد تغيّب عن معركة بدر عثمان بن عفان وطلحة بن عبدالله وسعيد بن زيد[٥].

---

(١) العقد الفريد ٤ / ٢٦٥.

(٢) المعارف ٥٥٠، تاريخ أبي الفداء ٢٣٢، تفسير ابن كثير ١ / ٦٥٧، تاريخ دمشق ترجمة عبدالرحمن بن عوف، مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور ٢٨ / ٣٠١، توفي عبدالرحمن بن عوف لسبع سنين خلت من خلافة عثمان، السقيفة، سليم بن قيس ١٠٩.

(٣) السيرة الحلبية ٢ / ١٥٦.

(٤) البداية والنهاية، ابن كثير ٣ / ٣٢١.

(٥) عيون الأثر ١ / ٣٢٥، سيرة ابن حبّان ١ / ١٨٢، المستدرك، الحاكم ٣ / ١٠٥.

ولا خفاء قضية فرار طلحة وسعيد قالوا: إنّ الرسول ﷺ أعطاهما من غنائم بدر.لكن السيوطي أنكر ذلك قائلاً: وضرب ﷺ سهماً لعثمان يوم بدر، ولم يضرب لأحد غاب غيره[١].

ولكنّنا أثبتنا فرار عثمان أيضاً: إذ قال علي عليه السلام لعثمان وطلحة وباقي أهل الشورى: أفيكم أحد كان له سهم في الحاضر وسهم في الغائب؟

قالوا: لا[٢].

وعيَّر عبدالرحمن بن عوف عثمان من فراره في بدر، وهو الذي آخى الرسول ﷺ بينه وبين عثمان قائلاً: إنّي لم أفرّ يوم عينين (أحد)، ولم أتخلّف يوم بدر، وبيعة الرضوان[٣] وفرَّ عثمان مرّة ثانية في أحد وثالثة في بيعة الرضوان فأحبّته قريش وولعت به.

وروى الواقدي ثورة عبدالرحمن على عثمان في قضيّة نفيه أبي ذر الغفاري[٤] ودعوته الناس لحمل السلاح، فهاجر عبدالرحمن عثمان[٥].

وقال عثمان للناس عند قدوم عبدالله بن مسعود المدينة : قدمت عليكم دويبة سوء، من يمشي على طعامه يقيء ويسلح[٦].

---

(١) السيرة الحلبية ٢ / ١٨٥.

(٢) اللآلي المصنوعة ١ / ٣٦٢ ترجمة الإمام علي عليه السلام من تاريخ ابن عساكر بتحقيق المحمودي ٣ / ٩٣. الضعفاء الكبير ١ / ٢١١، ٢١٢.

(٣) مسند أحمد ١ / ٦٨، البداية والنهاية ٧ / ٢٠٧، شرح النهج ١٥ / ٢١، ٢٢. الغدير ٩ / ٣٢٧، مغازي الواقدي ١ / ٢٧٨، الدرّ المنثور ٢ / ٨٩، الرياض النضرة ٢ / ٤٠، محاضرات الأدباء للراغب ٢ / ١٨٤، المستدرك ٣ / ٩٨.

(٤) المعارف ٥٥٠، العقد الفريد ٤ / ٢٦٥.

(٥) المصدر السابق.

(٦) وهو افتراء منه في حق ابن مسعود الزاهد العابد .

فقال ابن مسعود: لست كذلك ولكن صاحب رسول الله ﷺ يوم بدر ويوم بيعة الرضوان[1] يعرض بفراره في بدر.

وقال الإمام علي ﷺ: كان ابن عفان ظالماً[2].

وهناك صحابيان آخران اعترضا على عثمان فراره في بدر وأحد والرضوان[3].

والأكاذيب التي طرحت لمواجهة هذا الأمر صنعوها ونشروها في زمن الحكم الأموي فقالوا زيفاً:

تخلّف لمرض رقية.

ولمّا وجدوا هذا لا ينفع قالوا: تخلفّ لمرضه بالجدري[4].

والحقيقة تتمثّل في: كانت أمّ أبي امامة بن ثعلبة مريضة فأمره النبي ﷺ بالمقام عند أمّه، وضرب له بأجره وسهمه، فرجع النبي ﷺ من بدر.

وقد توفيّت فصلىٰ رسول الله ﷺ على قبرها[5].

فسرق الأمويون هذه الرواية لصالح عثمان!

واشترك عموم الصحابة في معركة بدر الكبرىٰ في السنة الثانية في السابع عشر من شهر رمضان وهي أوّل معركة للمسلمين ضدّ كفّار قريش، وكان في الصفّ المعادي أبو سفيان ومعاوية وابن العاص وخالد بن الوليد.

وكانت هذه الحرب مناسبة جيّدة لاحتكاك قريش بالمهاجرين والأنصار...

---

(١) يعرض بعثمان الذي فرّ فيهما، راجع الغدير ٩ / ٣، أنساب الأشراف ٥ / ٣٦.

(٢) المنطبة ٣ / ١٧٤.

(٣) سنن البخاري ٦ / ١٢٢، البداية والنهاية ٧ / ٢٠٧، المستدرك، الحاكم ٣ / ٩٨، مسند أحمد ٢ / ١٠١، الغدير ١٠ / ٧٠، الجامع الصحيح للترمذي ٥ / ٦٢٩، الرياض النضرة ٢ / ٩٤.

(٤) السيرة الحلبية ٢ / ١٤٦، ١٨٥.

(٥) أسد الغابة ٥ / ١٣٩، الإصابة ٤ / ٩، السيرة الحلبية ٢ / ١٤٧، الإستيعاب بهامش الإصابة ٤ / ٤.

وبينما فرَّ المتقاعسون جاهد المؤمنون وعلى رأسهم أمير المؤمنين عليﷺ.

ولم يؤمّر رسول اللهﷺ على عليﷺ أحداً[١].

وكان حامل الراية في معركة بدر علي بن أبي طالبﷺ[٢]، وساهمت الملائكة في المعركة إلى جانب المسلمين، واشتاق المسلمون إلى الجنّة ودعا رسول الله لهم بالنصر وحثى التراب في عيون الكفرة قائلاً: شاهت الوجوه. وقال عمير بن الحمام: لئن حييت حتى آكل تمراتي أنها لحياة طويلة ثمّ رمى التمرات من يده وقاتل حتى قُتِل[٣].

وتخلّف عن معركة بدر أيضاً أسيد بن حضير الأوسي[٤]، وهو من رجال السقيفة.

وعصى عبدالرحمن بن عوف الالتحاق بحملة أسامة بن زيد[٥]، مثلما فعل أبو بكر وعمر وعثمان وابن الجراح.

معجزات حرب أحد

ولمّا هرب عثمان وأبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجرّاح وعبدالرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقّاص وآخرون من معركة أحد انقطع سيف عكاشة فناوله رسول اللهﷺ خشبة فتحوّلت في يده سيفاً قاطعاً فقتل به طليحة في حرب

(١) المناقب، ابن شهر آشوب ٤ / ٢٢٣، البحار ٤٧ / ١٢٧.

(٢) المستدرك، الحاكم ٣ / ١١١، ١٣٧، المناقب، الخوارزمي ١ / ٢٢، الإرشاد، المفيد ٢ / ٤٨، ذخائر العقبى ٧٥. تاريخ الخميس ١ / ٤٣٤، اسد الغابة ٤ / ٢٠، انساب الأشراف ٢ / ١٠٦، حياة الصحابة ٢ / ٥١٤.

(٣) تاريخ ابن الأثير ٢ / ١٢٦، سيرة ابن هشام ٢ / ٢٧٩.

(٤) شرح النهج، المعتزلي ١٤ / ١٨٦، عيون الأثر، ابن سعد الناس ١ / ٣٢٥، سيرة ابن حبان ١ / ١٨٢.

(٥) مختصر تاريخ ابن عساكر ١ / ١٧١.

الردّة[1]. وأعطىٰ عبدالله بن جحش يوم أحد عسيباً من نخل فرجع في يده سيفاً.

وأعطىٰ لأبي دجانه سعفة نخل فصارت سيفاً فأنشأ أبو دجانة:

نصرنا النبي بسعف النخيل فصار الجريد حساماً صقيلاً
وذا عجباً من أمور الإلٰه ومن عجب الله ثمّ الرسولا
ومن هزّ الجريدة فاستحالت رهيف الحدّ لم يلق الفلولا[2]

وبينما حصل عكاشة وأبو دجانة وابن جحش على المعجزات الإلٰهيّة بقي الفارّون عن المعركة بعيدين عنها!

وبينما حصل هؤلاء الأبطال المخلصون على الفضائل الحقّة كسب المنهزمون من المعركة المناقب الموضوعة.

إذ اختلقت الدولة الأموية لهم مناقب سقيمة لا أصل لها مثل العشرة المبشّرين بالجنّة.

وأصحابي كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم.

فرواة هذه المختلقات من مرتزقة الحكم الأموي.

هزيمة المسلمين في أحد

وكانت فرقة الرماة قد تركت أمر رسول الله ﷺ في الثّبات فوق الجبل وحماية ظهر المسلمين فنزلت لجمع الغنائم! فاستغلّ خالد وجنوده هذه الفرصة فهاجم المسلمين من الخلف وعادت فلول الكفّار فأطبقوا الحصار على المسلمين وقتل وحشي حمزة وقُتل ثمانية وستّون مسلماً ومن المشكرين قُتل إثنان

(١) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب ١ / ١٠٤.

(٢) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب ١ / ١٠٤، البحار ١٧ / ٣٨٢.

وعشرون كافراً[1].

ففرّ المسلمون إلى جبل أُحد، وبقيت طائفة قليلة منهم مع رسول الله ﷺ[2].

ولمّا دارت الدوائر على المسلمين قال رسول الله ﷺ: من فرَّ يوم الزحف فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنّم وبئس المصير[3].

واختلفت الأحداث في معركة أحد، إذ دارت الدوائر على المسلمين لعدم طاعتهم أوامر الرسول ﷺ، فانهزموا من أرض المعركة، مخلّفين النبي ﷺ مع بعض المسلمين في وسط عسكر الكفار!

وأجمعت الأخبار على انهزام عمر وأبي بكر وعثمان ومعظم المسلمين من أرض المعركة، وتركهم نبيّهم محمّداً ﷺ يلاقي سيوف قريش الحاقدة عليه وعلى الإسلام.

وذكر أبو القاسم البلخي أنّه لم يبق مع النبي ﷺ يوم أحد إلّا ثلاثة عشر نفساً خمسة من المهاجرين: علي، وأبو بكر، وطلحة، وعبدالرحمن، وسعد بن أبي وقّاص، والباقون من الأنصار.. وأمّا سائر المنهزمين فقد اجتمعوا على الجبل، وعمر بن الخطاب كان من أولئك الفارّين، كما في خبر ابن جرير[4].

وذكر الفخر الرازي: «ومن المنهزمين عمر إلّا أنّه لم يكن في أوائل المنهزمين، ولم يبعد بل ثبت على الجبل إلى أن صعد النبي ﷺ: ومنهم أيضاً عثمان انهزم مع رجلين من الأنصار، يقال: لهما: سعد، وعقبة، انهزموا حتىٰ بلغوا موضعاً بعيداً، ثمّ

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٤٨، تاريخ ابن الأثير ٢ / ١٤٩ ـ ١٦٤ تاريخ الطبري ٢ / ١٨٧ ـ ٢٠٨.

(٢) دلائل النبوة البيهقي ٣ / ٢١٣، المعارف ١٥٩.

(٣) مستدرك الحاكم ٤ / ٤١.

(٤) تفسير روح المعاني للآلوسي ٤ / ٩٩، أنساب الأشراف عن هامش كتاب المغازي ١ / ١٨.

رجعوا بعد ثلاثة أيّام»[1].

وقد اعترف عمر بفراره في يوم أحد، إذ جاءت إمراة لعمر أيّام خلافته، تطلب بُرداً من برود كانت بين يديه، وجاءت معها بنت لعمر، فأعطى المرأة وردّ ابنته. فقيل له في ذلك.

فقال: عمر إنّ أب هذه ثبت في يوم أحد، وأب هذه (أي عمر) فرّ يوم أحد، ولم يثبت[2] وهذه هي الصراحة.

والشيء الملفت للنظر نزول قرآن في هؤلاء المنهزمين: ﴿إِنَّ الَّذِيْنَ تَوَلَّوْاْ مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الجَمْعانِ إنّما اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَان بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾[3]

وذكر ذلك الزمخشري: «﴿إنّما اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطان﴾ طلب منهم الزلل، ودعاهم إليه ببعض ما كسبوا من ذنوبهم ومعناه: إنّ الذين انهزموا يوم أحد، كان السبب في تولّيهم أنّهم كانوا أطاعوا الشيطان، فاقترفوا ذنوباً فلذلك منعهم التأييد وتقوية القلوب حتىٰ تولّوا».

وقال السيوطي قال عمر: لمّا كان يوم أحد هزمونا، ففرت حتىٰ صعدت الجبل، فلقد رأيتني أنزو كأنّني أروىٰ[4].

وقال النيسابوري: الذي تدلّ عليه الأخبار في الجملة، إنّ نفراً قليلاً تولّوا وأبعدوا، فمنهم من دخل المدينة، ومنهم من ذهب إلى سائر الجوانب، ومن المنهزمين عمر[5].

---

(١) مفاتيح الغيب ٩ / ٥٢، تفسير الفخر الرازي ٣ / ٣٩٨، السيرة الحلبية ٢ / ٢٢٧.

(٢) شرح النهج، ابن أبي الحديد ١٥ / ٢٢.

(٣) آل عمران: ١٥٥.

(٤) حياة الصحابة ٣ / ٤٩٧، كنز العمال ٢ / ٢٤٢، دلائل الصدق ٢ / ٣٥٨، تفسير ابن كثير ج ١ / ٧٠.

(٥) تفسير غرائب القرآن ٤ / ١١٢ ـ ١١٣، بهامش تفسير الطبري.

«وكان خالد بن الوليد يحدّث وهو بالشام عن فرار عمر وعدم قتله له! قائلاً: الحمد لله الذي هداني للإسلام! لقد رأيتني ورأيت عمر بن الخطاب حين جالوا وانهزموا يوم أُحد، وما معه أحد، وإنّي لفي كتيبة خشناء، فما عرفه منهم أحدٌ غيري، فنكبت عنه، وخشيت إن أغريتُ به من معي أن يصمدوا له، فنظرت إليه موجّهاً إلى الشّعب»[1].

لكن لماذا لم يقتله؟!

الجواب: كان عمر مأموراً بقتل رسول الله ﷺ قبل وبعد إسلامه وخالد عرف بذلك!

وقال الطبري: «لمّا قتل علي بن أبي طالب أصحاب الألوية، أبصر رسول الله ﷺ جماعة من مشركي قريش، فقال لعلي أحمل عليهم، فحمل عليهم ففرّق جمعهم وقتل عمرو بن عبدالله الجمحي، ثمّ أبصر رسول الله ﷺ جماعة من مشركي قريش، فقال لعلي إحمل عليهم، فحمل عليهم ففرّق جماعتهم، وقتل شيبة بن مالك أحد بني عامر بن لؤي.

فقال جبرئيل: يا رسول الله إنّ هذه المواساة، فقال رسول الله ﷺ إنّه منيّ وأنا منه، فقال جبريل وأنا منكما فسمعوا صوتاً قال ﷺ: إنّه جبرئيل يقول:

لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتىً إلّا علي[2]

وقد حذف ابن كثير اسم جبريل واسم علي عليه السلام من الرواية! حسداً لوصي المصطفى[3]؟

(١) مغازي الواقدي ٢ / ٢٣٧، تفسير ابن كثير ١ / ٦٤٨.

(٢) مجمع الزوائد ٦ / ١١٤، ١٢٢، البحار ٢٠ / ٥٤، ٩٥، ١٠٥، تاريخ الطبري ٢ / ١٩٧، الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٢ / ١٥٤، شرح النهج ١٤ / ٢٥٠، ٢٥١.

(٣) البداية والنهاية ٤ / ٥٤.

وكان ذو الفقار سيف علي﷣ أنزله جبرئيل فكان به يحارب وحليته من فضّة[١]. وقال ابن الأثير صار للنبي﷥ فوهبه لعلي﷣[٢].

والذين قتلوا بسيف علي﷣ في معركة أحد أيضاً: أبو الحكم بن الأخنس، وأميّة بن أبي حذيفة[٣]، وعمرو بن عبدالله الجمحي وشيبة بن مالك[٤].

الملاحظ أنّ عليّاً﷣ وحده هجم على جيوش قريش وفرّقها وقتل حاملي ألويتها.

وكان ابن قميئة قد نادىٰ قتلت محمّداً واللات والعزّىٰ[٥].

ووقع رسول الله﷥ لشقّ وشجّ رأسه وكسرت رباعيته وساح الدم غزيراً في وجهه وأصيب أمير المؤمنين﷣ في وجهه ورأسه وصدره وبطنه ويديه ورجليه تسعون جراحة فتحاموه.

وكانت هند بنت عتبة في وسط العسكر فكلّما انهزم رجل من قريش رفعت إليه ميلاً ومكحلة وقالت: إنّما أنت امرأة فاكتحل بهذا[٦].

وفضح أنس بن مالك المحسوب على حزب أبي بكر المنهزمين وأخفىٰ اسم أبي بكر قائلاً: انتهىٰ أنس بن النضر عمّ أنس بن مالك إلى عمر بن الخطّاب وطلحة بن عبيدالله في رجال من المهاجرين والأنصار، وقد ألقوا بأيديهم فقال ما يجلسكم؟

---

(١) البحار ٤٢ / ٥٧.

(٢) الكامل في التاريخ ٢ / ١٣٧.

(٣) مغازي الواقدي / ٣٠٧.

(٤) تاريخ الطبري ٢ / ١٩٧.

(٥) شرح الأخبار، القاضي النعمان المغربي ٢٧٧، البحار ٢٠ / ٢٦، تفسير الطبري ١ / ٣٣٥.

(٦) تفسير القمّي ١ / ١١٦.

قالوا: قُتل محمّد رسول الله.

قال أنس: فما تصنعون بالحياة بعده، قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله، ثمّ استقبل القوم فقاتل حتىٰ قتل.

وجاء: «إنّ أنس بن النضر سمع نفراً من المسلمين يقولون لمّا سمعوا أنّ النبي قُتل: ليت لنا مَن يأتي عبدالله بن أُبيّ بن سلول ليأخذ لنا أماناً من أبي سفيان قبل أن يقتلونا.

فقال لهم أنس: يا قوم إن كان محمّد قد قُتل فإنّ ربّ محمّد لم يقتل، فقاتلوا على ما قاتل عليه محمّد. اللهمّ إنّي أعتذر إليك ممّا يقول هؤلاء وأبرأ إليك ممّا جاء به هؤلاء! ثمّ قاتل حتىٰ قتل»[1].

واضح من هذا النصّ وجود علاقة قويّة بين ابن أُبيّ زعيم المنافقين وأبي سفيان رئيس الكفّار، وكان الكفّار لا يقتلون المنافقين المدسوسين في جيش المسلمين كما هو واضح في أقوال خالد بن الوليد وضرار بن الخطّاب وسعيد بن العاص وهذا يبيّن قوّة جهاز الجاسوسية عند قريش وتقدّمها في هذا المضمار.

ومعرفة المنافقين الجواسيس في جيش النبيﷺ سهل جدّاً لعدم إقدام الكفّار على قتلهم وعدم قتلهم للكفّار وفرارهم في الحروب ومعاداتهم للرسول وأهل بيته وحبّهم لقريش وبغضهم للأنصار.

وانتهت الهزيمة بجماعة من المسلمين فيهم عثمان بن عفان وغيره إلى الأعوص فأقاموا به ثلاثاً. ثمّ أتوا النبيﷺ فقال لهمﷺ حين رآهم: لقد ذهبتم فيها

(١) تاريخ الطبري ٢ / ١٩٧، ٢ / ٢٠١، الكامل في التاريخ ٣ / ١٥٦، مغازي الواقدي ١ / ٢٨٠، تفسير ابن كثير ١ / ٦٤٩، السيرة النبوية، ابن كثير ٣ / ٦٨، تفسير القمي ١ / ١١٦.

عريضة[١].

وقال ابن كثير: وفرّ عثمان بن عفان وسعد بن عثمان رجل من الأنصار حتى بلغوا الجَلَعَب، جبل بناحية المدينة مما يلي الأعوص، فأقاموا: ثلاثاً، ثمّ رجعوا، فزعموا أنّ رسول الله ﷺ قال لهم: لقد ذهبتم فيها عريضة[٢].

وقد ذكر ابن كثير (والمؤرخون وأصحاب السنن ومنهم البخاري) فرار عثمان بن عفان يوم بدر، وأحد، وتغيّبه عن بيعة الرضوان، لكنّه عذره بأعذار شتّى[٣] لا تنفع.

إنّ فرار عثمان البيّن في معارك أحد وحنين، وتخوّفه من منازلة عمرو بن عبد ودّ العامري في معركة الخندق، وعدم مشاركته في حروب الردّة، والفتح في زمن أبي بكر وعمر وأيّام خلافته يثبت فراره في بدر[٤].

والمجموعة التي استعدّت لطلب الأمان من أبي سفيان، هي مجموعة عمر وأبي بكر الفارّين فوق الجبل، وقد ذكر الذهبي هذه الحادثة قائلاً: انهزم الناس عن رسول الله ﷺ يوم أحد فبقي معه أحد عشر رجلاً سبعة من الأنصار ورجلين من قريش[٥].

والرجلان هما علي بن أبي طالب عليه السلام، وأبو دجانة[٦].

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٢ / ١٥٨، البداية والنهاية، ابن كثير ٤ / ٣٢، تاريخ الطبري ٢ / ٢٠٣.

(٢) السيرة النبوية، ابن كثير ٣ / ٥٥، البداية والنهاية ٤ / ٣١، ٣٢.

(٣) السيرة النبوية، ابن كثير ٣ / ٥٥، البداية والنهاية، ابن كثير ٤ / ٣١، ٣٢، وصحيح البخاري، كتاب المغازي في التاريخ ٣ / ١٥٨، كتاب المغازي ٢١ باب ح ٤٠٦٨.

(٤) راجع المثالب، ابن الكلبي ص ١٨٢.

(٥) تاريخ الإسلام للذهبي المغازي ص ١٩١، دلائل النبوة، البيهقي ٣ / ٢٣٤، صحيح مسلم ٥ / ١٧٨.

(٦) شرح النهج ١٣ / ٢٩٣، وآخر الثمانية ١٨.

وقال الدكتور مارسدن جونس في مقدّمة كتاب المغازي للواقدي ويظهر بوضوح أنّ النصّ في المخطوطة الأم، كان يذكر عثمان وعمر، أو عمر وحده، أو عثمان وحده، ممّن ولّوا الأدبار يوم أحد ولكنّ الناسخ لم يقبل هذا في حقّ عمر أو عثمان، فأبدل إسميهما أو إسم أحدهما بقوله: فلان»[١].

وذكر ابن أبي الحديد المعتزلي في شرحه عمر وعثمان بدل فلان من جمله الفارّين[٢].

وذكر البلاذري عن الواقدي اسم عثمان، ولم يذكر عمر[٣].

وهذا من أدلّة عمل النُسّاخ في تغيير السيرة النبوية وفق أهوائهم، وحذف مثالب رجال الحزب القرشي.

وبعد أن ذكرت النصوص السابقة فرار سعد بن أبي وقّاص ذكره الحاكم عن سعد نفسه:

«لمّا جال الناس عن رسول الله ﷺ تلك الجولة تنحّيت، فقلت: أذود عن نفسي، فأمّا أن استشهد وإمّا أن أنجو.. إلى أن قال: فقال رسول الله ﷺ: أين كنت اليوم يا سعد؟

فقلت: حيث رأيت»[٤]. فيكون سعد ممّن فرّ يوم أحد أيضاً!

ولمّا رجع سعد بن أبي وقّاص من بئر معونة قال له رسول الله ﷺ: ما بعثتك قط إلّا رجعت إليّ من بين أصحابك[٥].

---

(١) مغازي الواقدي، ج ١، مقدّمة مارسدن جونس ص: ١٨.

(٢) شرح النهج ٣ / ٣٩٠ طبع دار الكتب العلمية، مصر.

(٣) أنساب الأشراف ١ / ٣٢٦.

(٤) مستدرك الحاكم ٣ / ٢٦.

(٥) مغازي الواقدي ١ / ٣٥٢.

فكان معروفاً بالجبن والفرار مثل أصحابه.

وكان المثنّىٰ بن حارثة الشيباني شجاعاً وبعد ما قُتل[١] تزوّج سعد بن أبي وقّاص زوجته (سلمىٰ بنت جعفر) فوجدت سلمىٰ تراجعاً وجبناً من سعد في القادسية فقالت:

وامُثَنيّاه، ولا مُثَنّىٰ للمسلمين اليوم!

فلطمها سعد.

فقالت: أغَيْرَةً وجُبْناً؟!

فذهبت مثلاً[٢].

فعُرف جبن سعد في أمثال العرب!

وذكر محمّد حسنين هيكل في كتابه: إنّ أبا بكر وعمر كانا ممّن فرّا في معركة أحد[٣].

وممّا يؤيّد فرار أبي بكر وعمر في معركة أحد ما جاء في شرح النهج حيث قال: حضرت عند محمّد بن معد العلوي الموسوي الفقيه، في داره بدرب الدواب ببغداد، في سنة ثمان وستمائة، وقارىء يقرأ عنده مغازي الواقدي، فقرأ حدّثنا الواقدي عن ابن أبي سبرة، عن خالد بن رياح، عن أبي سفيان مولىٰ ابن أبي أحمد، قال: سمعت محمّد بن سلمة يقول: سمعت أذناي ورأت عيناي رسول الله يقول يوم أحد، وقد انكشف عنه الناس إلى الجبل، وهو يدعوهم ولا يلوون عليه:

إليّ يا فلان إليّ يا فلان أنا رسول الله، فما عرج عليه أحد منهما، ومضيا مع من

(١) بيد سعد راجع كتاب اغتيال الخليفة أبي بكر للمؤلف.

(٢) أسد الغابة ٥ / ٦٠.

(٣) حياة محمّد، هيكل ٣٠٩.

مضىٰ عنه؟ فقال هذه كناية عنهما فأشار ابن معد إليّ أي إسمع، فقلت: وما في هذه فقلت له ويجوز أن لا يكون عنهما لعلّه عن غيرهما.

فقال: ليس في الصحابة من يحتشم ويستحيي من ذكره باسمه بـالفرار، ومـا شابهه من العيب، فيضطر القائل إلى الكناية إلّا هما (أي أبو بكر وعمر). قلت: هذا وهم.

فقال: دعنا من جدلك ومنعك، ثمّ حلف بالله إنّ الواقدي ما عنىٰ غيرهما، ولو كان غيرهما لذكره صريحاً، وبان في وجهه التنكّر من مخالفتي له[1].

وقال الأستاذ محمّد حسنين هيكل: وكان أكبر همّ كلّ مسلم أن ينجو بنفسه إلّا من عصم الله أمثال علي بن أبي طالب عليه السلام.

ولم يفرّ رسول الله صلى الله عليه وآله من القتال وما ادّعاه البعض فهو للتمويه عـلى فـرار الآخرين فقد نزل قرآنٌ في الفارّين.

وكيف يفرّ وقد أنزل الله في الفارّين ما أنزل.

وثانياً: قال الواقدي: وصل رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الشعب مع أصحابه فلم يكن هناك قتال[2].

ولم يصعد المسلمون إلى قمّة الجبل، بل بقوا في سفحه، فقد قـال الواقـدي: إنّ المسلمين لم يصعدوا الجبل وكانوا في سـفحه، ولم يجـاوزوه إلى غـيره وكـان فـيه النبي صلى الله عليه وآله[3].

فسأل أبو سفيان عليّاً عليه السلام عن مقتل محمّد صلى الله عليه وآله فقال علي عليه السلام: والله مـا قُـتل

(١) شرح النهج ابن أبي الحديد ٣ / ٣٩٠ طبع مصر دار الكتب العربية الكبرىٰ.

(٢) مغازي الواقدي ١ / ٢٨١.

(٣) مغازي الواقدي ٢ / ٢٧٨.

محمّد ﷺ وهو يسمع كلامك فقال أبو سفيان: أنت أصدق، لعن الله ابن قمِية زعم أنّه قتل محمّداً.

وقال أبو سفيان: إنّ موعدنا وموعدكم في عام قابل.

فقال رسول الله ﷺ لأمير المؤمنين عليه السلام قُل نعم[١].

ونزلت في أحد: ﴿إِنْ يَمْسَسْكَ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُه * وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ الناسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِيْنَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُم شُهَدَاء﴾[٢]

﴿(أَوَلَمَّا أَصابَتْكُم مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلها قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَـذا قُـلْ هُـوَ مِـنْ عِـنْدِ أَنْفُسِكُم﴾[٣].

ونزلت أيضاً: ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيْدُ الدُّنْيا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيْدُ الآخِرَة﴾[٤].

فكان تركهم للجبل لجمع الغنائم الطامّة الكبرىٰ لهم إذ قتلهم المشركون وتركوهم صرّعىٰ على الغنائم! فقال ابن مسعود: ما شعرت أنّ أحداً من أصحاب النبي ﷺ كان يريد الدنيا وعرضها حتىٰ كان يوم أُحد[٥].

روايات وأحاديث مزيّفة

وكثرت الأكاذيب الأمويّة في سبب تخلّف عثمان عن معركة بدر فمرة قالوا:

---

(١) تفسير القمّي ١ / ١١٧ ـ ١٢٤، شرح الأخبار، النعماني ١ / ٢٨٠، أعلام الورىٰ ٩٣.

(٢) آل عمران ١٤٠.

(٣) آل عمران ١٦٥.

(٤) آل عمران ١٥٢.

(٥) تفسير الطبري ٤ / ١٧٤.

بتخلّفه عن بدر لأنّه كان مريضاً بالجدري[١].

ومرّة قالوا: إنّه تخلّف لتمريض رقية وأعطاه رسول الله ﷺ سهمه[٢].

وهذه من أكاذيب الأمويين؛ لأنّ النبي ﷺ لم يسهم له بشيء ولم يسهم لكل الفارين.

وأسهم فقط لأبي إمامة بن ثعلبة الذي بقي لتمريض أمّه بأمر النبي ﷺ فضرب له ﷺ بسهمه وصلّى النبي ﷺ على قبرها بعد ما عاد من بدر[٣].

وفي يوم الشورىٰ بعد موت عمر قال علي عليه السلام لطلحة وعثمان وباقي أعضاء الشورىٰ:

أفيكم أحد كان له سهم في الحاضر وسهم في الغائب؟

قالوا: لا[٤].

وقد عيّر عبدالرحمن بن عوف عثمان عدّة مرّات بفراره عن بدر فقد قال الوليد بن عقبة له: ما لي أراك جفوت أمير المؤمنين عثمان؟

فقال له عبدالرحمن: أبلغه أنّي لم أفر يوم عيين (أُحد) ولم أتخلف عن بدر ولم أترك سنة عمر[٥].

في حين كان عبدالرحمن بن عوف أقرب الناس لعثمان فقد آخىٰ رسول

---

(١) السيرة النبوية ٢ / ١٤٦، ١٨٥.

(٢) شذرات الذهب ١ / ٢٤٦.

(٣) الأصابة ٤ / ٩، الإستيعاب بهامش الإصابة ٤ / ٤، السيرة الحلبية ٢ / ١٤٧.

(٤) اللآلىء المصنوعة ١ / ٣٦٢، الضعفاء الكبير ١ / ٢١١، ترجمة الإمام علي من تاريخ ابن عساكر بتحقيق المحمودي ٣ / ٩٣.

(٥) مسند أحمد ١ / ٦٨، ٧٥، الدر المنثور ٢ / ٨٩ مغازي الواقدي ١ / ٢٧٨، محاضرات الادباء ٢ / ١٨٤، شرح النهج ١٥ / ٢١، ٢٢.

الله ﷺ بينه وبين عثمان، وهو الذي بايع بالخلافة لعثمان وترك علي بن أبي طالب عليه السلام.

وحاول الأمويون التستر على قتل رقية بدعوى مزيفة مفادها زواج عثمان من أُم كلثوم بنت النبي ﷺ بعد رقية وأنّها أيضاً ماتت بعد أختها. وهذه الرواية أيضاً من أكاذيب الأمويين؛ لأنّ أُم كلثوم لا حقيقة لها كما أثبتنا في هذا الكتاب وكنية رقية أُم كلثوم.

ومن الأحاديث الكاذبة إنّ رقية بنت رسول الله ﷺ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما زوجت عثمان أُمَّ كلثوم إلّا بوحي من السماء أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه[1]، من طريق أحمد بن محمد بن المفلس الكذاب الوضاع الشهير. عن عبد الكريم بن روح البزاز الأموي البصري.

قال أبو حاتم عنه: مجهول، ويقال: إنّه متروك.

وقال إبن حبان: يخطيء ويخالف ومجهول (ص ١٠١).

وقال الذهبي: لا يُعرف تفرّد عنه ولده روح.

فإن تعجب فعجب سكوت مثل الخطيب عن سند هذا شأنه صوناً لكرامة الأمويين[2].

لقد وجد الأمويون أعمال عثمان بن عفان فعالجوها بأكاذيبهم المعروفة فغلبت على البعض وغلب البعض عليها.

فعذروا عثمان بتمريضه لرقية في معركة بدر ولم تكن مريضة حينها، ولإنعدام

---

(١) تاريخ بغداد ٢ / ٣٦٤.

(٢) الغدير، ٥ / ٣٢٦.

التخطيط الأموي المحكم في الكذب فقد عذره آخرون منهم بأنّه مرض بالجدري!
ولمّا كانت رقية قد ضربت وقتلت في قضية معاوية بن المغيرة الأموي فقد قدم الأمويون وأذنابهم زمن موتها فقالوا: بموتها في معركة بدر!

ولمّا وجدوا أكاذيبهم لا تنفع مع الواقع والأحاديث الصحيحة في طرد النبي ﷺ لعثمان من مراسم دفن رقية المكنّاة بأمّ كلثوم بعد معركة أحد فقد وضعوا روايات في تزويج النبي ﷺ عثمان من أختها أُم كلثوم.

ولكن الروايات الصحيحة الكثيرة فضحتهم وكشفتهم وبقيت الأسئلة المطروحة عليهم دون جواب منهم حول قضية معاوية بن المغيرة الأموي وضرب عثمان لرقية حتى الموت وفرار عثمان من بدر وأحد والرضوان ومنع النبي ﷺ لعثمان من حضور مراسم دفن رقية.

ولان كنية رقية ام كلثوم فقد ذكرها الرواة باسم رقية مرة وباسم أم كلثوم مرة أخرى [1].

(١) راجع موضوع رقية في هذا الكتاب.

الفصل الثالث:

عثمان - الحديبية

واقعة الحديبية

لما كان النبي ﷺ بذي الحليفة قلّد الهدي، وأحرم هو وأصحابه منها، ليأمن الناس حربه. ولمّا وصل جيشه إلى قرب جيش خالد بن الوليد أمر خيله بالوقوف في إزاء جيش خالد. وشاهد المسلمون غلظة وخشونة من قبل المشركين. فأبدوا لهم مثل ذلك، كما قال الله سبحانه:

﴿يَا أَيُّها الَّذِيْنَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِيْنَ يَلُوْنَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيْكُمْ غِلْظَةً﴾[1].

ولما خرج عكرمة بن أبي جهل في خيله، ناوشه المسلمون، ورموهم بالحجارة، حتىٰ أدخلوهم مكّة... وعلى أثر ذلك ازداد الرعب في صفوف المشركين، وانخلعت أفئدتهم خوفاً من جيش المسلمين الرابض على أبواب مكّة.

---

(١) التوبة ١٢٣.

وقال النبي ﷺ: يا ويح قريش، نهكتهم الحرب، فماذا عليهم لو خلّوا بيني وبين العرب، فإنْ هم أصابوني كان الذي أرادوا، وإن أظهرني الله عليهم، دخلوا في الإسلام وافرين، وإن أبوا قاتلوني وبهم قوّة؟ فما تظنّ قريش، فوالله الذي لا إله إلّا هو، لا أزال أجاهد على الذي بعثني به ربّي، حتىٰ يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة (وهي صفحة العنق كناية عن قتله).

وقال ﷺ: والذي نفس محمّد بيده، لا تدعوني اليوم قريش إلى خطّة يسألوني فيها صلة رحم إلّا أعطيتهم إيّاها.

ويظهر من قول الرسول ﷺ، رغبته في الصلح مع قريش للإنفراد بسائر العرب في الجزيرة، فيسهل عليه نشر الإسلام بينهم.

وحاول الرسول ﷺ عدم الاصطدام بجيش الكفّار فسلك أرضاً جرداء ليس فيها ماء.

وكانت قريش تعرف بمسير رسول الله ﷺ وجيشه إلى مكّة فأرسلوا له خالد بن الوليد في جيش فحاول إثارة جيش المسلمين فصدّوه دون قتال. وتقدّم خالد لاستقبال جيش المسلمين في ذي طوس، فسلك رسول الله ﷺ غير الطريق التي هم بها وسلك ذات اليمنىٰ على مهبط الحديبيّة فبركت به ناقته وقال ﷺ: حبسها حابس الفيل[1].

ممثّلو قريش

وقال رسول الله ﷺ لبديل بن ورقاء الخزاعي لم نأتِ لقتال أحد ولكنّا

---

(١) تاريخ الخميس ٢ / ٣٩٠، السيرة الحلبية ٣ / ١٠ ـ ١٤، سيرة ابن حبان ١ / ٢٨١ ـ ٢٨٢، تاريخ ابن الأثير ٢ / ٢٠٠، تاريخ اليعقوبي ٢ / ٥٤.

معتمرين فأخبر قريشاً بذلك.

ثمّ أرسلوا له مكرز بن حفص بن الأحنف من بني عامر بن لؤي.

فقال النبي ﷺ: هذا رجل غادر فلمّا انتهى إلى رسول الله ﷺ رفض أن يكلّمه وقال هذا رجل فاجر، فرجع إلى قريش وأخبرهم بذلك.

فبعثوا له الحليس بن علقمة الكناني وهو يومئذٍ سيّد الأحابيش، فما أن رآه رسول الله ﷺ حتى قال: إنّ هذا من قوم يتألّهون فابعثوا الهدي في وجهه، فلمّا رأى الهدي في قلائده قد أكل أوباره من طول الحبس رجع إلى قريش فقال: يا معشر قريش قد رأيت ما لا يحلّ صدّه الهدي في قلائده قد أكل أوباره من طول الحبس عن محلّه. لتخلّن بين محمّد وما جاء له أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد.

فقالوا: كفّ عنّا حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به.

ثمّ بعثوا له عروة بن مسعود الثقفي فلمّا رأى المغيرة قال: أي غادر.

ثمّ بعث رسول الله ﷺ خراش بن أمية الخزاعي إلى مكّة.

وكانت خزاعة عيبة رسول الله ﷺ مسلمها ومشركها لا يخفون عليه شيئاً كان بمكّة وكان بديل بن ورقاء سيّد خزاعة.

ثمّ بعثت قريش سهيل بن عمرو أحد بني عامر بن لؤي وقالوا: ائت محمّداً وصالحه، ولا نكن في صلحه إلّا أن يرجع عنّا عامه هذا، فوالله لا تتحدّث العرب أنّه دخلها علينا عنوة أبداً، فأتى سهيل بن عمرو فلمّا رآه النبي ﷺ قال: قد أراد القوم الصلح فبعثوا هذا الرجل[1].

---

(١) تاريخ الخميس ٢ / ٣٩٠، السيرة الحلبية ٣ / ١٠ ـ ١٤، سيرة ابن حبّان ١ / ٢٨١ ـ ٢٨٢، تاريخ ابن الأثير ٢ / ٢٠٠، تاريخ اليعقوبي ٢ / ٥٤.

الآيات الباهرة

وفي السنة السادسة للهجرة أجدب الناس فاستسقى رسول الله ﷺ في شهر رمضان فسقاه الله تعالى[١].

وعطش المسلمون في الحديبية ورسول الله ﷺ بين يديه ركوة يتوضّأ فيها فأقبل الناس نحوه فقال ﷺ: ما لكم ما لكم.

قالوا: ليس عندنا ماء نشرب ولا نتوضّأ منه إلّا ما في ركوتك.

فوضع رسول الله ﷺ يده في الركوة[٢] فجعل الماء يفور بين أصابعه أمثال العيون.

قال: فشربنا وتوضّأنا ولو كنّا مائة ألف لكفانا، كنّا خمس عشرة مائة[٣].

وهجم خمسون مشركاً على أطراف المسلمين ليصيبوا لهم من أصحابهم أحداً فأخذهم المسلمون وعفا عنهم رسول الله ﷺ وأطلق سراحهم[٤].

وقضية الحرب على الماء قضية قديمة، فقد حاول الكافرون دائماً السيطرة على الماء ومنع المسلمين منه لقتلهم عطشاً[٥].

فقد منع المشركون الماء عن عبدالمطّلب بن هاشم وصحبه لقتلهم عطشاً في صحراء الجزيرة ولمّا نبع الماء تحت قدميه لم يمنعه عبدالمطّلب من قريش.

---

(١) التنبيه والإشراف ٢٢١، مروج الذهب ٢ / ٢٨٩.

(٢) إناء صغير يشرب فيه الماء.

(٣) عيون الأثر ٢ / ١١٤.

(٤) عيون الأثر ٢ / ١١٨، تاريخ ابن خلدون ٢ / ٤٤٧.

(٥) راجع موضوع الماء كسلاح في الحروب.

ومنع المشركون الماء عن المسلمين في بدر بعد سيطرتهم على آبارها، ولمّا سيطر رسول الله ﷺ على الماء لم يمنعهم منه[١].

وسيطر الكافرون على الماء في غزوة الحديبية لقتل النبي ﷺ والمسلمين عطشاً، فجاءهم علي عليه السلام بالماء في منطقة الجحفة وبارك لهم الله تعالىٰ في عين الحديبية بدعاء رسول الله ﷺ[٢].

ومنع طلحة بن عبدالله الماء عن عثمان بن عفان وصحبه وأهله أثناء الثورة على عثمان وردّ شفاعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في إعطاء الماء لهم[٣].

ومنع معاوية بن أبي سفيان الماء عن أمير المؤمنين علي عليه السلام وجيشه في معركة صفّين ولمّا سيطر الإمام علي عليه السلام على الماء سمح لمعاوية وجيشة بالشرب منه[٤].

وسقى الإمام الحسين عليه السلام جيش يزيد بن معاوية الماء في صحراء كربلاء، ولمّا سيطروا هم على الماء منعوا الحسين عليه السلام وأهله وصحبه منه فقتلوهم عطشاً[٥].

سبب بيعة الرضوان

اعتقد زعماء قريش بأنّ الصلح مع رسول الله ﷺ في غير صالحهم. وهذا المبدأ قديم التزمت به قريش قبل وبعد هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة؛ لأنّ الصلح يمكّن المسلمين من نشر الإسلام بسهولة في مدن وأراضي شبه جزيرة

(١) البحار ٣٢ / ٤٤٧.

(٢) البحار ٤١ / ٦٨.

(٣) البحار ٣١ / ٢٨٧.

(٤) صفّين ١٦٠ ـ ١٦٦، تاريخ أبي مخنف ١ / ١٥٩ ـ ١٦٢.

(٥) الأخبار الطوال ٢٤٨، تاريخ ابن عساكر في ترجمة الإمام الحسين عليه السلام ٤٤٧.

العرب. بل يساعدهم على نشر الدين خارج البلاد أيضاً.

ويعني الصلح الاعتراف برسالة النبي محمدﷺ ودولته في المدنية ممّا يسهل على المسلمين إقامة العلاقات المحترمة مع سائر القوى القبلية والمدنية في المنطقة.

والصلح مع رسول اللهﷺ سيمكن المسلمين من الانتصار على باقي القوى المتحالفة مع قريش من الأحزاب مثل خيبر وغطفان وبني سليم وغيرها. وفعلاً حدث ذلك إذ فتح رسول اللهﷺ خيبر وحارب بني سليم. وأرسل جيشاً إلى مؤته في الشام.

وفي مدة سنتين عظمت شوكة المسلمين وضعفت منزلة المشركين فأقبلت الناس على دخول الإسلام رغبة في الدين من البعض ورغبة في الغنائم من البعض الآخر فدخل عمرو بن العاص وأبو موسى الأشعري وأبو هريرة وخالد بن الوليد في الإسلام في تلك الفترة.

ودخلت قبيلة خزاعة في حلف مع المسلمين فتضاعفت جيوش رسول اللهﷺ وأدرك عمر بن الخطاب ما أدركته قريش أيضاً وشاركه في ذلك عثمان بن عفان وابو بكر والمغيرة. وذهب عثمان الى مكة للعمرة بدعوة من أبي سفيان في حين رفض الدعوة عبدالله بن أُبي زعيم المنافقين الذى قال له ابنه: كيف تطوف الكعبة ورسول اللهﷺ ممنوع من الطواف بها!

واعتقد القرشيون أنّ جيش المسلمين في الحديبية لقمة سائغة فهم في قلّة عددهم بلا عدة حربية.

وأدرك رسول اللهﷺ نوايا قريش من رفضهم الصلح ومحاولة قتلهم سفيره خراش بن أميّة الخزاعي وهجمة جيشهم على المسلمين بقيادة عكرمة بن أبي

جهل، والهجوم الغادر عليهم من قبل خمسين آخرين ومحاولة خالد قتل المسلمين في الصلاة فنزلت آية:

﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ﴾[١].

ولخطورة الوضع ردّ عليهم رسول الله ﷺ بالوسائل التالية:

اجراء بيعة الرضوان التي بايع فيها المسلمون على الموت وعدم الفرار لتخويف المشركين الداعين للحرب.

والبيعة وسيلة جماهيرية تبين مكانة الزعيم في صفوف الناس وتعوّد المسلمين على أتباع هذه الطريقة دائماً، وتزيد من المحبة بين القائد وشعبه لذلك يخاف هذه البيعة المستبدون الظالمون.

فأدرك زعماء مكة أنّ هذه الحرب ستكون كبدر لا كأحد وعندها تتحطم رؤوسهم كما تحطم رأس عتبة وشيبة والوليد وأبي جهل وأميّة بن خلف وعتبة بن أبي معيط في بدر.

فتلك البيعة على الموت أخافت المشركين وخلعت افئدتهم وسلبتهم نومهم.

وهددهم رسول الله ﷺ بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام[٢] الذي قتل زعماءهم وابطالهم في بدر واحد والخندق وأنّ جولة اخرىٰ له ستمكنه من قتل رموزهم الآخرين مثل أبي سفيان وحكيم بن حزام وصفوان بن أميّة وخالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل.

وهذا التهديد النبوي لهم ثبّط عزائمهم ونشر الخوف في اوصالهم كيف لا

---

(١) النساء ١٠٢، البداية والنهاية ٤ / ١٩٠ - ١٩٥، تاريخ الطبري ٢ / ١٧٥ - ١٨٥، سيرة ابن دحلان ١ / ٤٨٣.

(٢) المستدرك للحاكم ٤ / ٢٩٨.

وعلي ﷺ لا يقف امامه احد فهو منصور بالعناية الإلهية وبلغت سمعته حداً اجازت لأبطال العرب كشف عوراتهم أمامه للهروب من سيفه، بينما كان العرب يهتمون بسمعتهم أكثر من أي شيء آخر.

واطلق رسول الله ﷺ سراح الأسرى القرشيين الخمسين المهاجمين للمسلمين تعبيراً عن حسن النية[1].

إنّ ذهاب عثمان بن عفان الى مكّة للعمرة بدعوة أبي سفيان كان من الأسباب الداعية لبيعة الرضوان لأنّه ذهب الى مكّة عناداً للنبي ﷺ وإرضاءً للحزب القرشي فاعتقد المشركون إنّ المسلمين مثل عثمان فأراد رسول الله ﷺ أن يبيّن هويّة الموحّدين ببيعتهم له في الرضوان على الموت، فخافت قريش وتراجعت.

كما كسب النبي ﷺ ودّ القرشيين في محادثاته ورسائله لقريش قائلاً:

لا تدعوني قريش اليوم إلى خطة يسألوني فيها صلة الرحم وهي من حرمات الله إلّا أعطيتهم إياها، وإن كان فيها تحمل المشقة[2].

كسب النبي ﷺ زعماء القبائل الحليفة والقريبة من قريش مثل ثقيف وخزاعة والاحابيش ففي حديثه مع عروة بن مسعود الثقفي (سيد ثقيف) تكلم بكل لطف لكسبه إلى جانبه ونجح في ذلك رغم اعمال أبي بكر والمغيرة إذ أهانه أبو بكر قائلاً له: امصص بظر اللات[3].

(١) عيون الأثر ٢ / ١٢٣ / ١٢٧، تاريخ الطبري ٢ / ٢٧٩ - ٢٨٣، سيرة ابن دحلان ١ / ٤٩٠ - ٤٩٥، البداية والنهاية ٤ / ١٩٠ - ١٩٤.

(٢) سيرة ابن دحلان ١ / ٤٨٤.

(٣) البداية والنهاية ٤ / ١٩٠، سيرة ابن دحلان ١ / ٤٩٠ - ٤٩٥، عيون الأثر ٢ / ١٢٣ - ١٢٧، تاريخ الطبري ٢ / ٢٨٠.

وضربه المغيرة بن شعبة على يده بالحديدة[١].

فقال عروة لقريش: إنّي والله ما رأيت ملكاً في قومه قط مثل محمد في أصحابه، ولقد رأيت قوماً لا يسلمونه لشيءٍ أبداً فروا رأيكم[٢].

لقد عمل عروة بن مسعود عملين راشدين لرسول الله ﷺ مرّة في اقناع قريش بالصلح من منطلق منزلته الاجتماعية العالية لكونه رئيس قبيلة ثقيف وزعيم الطائف ومرّة في محاولته اقناع قومه في دخول الإسلام فنجح في الاولىٰ واستشهد في الثانية على يد قومه[٣].

فقال رسول الله ﷺ: إنّ مثل عروة مثل صاحب آل ياسين[٤] فحقد الكافرون وبعض المسلمين على عروة لمحبته رسول الله ﷺ.

وانا أعجب من جرأة ذلك العبد[٥] الغادر (المغيرة) على الأشراف والزعماء إذ قتل أسياده من ثقيف غدراً وهم ثلاثة عشر شخصاً[٦] وهرب إلى المدينة معلناً الإسلام نفاقاً وضرب عروة بن مسعود الثقفي بالحديدة على يده في الحديبية[٧].

وضرب فاطمة بنت محمد ﷺ سيدة نساء العالمين في يوم الهجوم على بيتها[٨].

---

(١) المصادر السابقة.

(٢) المصادر السابقة.

(٣) تاريخ المدينة المنورة ١ / ٤٧٠، أسد الغابة ٣ / ٤٠٦، مغازي الواقدي ٣ / ٩٦١، الإصابة ٢ / ٤٧٠، سيرة ابن هشام ٤ / ٩٦٤.

(٤) تاريخ المدينة المنورة ١ / ٤٧٠، مغازي الواقدي ٣ / ٩٦١، الإستيعاب ٣ / ١١٢، سيرة ابن هشام ٤ / ٩٦٥.

(٥) شرح النهج ٢ / ٣١ - ٣٤، تاريخ المدينة، ١ / ٥٠٢.

(٦) سير اعلام النبلاء، الذهبي ٣ / ١٢٠، السيرة الحلبية ٣ / ١٥، شرح النهج ٤ / ٨.

(٧) البداية والنهاية ٤ / ١٩٠، عيون الأثر ٢ / ١٢٣ - ١٢٧.

(٨) شرح النهج ٦ / ٣٠.

وهو أوّل من دعا لترك مراسم جثمان النبي ﷺ والذهاب للسقيفة[١].

وفي زمن ولايته للكوفة في حكومة معاوية لعن المغيرة أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام في مسجد الكوفة لسنوات طويلة[٢].

ولا ادري لماذا أحبّه عمر وولّاه البحرين ثم البصرة ثم الكوفة[٣]؟ وهو يعلم أنّه فاسق، فكان مخلصاً لعمر وعثمان ومعاوية ويزيد.

وقد قال عمر: من استعمل فاجراً وهو يعلم أنّه فاجر فهو مثله[٤].

وورث ذلك الحب معاوية فجعله والياً على الكوفة إلى اللحظات الأخيرة من حياته.

وأحب المغيرة أبا بكر وعمر فهو أول من بايع أبا بكر في السقيفة[٥] وأول من سمّى عمر بأمير المؤمنين[٦].

وأحب يزيد بن معاوية فهو أول من دعا لبيعته[٧].

وكانت قريش تحب المكر والغدر وكانت دار الندوة مقراً لانعقاد جلسات قريش في يوم السبت فسمي يوم مكر وخديعة[٨]، وفي يوم السبت قرّروا اغتيال رسول الله ﷺ.

---

(١) البدء والتاريخ ١٣٩، شرح النهج ٦ / ٤٣.

(٢) البحار ٣٠ / ٦٥٣.

(٣) عبقرية عمر، العقاد ٤٢.

(٤) تاريخ عمر، ابن الجوزي ٥٦.

(٥) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٢٣ الإصابة، ابن حجر ١ / ٣٢٥.

(٦) مختصر تاريخ دمشق ١٨ / ٢٦١.

(٧) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٢١٤ - ٢١٥، تاريخ الطبري ٦ / ١٦٩ - ١٧٠.

(٨) سيرة ابن دحلان ١ / ٢٥٦.

وقال الإمام علي عليه السلام عن بيعة عبدالرحمن لعثمان: «خدعة وأيّما خدعة»[١].

ولمّا أرسل عثمان المغيرة إلى ثوّار العراق ومصر لإرضائهم قالوا له: يا أعور وراءك، يا فاجر وراءك، يا فاسق وراءك[٢].

ولما سأل الحجاج رجلاً عن عبدالملك بن مروان قال: ما أقول في رجل أنت سيّئة من سيّئاته[٣].

ومعرفة الأمراء بمعرفة أعوانهم أسهل طريقة منطقية عقلية. فالمغيرة وابن العاص ومعاوية يبيّنون شخصية الذي أرسلهم.

فولاة معاوية الفسقة مثل المغيرة وابن العاص وبسر بن أرطاة أكبر دليل على فسقه.

وكان حليس بن علقمة سيد الاحابيش من قوم يتألهون، فقدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الهدي امامه في قلائده قد أكل اوباره من طول الحبس فتأثر تأثراً كبيراً فأصبح في جانب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قائلاً:

يا معشر قريش والله ما على هذا حالفناكم ولا على هذا عاهدناكم، أيصد عن بيت الله من جاءه معظماً له؟ والذي نفس حليس بيده لَتُخلُّنَّ عن محمد وبين ما جاء له أو لأنفرنَّ بالأحابيش نفرة رجل واحد[٤] فخافت قريش وتنازلت عن

---

(١) تاريخ الطبري ٣ / ٣٠٢.

(٢) أنساب الاشراف ٥ / ١١١، ١١٢.

(٣) السيرة الحلبية ١ / ١٨٠.

(٤) البداية والنهاية ٤ / ١٩٠، سيرة ابن دحلان ١ / ٤٩٠ - ٤٩٥، عيون الأثر ٢ / ١٢٣ - ١٢٧، تاريخ الطبري ٢ / ٢٨٠، مغازي الذهبي ٣٧٠ - ٣٧٦، السيرة الحلبية ٣ / ١٠ - ١٥، سنن البخاري، كتاب المغازي، الأرشاد ١ / ١٢٠ - ١٢٣، تاريخ ابن الاثير ٢ / ٢٠٤ - ٢٠٨، سيرة ابن حبان ١ / ٢٨٠ - ٢٨٧.

تصميمها على الحرب وقالت له: مه كف عنّا نأخذ لأنفسنا ما نرضىٰ به[١].

وتحدّث رسول الله ﷺ مع بديل بن ورقاء سيد خزاعة وصحبه عن سبب مجيئه وعن الإسلام فكسبهم إلى جانبه.

فجاءوا قريشاً قائلين لهم: إنّه لم يأت يريد حرباً وإنّما جاء زائراً للبيت ومعظّماً لحرمته فاتهمتهم قريش وجبهتهم[٢] وأصبحت خزاعة في صف رسول الله ﷺ.

ولما وقّع ﷺ وثيقة الصلح اعلنت خزاعة عن حلفها مع المسلمين دون أي تأخير.

وتأثر سهيل وصحبه برسول الله ﷺ وبيعة الرضوان إذ رجع حويطب بن عبدالعزّىٰ وسهيل بن عمرو ومكرز بن حفص إلى قريش فأخبروهم نبأ اقدام أصحاب رسول الله ﷺ على البيعة، فدعىٰ أهل الرأي منهم إلى مصالحة محمد ﷺ[٣]

وتجاوب رسول الله ﷺ مع سهيل بن عمرو أفضل تجاوب ممكن فمحا عبارة رسول الله ﷺ من وثيقة الصلح رغم معارضة المسلمين ذلك.

ولما هرب أبو جندل بن سهيل بن عمرو ردّه رسول الله ﷺ إلى المشركين عملاً بشروط الصلح رغم معارضة المسلمين ذلك.

بطلب مَن ذهب عثمان إلى مكة؟

وكانت قريش قد دعت بعض المسلمين للطواف في الكعبة وزيارة مكة عناداً

---

(١) المصادر السابقة.

(٢) المصادر السابقة.

(٣) مغازي الواقدي ١ / ٦٠٥.

للنبي ﷺ فلبّىٰ ذلك عبدالله بن أُبيّ زعيم المنافقين وعثمان بن عفان.

فتدخّل عبدالله بن عبدالله بن أُبيّ فمنع أباه، قائلاً: لا تفضحنا بكل موطن أتطوف ولم يطف رسول الله ﷺ؟

والشخص الثاني الذي وافق على دعوة طغاة مكّة هو عثمان بن عفان فخاف الأمويون في زمن حكومتهم من افتضاح هذا الخبر واطّلاع الأمّة على خيانة عثمان لرسول الله ﷺ في قضية الحديبية فاختلقوا أحاديث أموية لذلك[1] لتحسين صورة عثمان.

فرُوِيَ زيفاً أنّ عثمان كان موفداً مع عشرة من المسلمين إلى مكة.

فقال الحلبي: لم أقف على اسمائهم![2] ولم يقف على اسمائهم سائر رجال الحديث والسيرة!

ولم يبايع رسول الله ﷺ بدلاً عنهم لزيف الموضوع!

إنّ عثمان لم يكن موفداً من قبل رسول الله ﷺ، بل ذهب بنفسه إلى مكة بدعوة قرشية، في حين ردّ عبدالله بن أُبيّ زعيم المنافقين دعوة قريش قائلاً:

لا أطوف حتىٰ يطوف رسول الله ﷺ[3]

وكان عبدالله بن عبدالله بن أُبي قد قال: يا رسول الله ﷺ أقتل أبي؟

فقال ﷺ: لا تقتل أباك[4].

إنّ العلاقة بين رسول الله ﷺ وعثمان قد ساءت كثيراً بعد فرار عثمان عن

---

(١) سيرة ابن دحلان ١ / ٤٩٢.

(٢) السيرة الحلبية ٣ / ١٦.

(٣) سيرة ابن دحلان ١ / ٤٩٢.

(٤) تاريخ المدينة، ابن شبة ١ / ٣٦٥.

معركتي بدر وأحد ثم إخفائه جاسوس المشركين والمُمثِّل بجثة حمزة (معاوية بن المغيرة بن أبي العاص)، وقتله رقية ربيبة رسول الله ﷺ[١].

من جانب آخر توثقت علاقة عثمان بقريش لأفعاله السابقة.

وتواترت أخبار غياب عثمان عن بيعة الرضوان وتلبيته دعوة أبي سفيان في العصر الإسلامي الأول لذا قال الطبري لإخفاء الحقيقة: «إنّ الذي كان من أمر عثمان باطل»[٢]..

ويعني بذلك ذهاب عثمان إلى مكة دون إذن رسول الله ﷺ وامتناعه عن بيعة الرضوان.

وقال رجل لعبد الله بن عمر: انشدك بحرمة هذا البيت أتعلم أنّ عثمان تخلف عن بيعة الرضوان؟[٣].

وهذا الأمر يبين ذهاب عثمان إلى مكة وانتشار هذا النبأ بين المسلمين ولكن الأمويين حاولوا طمس ذلك بالأكاذيب.

ومن الأكاذيب اشاعة مقتل عثمان ولا أدري من يقتله هناك أبو سفيان أُم معاوية أُم الحكم بن أبي العاص أُم الوليد بن عقبة بن أبي معيط وهم قادة المشركين وجميعهم من بني أميّة؟ وكيف يقتلوه وقد لبّى دعوتهم عناداً لرسول الله ﷺ والمسلمين!

الأدلّة على عدم بيعة عثمان في الرضوان:

---

(١) اقرأ هذا الموضوع في هذا الكتاب.

(٢) تاريخ الطبري ٢ / ٢٨٠.

(٣) تفسير السيوطي ٢ / ٨٦، لسان العرب ١٣ / ٨٢، سنن البخاري ٤ / ٢٠٣، تفسير القرطبي ٤ / ٢٤٥، البداية والنهاية ٤ / ٣١، النهاية ١ / ١٩١.

١ ـ قال ابن عباس عن عثمان والإمام علي عليه السلام : اتقرن يا معاوية رجلاً غاب عن بدر ولم يشهد بيعة الرضوان وفر يوم التقى الجمعان، ابن مخنث قريش [١] الذي لم يسل سيفاً، ولم يدفع عن نفسه ضيماً إلى قريع العرب وفارسها وسيف النبوة وحارسها أكثرها علماً وأقدمها سلماً[٢].

٢ ـ وعيّر عبدالله بن مسعود عثمان بن عفان قبل مقتله قائلاً:

لستُ كذلك، ولكن صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر ويوم بيعة الرضوان[٣].

مشيراً إلى غيابه في بدر والرضوان.

٣ ـ وأقدم عبدالرحمن بن عوف الزهري على تعييره بذلك أمام الناس وانتشر الخبر في الآفاق وفي كتب المسلمين إذ قال لعثمان في المسجد النبوي أمام المسلمين وفي صلاة الجمعة: والله ما شهدتَ بدراً، ولا بايعتَ تحت الشجرة، وفررت يوم حنين[٤]. ٤ ـ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله عن فرار عثمان وصحبه يوم أُحد :ولا تفرنّ يوم الزحف فإنّه مَنْ فرَّ يوم الزحف فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير[٥].

٥ ـ وقال المقداد بن عمرو في يوم الشورى أمام الناس جميعاً عن عثمان: لا تبايعوا رجلاً لم يشهد بدراً، ولم يبايع بيعة الرضوان وانهزم يوم احد يوم التقى الجمعان. ويقصد به عثمان.فقال عثمان: أمَ والله لئن وليتها لأردنَّك إلى ربّك الأول[٦].

---

(١) وسار عثمان على خطى ابيه فتشجع الغناء.اسد الغابة ٢ / ٢٧٩ .

(٢) أخبار الدولة العباسية ٤٩.

(٣) أنساب الاشراف ٥ / ٣٦، والغدير ٩ / ٣، المسترشد، ابن جرير الطبري ١٦٤، المستدرك ٣ / ١٠٥.

(٤) البحار ٣١ / ٢٨٨، تاريخ المدينة المنورة ٣ / ١٠٣١.

(٥) المستدرك الحاكم ٤ / ٤٤.

(٦) الامالي، المفيد ١١٤، مسند أحمد ٢ / ١٠١، الصراط المستقيم ٣ / ٣٤، كتاب الاربعين، القمي الشيرازي ٥٨٧.

وفعلاً وفى عثمان بقسمه وقتل المقداد في زمن حكمه!

٦ ـ وقال سالم بن عبدالله بن عمر: إنّ عثمان لم يشهد البيعتين كلتيهما بيعة الرضوان وبيعة الفتح[1].

وبذلك يكون الصحابة عبدالله بن مسعود والمقداد بن عمرو وعبدالرحمن بن عوف وابن عباس قد عيّروا عثمان أمام المسلمين بفراره في بدر واحد وبيعة الرضوان وبيعة فتح مكة، وايدهم الصحابة في هذا الموضوع.

ولإخفاء الحقيقة المرّة قال الأمويون أنّه ذهب سفيراً للنبي ﷺ! ولا يعقل قيام المسلمين بتعييره بفراره من بيعة الرضوان، وهو سفير رسول الله ﷺ.

وقال عبدالله بن مسعود: كنا نتذاكر في أمر الدجال فقال رسول الله ﷺ: إنّ في البيت لمن هو أشد على أمتي من الدجال، وقد مضى من كان في البيت يومئذٍ غيري وغير عثمان[2]!

ولا يعقل عاقل أن يكون فرار عثمان من معارك بدر واحد وخيبر وحنين وبيعة الرضوان وبيعة الفتح قد حدث صدفة.

لذلك أحبت قريش عثمان اكثر من عمر، فهو الذي اخفى طاغيتي المشركين معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بعد معركة بدر وعبدالله بن أبي سرح بعد فتح مكّة[3]. رغم ما في ذلك من خطورة على حياته وسمعته.

وقد يسأل القارىء اللبيب عن سبب طمس الحقائق وتغيير الوقائع في التاريخ الإسلامي فنحيل جوابه هذه المرة إلى أبي هريرة الذي يجيب قائلاً:

---

(١) الغدير ١٠ / ٧١، الرياض النضرة ٢ / ٩٤.

(٢) البحار ٣١ / ٢٨٢.

(٣) المستدرك، الحاكم ٣ / ٤٨.

حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين فأمّا أحدهما فبثثته وأمّا الآخر فلو بثثته قُطع هذا البلعوم[١]!

أي إنّ الذي يذكر الحقيقة يُقتل.

ولطمس الحقيقة فقد نشر الامويون الأكاذيب في زمن تسلّطهم على حكم المسلمين منها:

لقد وردت اشاعة قوية بمقتل عثمان بن عفان في مكة فصمم رسول الله ﷺ على حرب المشركين فاجرى بيعة الرضوان.

والراوي جراح بن المنهال أبو العطوف الجزري وقد كذبه البخاري ومسلم وابن المديني والدارقطني والنسائي وابن حبان هذا أوّلاً وكان شارباً للخمر ثانياً[٢] فهؤلاء جميعاً كذبوا تلك الرواية.

وفي رواية كاذبة اخرى أنّ رسول الله ﷺ ضرب بيسراه على يمينه بدل بيعة عثمان، وأنّ الكفار أخذ وا عثمان وعشرة مسلمين رهناً وأخذ المسلمون سهيل بن عمرو رهنا[٣].

الجواب: الرواية ضعيفة السند ولم يبايع النبي ﷺ للمسلمين العشرة المختلقين المرافقين لعثمان ولم يذكر أهل التاريخ أسماءهم؟

بينما كانت علاقة عثمان ببني أمية متينة فهو من قبيلتهم أوّلاً وابن عمّ أبي

---

(١) سنن البخاري ١ / ١٢٢ باب حفظ العلم ١١٨. والحلقوم مجرى النفس خروجاً ودخولاً والمرىء ممر الطعام والشراب وهو تحت الحلقوم، والبلعوم تحت الحلقوم. أراد أبو هريرة بالوعاء الأول ماحفظه من احاديث عامة واما الثاني فما حفظه من أخبار الفتن واشراط الساعة وما أخبر به الرسول من فساد الدين على يد الأمويين وافعال الظلمة بحق أهل البيت عليهم السلام فقال أبو هريرة: لو شئت ان أسميهم بأسمائهم.

(٢) لسان الميزان ٢ / ١٠٠.

(٣) البداية والنهاية ٤ / ٢٠٠ - ٢٠٣، تاريخ ابن خلدون ٢ / ٤٤٧، عيون الأثر ٢ / ١٢٣ - ١٢٦.

سفيان ثانياً، وثالثاً دفاع عثمان عنهم وإخلاصه لهم بوقوفه إلى جانب معاوية بن المغيرة بن أبي العاص الممثل بجسد حمزة وجاسوس قريش في معركة أحد بإخفائه له في بيته[١] أعظم دليل على انحيازه لهم.

والأسباب التي دعت إلى هذه الروايات الأموية الكاذبة هو ذهاب عثمان إلى مكة عناداً للنبي ﷺ.

وقد بين الصحابة كذب الأمويين يوم عدوا ذهاب عثمان الى مكة وفراره من بيعة الرضوان مثلبة من مثالبه وايد عثمان عصيانه بسكوته على اقوال الصحابة فيه.

بيعة الرضوان

ولمّا كان الرسول ﷺ يحمل راية الصلح والسلام في يد، ويحمل السيف في اليد الاخرى،تخويفاً وتهديداً لقريش نراه جمع أصحابه للبيعة تحت شجرة، فكانت بيعة الرضوان. فبايعوه بأجمعهم على الموت في نصرته.

وعلى أن لا يفرّوا، (وفيهم كهف المنافقين ابن سلول) لم يتخلف منهم إلاّ رجل يدعى الجد بن قيس الانصاري وعثمان ابن عفان.[٢]

وأقام رسول الله ﷺ والمسلمون في الحديبية بضعة عشر يوماً[٣] ومن شدّة حب المسلمين لبيعة الرضوان لاحقاً كانوا يصلون عند تلك الشجرة عند ما يمرون بها فأمر عمر بقطعها[٤].

---

(١) السيرة الحلبية ٢ / ٢٦٠، أنساب الاشراف ١ / ٣٣٧.

(٢) راجع البداية والنهاية ٤ / ٣١، ٣٢، السيرة الحلبية ٢ / ٩، السيرة النبوية، دحلان المرفقة بسيرة الحلبي ٢/١٦٥ - ١٨٣.

(٣) عيون الأثر ٢ / ١٢٥.

(٤) عيون الأثر ٢ / ١٢٥.

وبعد بيعة الرجال جرت بيعة النساء، وكانت بيعة النساء لرسول الله ﷺ تتمثل في أمره أمير المؤمنين علياً عليه السلام في طرح ثوب للنساء ثم مسحه ﷺ بيده، فكانت مبايعتهن للنبي ﷺ بمسح الثوب[١].

ومثلما تعهّد الرسول ﷺ بالصلح مع قريش، فقد وافق على شروطهم للسلام لحكمة إلهيّة. ولأجل اعتقاد المسلمين بنبوة محمد ﷺ، وحكمته، وأفعاله المسدّدة من الله تعالىٰ فقد سكتوا، ورضوا بشروط الهدنة[٢].

فكانت بيعة الحديبيّة أقوىٰ بيعة عقائدية جهادية، أجراها المسلمون في حياتهم ألقت الخوف والروع في قلوب الكافرين.

إعتراض على بنود صلح الحديبية

لقد فرح رسول الله ﷺ بقدوم سهيل بن عمرو ممثلاً لقريش لمعرفته برغبة سهيل في الصلح.

وفعلاً كان سهيل مخوّلاً في إمضاء عقد الصلح وعرف عمر بن الخطّاب بذلك أيضاً فغضب ورغب في اغتيال سهيل وستلاحظ في الموضوع القادم أنه أغرى ابنه بقتله لماذا؟

الجواب: إنّ عمر احب قريشاً ولا يرغب بانتصار أحد عليها لذا رفض سفارة سهيل ورغب في سفارة رجل متشدد من قريش يقف أمام طموحات المسلمين في فتح مكّة عنوة.

---

(١) الأرشاد، ١ / ١١٩.

(٢) راجع تاريخ اليعقوبي ٢ /٥٥ والسيرة الحلبية ٢/١٩.

واستمر عمر في كرهه لسهيل بن عمرو رغم موقفه الشريف في الحديبية وبعد مقتل رسول الله ﷺ إذ ارتد القرشيون وثبت سهيل ودعاهم للاسلام.

لذلك لم يعين عمر في زمن حكمه سهيلاً في أي منصب ولم يهتم به وأخرجه إلى الشام جندياً عادياً فمات فيها في ظروف غامضة فقيل قتل وقيل مات بالطاعون[1]. وقد يكون من الذين قتلتهم الدولة انتقاماً لمواقفهم.

وكان الطرف الإسلامي يودُّ الصلح وكذلك بعض القرشيين وخزاعة والأحابيش وزعيم ثقيف. وهذه الجبهة هي التي أجبرت قريشاً على السلام.

وكان قادة قريش وجواسيسهم يودّون الحرب لاعتقادهم بأنّ الخاسر فيها هم المسلمون! وعمر وأبو بكر والمغيرة وعثمان من مخالفي الصلح!

وبعد الصلح خالف عمر بن الخطاب تلك الشروط إذ جاء في تفسير عبدالرحمن السيوطي في تفسير سورة الفتح: فقال عمر بن الخطاب:

ما شككت منذ أسلمت إلّا يومئذ، فأتيت النبي ﷺ فقلت: ألست نبي الله؟

قال: بلى.

فقلت: ألسنا على الحق، وعدونا على الباطل؟

قال: بلى.

قلت: فلِمَ نعطي الدنية في ديننا إذن؟

قال: إنّي رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري.

قلت: أوليس كنت تحدّثنا: أنّا سنأتي البيت ونطوف به.

قال: بلى، أفاخبرتك أنك تأتيه العام؟

---

(١) اسد الغابة ٢/٤٨٠.

قلت: لا.

قال ﷺ: إنَّك آتيه ومطوف به[١].

أمَّا عمر فقد غفل عن كل هذا، وأخذ يعامل الرسول ﷺ كرجل عادي، وهو غافل عن كونه رسول الله ﷺ إذ أخذته الحميَّة في هذا المجال وغضب، فقال: يا أبا بكر: أليس هو رسول الله؟

قال: بلىٰ.

قال أولسنا بالمسلمين؟

قال: بلىٰ.

قال: أليسوا بالمشركين؟

قال: بلىٰ.

قال: فعلىٰ مَ نعطي الدنيَّة في ديننا.

فقال له أبو بكر: أيُّها الرجل إنَّه رسول الله، وليس يعصي ربَّه، وهو ناصره استمسك بغرزه (أي استمسك بطاعته) حتَّىٰ تموت فإنِّي أشهد إنَّه رسول الله[٢].

وأخرج البخاري -في آخر كتاب الشروط من صحيحه- حديثاً جاء فيه، أنه قال: فقلت ألست نبي الله حقاً؟ قال: بلىٰ. قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل. قال: بلىٰ. قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذاً؟

قال ﷺ: إنِّي رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري.

قلت: أوليس كنت تحدِّثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به.

قال ﷺ: بلىٰ أفأخبرتك أنَّا نأتيه العام؟

---

(١) المغازي، الواقدي ٦٠٧/١.

(٢) السيرة الحلبية. ج ١٩/٢ السيرة النبوية، دحلان، المرفقة بسيرة الحلبي ١٦٥/٢ - ١٨٣.

قلت: لا.

قالﷺ: فإنّك آتيه ومطوف به[١].

قال عمر: فأتيت أبا بكر فقلت: يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقّاً؟

قال: بلىٰ.

قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟

قال: بلىٰ. قلت: فلم نعطي الدنيّة في ديننا إذاً؟

قال: أيُّها الرجل إنّه لرسول الله، وليس يعصي ربّه، وهو ناصره، فاستمسك بغرزه، فوالله إنّه لعلى الحقّ.

فقلت: أليس كان يحدّثنا أنّا سنأتي البيت ونطوف به؟

قال: بلىٰ. افأخبرك أنّك تأتيه العام؟ قلت: لا. قال: فإنّك آتيه ومطوّف به.

قال عمر: فعملت لذلك أعمالاً[٢] (ضد صلح الحديبية) فغضب رسول اللهﷺ إذ قال البخاري: إنّ رسول الله كان يسير في بعض أسفاره في العودة من الحديبية، وكان عمر بن الخطاب يسير معه ليلاً، فسأله عمر بن الخطاب عن شيء، فلم يجبه رسولُ اللهﷺ، ثم سأله فلم يجبه، ثم سأله فلم يجبه.

فقال عمر بن الخطاب: ثكلتك أمك يا عمر نزرت رسول اللهﷺ ثلاث مرّات كل ذلك ولا يجيبك.

قال عمر: فحركت بعيري ثم تقدمت أمام المسلمين، وخشيت أن ينزل فيَّ

---

(١) فلما كان عام الفتح وأخذ المفتاح قالﷺ: ـ كما في السيرة الحلبية ـ ادعوا لي عمر بن الخطاب فلمّا أتاه قال: يا عمر هذا الذي قلت لكم. ولمّا كان في حجّة الوداع ووقفﷺ بعرفة استدعىٰ عمر ايضاً فقال له: هذا الذي قلت لكم. صحيح البخاري، آخر كتاب الشروط.

(٢) سيرة الحلبي في غزوة الحديبية، البداية والنهاية، ابن كثير ٤/ ٢٠٠.

قرآن[١]..

وكانت هذه الحادثة عند نزول سورة الفتح بعد عودة النبي ﷺ والمسلمين من الحديبية[٢].

وقد بلغ غضب النبي ﷺ على عمر وأعماله أنّه ﷺ لم يكلّم عمر، وترك اسئلته ثلاث مرّات.

وقال الشعبي في قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً﴾[٣].

هو فتح الحديبية، لقد أصاب فيها مالم يُصب في غزوة[٤] كذلك قال الترمذي وابن مسعود والفراء والضحاك ومجاهد[٥].

والأعمال التي قام بها عمر لاحقاً معارضة منه لصلح الحديبية المتضمنة لبيعة الرضوان وتبين حقده على هذه المعاهدة! هي:

قطع شجرة الرضوان التي بايع المسلمون تحتها رسول الله ﷺ وهدّد كل من صلّىٰ عندها[٦]!

فنلاحظ اتفاق وجهة نظر عثمان وعمر في قضية الحديبية فعثمان لم يبايع فيها، وعمر منع الناس من الصلاة تحت الشجرة ثمّ قطعها لمّا رأىٰ عدم الكفّ عن الصلاة تحتها. والسبب يكمن في عدم رغبة عمر في فتح مكة عنوةً ورغب الكافرون

(١) البداية والنهاية، ابن كثير الدمشقي ٤/ ٢٠٢، دار احياء التراث العربي - بيروت، تفسير ابن كثير، سورة الفتح ٤/ ٢٩٦، ورواه الترمذي والنسائي، دار احياء التراث العربي، بيروت.

(٢) تفسير الكشاف، الزمخشري ٤/ ٣٣١، سورة الفتح.

(٣) الفتح : ١.

(٤) تفسير القرطبي ١٦/ ٢٦٠.

(٥) المصدر السابق.

(٦) شرح نهج البلاغة ١/ ٥٩.

والمنافقون يومها في الحرب لقلّة عدد وعدّة المسلمين. و لأنّ الفتح الإسلامي يقلّل من احترام قريش بين قبائل العرب. وهو منطق زعماء مكة.

ودعا عمر أبا جندل لقتل أبيه سهيل بن عمرو بن عبدشمس بن عبدُود العامري[١].

وقال ما شككت إلّا يومئذٍ[٢]. وقال عمر في خلافته لابن عباس عن صلح الحديبية: ارتبت ارتياباً لم أرتبه منذ أسلمتُ إلّا يومئذٍ، ولو وجدت ذلك اليوم شيعةً تخرج عنهم رغبة عن القضية لخرجت[٣].

أي إنّ عمر لو وجد انصاراً لثار بهم على النبي محمد ﷺ وعلى الإسلام! لأنه ارتاب في ذلك اليوم وشكك في صحة رسالة النبي ﷺ! كما قال[٤].

فخاف عمر من ان يفضحه الله تعالىٰ فقال: خشيت أن ينزل فيَّ قرآن[٥].

ولمّا جعل عمر يردُّ على رسول الله ﷺ الكلام قال له أبو عبيدة بن الجراح: ألا تسمع يا ابن الخطاب رسول الله ﷺ ما يقول، نعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

فقال الرسول ﷺ يومئذ: يا عمر إنّي رضيت وتأبى[٦]؟

شروط الصلح

ولما اتّفق رسول الله ﷺ وسهيل بن عمرو على وثيقة الصلح دعا رسول

---

(١) السيرة الدحلانية ٤٨٨/١ـ٤٩٤.

(٢) تفسير السيوطي سورة الفتح.

(٣) مغازي الواقدي ٦٠٧/١، موضوع غزوة الحديبية.

(٤) تاريخ الخميس ٢ / ٢٠، البداية والنهاية ٤ / ٢٠١ – ٢٠٣.

(٥) البداية والنهاية، ابن كثير ٢٠٢/٤.

(٦) النص والاجتهاد ١٧٤.

الله ﷺ علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم.

فقال سهيل: لا أعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللّهم.

وقال رسول الله ﷺ: اكتب باسمك اللهم هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ﷺ وسهيل بن عمرو.

فقال سهيل: لو شهدت إنّك رسول الله ﷺ لم أقاتلك، ولكن اكتب محمد بن عبدالله.

ولم يمحها علي عليه السلام فمحاها رسول الله ﷺ بيده وقال لعلي: تدعى لمثلها فتجيب.

لقد حاول عمر وعثمان جهدهم في حادثة الحديبية دون هزيمة قريش حبّاً منهما لها، ورغبة منهما في الحيلولة دون فتح مكّة عنوة، فقد رغب عمر وعثمان في الحرب مع جيش مكّة وكذلك رغّب زعماء مكّة في الحرب أيضاً.

وكانت القيادة المكّية تعتقد بانتصارها في أي حرب حاصلة في الحديبية لقلّة عدد المسلمين وكثرة عدد الكافرين، وتفوّق قريش في العدّة العسكرية، وقرب المكان من مكّة، لذا سعىٰ عمر بوسائل مختلفة لاختلاق تلك الحرب بوسائل مختلفة على رأسها قتل سفير قريش سهيل بن عمرو.

وسعىٰ عثمان لتفتيت صفوف المسلمين بذهابه للعمرة في مكّة بدعوة مكّية، ولو ذهب ابن أُبي معه للعمرة مع جماعته من المنافقين لحصل شرخ كبير في الجيش الإسلامي، وهذا ما تريده القيادة القرشية.

ولكن جهود عبدالله بن عبدالله بن أُبيّ الفاضلة حالت دون ذهاب أبيه للعمرة، في حين ذهب عثمان إليها.

ولمّا فهم رسول الله ﷺ المطلب القرشي في تحطيم الوحدة الإسلامية دعا

لبيعة الرضوان الداعية للموت دفاعاً عن النبيﷺ والإسلام.

فكانت تلك البيعة أفضل ردّ إسلامي على الغايات القرشية الماكرة، مكّنت المسلمين من الخروج من الأزمة بسلام.

وكانت قريش معروفة بكيدها ودهائها في الوصول إلى أهدافها الرذيلة، وكانت الخطّة العمرية الرامية لقتل سفير قريش أقوىٰ خطّة قرشية رسمتها زعامة مكّة في الحديبية.

ولولا الحكمة التي تحلّىٰ بها أبو جندل بن سهيل بن عمرو في رفضه قتل أبيه السفير لنجح عمر بن الخطّاب في ذلك المضمار.

الفصل الرابع:

محاولة اغتيال النبيﷺ في العقبة

محاولة اغتيال النبيﷺ

لمّا رجع رسول الله قافلاً من تبوك إلى المدينة، حتّى إذا كان ببعض الطريق، مكر به ناس من أصحابه، وتآمروا أن يطرحوه في العقبة[1] وأرادوا أن يسلكوها معه لهذه الغاية، فأُخبِر رسول الله خبرهم، فقال لأصحابه من شاء منكم أن يأخذ بطن الوادي فإنّه أوسع لكم.

فأخذ النبيﷺ العقبة، وأخذ الناسُ بطن الوادي إلّا النفر الذين أرادوا المكر به، فقد استعدوا وتلثموا، وأمر رسولُ اللهﷺ حذيفة بن اليمان وعمّار بن ياسر فمشيا معه مشياً، وأمر عمّاراً أن يأخذ بزمام الناقة، وحذيفة يسوقها، فبينما هم يسيرون، إذ سمعوا وكزة القوم من ورائهم، قد غشوهم.

---

(١) العقبة: مرقىً صعب من الجبال، والطريق في أعلاها، والجمع عقاب وعقبات وواحدها العَقَب. أقرب الموارد ٨٠٧/٢.

فغضب رسولُ الله ﷺ، وأمر حذيفة أن يراهم، ويتعرَّف عليهم، فرجع ومعه محجن، فاستقبل وجوه رواحلهم، وضربها بالمحجن، وأبصر القومَ وهم متلثمون، فأُرعبوا حين أبصروا حذيفة، وظنُّوا أنَّ مكرهم قد ظهر، فأسرعوا حتَّىٰ خالطوا الناس.

وأقبل حذيفة حتَّىٰ أدرك رسول الله، فلمَّا أدركه، قال ﷺ: إضرب الناقة يا حذيفة، وامش أنت يا عمَّار، فأسرعوا وخرجوا من العقبة، ينتظرون الناس.

فقال النبي ﷺ يا حذيفة هل عرفت أحداً منهم؟

فقال حذيفة: عرفت راحلة فلان وفلان، وكانت ظلمة الليل قد غشيتهم وهم متلثّمون.

فقال رسولُ الله ﷺ: هل عرفت ما شأنهم وما يريدون؟

قال حذيفة: لا يا رسول الله.

قال ﷺ: فإنّهم فكّروا أن يسيروا معي، حتىٰ إذا صرت في العقبة طرحوني فيها!

فقال حذيفة: فلا ترأف بهم إذا جاءك الناس.

قال: أكره أن يتحدَّث الناس، ويقولوا: إنَّ محمداً قتل أصحابه، ثمَّ سمّاهم بأسمائهم(١).

وفي كتاب أبان بن عثمان بن عفان، قال الأعمش: وكانوا اثني عشر، سبعة من قريش.

(١) السيرة الحلبية ١٤٣/٣ طبعة دار احياء التراث العربي ـ بيروت، ودلائل النبوة لابي بكر أحمد البيهقي ٢٦٠/٥ ـ ٢٦٢ طبع دار الكتب العلمية ـ بيروت. وأخرجه مسلم في ص ٥٠ كتاب صفات المنافقين واحكامهم. كتاب أبان بن عثمان.

قال حذيفة: لو حدّثتكم بحديث لكذبني ثلاثة أثلاثكم[١].

ففطن له شاب، فقال: من يصدّقك إذا كذبك ثلاثة أثلاثنا! فقال: إنّ أصحاب محمدﷺ كانوا يسألون رسول اللهﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر.

فقيل له: ما حملك على ذلك؟

فقال حذيفة: إنّه من عرف الشر، وقع في الخير[٢].

وقال الحسن بن عليعليه السلام: «يوم أوقفوا الرسولﷺ في العقبة ليستنفروا ناقته كانوا اثني عشر رجلاً منهم أبو سفيان»[٣].

وذكر ابن عبد البر الأندلسي في كتابه الإستيعاب: كان أبو سفيان كهفاً للمنافقين منذ أسلم[٤].

وروىٰ مسلم في صحيحه عن الوليد بن جميع عن أبي الطفيل: قال: وفي مسند حذيفة بن اليمان عن أبي الطفيل «كان بين رجل من أهل العقبة وبين حذيفة بعض ما يكون بين الناس، فقال: أنشدك الله، كم كان أصحاب العقبة؟ فقال له القوم أخبره إذ سألك؟

فقال حذيفة: كنا نخبر أنهم أربعة عشر، فإن كنت منهم فقد كان القوم خمسة عشر[٥].

لقد أخفىٰ ناشر كتاب مسلم ذكر اسم ذلك الرجل وهو أبو موسى الأشعري،

---

(١) البحار ٢١ / ٢٤٨.

(٢) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، ابن منظور ٦ / ٢٥٩.

(٣) كتاب المفاخرات، الزبير بن بكار، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٢ / ١٠٣، ط. دار الفكر ١٣٨٨ هـ.

(٤) الإستيعاب ٢ / ٦٩٠، المغازي النبوية ٣ / ١٠٤٢، مجمع البيان ٣ / ٤٦، امتاع الأسماع ١ / ٤٧٧، تفسير ابن كثير ٢ / ٦٠٢، ٥ - ٦٠، طبع دار احياء التراث العربي - بيروت.

(٥) تفسير ابن كثير ٢ / ٥ - ٦٠، كنز العمال، المتقي الهندي ١٤ / ٨٦.

وذكره صاحب كتاب كنز العمال[١] ولو كان من الأنصار لذكر اسمه حفظاً للأمانة الشرعيّة؟!

ووفق رواية حذيفة بن اليمان كان في هؤلاء الرجال أبو بكر وعمر وعثمان وطلحة وسعد بن أبي وقاص[٢]، إضافة للأشعري وأبي سفيان اللذين ذكرناهم.

وذكر البيهقي عن عروة بن الزبير قائلاً:

ورجع رسول الله ﷺ قافلاً من تبوك إلى المدينة، حتىٰ إذا كان ببعض الطريق مَكَرَ برسول الله ﷺ ناسٌ من أصحابه فتآمروا [عليه] أن يطرحوه في عَقَبةٍ في الطريق فلما بلغوا العقبة أرادوا أن يسلكوها معه، فلما غَشِيَهم رسول الله ﷺ أُخْبِرَ خبرهم.

فقال: من شاء منكم أن يأخذ بطن الوادي فإنه أوسَعُ لكم، وأخذ النبي ﷺ العقبة، وأخذ الناس بطن الوادي إلاّ النَفَرَ الذين مَكَرُوا برسول الله ﷺ لمّا سمعوا بذلك استعدُّوا وتلثّموا، وقد همُّوا بأمرٍ عظيم.

وأمر رسول الله ﷺ حُذَيْفة بن اليمان، وَعمّار بن ياسر، فمشيا معه مشياً، وأمر عماراً أَنْ يأخذ بزمامِ الناقة، وأمر حذيفة أن يسوقها فبينا هم يسيرون إذ سمعوا بالقوم من ورائهم قد غشوهم فغضِبَ رسولُ الله ﷺ، وأمرَ حذيفة أن يردهم.

وأبصر حذيفة غضبَ رسول الله ﷺ، فرجع ومعه محجن، فاستقبل وجوه رواحلهم، فضربها ضَرْباً بالمحجن، وأبصر القومَ وهم متلثمون، لا يشعرُ إنما ذلك فِعْل المسافر، فَرعَّبهم الله عزّوجلّ حين أبصروا حذيفة، وظنوا أن مكرهم قد ظهرَ عليه، فأسْرعوا حتىٰ خالطوا الناسَ.

---

(١) كنز العمال، ١٤ / ٨٦ طبع مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

(٢) المحلى، ابن حزم الأندلسي ١١/٢٢٥ طبع دار الفكر، وابن حزم قد توفي سنة ٤٥٦ هجرية.

وأقبل حذيفة حتىٰ أدرك رسول الله ﷺ، فلما أدْركه قال: إضرب الراحلة يا حذيفة، وامشِ أنت يا عَمَّارُ، فأسرعوا حتى استوى بأعلاها فخرجوا من العقبة ينتظرون الناس.

فقال النبي ﷺ: لحذيفة: هل عرفت أحداً من هؤلاء الرهط أو الركب؟

قال حذيفة: عرفت راحلةَ فلان وفلان، وكانت ظُلْمَةُ الليل، قد غشيتهم وهم متلثمون.

والمقطع الصحيح ذكره اليعقوبي أنّ حذيفة قال: إنّي لأعرف أسماءهم وأسماء آبائهم وقبائلهم[1].

والظاهر أنّ الناسخ هو الذي محا أسماءهم؛ لأنّ القضية كانت شائعة إلى درجة إقدام ابن حزم الناصبي على ذكر اسمائهم.

فقال النبي ﷺ: هل علمتم ما كان شأنُ الركب وما أرادوا؟

قالوا: لا والله يا رسول الله.

قال النبي ﷺ: فإنهم مكروا ليسيروا معي حتىٰ إذا أظلمت في العقبة طرحوني منها.

قالوا: أفلا تأمرُ بهم يا رسول الله إذا جاءك الناس فتَضْرب أعناقهم؟

قال النبي ﷺ: أكره أن يتحدّث الناس ويقولوا إن محمداً قد وضع يده في أصحابه، فسماهم لهما، وقال: أُكتماهم[2].

إذن كان حذيفة وعمار يعرفان أسماء المنافقين.

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٦٨.

(٢) نقله الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٥: ١٩)، عن المصنف، وقد روى الخبر الإمام أحمد عن أبي الطفيل، وابن سعد عن جبير بن مطعم، دلائل النبوة، البيهقي ٥/٢٥٦، ٢٥٧ طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت.

وقد عودنا الرواة والنسّاخ والناشرون على وضع كلمتي فلان وفلان بدل أبي بكر وعمر.

وقد ذكر ابن أبي الحديد المعتزلي عمر وعثمان بدل فلان عند ذكر المنهزمين من معركة أحد[١].

رواية ابن حزم الأندلسي

وكشف حذيفة بن اليمان العَبْسِي (صاحب سر النبيﷺ كما وصفه الخليفة عمر)[٢] محاولة بعض الصحابة قتل النبيﷺ في غزوة تبوك، وذلك بالقائه من العقبة[٣] في الوادي.

وقد ذكر بن حَزْمٍ الأندلسي المتوفّىٰ سنة ٤٥٦ هـ هذه الحادثة في كتابه المحلّىٰ قائلاً:

«وأمّا حديث حذيفة فساقط؛ لأنّه من طريق الوليد بن جميع، وهو هالك، ولا نراه يعلم من وضع الحديث؛ فإنّه قد روىٰ أخباراً فيها أنّ أبا بكر وعمر وعثمان وطلحة وسعد بن أبي وقاص أرادوا قتل النبيﷺ، وإلقاءه من العقبة في تبوك، ولو صحّت لكانت بلا شك على ما بيّنا من أنّهم صَحَّ نفاقهم، وعاذوا بالتوبة، ولم يقطع حذيفة ولا غيره على باطن أمرهم، فتورَّع عن الصلاة عليهم»[٤].

والوليد بن جميع هو الوليد بن عبد الله بن جُميع.جاء في كتاب ميزان الإعتدال

---

(١) نظريات الخليفتين، المؤلف ٢/٢٦٦، شرح النهج، المعتزلي ٣/ ٣٩٠ طبع دار الكتب العلمية ـ مصر.

(٢) أسد الغابة، ابن الاثير، ترجمة حذيفة ١/٤٦٨، طبعة دار احياء التراث العربي ـ بيروت.

(٣) العقبة: الجبل الطويل يَعْرِضُ للطريق فيأخُذُ فيه وهو طويل صعبٌ شديد. لسان العرب لابن منظور ١/٦٢١.

(٤) المحلى، ابن حزم الأندلسي ١١/٢٢٥.

للذهبي: الوليد بن جُميع وثَّقه إبنُ معين، والعجلي.

وقال أحمد، وأبو زرعة ليس به بأس.

وقال أبو حاتم: صالح الحديث [١].

وجاء في كتاب الجرح والتعديل للرازي [٢]: عن إسحاق بن منصور، عن يحيى بن معين، الوليد بن جميع ثقة.

وذكره ابن حجر العسقلاني في الإصابة في جملة رواته [٣].

وذكره ابن كثير في جملة رواته الثقات [٤].

وذكره مسلم في صحيحه في جملة رواته الثقات [٥].

ولمّا كان الحاكم قد اطّلع على حديث حذيفة المذكور بواسطة الوليد بن عبد الله بن جُميع، فقد قال: «لو لم يذكره (أي الحديث) مسلم في صحيحه لكان أولى» [٦].

وهذا يعني أنّ الوليد بن جميع ثقة في نظر الحاكم ولكنه منزعج منه لذكره الحديث المذكور. فالحاكم يريد منه أنّ يذكر بعض الأحاديث ويكتم البعض الآخر الفاضح لزعماء السياسة! والمبيّن لحقيقة الأوضاع.

إذن وفق رأي مسلم، والذهبي، وابن معين، والعجلي، وأبي زرعة، وأبي حاتم، والرازي والحاكم وابن حجر يكون سند الحديث صحيحاً، فهؤلاء يوثّقون حذيفة بن اليمان، والوليد بن جميع.

---

(١) ميزان الإعتدال ٣٣٧/٤ رقم ٩٣٦٢ طبع دار المعرفة ـ بيروت.

(٢) الجرح والتعديل ج ٨/٩ طبع دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(٣) الإصابة ج ٤٥٤/١.

(٤) البداية والنهاية ٣٦٢/٤، ٣١٠/٥، ٢٢٥/٦.

(٥) صحيح مسلم ١٤١٤/٣ حديث ٩٨ ـ ١٧٨٧ طبعة دار احياء التراث العربي ـ بيروت.

(٦) المحلى لابن حزم ٢٢٥/١١.

وقطع ابن حزم الأندلسي بعدم صلاة حذيفة على أبي بكر وعمر وعثمان إذ قال:

«ولم يقطع حذيفة ولا غيره على باطن أمرهم فتورَّع عن الصلاة عليهم»[(١)].

وحُذيفة صاحب سر النبي ﷺ، وكان عمر يسأله إذا مات ميت، فإن حضر الصلاة عليه صلَّىٰ عليه عمر، وإن لم يحضر حذيفة الصلاة عليه لم يحضر عمر[(٢)]. لتحريم الصلاة على المنافقين في قوله تعالىٰ: **﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾**[(٣)].

إنّ الذي مات في زمن عمر وحذيفة هو أبو بكر. وقطع ابن حزم الأندلسي بعدم صلاة حذيفة عليه، طاعة للآية القرآنية.

وكذلك لم يصل المسلمون على جثمان عثمان إلّا أربعة[(٤)]، وعثمان من أصحاب العقبة.

وذكر ابن عساكر صاحب تأريخ دمشق أيضاً، أنَّ حذيفة لم يصلِّ على فلان[(٥)] أي أبا بكر وهذه عادة معروفة مع الشيخين أبي بكر وعمر. والظاهر أن ابن عساكر ذكره والناسخ أو الناشر أبدله بفلان!

وقد صرّح النبي ﷺ[(٦)] وعلي عليه السلام وعمر[(٧)] بمعرفة حذيفة بن اليمان بأسماء

---

(١) المحلى، ابن حزم الأندلسي ٢٥٥/١١.

(٢) الاستيعاب، ابن عبد البر ٢٧٨/١ بهامش الإصابة وأسد الغابة، ابن الأثير ٤٦٨/١، السيرة الحلبية ١٤٣/٣، ١٤٤.

(٣) التوبة: ٨٤. ولم يصلِّ عليهم أمير المؤمنين علي عليه السلام.

(٤) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٧٦.

(٥) مختصر تاريخ دمشق، ابن عساكر ٢٥٣/٦، طبعة دار الفكر الأولىٰ ـ دمشق.

(٦) مختصر تاريخ دمشق ٢٥٣/٦، المستدرك، الحاكم ٣٨١/٣.

(٧) المصدر السابق.

المنافقين، فقد قال علي عليه السلام: ذاك امرؤ علم المعضلات والمفصّلات، وعلم أسماء المنافقين، إن تسألوه عنها تجدوه بها عالماً[1].

وحذيفة لم يخبر أحداً بأسماء المنافقين، لكنه لم يصلِّ عليهم! والمقصود بهم هنا مجموعة المهاجمين للنبي صلى الله عليه وآله في العقبة.

قال حذيفة: مرَّ بي عمر بن الخطاب وأنا جالس في المسجد فقال لي:

يا حذيفة! إنّ فلاناً[2] قد مات فاشهده.

ثم مضىٰ، إذ كاد أن يخرج من المسجد، التفت إليَّ فرآني وأنا جالس فعرف، فرجع إليَّ فقال: يا حذيفة أنشدك الله أمن القوم أنا؟

قلت: اللهم لا ولن أبرئ أحداً بعدك.

قال: فرأيت عيني عمر جاءتا[3].

أي عرف عمر عدم رغبة حذيفة بالصلاة على جثمان أبي بكر؛ لكونه من أصحاب العقبة. ولو صرح حذيفة باسم عمر في جملة أصحاب العقبة لقتله.

واستمر عمر وأصحابه في التجسس على الشاهدين والعارفين بأسماء منافقي العقبة لتصفيتهم وهذه عادة معروفة في حوادث التاريخ.

فرونى ابن عساكر: «دخل عبدالرحمن بن عوف على أمّ سلمة رضي الله عنها، فقالت:

---

(١) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، ابن منظور ٦/٢٥٢، أسد الغابة، ابن الأثير ترجمة حذيفة ١/٤٦٨ طبعة دار احياء التراث العربي ـ بيروت، تاريخ دول الإسلام، شمس الدين الذهبي ص ٢٢.

(٢) أي أبا بكر.

(٣) مختصر تاريخ دمشق ٦/٢٥٣، طبعة دار الفكر الأولىٰ ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م، وكان عمر إذا مات ميت سأل عن حذيفة، فإن حضر الصلاة عليه صلّىٰ عليه عمر، وإن لم يحضر حذيفة الصلاة عليه لم يحضر عمر، الاستيعاب، ابن عبد البر الأندلسي ١/٢٧٨ بهامش الإصابة، أسد الغابة، ابن الأثير ١/٤٦٨، السيرة الحلبية ٣/١٤٣.

سمعت النبي ﷺ يقول: إنّ من أصحابي لمن لا يراني بعد أن أموت أبداً.

فخرج عبد الرحمن من عندها مذعوراً، حتىٰ دخل على عمر.

فقال له: إسمع ما تقول أمك.

فقام عمر حتىٰ دخل عليها، فسألها، ثمّ قال أنشدك الله أمنهم أنا؟

قالت: لا ولن أُبرئ بعدك أحداً[١].

وكان ابن عوف وعمر من رجال العقبة[٢]. لذلك ذعرا من قول أُم سلمة وتركا شغلهما وجاءا لها يسألانها.

والظاهر أنّ عمر كان خائفاً جداً من هذا الموضوع بحيث سأل عنه حذيفة وأمّ سلمة! ولقد وقع حذيفة وأمُّ سلمة في حرج شديد من سؤال عمر الخطير لهما وأنّ هذا الحرج يتضح من قولهما له: لن أبرئ بعدك أحداً.

وقال نافع بن جبير بن مطعم بن نوفل القرشي (وأبوه كان من أعداء النبي ﷺ وهو الذي أمر بقتل حمزة): من افتضاح أمر المنافقين فقال «لم يخبر رسولُ الله ﷺ بأسماء المنافقين، الذين بخسوا به ليلة العقبة بتبوك غير حذيفة، وهم إثنا عشر رجلاً»[٣].

ولقد أضافوا إلى حديث ابن عساكر شيئاً لم يكن موجوداً في أصله، وهو: ليس فيهم قرشي، وكلهم من الأنصار أو من حلفائهم؟! ليبعدوا الشبهة عن قريش، ويضعوها على عاتق الأنصار، كما فعلوا ذلك في حوادث عديدة!

إذ ادعوا قيام العباس بن عبدالمطلب بسقي النبي ﷺ شراباً (سمّاً) قبل

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ٣٣٤/١٩. ولو اعترفت لقتلت والحقت بفاطمة ﷺ وسعد بن عبادة.

(٢) منتخب التواريخ ص٦٣.

(٣) مختصر تاريخ ابن عساكر ٢٥٣/٦، المستدرك الحاكم ٣٨١/٣.

موته[1]، ومنها السقيفة! إذ اتّهموا زوراً سعد بن عبادة بمحاولة اغتصاب السلطة.

في حين قاموا هم بسقي النبي ﷺ الشراب القاتل[2]، واغتصاب السلطة.

وقال حذيفة: لو كنت على شاطىء نهر، وقد مددت يدي لأغرف، فحدَّثتكم بكلّ ما أعلم، ما وصلت يدي إلى فمي، حتّى أُقتل[3].

أي لو أخبر حذيفة بأسماء المنافقين الأحياء منهم والأموات، لقتلوه بسرعة، لذلك لم يخبر بأسمائهم في زمن حكم أبي بكر وعمر ولكنه كان لا يصلّي عليهم وهذه إشارة ذلك.

وفي أواخر أيّام حكم عثمان صرّح حذيفة بأسمائهم فقتله عثمان بواسطة أبي موسى الأشعري والي عثمان على الكوفة!

وقال حذيفة: خذوا عنّا فإنّا لكم ثقة، ثمّ خذوا عن الذين يأخذون عنّا، فإنّهم لكم ثقة، ولا تأخذوا عن الذين يلونهم.

قالوا: لم؟

قال: لأنّهم يأخذون حلو الحديث ويدعون مُرَّهُ، ولا يَصلُح حُلْوه إلاّ بمُرِّهِ[4].

وقال حذيفة: لقد حدَّثني رسولُ اللهِ ﷺ بما يكون حتىٰ تقومَ الساعة، غير أنّي لم أسأله ما يخرج أهلَ المدينة منها[5].

---

(١) صحيح البخاري ١٧/٧، صحيح مسلم ٢٤/٧، ١٩٨، معجم ما استعجم، عبد الله الأندلسي ص١٤٢.

(٢) راجع كتاب السقيفة وكتاب هل اغتيل النبي محمد ﷺ للمؤلف.

(٣) مختصر تاريخ ابن عساكر ٦ / ٢٥٩.

(٤) مختصر تاريخ ابن عساكر ٢٥٩/٦.

(٥) مختصر تاريخ ابن عساكر ٦ / ٢٤٩.

الفصل الخامس:

موقف عثمان من حملة أسامة ووصية النبي ﷺ

المخالفون لحملة أسامة؟

لقد حاول عمر وأبو بكر وجماعة آخرون، عدم الانخراط في حملة أُسامة بن زيد وتأخيرها، وقد كان أبو بكر وعمر وأبو عبيدة وعثمان فعلاً من أفراد الحملة، كما جاء ذلك في تأريخ أحمد زيني دحلان:

«فلمّا أصبح يوم الخميس عقدالرسول ﷺ لأُسامة لواءً بيده ﷺ، ثمّ قال: أُغز باسم الله، وفي سبيل الله، فقاتل من كفر بالله، فخرج بلوائه معقوداً، فدفعه إلى بريدة، وعسكر بالجرف، فلم يبق من المهاجرين الأولين والأنصار إلّا اشتدّ لذلك، وتهيّأ للخروج، منهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح وسعد بن أبي وقاص[1].

وذكر في شرح نهج البلاغة أن جلّة المهاجرين والأنصار كانوا في الحملة ومنهم أبو بكر، عمر، أبو عبيدة بن الجراح، عبد الرحمن بن عوف وطلحة

---

(١) السيرة النبوية بهامش السيرة الحلبية أحمد زيني دحلان ٢ / ٣٣٩.

والزبير[١].

وقد جاء في كتاب كنز العمال: «وفي ذلك البعث أبو بكر وعمر»[٢].

وجاء في طبقات ابن سعد: اخبرنا العمري عن نافع عن ابن عمر أنَّ النبي ﷺ بعث سريَّة فيهم أبو بكر وعمر فاستعمل عليهم أسامة بن زيد»[٣].

وقال ابن الأثير: وأوعب مع أُسامة المهاجرون الأوَّلون، منهم: أبو بكر وعمر، فبينا الناس على ذلك ابتدىء برسول الله ﷺ مرضه[٤].

ولو أردنا معرفة تأريخ أمر رسول الله ﷺ بحملة أسامة بن زيد، نراجع مغازي الواقدي: فقد جاء في يوم الثلاثاء، لثلاث بقين من صفر، وعقد ﷺ له اللواء في يوم الخميس، لليلة بقيت من صفر، ثمَّ مرض الرسول ﷺ.

أي حدثت هذه الأحداث، بعد حوالي شهرين على حجة الوادع وبيعة غدير خم الشهيرة ونزول آية:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا﴾[٥].

وعن عصيان البعض لهذه الحملة بحجج شتَّىٰ، فقد ألقوا (الرواة الأمويون) بتبعة الأمر على المنافقين وأخفوا أسماء كبار الصحابة.

ذكر الطبري: وقد أكثر المنافقون في تأمير أُسامة، حتَّىٰ بلغه، فخرج النبي ﷺ على الناس، عاصباً رأسه من الصداع، فقال:

---

(١) شرح نهج البلاغة، المعتزلي ٦/٥٢.

(٢) منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد بن حنبل للمتَّقي الهندي ٤/١٨٠، الطبقات لابن سعد ٤/٦٦.

(٣) طبقات ابن سعد ٤/٦٦.

(٤) الكامل في التاريخ ٢/٣١٧، ذكر أحداث سنة إحدىٰ عشرة، تثبيت الإمامة، يحيىٰ بن الحسين ص ٣ ـ ٢٠.

(٥) المائدة: ٣.

قد بلغني إنّ أقواماً يقولون في إمارة أسامة، ولعمري لئن قالوا في إمارته، لقد قالوا في إمارة أبيه من قبله، وإن كان أبوه لخليقاً للإمارة، وإنّه لخليق لها، فأنفذوا بعث أسامة[١].

وعلى رواية الواقدي الّتي تقول: إنّ الرسول ﷺ أمر بالحملة في تاريخ ثلاث بقين من صفر، وتوفي في يوم الإثنين لإثنتي عشرة خلت من ربيع الأول، يكـون عصيان حملة أُسامة قد استمرّ أسبوعين من الزمن؟!

وقد غضب الرسول ﷺ لذلك العصيان، والقيل والقال في زعـامة أُسـامة، فخرج وقد عصّب على رأسه عصابة، وعليه قطيفة، ثمّ صعد المنبر، وقال ﷺ:

يا أيُّها الناس، فما مقالة بلغتني عن بعضكم، في تأميري أُسامة بن زيد؟

والله لئن طعنتم في إمارة أُسامة، لقد طعنتم في إمارة أبيه من قبل، وأيم الله، إن كان للإمارة لخليقاً وإنّ إبنه من بعده لخليق للإمارة.

وقد قالوا في أُسامة: يستعمل هذا الغلام على المـهاجرين والأنـصار، وكـان عمره ثمان عشرة سنة، وقيل تسع عشرة سنة[٢].

وذكر الواقدي شيئاً غامضاً عن المخالفين لحملة أسامة فقال: وكان أشدّهم قولاً عيّاش ابن أبي ربيعة القائل: يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأوّلين[٣].

وقال الشهرستاني: الخلاف الثاني في مرضه إنّه قال: جهّزوا جـيش أُسـامة، لعن اللهُ من تخلّف عنه.

فقال قوم: يجب علينا امتثال أمره، وأُسامة قد برز من المدينة.

---

(١) تاريخ الطبري ٤٣١/٢.

(٢) تاريخ الطبري ١٨٨/٣، السيرة الحلبية ٢٠٧/٣.

(٣) مغازي الواقدي ١١١٨/٢.

وقال قوم: قد اشتدَّ مرض النبي ﷺ، فلا تسع قلوبنا مفارقته والحالة هذه، فنصبر حتَّىٰ نبصر أيَّ شيء يكون من أمره[١].

إذاً التخلف عن حملة أُسامة كان يعتمد على عذرين:

الأول: التشكيك في قيادة أسامة.

والثاني: اشتداد مرض النبي ﷺ، وعدم قدرة العاصين على مفارقة الرسول ﷺ كما يدّعون.

أمّا الشقُّ الأوّل، فقد أجاب عنه الرسول ﷺ، بتركيزه على قوَّة وقابلية أُسامة، وفعلاً أثبت ذلك في حربه هناك.

وأمّا الشقّ الثاني، فقد انتفىٰ وانحلّت أركانه بلعن النبي ﷺ المتخلِّفين عن حملة أسامة.

وقد أثبتت النصوص الأوامر النبوية لأبي بكر وعمر وعثمان بالانضمام في حملة أسامة[٢].

وقال ابن سعد:

إنَّ سريَّة أُسامة بن زيد بن حارثة إلى أهل أُبنىٰ، وهي أرض السرات، ناحية البلقاء.

فلمَّا كان يوم الأربعاء بدأ برسول الله ﷺ المرض فحمَّ وصدع.

فلمَّا أصبح يوم الخميس عقد لأسامة لواءاً بيده، ثمَّ قال:

---

(١) الملل والنحل، الشهرستاني ١/ ٢٣ طبعة القاهرة، تحقيق محمد سيد كيلاني، تاريخ الطبري ٣/ ١٨٨ طبعة الحسينية بمصر في حوادث سنة ١١ هجرية.

(٢) الطبقات الكبرىٰ، ابن سعد ٤/ ٦٦، المواهب اللدنية، القسطلاني ١/ ٣٥٩ ط. دار الكتب العلمية، بيروت، السيرة النبوية، ابن دحلان ٢/ ١٤٥.

أُغزُ بسم الله، في سبيل الله، فقاتل من كفر بالله، فخرج وعسكر بالجرف، فلم يبق أحد من وجوه المهاجرين الأوَّلين والأنصار إلّا انتدب في تلك الغزوة، فيهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وغيره.

فتكلَّم قوم وقالوا: يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأوَّلين.

فغضب رسول الله ﷺ غضباً شديداً، فخرج وقد عصب على رأسه عصابة، فصعد المنبر فحمد الله وأثنىٰ عليه، ثمّ قال: أمَّا بعد أيُّها الناس، فما مقالة بلغتني عن بعضكم، في إمارة أُسامة، ولئن طعنتم في إمارة أُسامة، لقد طعنتم في إمارة أبيه من قبله، وأيم الله إنَّه كان للإمارة خليقاً، وإنّ ابنه من بعده لخليق للأمارة[1].

وهناك أدلة أخرىٰ تثبت وتبيِّن، أنَّ عمر وأبا بكر من جملة هؤلاء المعارضين لقيادة أسامة، إن لم يكونوا زعمائهم، إذ عاد أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح من الحملة إلى المدينة[2].

وإنَّ أبا بكر والآخرين، الذين عصوا النبي ﷺ في أمره بحملة أُسامة، هم ذاتهم الذين عصوا النبي ﷺ في رزيَّة يوم الخميس، لمَّا طلب النبي ﷺ كتفاً ودواة ليكتب كتاباً لن تضلَّ أُمَّته من بعده.

قال عمر وأبو بكر وأتباعهم: لقد اشتدَّ مرض النبي ﷺ أو قالوا: إنّه يهجر (والعياذ بالله) وعندكم كتاب الله، حسبنا كتاب الله[3].

إذاً تلك المجموعة قد جاءت بحجَّة وعذر لردِّ أوامر النبي ﷺ في الذهاب

(١) الطبقات الكبرىٰ، ابن سعد ٢/٢٤٩، ٤/٦٦.

(٢) تثبيت الامامة ص١٩.

(٣) صحيح البخاري ٤/٤٩٠، صحيح مسلم ١١/٨٩.

للحرب والغزو، وفي جلب قرطاس ودواة لكتابة وصيَّته. إذ قالت أولاً: قد اشتدَّ مرض النبي ﷺ فلا تسع قلوبنا مفارقته.

وقالوا ثانياً: قد اشتدَّ مرض النبي ﷺ حسبنا كتاب الله. أو إنَّ النبي ﷺ يهجر حسبنا كتاب الله.

ولا يمكن تقديم الأعذار الواهية لردِّ كلام الرسول ﷺ، وتبرير عصيانه، لأنَّ النبي ﷺ في حملة أُسامة لعن المتخلِّفين عنها، وغضب لذلك غضباً شديداً، وخرج مخاطباً المسلمين في مرضه، معصوب الرأس، لاعناً المتخلِّفين عن الحملة[1]، دلالة على وجوب الأمر.

وفي يوم الخميس غضب عليهم النبي ﷺ ثانية، وطردهم من بيته، فاجتمع في حقِّهم اللعن والطرد النبوي من بيته ﷺ[2].

والدليل الثاني على أنَّ أبا بكر وعمر من العاصين لحملة أُسامة: هو ذهاب أبي بكر إلى زوجته في السنح[3]، بعد خطبة النبي ﷺ وغضبه وإلحاحه عليهم للخروج، ولعنه المتخلِّفين عن الحملة.

وفعلاً لمَّا مات النبي ﷺ، كان أبو بكر موجوداً في السنح عند زوجته مليكة[4]، عاصياً أمر النبي ﷺ في الغزو.

وقد التفتت رجالات الأمويين إلى هذا فجعلوا لأبي بكر إذناً نبوياً بالذهاب

---

(١) شرح نهج البلاغة، المعتزلي ٦/٥٢.

(٢) الملل والنحل، الشهرستاني ١ / ٢٢، سنن البخاري ٤ / ٤٩٠ باب جوائز الوفد ح ١٢٢٩، سنن مسلم ١١ / ٨٩.

(٣) تاريخ الطبري ٢ / ٤٤١ ط. مؤسسة الأعلمي، كنز العمال ٧ / ٢٣٢ ط. مؤسسة الرسالة، أسد الغابة، ابن الأثير ٢ / ٣١٠.

(٤) البحار ٢٨ / ١٢٣، معجم البلدان ٣ / ٢٦٥، ويبعد عن المدينة أربعة أميال ويقع في عوالي المدينة.

إلى السنح، بعد خطبة النبي ﷺ وإلحاحه، في خروج المقاتلين، ولعن المتخلّفين![1]

ولا أدري كيف يعطيه النبيُّ ﷺ إذناً بالذهاب إلى السنح بعد غضبه ولعنه المتخلفين عن الحملة. وأبو بكر جندي من جنود أسامة، وعدالة النبي ﷺ تأبىٰ أنْ يسمح لواحد منهم بالذهاب إلى إحدىٰ زوجاته، لأنّه يومها وحصّتها.. أليس كذلك؟

وأوجد بعض الأعراب عذراً آخر لأبي بكر لتبرير عصيانه لحملة أسامة يتمثّل في طلب النبي ﷺ إليه البقاء في المدينة للصلاة بالناس وظاهر الأمر أن هذا التبرير من اختلاق الأمويين، وهو معارض للتبرير الأول، بالذهاب إلى السنح.

فقد قال ابن دحلان: «فلا منافاة بين ما روي أنَّ أبا بكر كان من ذلك الجيش، ومن روىٰ أنّه تخلّف، لأنّه كان من الجيش أولاً، ثم تخلّف لما استثناه ﷺ وأمره بالصلاة بالناس»[2].

فلم يكتفِ ابن دحلان بتبرير قضية عصيان أبي بكر لحملة أُسامة، فقال: إنَّ تخلّفه (أبا بكر) كان بأمر منه ﷺ، لأجل صلاته بالناس، وفيه إشارة إلى أنّه خليفة بعده[3].

إنّ أبا بكر لم يذهب إلى معسكر أسامة في الجرف، ولم يبق في المدينة عند النبي المريض ﷺ، بل ذهب إلى زوجته في السنح (خارج المدينة)[4]!

ووجوده في السنح ينفي قضيّة صلاته بالناس، ويؤكّد عصيانه لحملة أُسامة.

---

(١) الملل والنحل، الشهرستاني ١/ ٢٣.

(٢) السيرة النبوية، ابن دحلان ٢/ ١٤٥ ط. دار احياء التراث.

(٣) المصدر السابق.

(٤) البحار ٢٨ / ١٣٣، معجم البلدان ٣ / ٢٦٥، تاريخ الطبري ١٧٦٩، طبقات ابن سعد ٢ / ٥٤.

ولولا مبعوث عمر لأبي بكر بموت الرسول ﷺ، لبقي هناك مدّة أطول ومبعوثه سالم بن عبيد[١].

وكتب أسامة إلى أبي بكر: اعلم أنّي ومن معي من المهاجرين والأنصار وجميع المسلمين ما رضيناك ولا وليناك، فاتق الله ربك وإذا قرأت كتابي هذا فاقدم إلى ديوانك الذي بعثك فيه النبي ﷺ ولا تعصه، وأن ترفع الحق إلى أهله فإنّهم أحقُّ به منك[٢].

والدليل الثالث: إنّ عمر بن الخطاب استمرّ في معارضته لقيادة أسامة بن زيد تلك الحملة بعد تولي أبي بكر السلطة، بالرغم من الغضب النبوي الشديد، وتأكيده ﷺ على صلاحيّة أسامة للقيادة!

إذ قال عمر بن الخطاب لأبي بكر: «إنّ الأنصار أمروني أنْ أبلّغك، وإنّهم يطلبون اليك أن تولّي رجلاً أقدم سناً من أسامة.

فوثب أبو بكر، وكان جالساً فأخذ بلحية عمر، فقال له: ثكلتك أمّك وعدمتك يا ابن الخطاب، إستعمله رسول الله ﷺ وتأمرني أن أنزعه»[٣].

وهكذا توضّح أنّ مخالفة الجماعة لقيادة أسامة، لم تكن إلّا عذراً، الهدف منه البقاء في المدينة إلى ما بعد وفاة الرسول ﷺ للسيطرة على الحكم...

وهؤلاء قد أدركوا قصد النبي ﷺ، وأهدافه في بيعة الغدير، وفي طلبه كتابة الوصيّة لعلي ﷺ وأمره بإخلاء المدينة من وجوه المهاجرين والأنصار.

ولمّا تمّ لأبي بكر السيطرة على الحكم لم يبق موجب لمعارضة تلك الحملة

---

(١) كنز العمال ٧ / ٢٣٢ ط مؤسّسة الرسالة.

(٢) تثبيت الامامة ص ٢٠، يحيى بن الحسين بن القاسم اليمني المتوفى سنة ٢٩٨ هجرية.

(٣) تاريخ الطبري ٢/٤٦٢، تاريخ أبي الفداء ١/٢٢٠.

وقيادتها؟! وفعلاً سيَّرها أبو بكر إلى الشام بقيادة أُسامة بن زيد.

الدليل الرابع: لم يرغب أبو بكر وعمر بالسير في تلك الحملة (في زمن حكومة أبي بكر)، فطلبا إذناً من أُسامة بن زيد فأعطاهما، ولكن استمرَّا في مناداته بالأمير في مدَّة خلافتهما. أي استمرَّا في رغبتهما السابقة في عصيان الانخراط في تلك الغزوة للتمكّن من إدارة الحكومة، ولم يذهب عثمان في الحملة أيضاً وهو مأمور بها!

وبذلك فقد ذهب أُسامة بن زيد في حملته، دون مجموعة السقيفة وهم أبو بكر وعمر وعثمان وأبو سفيان وابن الجراح وابن عوف. فقد قال أبو بكر لأُسـامة: إن رأيت أن تعينني بعمر فافعل، فأذن له[1].

حادثة يوم الاثنين وكتابة الوصيّة

قال ابن سعد في طبقاته أنّ حادثة كتابة الوصية كانت يوم الاثنين وهو يوم موته ﷺ، وفي الجماعة العاصية والمعارضة لكتابة الوصية أبو بكر وعمر وعثمان وابن عوف وابن الجرّاح ومعاوية وأبو سفيان وابن العاص والمغيرة وهؤلاء كانوا يخالفون حملة أسامة وكتابة الوصية لعلي بن أبي طالب عليه السلام.

ولقد استمرَّ عصيان المخالفين لحملة أُسامة مدَّة إسبوعين كما ذكر الواقدي، وفي هذه الفترة طلب النبيُّ ﷺ من المسلمين بإلحاح الإلتحاق بغزوة أسامة، فلم ينفع معهم؟ فخطب بهم ثانية ولعن العاصين منهم فلم ينفع ذلك أيضاً؟

فطلب منهم في الثالثة وفي بيته الشريف المجيّ بلوح ودواة ليكتب لهم كتاباً لن يضلُّوا بعده أبداً.

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/٣٣٤، تاريخ أبي الفداء ١/٢٢٠، تاريخ اليعقوبي ٢/١٢٧.

فقالوا: النبي ﷺ يهجر، حسبنا كتاب الله!

إن تلك المجموعة العاصية لحملة أسامة، والملعونة من قبل النبي ﷺ[١]، هي التي عارضت كتابة الوصية ومنعت دفن النبي ﷺ ثلاثة أيام، وأسّست السقيفة. وهاجمت بيت علي وقتلت فاطمة ؏، ونجحت في فرض خلافة دورية لقبائل قريش، دون بني هاشم والأنصار.

ذكر الشهرستاني في كتابه الملل والنحل: فأوّل تنازع وقع في مرضه عليه الصلاة والسلام.

وما رواه الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري: لمّا اشتدَّ بالنبي ﷺ مرضُهُ الذي مات فيه، قال: ائتوني بدواة وقرطاس أكتب لكم كتاباً، لا تضلُّوا بعده.

فقال عمر: إنَّ رسول الله ﷺ قد غلبه الوجع، حسبنا كتاب الله. وكثر اللغط.

فقال النبي ﷺ: قوموا عنّي، لا ينبغي عندي التنازع.

قال ابن عباس: الرزيّة ما حال بيننا وبين كتاب رسول الله ﷺ[٢].

وأخرج البخاري، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ؓ أنّه قال: «يوم الخميس، وما يوم الخميس، ثمَّ بكى حتَّى خضب دمعه الحصباء، فقال:

إشتدَّ برسول الله ﷺ وجعه يوم الخميس، فقال: ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لن تضلُّوا بعده أبداً. فتنازعوا، ولا ينبغي عند نبي تنازع.

فقالوا: هجر رسول الله.

قال ﷺ: دعُوني فالَّذي أنا فيه خيرٌ ممَّا تدعوني إليه»[٣].

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني ٢٣/١.

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ٢٢/١.

(٣) صحيح البخاري ٤/٩٠٤٠ باب جوائز الوفد، ح١٢٢٩، صحيح مسلم ٨٩/١١، طبقات ابن سعد ٣٦/٢، المصباح المنير ٦٣٤.

وفي رواية قال عمر: إنّ النبيّ ﷺ غلبه الوجع، وعندكم القرآن، فحسبنا كتاب الله، واختلف من في البيت واختصموا، فمنهم من يقول:

قرّبوا يكتب لكم رسول الله كتاباً، لن تضلّوا بعده، ومنهم من يقول ما قاله عمر.

فلمّا أكثروا اللغط والأختلاف عند النبيّ، قال خاتم الأنبياء ﷺ: قوموا عنّي [١].

أي أخرجهم ﷺ من بيته غاضباً عليهم.

عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: اشتكى النبيّ ﷺ يوم الخميس، فجعل يعني ابن عباس يبكي، ويقول: يوم الخميس وما يوم الخميس إشتدّ بالنبيّ ﷺ وجعه، فقال: إئتوني بدواة وصحيفة أكتب لكم كتاباً، لا تضلون بعده أبداً. فقال بعض من كان عنده:

إنّ نبي الله لَيَهْجرُ.

فقيل له: ألا نأتيك بما طلبت؟

قال ﷺ: أو بعد ماذا؟ قال: فلم يدعُ به [٢].

وأخرج الإمام أحمد بن حنبل، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس أنّه قال: يوم الخميس، وما يوم الخميس ثمّ نظرت إلى دموعه على خدّيه تحدر، كأنها نظام اللؤلؤ.

قال رسول الله ﷺ: إئتوني باللوح والدواة أو الكتف أكتب لكم كتاباً، لا

---

(١) صحيح البخاري باب قول المريض قوموا عنّي ٧ / ٩، صحيح مسلم، آخر كتاب الوصيّة ٥ / ٧٥، مسند الإمام أحمد ٤ / ٣٥٦ ح ٢٩٩٢.

(٢) طبقات ابن سعد ٢٤٢/٢.

تضلّون بعده أبداً.

فقالوا: رسول الله يهجر[١].

بينما قال اللهُ تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٢].

و﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ...﴾[٣]

وذكر سبط بن الجوزي: ولمّا مات رسول الله ﷺ قال قبل وفاته بيسير: ائتوني بدواة وبياض، لأكتب لكم كتاباً، لا تختلفون فيه بعدي.

فقال عمر: دعوا الرجل فإنّه ليهجر[٤].

واعترف عمر في أيام حكمه بمعارضته للرسول في يوم الخميس، قائلاً: إنَّ رسول الله ﷺ أراد أن يذكره للأمر في مرضه، فصددته عنه الخ[٥].

أي أراد الرسول ﷺ أن يذكر الإمام علياً ﷺ لأمر الخلافة.

فكان اعتراف عمر واضحاً في أيام خلافته قائلا إنَّ النبيَّ أراد أنّ يصرِّح باسمه (علي ﷺ) فمنعته!

وسألوا عمر: ماذا أراد أن يكتب ﷺ في يوم الخميس؟

قال عمر: تعيين الخليفة علي[٦].

فعمر فهم هدف النبيّ ﷺ بطلبه دواة وصحيفة، أنّه يريد كتابة الوصيّة، وفهم

(١) مسند أحمد بن حنبل ٣٥٥/١.

(٢) آل عمران: ١٣٢.

(٣) النساء: ٨٠.

(٤) تذكرة الخواص لسبط بن الجوزي ٦٢، وسر العالمين وكشف ما في الدارين لابي حامد الغزالي ٢١، تاريخ ابن الوردي ١٢٩/١.

(٥) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١١٤/٣.

(٦) فتح الباري على صحيح البخاري، ابن حجر ١٣٢/٨.

من قوله: لأكتب كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً. ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام.

لأنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم في غدير خم وعندما بايع علياً عليه السلام ذكر ذلك النص: من كنت مولاه فهذا علي مولاه، أللهم والِ من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، وأخذل من خذله، إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعده أبداً.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً: «وإنّي تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسّكتم بهما، لن تضلّوا أبداً»[١].

فأصبح معروفاً تلازم أهل البيت عليهم السلام مع عدم الضلال، وتلازم علي عليه السلام مع عدم الضلال. لذلك اعترف عمر لابن عباس قائلاً: أراد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أن يصرّح باسمه في يوم الخميس، فمنعته[٢].

وعمر الذي قال كلمة يهجر لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في يوم الخميس كرّرها ثانية عند مخاصمة طلحة لعثمان إذ كان بين عثمان وطلحة تَلاحٍ في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فبلغ عمر فأتاهم وقد ذهب عثمان، فقال:

أفي مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، تقولان الهُجْر وما لا يَصْلُح من القول؟[٣]

فجثا طلحة على ركبتيه وقال: إنّي والله لأنا المظلوم المشتوم!

فقال: أفي مسجد رسول الله تقولان الهُجْر، وما لا يَصْلُح من القول؟ ما أنتَ منّي بناج.

فقال: اللهَ اللهَ يا أمير المؤمنين، فوالله إنّي لأنا المظلوم المشتوم.

---

(١) مسند أحمد ٢٨١/٤، تفسير الفخر الرازي ٦٣٦/٣، الصواعق المحرقة، ابن حجر ٢٦، التنبيه والاشراف، المسعودي ٢٢١، صحيح الترمذي ٦٢١/٥.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١١٤/٣.

(٣) تاريخ المدينة المنوّرة، ابن شبّة ٣٣/١.

فقالت أُمُّ سلمة من حجرتها: واللهِ إنَّ طلحة هو المظلوم المشتوم[١].

الملاحظ من هذا النص أنَّ عمر أراد ضرب طلحة بدرَّته لأنّه هجر في المسجد وقال ما لا يليق به. فهل يليق بعمر الصحابي أن يقول للنبي محمد ﷺ يهجر وهو يريد كتابة الوصيَّة الإلهية للبشريَّة جمعاء؟!

ولكن هل أوصى النبي ﷺ أم لا؟

الجواب إنّ الوصية واجبة على المسلمين وقد أوصى الرسول قائلاً: إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي[٢].

وقال علي مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا عليَّ الحوض يوم القيامة[٣].

فالملاحظ مشاركة عثمان في كلّ الأعمال المخالفة لخاتم الأنبياء ﷺ مع أبي بكر وعمر بصورة فعّالة وجادّة.

فهو أحد زعماء بني أمّية ومن زعماء الحزب القرشي البارزين.

فهو الذي عصىٰ مع جماعته حملة أسامة.

ونادىٰ بصوته عالياً في بيت رسول الله ﷺ: النبي يهجر!

ولم يذهب في حملة أسامة في زمن حكم أبي بكر أيضاً.

ومنع الناس مع عمر وجماعته من دفن جثمان سيد الرسل ﷺ.

وهاجم بيت فاطمة عليها السلام حاملاً حطباً لإحراق علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.

---

(١) تاريخ المدينة المنوّرة، ابن شبّة ١/ ٣٣.

(٢) صحيح مسلم ٥ / ٢٢، الدرّ المنثور ٧ / ٣٤٩.

(٣) الصواعق المحرقة لابن حجر ٧٥ وكشف الاستار عن زوائد البزار ٣/ ٢٢١ وتهذيب اللغة للازهرى ٩/ ١٧٩.

وأرادت أمّ جميل الأموية زوجة أبي لهب إحراق رسول الله ﷺ في مكّة فنزلت في حقّها:

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ما أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُه وَما كَسَبَ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الحَطَبِ فِي جِيدِها حَبْلٌ مِن مَسَدٍ﴾.

وأحرق يزيد بن معاوية خيام الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء.

ثمّ أحرق يزيد الكعبة.

وأحرق عبدالملك بن مروان الكعبة مرّة أخرىٰ.

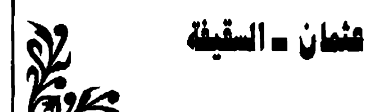
وكان عرب الجاهلية يتوسّلون بالنار والحطب لإحراق معارضيهم وأعدائهم وحرّم ذلك الإسلام، لكن الأمويين لم يطيعوا ما فرضه الله تعالىٰ في الإسلام واستمروا في عمليّات المؤمنين والأماكن المقدّسة.

القسم الثاني:

عثمان في زمن الشيخين

الباب الأول:

عثمان ـ السقيفة



الفصل الأوّل:

عثمان والأعراب والسقيفة

أثر السقيفة والشورىٰ في مقتل الخلفاء

لقد تسبّبت السقيفة في مقتل أبي بكر بيد عمر وعثمان؛ لأنّ رجال الحزب القرشي عندما اتّفقوا على تناوب الخلافة بينهم لم يحدّدوا المدّة الزمنية للحكم، عليه فقد طالب عمر أبا بكر بالتنازل عن السلطة بعد سنتين من السقيفة، ولمّا رفض أبو بكر ذلك اضطرّ عمر لقتله واستلام السلطة.

فالنقص الخطير في اتّفاق قبائل قريش عدم تحديد المدّة الزمنية للرئيس هذا في رأي عمر وأتباعه.

أمّا في رأي أبي بكر وأنصاره فالمدّة محدّدة بطول حياة الرئيس وتنتهي بموته.

والأمر الآخر يتمثّل في عدم معرفة أسماء مرشّحي السلطة بالترتيب ومن جميع القبائل.

وكذلك كانت شورىٰ عمر هي التي تسبّبت في مقتل عثمان بن عفان فقد حكم

عثمان أكثر من أحد عشر عاماً وهي فترة زمنية طويلة وإذا استمرّ في الحكم والحياة فهذا يعني عدم وصول بقيّة رجال الحزب القرشي إلى السلطة من أمثال طلحة والزبير وغيرهم.

لذلك قاد طلحة والزبير عمليّات المعارضة على عثمان رغبة في عزله أو قتله ليصلاها إلى الخلافة. وفعلاً مسك طلحة بمفاتيح بيت المال دلالة على تسنّمه مقاليد الحكم ورغب في استمالة بعض الناس إليه بشراء ذممهم.

لكن أمير المؤمنين عليعليه السلام فتح باب بيت مال المسلمين ووزّع الأموال بينهم بالسويّة ففشل طلحة في الوصول إلى بغيته، وتفرّقت المرتزقة عنه.

فمجلس الشورىٰ العمري هو الذي أوصل عثمان إلى السلطة وتسبّب في مقتله، وذلك المجلس هو الذي دفع طلحة والزبير لمخالفة عثمان أوّلاً ومخالفة عليعليه السلام ثانياً للوصول إلى السلطة فواصلا هذا المنهج وحاربا عليّاًعليه السلام في معركة الجمل وقتلاً في هذا الطريق.

وقد اعترف معاوية بن أبي سفيان بأثر مجلس الشورى العمري في قتل أعضائه لإيجاده تنافساً حادّاً بينهم من جهة ولرفعه منزلة بعضهم إلى منزلة عليعليه السلام في الشورى الذي دفعهم للتفكير جدّياً في الخلافة.

ولمّا بقي سعد بن أبي وقّاص وحيداً على قيد الحياة من بين أعضاء مجلس الستّة صعب عليه رؤية معاوية زعيماً للمسلمين وهو أحد أعضاء الستّة الباقين فقال لمعاوية:

أنا أحقّ منك بهذا المنصب.

فقال له معاوية: يأبىٰ عليك بنو عذرة.

أي وصولك للخلافة مصرّحاً بأنه من قبيلة عذرة غير القرشية[١].

فخاف معاوية من تطلّعات سعد للسلطة وطمعه فيها فأرسل إليه من قتله بالسمّ. فالتحق سعد بن أبي وقاص بقافلة المقتولين بسبب مجلس الستة.

وهكذا تسبّب عمر في قتل أعضاء مجلس الستّة الذين عيّنهم، وهذا ناجم عن فقدان ذلك المجلس الشروط الحكيمة لقيامه.

فقد أبعد عمر الصحابة المخلصين من أمثال عمّار بن ياسر وأبي ذر والمقداد بن عمرو وعبدالله بن عباس لميولهم الهاشمية وأدخل فيه رجالاً غير قرشيين لميولهم العثمانية مثل عبدالرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقّاص العذري!

ولم يحدّد رسول الله ﷺ الخلافة في قبائل قريش بل حصرها في أهل البيت عليهم السلام.

وحصر عمر مجلسه في عدد قليل.

وجعل أمره بيد عبدالرحمن بن عوف الذي وصفه عمر نفسه: أنّه فرعون هذه الأمّة[٢].

فكيف تعطى قضية الخلافة لفرعون الأمّة وفيها أمير المؤمنين عليه السلام أوّل المسلمين إسلاماً ووزير النبي ﷺ ووصيّه وخليفته ووارثه!

دور عثمان في السقيفة

كان عثمان بن عفان من المتفاعلين مع مشروع السقيفة ودوره مشهود في تلك الأيّام، ولم تقلّ جهوده عن جهود عمر بن الخطاب فهما معاً أنكرا موت النبي

---

(١) مروج الذهب ١ / ٦١، التذكرة، سبط بن الجوزي ١٢.

(٢) الإمامة والسياسة، ابن قتيبة ١ / ٢٤.

محمدﷺ في أفظع عمل يقوم به مسلم بحقّ خاتم الأنبياءﷺ.

ولمّا منعا الناس من دفن رسول اللهﷺ حدثت بلبلة وفتنة عظيمة بين المسلمين، وقد فعلا ذلك لتأخير دفن النبيﷺ إلى حين مجيء الجماعات المشاركة في الانقلاب السياسي.

وكان الانقلاب السياسي على النبي محمّدﷺ وعليعليه السلام يعتمد على قبائل الأعراب المحيطة بالمدينة وجماعة المنافقين الساكنين في المدينة وطلقاء مكّة المظهرين الإسلام والمُخفِين للكفر. وهي ذات الجماعات المحاربة للرسول في مكّة والمدينة.

وقيادة هذا التجمّع تتمثّل في بعض المهاجرين إلى المدينة المعارضة لخلافة الإمام علي بن أبي طالبعليه السلام وهم أبو بكر وعمر وعثمان وابن الجرّاح وابن عوف وطلحة وابن العاص وخالد بن الوليد وأتباعهم.

ولمّا جاءت قبائل الأعراب من خارج المدينة أسلم وغطفان، وتميم واستعدّ أتباع المنافق عبدالله بن أبيّ للمشاركة في السقيفة ووصل أبو بكر إلى المدينة بدأ الانقلاب على النظام بمشاركة الحزب القرشي وأتباع ابن أبيّ والأعراب، فأعلن أبو بكر عن موت النبيﷺ وضرورة دفنه.

وكان الواجب الأخلاقي يحتّم على قيادة الحزب القرشي والمنافقين والأعراب المشاركة في جهاز رسول الله من صلاة ودفن وغير ذلك؛ لكنّهم انسحبوا بسرعة من المسجد النبوي وبيت النبيﷺ وذهبوا إلى السقيفة دون رعاية لأعراف عربية وأخلاق إنسانية!

وفي السقيفة طالبوا بخلافة رسول اللهﷺ فتعجّب الأنصار من أقوالهم

المدهشة والمتعارضة في يوم واحد، ومكان واحد.

فأدرك الأنصار غاية هؤلاء في اغتصاب خلافة رسول الله ﷺ من علي بن أبي طالب عليه السلام فعارضوا أهدافهم ونادوا جميعاً: لا نبايع إلّا علياً[1].

وكان الحزب القرشي برموزه الماكرة أبـو سـفيان ومـعاوية وابـن العـاص وعبدالله بن أبي ربيعة والأعراب والمنافقون قد هيّأوا أنفسهم للسقيفة بشكل جيّد ورتّبوا عملية البيعه فيها.

بينما كانت الأنصار غير مهيّأة نفسها لمثل هذه الظروف الخـطيرة ،وزعـيمهم سعد بن عبادة مريض في السقيفة.

فعارض سعد والأنصار المشروع القرشي وقالوا: لا نبايع إلّا علياً، باعتباره صاحب بيعة الغدير[2].

وحدثت مناوشات بين الجانبين فوطأ المهاجمون صدر زعيم الأنصار سعد بن عبادة وكسروا أنف زعيمهم الثاني الحباب بن المنذر وملأوا فمه تراباً.

فخافت الأنصار وانكسرت شوكتها من شدّة الهجمة وسرعتها وتنظيمها.

وكان كعب بن مالك المنافق مع رجال السقيفة وهو الذي عصىٰ حملة تـبوك واستمرّ في دعمه رجال السقيفة وهو أحد أربعة أشخاص دفنوا عـثمان في مـقبرة اليهود حشّ كوكب[3].

ومن المنافقين أيضاً أسيد بن حضير الأنصاري وبشير بن سـعد الأنـصاري

---

(١) الكامل في التاريخ ٢ / ٢٢٠.

(٢) تاريخ الإسلام، الخطيب البغدادي ٢٣٢، مسند أحمد ٤ / ٢٨١، الصواعق المحرقة ٢٦.

(٣) أسد الغابة ٣ / ٣٧٦، الإصابة ٢ / ٤٥٥، شذرات الذهب ١ / ٤٠.

الفارّين من معركة بدر[١].

ومن اليهود الداخلين في الإسلام كذباً محمّد بن مسلمة وزيد بن ثابت وعبدالله بن سلام.

وكانت قبيلة أسلم قد ملأت شوارع المدينة وزعيمها أبو الأعور السلمي مستمرّ في دعم رجال السقيفة، إلى نهاية حياته فكان مع أبي سفيان في معركة الأحزاب وشارك في جانب معاوية في حرب صفّين.

والتنسيق بين رجال الحزب القرشي مع المنافقين والأعراب كان قديماً ففي معركة أحد قرّروا خذلان الجيش الإسلامي ومساعدة طغاة قريش، فانسحب زعيم المنافقين عبدالله بن أبيّ بن أبي سلول قبل المعركة ومعه ستّمائة منافق[٢].

وفرّ من معركة أحد رجال الحزب القرشي وفيهم أبو بكر وعمر وعثمان وأبو عبيدة بن الجرّاح وعبدالرحمن بن عوف، وسعيد بن زيد، وطلحة، وسعد بن أبي وقّاص[٣].

وبسبب هذا التآمر انتصر المشركون وخسر المسلمون.

وكان عثمان بن عفان من أوائل المنهزمين هو وطلحة بن عبيدالله، وفي أثناء فرارهما فكّرا في عاقبة أمرهما، فأعلن عثمان عن رغبته في التهوّد وأعلن طلحة عن رغبته في النصرانية.

وافتضحت هذه الأسرار في أيّام الصراع بينهما بعدد اغتيال عثمان لأبي بكر.

ولمّا عاد عثمان إلى المدينة بعد فراره في معركة أحد قال له رسول الله ﷺ: لقد

---

(١) شرح النهج، المعتزلي ١٤ / ١٨٦، عيون الأثر ١ / ٣٢٥.

(٢) عيون الأثر ١ / ٤٠٨، فتح القدير ٢ / ١٧٠، مجمع البحرين ٢ / ٨٤٠.

(٣) تاريخ الطبري ٢ / ١٩٧، الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٢ / ١٥٦.

ذهبت بها عريضة[1].

وظهر التنسيق بين المشركين، وبين أرحامهم في الجيش الإسلامي مرّة أخرىٰ، في إخفاء عثمان لجاسوس قريش، المسمّىٰ معاوية بن المغيرة الأموي في بيته بعد معركة أحد. وفي معركة الأحزاب: ظهر التنسيق بين مشركي قريش واليهود والأعراب وأعوانهم في معركة الخندق، إذ عاد المنافقون إلى بيوتهم وتركوا الخندق مبرّرين عملهم بالقول: بيوتنا عورة[2].

وشارك الأعراب في محاصرة المدينة مع الكفّار وفيهم قبائل غطفان وتميم وأسد وأسلم.

وأعلن يهود بني قريظة عن دخولهم الحرب إلى جانب قريش ونقضوا عهدهم مع رسول الله ﷺ.

وفي معركة حنين: ظهر التلاحم بين تلك الأطراف واضحاً فكان السبب المهمّ في هزيمة المسلمين أيضاً، وكانت قريش قد دخلت في الإسلام لكنّها بقيت على نفاقها فأعدّت خطّة جديدة للانتصار على المسلمين.

فجاءت النصوص بتعاون قويّ بين الحزب القرشي والأعراب والمنافقين.

واختلفت القضية هنا عن المعارك السابقة في دخول الأعراب والمنافقين في الإسلام؛ لكنّهم نصروا الكفرة مرّة أخرىٰ على المسلمين.

ولولا النصر الإلهي للمسلمين في معركة حنين لانتصر المشركون انتصاراً ساحقاً.

---

(١) الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٢ / ١٥٨، البداية والنهاية ٤ / ٣٢، تاريخ الطبري ٢ / ٢٠٣.

(٢) المهذّب البارع، الحلي ٥ / ١١.

دور المنافقين في الحكم

من الأسئلة المطروحة: ما هو دور المنافقين في الأحداث السياسية في المدينة؟

وكان للمنافقين دوراً مؤثّراً في أحداث المسلمين، فلقد سعى هؤلاء لرفد أعضاء الحزب القرشي وإيصالهم إلى السلطة وضرب أعدائهم.

ففي معركة بدر لم يشترك المنافقون في المعركة[١].

وفي معركة أحد انسحب عبدالله بن أُبيّ بن أبي سلول زعيم المنافقين من المعركة مع ستّمائة منافق من أصحابه[٢].

وفي معركة الخندق انسحبوا من الخندق وقالوا: بيوتنا عورة.

آملين انتصار المشركين.

وكان كعب بن مالك المنافق مع رجال السقيفة وعظمت منزلته السياسية في أيّام حكومة عثمان بن عفان، وبينما عارض كعب بن مالك الرسول ﷺ في مواقفه وامتنع عن حضور حملة تبوك كان وفيّاً لعثمان؛ إذ كان في بيته أيّام الحصار الشعبي المضروب عليه، وأحد خمسة أفراد شاركوا في دفنه في مقبرة اليهود أمّا المغيرة بن الأخنس المنافق فقد قُتل في الحصار دفاعاً عن عثمان[٣].

وكان للمنافقين دوراً خطيراً في أحداث المدينة المنوّرة فهم يشكّلون العمق الاستراتيجي للكفّار واليهود ويعملون معهم في كلّ واقعة معارضة منهم للإسلام والمسلمين.

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ / ٢٥٩، سيرة ابن دحلان ١ / ٣٠٦.

(٢) عيون الأثر ١ / ٤٠٨، فتح القدير ٢ / ١٧٠، مجمع البحرين ٢ / ٨٤٠.

(٣) البحار ٣١ / ٤٧٢.

وهم يشكّلون ثلث عدد المسلمين في المدينة وهي نسبة خطيرة تهدّد الوجود الإسلامي هناك.

وأيّ انتصار كافر على المسلمين كان بإمكانه تحويل هؤلاء إلى قوّة معادية خطيرة.

وكان النبي ﷺ يداري جانبهم باحتياط كامل وفي ذات الوقت يمنع التلاحم بينهم وبين المشركين.

ففي معركة أحد الخاسرة منع رسول الله ﷺ وصول جيش المشركين إلى داخل المدينة والتحامهم بالمنافقين بحركته الرائعة في ملاحقة المعادين وتخويفهم وإلقاء الرعب في قلوبهم ففرّوا باتّجاه مكّة.

وفي معركة تبوك منع المنافقين من البقاء في المدينة وأخذهم معه إلّا القليل منهم، وأبقى الإمام علي عليه السلام في المدينة لمنعهم من أيّ حركة التفاف داخلية على عاصمة المسلمين ولخطورة المنافقين فقد أنزل الله تعالى سورة المنافقين تبيّن أعمالهم وأهدافهم وأخلاقهم.

واستمرّ هؤلاء في لعب دورهم المرسوم منذ زمن قيادة أبي سفيان الكافرة إلى زمن زعامة معاوية الفاجرة.

أثر الأعراب في السقيفة

كان الأعراب المحيطون بالمدينة من الملتزمين بالقضايا القبلية البالية المعتمدة على تقديم أقوال وأهداف زعماء القبائل على غيرهم، وكانت الجاهلية مترسّخة في نفوسهم قال الله تعالى عنهم:

﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾[١]

وفي ظلّ هذا الوضع الخطير ساد عيينة بن حصن الفزاري زعيم غفار وصهره عثمان بن عفان على ابنته أمّ البنين الفزارية، وساد أبو الأعور الأسلمي على قبيلة أسلم، وساد الأقرع بن حابس على قبيلة تميم.

وقال الله تعالىٰ عنهم أيضاً: ﴿الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً﴾[٢].

وكان هؤلاء الأعراب لا يعرفون الأخلاق ولا يراعون الأعراف الإسلامية فقد دخل عيينة بن حصن على رسول الله ﷺ في بيته دون استئذان فقال له رسول الله ﷺ: فأين الاستئذان؟

قال عيينة: ما استأذنت على رجل مضر منذ أدركت. ثمّ قال: من هذه الحميراء إلى جنبك؟

فقال رسول الله ﷺ: هذه عائشة (وكانت سوداء دميمة المنظر).

قال عيينة: أفلا أنزل لك عن أحسن الخلق وتنزل عنها؟

فقال رسول الله ﷺ: إنّ الله عزّ وجل حرّم ذلك عليّ.

فلمّا خرج قالت عائشة من هذا يا رسول الله؟

قال: هذا أحمق مطاع وإنّه على ما ترين سيد قومه[٣].

وتمكّن زعماء القبائل الأعرابية الأجلاف الضعيفي الإيمان من قيادة تابعيهم نحو غاياتهم المنكرة والكافرة محطّمين في طريقهم الرسالات السماوية، والأسس الإنسانية.

---

(١) الحجرات ٤٩.

(٢) التوبة ٩، المبسوط السرخسي ٦ / ١٥٥، الجوهر النقي، المارديني ٧ / ٣٦٣، فقه السنّة، السيد سابق ٣ / ٢٧٩.

(٣) معاني الأخبار، الصدوق ٢٧٥.

وكان هؤلاء الأعراب بدرجة من البعد عن الحضارة والأخلاق أن تخافهم طغاة مكّة على تجارتها ورحلاتها وتتحاشاهم القبائل العربية الساكنة في المدن.

ولا يعرف هؤلاء الأعراب في قاموسهم غير الغارة على الآخرين والاستيلاء على الغنائم، ففي فتح مكّة شارك هؤلاء في الحملة فخاف أبو سفيان طاغية قريش منهم لمعرفته بإنسانية الأنصار وهمجية هؤلاء قائلاً لرسول الله ﷺ: جئت بمن يُعرف ومن لا يُعرف، ولكن النبي ﷺ لم يسمح لهؤلاء في سلب الناس وقتلهم وتسلّط هو ﷺ على حركاتهم وأفعالهم بعد دخولهم الإسلام ظاهراً.

ووجود هذه القبائل الهمجية في جزيرة العرب مكّن الأوغاد والمكرة من استخدامهم في مشاريعهم الغادرة قال الله تعالىٰ عنهم:

﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُوْنَ وَمِنْ أَهْلِ المَدِيْنَةِ مَرَدُوا عَلى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّوْنَ إِلى عَذَابٍ عَظِيْمٍ﴾[١]

وبينما قال أبو سفيان تلك الجملة لرسول الله ﷺ حول الأعراب كان هو نفسه قد استخدمهم أوّلاً في معركة الأحزاب (الخندق) وحاصر بهم المدنية المنوّرة.

وقد استخدمهم رجال السقيفة بعد شهادة رسول الله ﷺ فتعاهدوا معهم على اغتصاب خلافة رسول الله ﷺ، وكان هؤلاء الأعراب مرتزقة يبيعون أنفسهم لمن يدفع مالاً.

فتعاهد الأعراب (غطفان وغيرها) على الدفاع عن اليهود في خيبر مقابل نصف تمر خيبر، وفعلاً جاءت جموع الأعراب للحرب لكنّ النبي ﷺ تحرّك حركة

---

(١) التوبة ١٠١.

عسكرية نحو موطن غطفان فخاف مرتزقتها من ذلك وعادوا لحماية أهلهم وماشيتهم.

وفي حملة حنين تحالف الأعراب ومردة قريش وزعماء هوازن على المسلمين كالآتي: تآمر الأعراب وطلقاء قريش وجواسيسهم على خيانة النبي ﷺ من الداخل وهجوم هوازن من الخارج.

وفعلاً نجحت الخطّة وانهزم المسلمون.

ولولا النصر الإلهي لفاز المشركون، فبثّ الله الرعب في قلوب الكافرين والمنافقين وقَتَلَ علي عليه السلام قائد هوازن واسقط رايتهم[(١)].

وفي حملة الطائف أرسل النبي ﷺ عيينة بن حصن إليهم ليفاوضهم على الاستسلام لكنّه طلب منهم مواصلة الصمود ومحاربة المسلمين.

فأخبر جبرئيل عليه السلام النبي ﷺ بذلك، واعترف عيينة بخيانته لرسول الله ﷺ[(٢)].

واستمر أبو سفيان بعد إسلامه الصوري في رغبته في التحالف مع هؤلاء إذ قال في المدينة بعد شهادة رسول الله ﷺ لأملأنّها عليهم خيلاً ورجالاً.

وبعدما تحالف أبو سفيان مع هؤلاء الأعراب ملأ المدينة بهؤلاء الأوباش تبعاً لنظريّته السابقة.

فملأت أسلم شوارع (سكك) المدينة في يوم السقيفة وسلبت أهالي المدينة حقّ الانتخاب.

فتحقّق حلم أبي سفيان في معركة الأحزاب (الخندق) في دخوله المدينة

(١) الإرشاد، المفيد ٢ / ١٤٢، سيرة أبي حاتم ١ / ٣٤٩، سيرة ابن دحلان ٢ / ١٠٢، مغازي الواقدي ٢ / ٩٠٣.

(٢) دلائل النبوّة البيهقي ٥ / ١٦٣، البداية والنهاية ٤ / ٣٩٩.

وفرض أهدافه عليها.

وفرح عمر بن الخطاب بدخول الأعراب المدينة لمناصرة أهل السقيفة قائلاً: ما إن رأيت أسلم حتى أيقنت بالنصر[١].

وقد أثبت المؤرّخون حضور أبي سفيان في المدينة في يوم رحلة النبي ﷺ.

وكان أبو الأعور الأسلمي زعيم قبيلة أسلم من المتمرّدين على الأعراف الإنسانية والقوانين الأخلاقية ومستمرّاً على حلفه القديم مع الحزب القرشي.

فكان من المحاصرين للمدينة في معركة الأحزاب ومن الداخلين للمدينة في يوم السقيفة ومن المساعدين لقريش لإيصال أبي بكر إلى السلطة وإبعاد علي عليه السلام وصيّ محمّد ﷺ عنها.

واستمرّ أبو الأعور الأسلمي في منهجه الجاهلي فكان حليفاً دائماً للأمويين في زمن أبي سفيان وعثمان ومعاوية!

وتمكّن رجال الحزب القرشي بهؤلاء الأعراب والمنافقين من دحر الأنصار في السقيفة ووطىء صدر زعيمهم سعد بن عبادة وملأوا فم زعيمهم الثاني الحباب بن المنذر تراباً، وكسروا أنفه[٢].

وفي زمن حكومة أبي بكر أمرت الدولة باغتيال زعيمي الأنصار فقتلا.

وبواسطة هذا الجيش الهائج والطامع للأموال تمكّنت الدولة من الهجوم على بيت فاطمة بنت محمّد ﷺ وقتلها.

ثمّ قاد ذلك العسكر الكبير المؤلّف من قريش والأعراب والمنافقين علياً عليه السلام قائد المسلمين وبطلهم لإجباره على مبايعة أبي بكر.

---

(١) تاريخ الطبري ٢ / ٤٥٨، تاريخ ابن الأثير ٢ / ٢٢٤.

(٢) تاريخ الطبري ٣ / ٢٠٨.

وكانت الفرحة تعمّ صدور هؤلاء الأحزاب في أيّام تنصيب أبي بكر خليفة وهم يرون أهدافهم تتحقّق وأوصال عائلة الرسول ﷺ تتمزّق، وانجلت الغبرة في زمن خلافة أبي بكر عن مصرع فاطمة ؓ وابنها محسن وسعد بن عبادة والحباب بن المنذر زعيما الأنصار.

وكان عددهم في يوم الهجوم على بيت فاطمة بنت محمّد ﷺ أربعة آلاف مقاتل[1].

وكان عدد الأحزاب في معركة الخندق إثني عشر ألف مقاتل[2].

والفرق الثاني: إنّهم فشلوا في محاربة الإسلام من الخارج وعسكرياً ونجحوا في مواجهته من الداخل وتآمرياً.

وتفرّق رجال تلك القبائل الأعرابية في فتوح العراق والشام واستقرّت قبيلة أسلم في الشام.

ولمّا حاصر المسلمون بيت عثمان مطالبين إيّاه بعزل ولاته الفسقة ووزيره الطاغية مروان لم يتمكّن عثمان من إعادة الكرّة على المسلمين بهؤلاء الأعراب!

ولو حضر هؤلاء الأعراب في أطراف المدينة لأعاد عثمان مشروع المجيء بهم إلى المدينة لتحطيم معارضيه.

وقاد هؤلاء الأعراب مشروع الفتنة في زمن خلافة أمير المؤمنين ؑ إذ تزعّم أبو الأعور الأسلمي قبيلته أسلم في معركة صفّين.

فكرّر هؤلاء المنافقون نفس أعمالهم في الخندق وحنين والسقيفة وتمكّن جيشهم من قتل عمّار بن ياسر، وحصل أبو الأعور الأسلمي على منزلة عظيمة

---

(١) الفوائد الرجالية، بحر العلوم ٢ / ٣٣٣.

(٢) مغازي الواقدي ٢ / ٤٤٤، وفاء الوفاء ١ / ٣٠١.

عند معاوية وفرح هؤلاء الأعراب مرّة أخرى بشهادة علي عليه السلام بعد فرحهم بشهادة محمّد صلى الله عليه وآله وابنته فاطمة عليها السلام.

قال الله تعالى:

﴿الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[1].

وكان فرحهم بمصرع الامام علي عليه السلام مشهوداً كيف لا وهو الذي قتل أبطالهم في بدر وأحد والخندق وشتّت أوصالهم.

واستمرّت هذه الثقافة الجاهلية في الرغبة في قتل محمّد وآل محمّد صلى الله عليه وآله فقتلوا الحسن عليه السلام بن فاطمة عليها السلام وذبحوا الحسين عليه السلام وأهل بيته في واقعة دامية[2].

وبقيت أنفسهم طامحة للانتقام من الأنصار بعد انتقامهم من أهل البيت عليهم السلام وحقّقوا ذلك في سنة ٦٢ هجرية فتحوا المدينة عسكرياً فقتلوا الرجال وزنوا بالنساء وسرقوا الأموال في واقعة الحرّة[3].

وبقي رجال الأحزاب وأنصارهم سالفاً وحاضراً حاقدين على محمّد وآل محمّد صلى الله عليه وآله وأتباعهم إلى يومنا هذا.

وذلك الجيش العظيم من الأحزاب الداخل إلى المدينة في يوم السقيفة أفقد الناس توازنها وسلبها أمنها فلم ينفع الأنصار في السقيفة نداءهم:

لا نبايع إلّا علياً[4].

---

(١) التوبة ٩٧.

(٢) الإرشاد، المفيد ١ / ٣٢٣، العمدة، ابن بطريق ٣٠.

(٣) النزاع والتخاصم، المقريزي ٤٠، تاريخ المدينة، ابن شبة ١ / ٣٠٨.

(٤) شرح النهج ٣ / ٣٢، تاريخ ابن الأثير ٣ / ٣٣، البحار ١٥ / ٢٧٧.

ولم يسعف الحالة خطبة فاطمة الزهراء الشهيرةعليها السلام، وموقف سعد بن عبادة والحباب بن المنذر المناصر لعليعليه السلام والمخالف لأبي بكر إذ وطيء رجال أبي بكر صدر ابن عبادة وملأوا فم الحباب تراباً وكسروا ضلع سيّدة النساء، وبواسطة ذلك الانقلاب العسكري والإرهاب الأمني نجح زعماء الأحزاب في حركتهم.

فهل يجرؤ مهاجري أو أنصاري على الوقوف في مقابل هؤلاء الأجلاف الغير مؤمنين بالحرّية والرافضين للنصّ الإلهي والمعارضين لحقّ الانتخاب!

وبواسطة هذه الحركة الأعرابية والقرشية طمس رجال السقيفة بيعة الغدير الحرّة والعلنية التي جرت بأوامر إلهيّة وآيات قرآنية، إذ قال الله تعالى:

﴿بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسالَتَه﴾.

فقال رسول اللهصلى الله عليه وآله: إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي وأحدهما أكبر من الآخر، وأهل بيتي أعلم منكم فلا تتقدّموهم فتهلكوا[1].

ومن كنت مولاه فهذا علي مولاه اللّهم وال من والاه وعادِ من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله، اللّهم هل بلّغت.

فأنزل الله تعالى قوله الشريف:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾[2].

وأيّد العلماء نزول هذه الآية في غدير خم[3].

---

(١) صحيح مسلم ٥ / ٢٢، الدرّ المنثور ٧ / ٣٤٩، صحيح الترمذي ٥ / ٥٩١، سنن النسائي ٥ / ١٣٠.

(٢) المائدة ٣، المقنعة، المفيد ١٢٥، رسائل المرتضى ٤ / ١٣٠.

(٣) تفسير الفخر الرازي ١٢ / ٥٠، تاريخ دمشق، ابن عساكر ٢ / ٨٦، نزول القرآن أبو نعيم ٨٦، الملل والنحل،

كيف انتصرت الأطروحة القرشية على الأطروحة الحضارية؟

على أرض الصراع المادّي انتصرت الأطروحة الاستبدادية المكّية على الأطروحة النبوية السليمة.

وعلى أرضية الصراع الحضاري المعنوي فازت النظرية السماوية.

فسحق رجال السقيفة نواميس الإنسانية، وبراعم المدنية ورؤى المدينة الفاضلة وخنقوا نداءات الفلاسفة والحكماء، وقتلوا سيّدة نساء العالمين فاطمة عليها السلام، ونالوا من إمام المتّقين علي عليه السلام، وطمسوا نصوص البيعة الإلهيّة، وخالفوا عقود بيعة الغدير الشعبية، وشرب المنتصرون نخب انتصارهم على جهود نبوية مضنية استمرّت ٢٣ سنة.

وكي يحافظوا على فوزهم للجميع فقد قرروها مناوبة قبلية قرشية ولكن كيف يهنأوا بفوزهم ونواميسهم ذئبية وفعلاً قتل عمر وعثمان أبا بكر بعد سنتين فقط من حكمه في حركة قرشية ثانية امتداداً لحركة السقيفة وعلى نهجها[1].

وبعد ١١ عاماً قتل الأمويون من أعضاء الحزب القرشي عمر بن الخطاب بحيلة ثالثة امتداداً لمنهجيّة السقيفة وعلى أسسها. وبعد ١١ عاماً قتل أعضاء الحزب القرشي (عائشة وحفصة وطلحة وعبدالرحمن بن أبي بكر وعبدالرحمن بن عوف وعمرو بن العاص وسعد بن أبي وقّاص والمغيرة بن شعبة)، عثمان بن عفان شرّ قتلة.

← الشهرستاني ٧٠، تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي ٨ / ٢٩٠، تفسير الدرّ المنثور، السيوطي ٢ / ٢٥٩، تفسير روح المعاني الآلوسي ٦ / ٦١، البداية والنهاية ٥ / ٢١٣.

(١) راجع كتاب اغتيال الخليفة أبي بكر والسيدة عائشة للمؤلف.

ولماذا لا يقتلوه فهم الذين قتلوا أفضل البشرية في سبيل الوصول إلى السلطة، وهم الذين قتلوا أبا بكر لتسهيل أطروحة المناوبة على السلطة بين قبائل قريش.

ورجال الحزب القرشي تثقّفوا بثقافة الحزب القاسية في هجومهم على دار فاطمة بنت محمّد ﷺ سيّدة نساء العالمين فأحرقوا بابها وكسروا ضلعها. واستمر رجال ونساء الحزب مع هذه الثقافة إذ هجم رجال عمر على دار عائشة بنت أبي بكر لمنعها من إقامة مراسم النوح على أبي بكر المقتول بيد الدولة[١].

وهجمت قوّات عمر على منزل ميمونة الهلالية أمّ المؤمنين وخالة خالد بن الوليد لمنعها من إقامة مراسم وفاة خالد بن الوليد المقتول بيد الدولة[٢].

وهجمت قوّات عمر على دار سعد بن أبي وقّاص في الكوفة وأحرقوا بابه وهو باب قصر كسرىٰ نقله سعد إلى قصره ليصبح كسرىٰ العرب فغضب عمر وأحرقه[٣].

فسعد رفع باب كسرىٰ دلالة على رغبته وأحقيّته في الخلافة.

وعمر أحرقها رفضاً منه لخلافة سعد بن أبي وقاص.

بينما وافق عمر عند زيارته للشام على المظهر الملكي الكسروي لمعاوية في وضعه الحرس الكثير على بابه !!

فاستمرّت ثقافة القتل والإحراق والمؤامرة عند أعضاء الحزب القرشي فهجمت قوّات عثمان على عبدالله بن مسعود وكسروا ضلعه، وهجم عثمان على عمار بن ياسر ففتق بطنه[٤]!

---

(١) راجع كتاب اغتيال الخليفة أبي بكر والسيدة عائشة للمؤلّف.

(٢) راجع كتاب نظريّات الخليفتين للمؤلّف ج ٢ ترجمة خالد بن الوليد.

(٣) فتوح البلدان، البلاذري ٢٨٦، تاريخ الطبري ٣ / ١٥٠.

(٤) راجع ذلك في موضوع مقتلهما في هذا الكتاب.

ومنع طلحة والزبير وعائشة الماء عن عثمان وأهله. ثمّ هجم طلحة بن عبيدالله وأعوانه على بيت عثمان وأحرقوا بابه فدخلوا داره وقتلوه.

وزادوا في موبقاتهم بمنعهم دفن عثمان وأنصاره المقتولين وألقوهم على المزبلة حتىٰ نتنت أجسادهم، وأزكمت أنوف الساكنين.

فتدخّل الإمام علي عليه السلام وطلب دفنه مع أعوانه[1].

فتلك العادات الجاهلية ورثوها من أبي جهل وأبي لهب وصفوان بن أمية لا تمّت إلى الإسلام بصلة. واعتقد رجال الحزب القرشي انتصارهم بتلك المؤامرات الرثّة والخطط البالية إلّا أنّها عادت عليهم بالويل والثبور. فقد قُتلوا بيد بعضهم البعض شرّ قتلة وذلّوا ذلاً ماحقاً، وفي نهاية المطاف وجد بعض أعضاء الحزب القرشي أنّهم نجو من المحرقة التي افتعلوها بأنفسهم.

وهم عائشة وعبدالرحمن بن أبي بكر وسعد بن أبي وقّاص وسعيد بن العاص ومحمّد بن مسلمة وعبدالله بن عامر فقتلهم معاوية شرّ قتلة تسهيلاً لوصول ولده يزيد إلى السلطة.

إذ دفن عبدالرحمن بن أبي بكر حيّاً في طريق مكّة المدينة وأوقع عائشة وحمارها في حفرة أعدّها لها فقال عبدالله بن الزبير عن خالته عائشة (أمّ عمرو):

لقد ذهب الحمار بأمّ عمرو فلا رجعت ولارجع الحمار[2]

واستمرّت ثقافة الحزب القرشي تسري في عروق كلّ زائغ عن أهل البيت عليهم السلام. فتظهر أفعالهم في قتل بعضهم البعض كما قال خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله:

لتحذونّ حذو اليهود والنصارىٰ حذو القذّة بالقذّة، وحذو النعل بالنعل فلو

---

(١) راجع علاقة طلحة والزبير مع عثمان في هذا الكتاب.

(٢) اغتيال الخليفة أبي بكر والسيدة عائشة للمؤلّف، ص: ١٠٧.

دخلوا جحر ضبٍّ دخلتموه[١].

فكان المشركون والمنافقون إلى أيّامنا هذه يقتل بعضهم البعض رغبة في الأهواء الدنيوية. وسار يزيد بن معاوية على خطىٰ جدّه وأبيه فقتل سبط الرسول الحسين بن فاطمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وقتل أهالي المدينة المنوّرة. وأحرق الكعبة الشريفة[٢].

وفي أيّامنا هذه نجد الكثير من المسلمين يتّبعون سيرة الحزب القرشي في الخشونة والقسوة والحيد عن الإنسانية والحضارة والشريعة الإسلامية.

والقليل من الناس من يتّبع صراط النبي المستقيم، وتعاليمه الأخلاقية ومبادئه السمحة. ونحن نرجو الله تعالىٰ أن يسهّل لنا السير علىٰ درب رسول الله ﷺ وأهل بيته عليهم السلام كما قال تعالىٰ في كتاب الشريف:

﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾[٣].

---

(١) ينابيع المودّة، القندوزي ٣ / ٢٨٣، المستدرك، الحاكم ٣ / ١٤٠، النهاية، ابن الأثير ١ / ٣٤٤، لسان العرب ١٤ / ١٦٩.

(٢) فتوح الشام، ابن أعثم ٥ / ٣٠١، مروج الذهب ٣ / ٧١، تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢٥١، تاريخ الطبري ٧ / ١٤، تاريخ ابن الأثير ٤ / ٩٤، تاريخ الخميس ٣ / ٣٠٢، تاريخ السيوطي ٩.

(٣) الحمد ٥.

الفصل الثاني:

عثمان مع ابي بكر وارحامه

وصيّةٌ مُزوَّرة

الحديث في هذا الموضوع عن وصيّة أبي بكر المزوّرة لعمر بن الخطّاب التي كتبها عثمان بن عفان مدّعياً أنّها من إملاء أبي بكر، فيا تري كيف حدث هذا التزوير ومتىٰ ولماذا؟

قال: الإمام علي عليه السلام لعمر بعد السقيفة: إحلب حلباً لك شطره توليه أنت اليوم ليرجعها إليك غداً وفعلاً عيّن عمر أبا بكر خليفة في السقيفة، لكنّ أبا بكر حاول في أواخر عمره أن يبعد عمر عن الخلافة وذلك بإخراجه من عاصمة الخلافة إلى العراق، بعد أن ساءت علاقتهما فقال: الخيَرَةُ له ألّا يلي من أموركم شيئاً.

وقال: إنّي لا آسىٰ من الدنيا إلّا على ثلاث فعلتهنّ ووددت أنّي تركتهنّ، وثلاث تركتهنّ ووددت أنّي فعلتهن، منها وددت أني حين سيّرت خالد بن الوليد

إلى الشام كنت وجّهت عمر بن الخطّاب إلى العراق»[1].

بينما طلب أبو بكر الإذن من أسامة بإبقاء عمر في المدينة سابقاً، ووجد عمر وعثمان (وهما خليفتا أبي بكر) أمامهما مشكلة تتمثّل في طول عُمُر أفراد عائلة أبي بكر، فأبو بكر كان عمره ٦٣ سنة وأبوه ما زال على قيد الحياة، بينما سن عمر ٥٢ سنة، وسن عثمان ٥٩ سنة، فخاف الأمويون أن يموت عثمان قبل وصوله إلى السلطة، فيفلسوا من الملك.

ونفد صبر عمر فقال لابنه عبدالله: «أفي غفلة أنت إلى يومك هذا عمّا كان من تقدّم أحيمق بني تيم عليّ وظلمه لي»، وقال: «واهفاه على ضئيل بني تيم لقد تقدّمني ظالماً وخرج إليّ منها آثماً، وأنّه لم يخرج إليّ منها إلّا بعد يأس منها»[2].

ومن خلال تلك النصوص وقرائن أخرى شكّك المسلمون في زمن أبي بكر بوصيّته إلى عمر بن الخطاب.

والأدلّة، والحجج، والشواهد، في زيف وصيّة أبي بكر لعمر كالآتي:

١ ـ قال عمر: خرج (أبو بكر) إليّ منها آثماً، أي عدم إرجاع أبي بكر الخلافة إلى عمر كما اتّفقا.

فكيف يدعون إرجاع أبي بكر الخلافة لعمر بالطرق السلمية.

٢ ـ لو كانت الوصية صادرة من أبي بكر فعلاً لكتبها بخطّ يده فهو من العارفين بالكتابة، ولأشهد الناس عليها.

وكلّ هذا لم يكن إذ كُتبت الوصية بخطّ عثمان، ودوّن حضور شهود من

---

(١) تاريخ الطبري ٢ / ٦٢٠، العقد الفريد ٤ / ٢٥٥.

(٢) شرح نهج البلاغة، المعتزلي ٢ / ٢٩ ـ ٣٤.

الأصدقاء والأقرباء[1]!

٣ ـ وشكّك الناس الحاضرون بصحّة تلك الوصية بشهادة عثمان إذ قال لهم عثمان: «هذا عهد أبي بكر فإن تقرّوا به نقرأه، وإن تنكروه نُرجعه»[2].

٤ ـ مقتل أبي بكر بالسمّ مع رفيقه عتاب بن أسيد وطبيب العرب ابن كلدة الذي شخّص أكل أبي بكر سمّاً يدعم زيف الوصية[3]. كيف لا والمتّهم بالقتل عثمان بن عفان!

٥ ـ فساد العلاقة لاحقاً بين عثمان وبين عائلة أبي بكر يدعم قضية زيف وصيّة أبي بكر لعمر، إذ كانت عائشة أوّل من أمال حرف عثمان.

وكانت عائلة أبي بكر أشدّ الناس على عثمان[4].

وعائشة أوّل من أفتى بقتل عثمان بقولها: اقتلوا نعثلاً لقد كفر[5].

ورفع طلحة التيمي (ابن عمّ أبي بكر) راية المعارضة ضدّ عثمان، وقطع الماء عنه، وقتله بواسطة إثنين من مواليه، فقال سعيد بن العاص الأموي: عائشة وطلحة قتلا عثمان[6].

٦ ـ استمرّ عثمان في خططه الخفيّة لقتل باقي أولاد أبي بكر بعد قتله لأبيهم خوفاً من ثأرهم لأبيهم، فوضع مشروعاً سرّياً خطيراً لقتل محمد بن أبي بكر عبر أوامره إلى عبدالله بن أبي سرح واليه على مصر بذلك، بعدما عاهده عثمان على

---

(١) تاريخ الطبري ٢ / ٦١٨.

(٢) العقد الفريد، ابن عبد ربّه ٤ / ٢٥٣، تاريخ ابن خلدون ٢ / ١٤١.

(٣) العقد الفريد ٦ / ٢٩٢، تاريخ الطبري ٢ / ٦١١، المعارف، ابن قتيبة ٢٨٣.

(٤) أنساب الأشراف، البلاذري ٥ / ٦٨.

(٥) البحار ٣٢ / ١٣٦، النهاية ٥ / ٨٠، تاريخ الطبري ٤ / ٤٥٩، الإمامة والسياسة ١ / ٤٩.

(٦) المعارف، ابن قتيبة ٢٣١، الكامل في التاريخ ٣ / ٢٠٦، تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٣٢.

الصلح والمحبّة أمام الملأ العام من المسلمين وبضمانة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وفي المسجد النبوي! فلم يلتزم عثمان بعهده المذكور بينما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من علامات المنافقين الكذب ومخالفة العهد وخيانة الأمانة.

ولو نجحت تلك العملية لأصبح محمد بن أبي بكر وأبوه من ضحايا الاغتيالات السرية لعثمان بن عفان الماهر في هذا الضرب من الفنون الفتّاكة، لكن الله تعالىٰ أبطل عمله وفضحه.

وممّا شكّك البعض في وصية أبي بكر لعمر عدم اعتناء الحزب القرشي بالوصايا وتنكّرهم لها مثل وصيّة النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام.

ووصية علي للحسن عليه السلام.

ووصية عمر إلى عبدالرحمن بن عوف بالخلافة (من بعد عثمان).

وتنكّر معاوية لوثيقة صلحه مع الحسن عليه السلام المثبتة لخلافة الحسن عليه السلام له.

ووصية معاوية لمروان من بعد يزيد، ممّا يعني عدم اهتمامهم بالوصايا الإلهيّة والنبويّة وتنكّرهم لوصاياهم الرئاسية والعرفية والقبلية السياسية منها والاجتماعية.

ومن العجيب أيضاً أن موت أبي بكر ودفنه وكتابة وصيّته قد حدث في ليلة واحدة (ليلة الثلاثاء)! دون حضور شهود للوصية وبلا حضور الناس مراسم الدفن! ودون علم أولاد أبي بكر بذلك! فشكّكت عائلة أبي بكر بعثمان الأموي الداهية الطامع في الحكم.

فاشتدّت العداوة بين عائلة أبي بكر من جهة وبين عثمان وبني أميّة فقَتَل عبدالرحمن ومحمّد وعائشة (أولاد أبي بكر) عثمان وساعدهم في ذلك طلحة بن

عبيدالله (ابن عمّهم) ممّا تسبّب في انتقام الأمويين منهم بقتلهم محمّداً وعبدالرحمن وعائشة وطلحة!

وساءت العلاقة أيضاً بين عمر من جهة وعبدالرحمن بن أبي بكر وطلحة من جهة أخرى، فقال عمر في عبدالرحمن: دويبة سوء وهو خير من أبيه [١].

وقال عمر لطلحة: أقول أم أسكت؟

فقال طلحة: قل فإنّك لا تقول من الخير شيئاً [٢].

وانقطعت العلاقة بين عائشة وحفصة فماتت حفصة وعائشة مهاجرة لها [٣]!

وقالت عائشة في عثمان: اقتلوا نعثلاً (اليهودي) فقد كفر [٤].

ومات أبو قحافة كمداً على مقتل أبي بكر بعد أشهر من مقتله [٥].

وتلك النصوص تبيّن شدّة الخلاف بين الجانبين والحقد العظيم للطرفين على بعضهم البعض، ذلك الحقد الذي لم يتضخّم، إلّا في مدّة طويلة وبعد حوادث كثيرة.

ومن طبيعة الخصومات وصولها إلى حادّة الانفجار بعد تراكمات عديدة ولأجل غايات عظيمة. وكيف لا تكون السلطة غاية عظيمة للبعض وهي القضية الموجبة لتسلّط الإنسان على الحكم والجاه والمال والنساء في الدنيا والتي بسببها قتل المأمون أخاه الأمين وقتل المنتصر أباه المتوكّل [٦].

---

(١) شرح النهج ٢ / ٢٩.

(٢) السفيانية، الجاحظ.

(٣) المعارف، ابن قتيبة ٥٥٠.

(٤) الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٣ / ٢٠٦.

(٥) البداية والنهاية، ابن كثير ٧ / ٥٩.

(٦) الثاقب في المناقب، ابن حمزة الطوسي ٥٢٩.

فالدليل السادس على ضلوع عثمان بن عفان في قتل أبي بكر هو أعمال الاغتيالات الكثيرة التي افتعلها عثمان بحقّ الصحابة وعلى رأسها محاولته قتل محمد بن أبي بكر ابن ضحيّته السابقة، وأعماله الماكرة الأخرى[١].

وقتله لأبي ذر الغفاري في صحراء الربذة منفياً إلى هناك[٢].

وقتله وصيّه في الحكم عبدالرحمن بن عوف الذي أوصله إلى السلطة!

وقتله المقداد بن عمرو الذي ذكر أعمال عثمان المشينة.

واغتال عثمان أيضاً عبدالله بن مسعود أمين بيت المال في الكوفة الذي فضح عثمان في المسجد النبوي في خيانته لأموالهم وفراره في المعارك السابقة، وامتناعه عن بيعة الرضوان.

وسار أبناء عثمان على نظريته في المكر والخديعة فغدر سعيد بن عثمان بالأتراك الرهائن بتسخيرهم عبيداً له فثاروا عليه وقتلوه[٣].

وسار عبدالله بن عمر على خطى أبيه أيضاً فبايع يزيد بن معاوية الفاجر ورضي بمذبحة يزيد في الحرّة التي كانت انتقاماً لمقتل عثمان قائلاً: بعثمان وربّ الكعبة[٤].

وكانت مذبحتا كربلاء والحرّة انتقاماً لمعركة بدر الظافرة.

ولو رضي رجال الحزب القرشي بوصيّة رسول الله ﷺ في خلافة علي عليه السلام لانتشر العدل والسلام والودّ في كل مكان، ولم تُسفك دماء النبي ﷺ وفاطمة عليها السلام.

---

(١) تاريخ ابن الأثير ٣ / ١٦٩، ١٧٠.

(٢) السقيفة وفدك، الجوهري ٧٨.

(٣) البدء والتاريخ ٢ / ٢١٦، ٢ ب.

(٤) المنتظم، ابن الجوزي ٦ / ١٦.

ولم يقتنع رجال السقيفة بحكم أبي بكر بل قتلوه أيضاً، وزوّروا وصيّته ثمّ قتلوا عمر ثمّ عاثوا في الأرض فساداً في زمن زعيمهم وكان نتيجة هذه الأعمال الكثيرة عودة الحكم إلى حضن أبي سفيان.

العلاقة بين عثمان وأبي بكر وعمر

لقد ساءت العلاقة بين عائلة أبي بكر من جهة وعمر وعثمان من جهة أخرىٰ بعد حادثة مقتل أبي بكر: فاتّهمت عمر وعثمان باغتيالها له؛ لذا تدهورت العلاقة بين عبدالرحمن بن أبي بكر معهما، فوصفه عمر بدويبة سوء[1].

ولم يستخدماه في جهاز الدولة[2].

ولم يُلَبِّ عمر وعثمان حاجاته إذ أخرج عمر بن الخطّاب الحطيئة الشاعر من السجن بشفاعة عمرو بن العاص بعد أن رفض شفاعة عبدالرحمن بن أبي بكر فيه[3].

وتزوّج عمر زوجة عبدالله بن أبي بكر السابقة دون موافقتها[4].

وضرب عمر أمّ فروة بنت أبي بكر بشدّة بدُرّته لنياحتها على أبي بكر المقتول بالسمّ[5]، وأطفأ إحدىٰ عينيها فأصبحت عوراء.

وردّت عائلة أبي بكر على أفعال عمر بحقّها بطرق وسبل مختلفة:

ازداد حقد عبدالرحمن بن أبي بكر على عمر.

---

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٢ / ٢٩.

(٢) راجع ترجمة عبدالرحمن بن أبي بكر في الإصابة وفي تاريخ دمشق.

(٣) البداية والنهاية، ابن كثير ٨ / ١٠٥.

(٤) الطبقات، ابن سعد ٨ / ٢٦٥.

(٥) تاريخ الطبري ج٤، حوادث سنة ١٣، الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٢ / ٢٠٤، كنز العمال ١٨ / ١١٨، كتاب الموت.

رفضت أمّ كلثوم بنت أبي بكر طلب الزواج من عمر بن الخطاب في خلافته، وتزوّجت طلحة بن عبيدالله[١]!

وثار عبدالرحمن وعائشة ومحمّد (أولاد أبي بكر) وطلحة (ابن عمّه) على عثمان وقتلوه.

وحاول عمر إرضاء عائشة بما لم تحصل عليه في زمن أبيها ففضّلها في العطاء على المسلمين والمسلمات، وأعطاها مقام الفتوى[٢].

وبعد ما مات عمر بن الخطاب ساءت العلاقة بين عائشة وحفصة» واستمرّت القطيعة إلى أن ماتت حفصة[٣].

ولمّا قتلت عائشة وأرحامها عثمان ساءت العلاقة بين عائلة أبي بكر والأمويين بصورة شديدة فحاول الأمويون الانتقام لعثمان.

وبعد مقتل أبي بكر ساءت العلاقة بين عائشة والأمويين ثمّ تدهورت أكثر بقتل معاوية وابن العاص لمحمّد بن أبي بكر، وأخذت عائشة تدعو عليهما في قنوتها دبر صلاتها[٤]. وأرضاها معاوية بعطاياه الكثيرة[٥] مثلما فعل عمر معها.

وقتل مروان الأموي طلحة التيمي في معركة الجمل انتقاماً لعثمان.

ولمّا ثارت عائشة على الأمويين قتلها معاوية في نفس سنة قتله لأخيها.

وهكذا قتل الأمويون أفراد عائلة أبي بكر وطووا صفحة حضورهم السياسي

---

(١) تاريخ الطبري ٥ / ١٧، الكامل في التاريخ ٣ / ٥٤، المعارف، ابن قتيبة ١٧٥، طبقات ابن سعد ٨ / ٤٦٢.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٥٣، فتوح البلدان، البلاذري ٤٣٥، ٤٤١.

(٣) المعارف، ابن قتيبة ٥٥٠.

(٤) تاريخ الطبري ٥ / ١٠٥، حوادث سنة ٣٨هـ، والكامل في التاريخ لابن الاثير ٢ / ٤١٣، حوادث سنة ٣٨هـ، والبداية والنهاية، ابن كثير ٧ / ٣٤٩، وشرح نهج البلاغة ٦ / ٨٨ خطبة ٦٧.

(٥) سير أعلام النبلاء ٢ / ١٨٧، المستدرك، الحاكم ٤ / ١٣، الطبقات الكبرى، ابن سعد ٨ / ٦٧ طبعة صادر ـ بيروت.

في العالم الإسلامي[١]!

وكان عثمان بن عفان من أصحاب أبي بكر في الحزب القرشي يتّفق معه في كثير من الرؤى والأهداف.

فقد أسلما في فترة واحدة وهي المدّة المحصورة بين نهاية حصار شعب أبي طالب والهجرة النبوية إلى المدينة المنوّرة.

ولم يتعرّضا للعذاب القرشي من قبل طغاة مكّة بل كانت علاقتهما برموز مكّة حسنة.

وهما مع عمر وباقي رجال الحزب القرشي لم يحاربوا قريشاً في بدر واحد والخندق ولم يقتلوا قرشياً قط. ولم يقتلوا مشركاً قط، وانتخبوا طريق الفرار من الحرب كنظرية.

ففرّوا في المعارك الأولىٰ والمعارك اللاحقة مثل خيبر وحنين فلم تتوتّر علاقتهم مع باقي القبائل المشركة واليهودية.

وكانت علاقة عثمان مع عمر أقوىٰ من علاقة عثمان مع أبي بكر فنرى الإثنين في حوادث كثيرة منسجمين مثل منع دفن رسول الله ﷺ وادّعاء كونه حيّاً.

ومشاركة الإثنين في الهجوم على بيت فاطمة بنت محمّد ﷺ بالنار والحطب.

واشتراكهما في مقتل أبي بكر للوصول إلى السلطة[٢].

فكان عثمان مع عمر اتّفقا وتعاهدا فبينما ساعد عثمان عمر في الوصول إلى السلطة ردّها إليه عمر بعد اغتياله، إذ أوصىٰ عبدالرحمن بن عوف بإيصال عثمان إلى الخلافة[٣].

---

(١) راجع كتاب اغتيال الخليفة أبي بكر والسيده عائشة للمؤلّف.

(٢) راجع كتاب اغتيال الخليفة أبي بكر والسيدة عائشة للمؤلّف.

(٣) تاريخ الطبري ٣ / ٢٩٤.

وكان رجال الحزب القرشي يداً واحدة على أهل بيت النبوّة ﷺ وأنصارهم وبعد تسلّطهم على زمام الأمور بدأ الاختلاف يدبّ في صفوف الحزب.

فانقسم أعضاؤه إلى قسمين الحزب البكري والحزب العمري وكان عثمان بن عفان من رجال الحزب العمري.

وفي زمن خلافة أبي بكر لم يحصل عثمان على وظيفة مرموقة في الدولة، فلم يرسله أبو بكر أميراً على الحجّ ولم يخلّفه رئيساً على المدينة، ولم يعيّنه وليّاً للعهد.

بينما حصل عثمان على منزلة سياسية كبيرة في زمن سلطة عمر بن الخطّاب فكان الوزير الأوّل له في النظام السياسي، ووليّاً للعهد.

بل قرّب عمر الأمويين جميعاً. إضافة إلى عثمان؛ فأصبح معاوية والياً على الشام وأصبح سعيد بن العاصّ والياً وأصبح الوليد بن عقبة الفاسق والياً. إضافة إلى منصبي الطائف وفيه عتبة بن أبي سفيان وقيادة جيش في الشام برئاسة يزيد بن أبي سفيان.

ويعتبر عمر الأبّ الروحي للأمويين فهو الذي أحيا ذكرهم سياسياً ورفع منزلتهم.

ولم يكتف الأمويون بإدارة الولايات والوزارة بل راحوا يفكّرون في الخلافة العظمى وفي تفكيرهم هذا كانت نهاية الحياة السياسية لعمر.

وكان التعاون بين عمر وعثمان فنيّاً ودقيقاً ووفق خطط ذكية ومكائد سلطانية. فعثمان هو المزوّر الأوّل لوصيّة أبي بكر لعمر التي شكّك فيها الصحابة[1].

وعثمان هو الذي قرأ تلك الوصية المزوّرة على الناس.

---

(١) راجع كتاب اغتيال الخليفة أبي بكر. موضوع الوصية.

ومقابل هذا حاك عمر خطّة ذكية لإيصال عثمان إلى السلطة ونجح في ذلك وهو عالم بشخصيّة عثمان وميوله فقد عيّن ستّة في مجلس شورىٰ وجعل الانتخاب بيد عبدالرحمن بن عوف!

ثمّ قال: فوالله لو فعلت (أي خلفت عثمان) لجعل بني أبي معيط على رقاب الناس يعملون فيهم بمعصية الله حتىٰ يقتلوه[1].

ومرّة أخرىٰ قال عمر عن عثمان: كلف بأقاربه[2].

واتّفق عثمان وعبدالرحمن بن عوف على إخراج عليّ عليه السلام من الخلافة بشرط لا يرضاه ألا وهو التعهّد باتّباع سيرة الشيخين، وفعلاً رفض أمير المؤمنين عليه السلام هذا الشرط الماكر من عثمان وعبدالرحمن بن عوف.

وكان نتيجة هذا الكيد السياسي وصول عثمان إلى السلطة وسط ظروف مشحونة بالفتنة ومؤامرات سياسية بعيدة عن الأخلاق الإسلامية.

ولو مكر أمير المؤمنين عليّ عليه السلام بهم لَقَبِل شرطهم ثمّ رفضه بعد وصوله إلى السلطة، لكنّه أعلن مراراً عن رفضه للكيد قائلاً: المكر والخديعة في النار[3].

وأقول بأنّ رجال الحزب القرشي ما كانوا ليعطونه الخلافة بكلّ الصور الممكنة، فلو لم ينفعهم كيدهم لتوسّلوا بالصراحة المطلقة في مواجهة الوصي عليّ عليه السلام مثلما فعلوا في السقيفة، ومثلما فعلوا في فدك اغتصبوها بصورة علنية خلافاً للآيات القرآنية في الإرث ومنها ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾[4].

---

(١) الاستيعاب ٣ / ٢١٦، البحار ٢١ / ٣٦٤.

(٢) الاستيعاب ٣ / ٢١٦.

(٣) الكافي، الكليني ٢ / ٣٢٧، عيون أخبار الرضا عليه السلام، الصدوق ١ / ٥٥، البحار ٧١، ٢٨٧، وسائل الشيعة ٨ / ٥٧٠.

(٤) النمل ١٦.

أمّا عن قضيّة مشاركة الأمويين في مقتل عمر بن الخطّاب فهذا نابع من رغبتهم الجامحة للوصول إلى السلطة اعتماداً على الأمور التالية:

١ ـ اعتقادهم بأفضلية بني أمية على بني تيم وبني عدي عليه لم لا يكون هناك سهم لبني أمية في الحكم.

٢ ـ كان عثمان بن عفان ممثّل الأمويين أكبر سنّاً من عمر بن الخطّاب ولو انتظر الأمويون موت عمر الطبيعي لما وصلت السلطة إليهم.

لذا فكّروا في قتل عمر والإجهاز عليه سريعاً، ونجحوا في هذا المضمار بمساعدة الداهية المغيرة بن شعبة، فالمغيرة هو الذي أقنع عمر بإدخال أبي لؤلؤة الفارسي إلى المدينة.

وأبو لؤلؤة أحد قيادات الجيش الفارسي ومسلم شجاع ومخالف للأعمال العمرية القومية.

فقد منع عمر زواج العربيّات من غير العرب، ورفض شهاداتهم وخفّض عطياتهم المالية وغيرها من الأفعال المخالفة لنصوص الآيات القرآنية الشريفة[1].

وفي حركة أموية فنّية وضع أبو لؤلؤة مقابل عمر كان فيها نهاية الحقبة السياسية والحياتية له!

علاقة عثمان ـ طلحة

كان الإثنان من رجال الحزب القرشي ويشتركان في أهداف وأعمال كثيرة. فالإثنان لم يشتركا في معركة بدر وفرّا في معركة أحد واشتركا في محاولة قتل

(١) مختصر تاريخ دمشق ٤ / ١٣٢، ٣ / ٨٣، ٣ / ٨٣.

النبي ﷺ في العقبة[١].

وبعد استلام الحزب القرشي للسلطة بدأ الصراع بين الإثنين فطلحة من أنصار الخط البكري وعثمان من أتباع المنهج العمري، واشتدّ الصراع تدريجياً.

ولمّا انتصر الحزب العمري وقُتل أبو بكر التيمي بيد عمر وعثمان ازداد العداء بين الإثنين. فتشاجرا في المسجد النبوي في زمن حكم عمر على كبر سنّيهما فوقف عمر إلى جانب رفيقه عثمان وأهان طلحة التيمي[٢].

واستمرّت العلاقة بينهما نار تحت رماد تنفجر في كلّ حادثة وحاول عثمان إغراءه بالأموال فأعطاه شيئاً كثيراً منها أكثر ممّا يستحقّه لكن ذلك لم يرأب الصدع الكبير بين الجانبين.

ولمّا ضعف عثمان وازدادت النقمة الشعبية عليه تحرّك طلحة وعائشة للانتقام منه فأصدرت عائشة فتواها، وشمّر طلحة عن ساعديه للقضاء عليه.

فمنع طلحة الماء عن عثمان وهو منهج جاهلي يمنعه الإسلام إلّا أنّ طلحة أصرّ عليه وقتل عثمان عطشاناً! لذلك طلب عثمان الماء من الإمام علي عليه السلام في أيّام حصاره فأرسل له الإمام علي عليه السلام الماء إلى منزله[٣].

وذكر ابن سيرين: لم يكن أحد من أصحاب النبي ﷺ أشدّ على عثمان من طلحة[٤].

---

(١) عيون الأثر ١ / ٣٢٥، سيرة ابن حيان ١ / ١٨٢، شذرات الذهب ١ / ٢٤٦، تفسير ابن كثير ١ / ٦٥٧، سيرة ابن كثير ٣ / ٥٥،. البداية والنهاية ٤ / ٣١، ٣٢، صحيح البخاري باب المغازي ٢ / ١٥٨.

(٢) تاريخ المدينة، ابن شبه ١ / ٣٣.

(٣) العقد الفريد ٤ / ٢٧٤، ٢٧٥.

(٤) العقد الفريد ٤ / ٢٨٠.

اغتيال طلحة بن عبدالله التيمي

«وكان طلحة شديداً على عثمان»[١]، وقد منع الماء عن عثمان وشارك في ذبحه. فقال المغيرة: أشدّ الناس على عثمان طلحة[٢].

وعادة قطع الماء عن المسلم والكافر عادة جاهلية منبوذة رفضها النبي ﷺ في بدر وتركها الإمام علي عليه السلام في صفّين، بينما سار عليها طلحة والزبير وعائشة في قتلهم عثمان عطشاناً.

وسار على هذ النظرية السيّئة الصيت الأمويون بقتلهم سيّد شباب أهل الجنّة الحسين بن علي عليه السلام عطشاناً.

وبعد اشتراك طلحة في اغتيال عثمان بن عفان صمّم الأمويون على الانتقام منه آخذاً لثأر عثمان.

وعندما ذهبت عائشة بجيشها إلى البصرة مع طلحة والزبير للمطالبة بدم عثمان بن عفان قال سعيد بن العاص الأموي بأنّ ثأرنا عند هؤلاء الثلاثة عائشة وطلحة والزبير[٣].

ولا تقتلوا في رضى المخلوقين أنفسكم فعاد عن المعركة مع المغيرة بن شعبة.

ورغم موقف عائشة وطلحة من الأحداث بمطالبتهم بدم عثمان ومحاربتهم علي بن أبي طالب عليه السلام لم يجدهم نفعاً.

إذ صمّم الأموين على الانتقام لعثمان. وفي معركة الجمل سنحت فرصة لمروان

---

(١) المعارف ص ٢٢٨.

(٢) العقد الفريد ٤ / ٢٨٠ طبعة دار إحياء التراث العربي.

(٣) رسائل المرتضى ٤ / ٦٨، طبقات ابن سعد ٥ / ٣٥، تاريخ دمشق ٢١ / ١١٧.

بن الحكم لقتل طلحة بن عبدالله فقتله[١].

فقال ابن كثير: «وقد اغتاله مروان بن الحكم عندما رماه بسهم في ركبته»[٢].

ومن أعجب العجب قتل طلحة لعثمان عطشاناً ثمّ المطالبة بدمه في البصرة بينما كانت قائدة جيشه عائشة التيمية هي الآمرة بقتله وهو منفذ أمرها!

ولو قتل سعيد بن العاص الأموي وأتباعه عائشة وطلحة والزبير لانطفأت نار الفتنة ولم تحدث معركة الجمل التي قتل فيها عشرون ألف مسلم.

لكن أهل الفتنة تبعوا رأي مروان بن الحكم الذي دعا إلى زج الفريقين في حرب ضد بعضهم البعض[٣].

ودهشة القارئ تأتي من سماع عائشة لهذه الأقوال في أنّها قاتلة وإصرارها على المطالبة بدم عثمان!

عبدالرحمن بن أبي بكر ٥٨ هـ

وأصبحت علاقة عثمان مع عبدالرحمن سيّئة جدّاً بعد اغتيال عثمان لأبي بكر وقُتل عبدالرحمن بين مكّة والمدينة. مثلما قُتل طالب بن أبي طالب بين مكّة والمدينة[٤].

ومثلما قتل معاوية الأشتر وهو في طريقه إلى مصر[٥].

---

(١) المعارف، ابن قتيبة ص ٢٢٩.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير ٨ / ٢٨٢، طبعة دار إحياء التراث العربي - بيروت.

(٣) تاريخ دمشق ٢١ / ١١٧.

(٤) تاريخ الطبري، معركة بدر، تاريخ ابن الأثير، معركة بدر.

(٥) مروج الذهب، طبعة بيروت ٢ / ١٣٩، اليعقوبي ٢ / ١٣٩.

وقتل المشركون طالباً في حين قتل معاوية عبدالرحمن الأشتر.

وقُتل عبدالرحمن بعد أن ردّ رشوة معاوية له ليبايع يزيد، ومقدارها مائة ألف درهم قائلاً: لا أبيع ديني بدنياي، أهرقلية، كلّما مات هرقل جاء هرقل.

فقال مروان هذا الذي أنزل الله تعالىٰ فيه: والذي قال لوالديه أُف لكما.

فقالت عائشة:

كذبت والله ما هو به، ولكنّ رسول الله ﷺ لعن أبا مروان ومروان في صلبه[١].

وقال ابن كثير: لمّا طالبوا عبدالرحمن بن أبي بكر ببيعة يزيد بن معاوية قال عبدالرحمن: جعلتموها هرقلية وكسروية.

فقال له مروان: اسكت فإنّك أنت الذي أنزل الله فيك: والذي قال لوالديه أُف لكما أتعدانني أن أُخرج[٢].

فقالت عائشة: ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن، ثمّ بعثت إلى مروان تعتبه وتؤنّبه وتخبره بخبر فيه ذمّ له ولأبيه[٣].

فمات عبدالرحمن فجأة قبل وصوله مكّة وقبل بيعته يزيدا[٤].

ولم يحفظ معاوية لأبي بكر معروفه، فبينما عيّن أبو بكر إثنين من إخوته ولاة (يزيد وعتبة في الشام والطائف قتل هو ثلاثة من أبنائه في مصر والحجاز!

---

(١) تاريخ ابن الأثير ٣ / ١٩٩، حوادث سنة ٥٦ هـ، والأغاني ١٦ / ٩٠ ـ ٩١، البداية والنهاية، ابن كثير ٨ / ٩٦ طبعة دار إحياء التراث العربي ـ بيروت. التحفة اللطيفة، السخاوي ٢ / ٥٠٤.

(٢) الأحقاف ١٧.

(٣) البداية والنهاية ٨ / ٩٦ ط دار إحياء التراث العربي.

(٤) الاستيعاب، ابن عبدالبر ٢ / ٣٩٣، أسد الغابة ٣ / ٣٠٦.

ذكر أبو زرعة الدمشقي: ثمّ توفّىٰ عبدالرحمن بن أبي بكر بعد منصرف معاوية من المدينة في قدمته التي قدم فيها لأخذ البيعة من عبدالله بن عمر وعبدالله بن الزبير، وعبدالرحمن بن أبي بكر[١].

وغفل أبو بكر عن أهداف الأمويين فقرّبهم في الدولة واحتضنهم وقوّىٰ شوكتهم فقتلوه مع أولاده الثلاثة وابن عمّه طلحة، ولو حالف أبو بكر أهل بيت النبوّة ﷺ وأقرّ بخلافتهم لما أصابه ذلك المصاب الكبير.

---

(١) تاريخ أبي زرعة الدمشقي ص ٢٩٨ ح ١٦٦٨، مروج الذهب، المسعودي ٢ / ١٣٩، تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٣٩.

الفصل الثالث:

عثمان ـ عمر

كيف تمكّن عمر من كبح جماح جيش الشام؟

كانت المنافسة على قيادة الجيوش حادّة وشديدة فالمثنّىٰ بن حارثة الشيباني ينافس خالد بن الوليد في قيادة العراق، وخالد ينافس أبا عبيدة بن الجرّاح في قيادة الشام، وعمرو بن العاص ينافس ابن الجرّاح أيضاً في قيادة الشام، والمثنّىٰ وخالد من حزب أبي بكر ولقد ردّ أبو بكر طلب ابن العاص بقيادته لجيش الشام وألحّ على قيادة ابن الجرّاح[1].

وكان ابن الجرّاح من جناح أبي بكر الحزبي وابن العاص من جناح عمر.

ثمّ طلب ابن العاص من عمر بن الخطاب الشفاعة عند أبي بكر في مطلبه المذكور فقال عمر: إنّ أبا بكر ليس ينقص أبا عبيدة، فعندها أيس عمرو بن العاص من الشام[2].

---

(١) الفتوح ابن أعثم ١ / ١٠٠، فتوح الشام، الواقدي ١ / ١٣.

(٢) الفتوح، ابن أعثم ١ / ١٠٠.

وبعد فشل هذه المحاولة تدخل عمر بن الخطاب في المحاولة الثانية المتمثّلة في عملية إقناع أبي بكر بإرسال خالد إلى الشام لنصرة المسلمين هناك[١].

إنّ التلاحم بين أفراد حزب أبي بكر كان مستحكماً وعلى رأس هؤلاء أبو بكر وأبو عبيدة بن الجرّاح قائد جيش الشام وخالد بن الوليد قائد جيش العراق، فحاول عمر قتل خالد في قضية مالك بن نويرة ففشل.

ثمّ حاول إيجاد منافسة بين خالد وبين ابن الجرّاح تكون نتيجتها إجبار ابن الجرّاح على الوقوف إلى جانب عمر وفي مواجهة أبي بكر.. فهل نجح في هذا المضمار؟

وكان لوقوف ابن الجراح إلى جانب أبي بكر السبب المهمّ في وصول أبي بكر إلى الخلافة يوم ردّ بعنف طلب عمر للوصول إليها[٢].

وكان ابن الجرّاح وابن أبي قحافة منسجمان في العمل، وقد جاء: داهيتا قريش أبو بكر وأبو عبيدة بن الجرّاح[٣].

وكان اعتماد أبي بكر على خالد عجيباً ونادراً إذ جاء في رسائله إليه بأنّه القائد العسكري في كلّ مكان وعلى كافّة القادة، وعلى الجميع إطاعة أوامره، إذ كتب إلى القائد العسكري الأوّل في العراق المثنّىٰ بن حارثة الشيباني:

«متىٰ وصل خالد إلى العراق فهو الأمير وأنت الوزير، وإذا استدعيته ثانية، فأنت الأمير»[٤].

---

(١) الفتوح، ابن أعثم ١ / ١٠٧.

(٢) أنساب الأشراف، البلاذري ١ / ٥٧٩.

(٣) تهذيب الكمال، المزّي، ٩ / ٣٦٤.

(٤) الفتوح، ابن أعثم ١ / ٧٦.

وكان خالد القائد العام لجيش العراق إذ جاء في رسالة أبي بكر له:

«وعلى جميع المسلمين الطاعة والانتقال معك، وحيثما كنت فأنت أمير الجيش، وليس فوقك أمير سواي»[١].

وطلب أبو بكر من خالد وهو في الحيرة المسير إلى الشام فسار واستخلف على العراق المثنىٰ بن حارثة الشيباني[٢].

واعتقد خالد بأنّ تسييره من العراق إلى الشام كان بمؤامرة خفية من قبل عمر بن الخطاب إذ قال لرسول أبي بكر: ما وراءك؟

فقال: ورائي كلّ خير غير أنّك تسير إلى الشام، وكان خالد قد أشرف على فتح القادسية[٣].

فغضب خالد بن الوليد ثمّ قال: هذا عمل عمر بن الخطاب، وقد نفّس عليّ أن يفتح العراق على يدي، ثمّ فتح الكتاب وقرأه، فلمّا رأىٰ أنّه ولّاه على أبي عبيدة بن الجرّاح وعلى جميع أجناد الشام من المسلمين فرح لذلك وطابت نفسه ثمّ قال:

إذ قد ولّاني الشام فالشام عوض عن العراق، فخرج في سبعة آلاف فارس الذين قدم بهم من الحجاز واليمامة[٤].

وكتب أبو بكر في رسالته إلى خالد: «إنّ العدوّ قد جمع لهم جمعاً عظيماً، وقد احتاجوا إلى معونتك، فإذا أنت أتيت المسلمين بالشام فأنت أمير الجماعة والسلام[٥].

---

(١) الفتوح، ابن أعثم ١ / ٧٥، ٧٦.

(٢) البدء والتاريخ ٢ / ١٩٩.

(٣) فتوح الواقدي ١ / ٢٢.

(٤) الفتوح ١ / ١٠٨، فتوح الواقدي ١ / ٢٢.

(٥) الفتوح، ابن أعثم ١ / ١٠٧ ط دار الكتب العلمية ـ بيروت.

وكان اعتقاد عمر صحيحاً، إذ أراد عمر أن يكون خالد في الشام عند موت أبي بكر فتسهل عملية عزله عن قيادة الجيش لوجود أبي عبيدة بن الجراح وعمرو بن العاص ويزيد بن أبي سفيان هناك في حين ينفرد خالد بقيادة جيش العراق، وفعلاً كانت خطّة عمر في محلّها ولم يكن يخلد في ذهن أبي بكر ماذا يدور في ذهن عمر، وما يخطّط له من دعوة خالد إلى الشام ثمّ الإقدام على قتل أبي بكر ولمّا أصبح خالد قائداً لجيش الشام ووالياً للشام[1]، كتب رسالة إلى أبي عبيدة يخبره بعزله[2].

وكان المثنّىٰ بن حارثة الشيباني (قائد العراق) قد كره ورود خالد عليه وظنّ أنّ أبا بكر سيولّيه الأمر[3]، بعد طلبه النجدة منه.

فرحل خالد إلى الشام وكتب رسالة إلى ابن الجراح ابتدأها باسمه وأخّر اسم ابن الجرّاح! وكتب فيها إليه:

كأنّي قد أشرفت عليكم بخيلي ورجلي أميراً عليكم وعلى جماعتكم[4].

وكتب خالد رسالة أُخرىٰ إلى ابن الجرّاح جاء فيها: إنّ كتاب خليفة رسول الله ﷺ ورد عليَّ يأمرني بالمسير إلى الشام والقيام بحربها والتولّي لأمرها، ووالله ما ظننت ذلك قط ولا أدريه ولا كتبت فيه، وإذ قد ولّيته فأنت على حالتك لا نعصيك ولا نخالفك ولا نقطع أمرك فإنّك سيّد في المسلمين لا ينكر فضلك، ولا يستغنىٰ عن رأيك»[5].

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٣٨.

(٢) فتوح الشام، الواقدي ١ / ٢٢.

(٣) الأخبار الطوال، الدينوري ١١٢ ط وزارة الثقافة ـ مصر.

(٤) الفتوح ١ / ١١١.

(٥) الفتوح، ابن أعثم ١ / ١١٢.

أي إنّ خالدا أدرك صعوبة قيادته للشام وجيشها مع وجود ابن الجرّاح فيها، فابن الجرّاح من المسلمين القدماء الذي ترأس على أبي بكر وعمر في حملة ذات السلاسل! وهو من مرشّحي قريش للخلافة، فحاول خالد في رسالته الثانية إليه إرضاءه قدر المستطاع بما أمكن من كلمات لطيفة!

إذن كان غضب خالد على عمر في محلّه، فأوجس في نفسه خيفة، لكنّه لا يمكنه رفض طلب أبي بكر، ولم يدرك هدف عمر من ذلك العمل، سوى أنّه حسد منه إليه في قضية فتح العراق.

لكن مشروع عمر كان أعظم من ذلك وأخطر إذ جمع قائدي العراق والشام (خالد وابن الجراح) في منطقة واحدة ليشتدّ التنافس بينهما، وتختلّ جبهة أبي بكر وفعلاً حدث ذلك الأمر! ولكن كيف حصل ذلك ومتى؟

فابن الجراح لم يكن يرضى بزعامة خالد له وللشام، وفات على أبي بكر المطلب العمري فهوى في خطأ سياسي وعسكري لم يكن يخطر على باله.

ولو ذهب جيش العراق إلى الشام دون خالد لبقي إخلاص ابن الجرّاح للخليفة أبي بكر، واستمرّ جيشا العراق والشام كدعامة لسلطة أبي بكر..

فلقد حارب ابن الجرّاح الروم بعد عزل خالد ولم يكن هناك فرق بين الإثنين؛ لأنّ جيوش المسلمين وقادتها أصبحت عندها تجربة عريقة وحماسة كبيرة ولكن البعض اتّهم أبا عبيدة بأنّه ليّن العريكة لا يصلح لقتال الروم[١].

والظاهر أنّ تلك الأقوال كانت تطرح من قبل عمر وجماعته وإلّا فإنّ ابن الجرّاح قد حارب في الشام قبل وبعد قيادة خالد لجيش الشام.

---

(١) فتوح الشام، الواقدي ١ / ٢٢ط دار الكتب العلمية ـ بيروت.

وكان يمكن لأبي بكر وضع كلّ من خالد وأبي عبيدة الواحد في مكان الآخر، للابتعاد عن المنافسة الحاصلة بين القائدين.

ويمكنه أيضاً تعيين أبي عبيدة زعيماً على خالد في الشام؛ لأنّ خالداً لا يمكنه التعاون مع عمر أبداً.

في حين يتمكّن عمر من التعاون مع ابن الجرّاح كالاتّفاق معه على ولاية العهد وولاية الشام.

ووقع ابن الجرّاح في خطأ فاحش بقبوله ولاية العهد وولاية الشام من عمر، إن هو تعاون معه لإسقاط الخط البكري.

إذ كان الاتّفاق العمري الأموي يقضي بتولّي عثمان الخلافة من بعده، وتـولّي معاوية ولاية الشام فخرج أبو عبيدة من الشام صفر اليدين لا خلافة ولا ولاية!

ثمّ وقع في هذا الخطأ لاحقاً عبدالرحمن بن عوف وكان مصيرهما القتل عـلى يدي عمر وعثمان.

أمّا عن نظرة المسلمين لهذا التغيير المفاجيء في منزلة ابن الجرّاح فقد شقّ على المسلمين أن يؤمَّر خالد على أبي عبيدة[1].

ومن الطبيعي أن يشقّ ذلك أيضاً على ابن الجرّاح نفسه المقرر تولّيه للخلافة ثالثاً بعد أبي بكر وعمر.

فتزعزع ركن أبي بكر المعتمد على الجيش في حماية سلطته، وعندها قـرّر المشتركون في عملية اغتيال أبي بكر تنفيذ مهمّتهم براحة بال.

ولكن ماذا حدث بعد ذلك؟

---

(١) الفتوح، ابن أعثم ١ / ١١٢.

قال اليعقوبي: وكان أوّل ما عمل به عمر: أن كتب إلى أبي عبيدة بن الجـرّاح يخبره بوفاة أبي بكر مع يرفأ مولاه[١]! أي كانت رسالته تلك سرّية فلم يخبر أبـو عبيدة بذلك خالداً احتياطاً للأمر، واستعداداً للمشروع الجديد، إذ جاء:

فستر أبو عبيدة الخبر عن خالد[٢]!

إذن كان الاتّفاق مطبوخاً بين عمر وأبي عبيدة بن الجراح، وبقي خالد غافلاً عن موت أبي بكر وعن اتّفاق ابن الجرّاح مع عدوّه عمر!

ومن الناحية الإدارية كان الواجب يحتم على عمر الكتابة إلى خالد لا إلى ابن الجرّاح؛ لأنّ خالداً والي الشام ولو علم خالد بمقتل أبي بكر وعزله عن الشام لجاء بجيشه إلى المدينة وقتل عمر.

وكان الناس في الشام لا يحبّون خلافة عمر بن الخطاب قال ابن قتيبة:

وكان أهل الشام قد بلغهم مرض أبي بكر واستبطئوا الخبر فقالوا: إنّا لنخاف أن يكون خليفة رسول الله قد مات وولّي بعده عمر، فإن كان عمر هو الوالي فليس لنا بصاحب، وإنّا نرىٰ خلعه. قال بعضهم: فابعثوا رجلاً ترضون عقله، فـانتخبوا لذلك رجلاً فقدم على عمر، وكان عمر قد استبطأ خبر أهل الشام، فلمّا أتاه قال له: كيف الناس

قال: سالمون صالحون وهم كارهون لولايتك، ومن شرّك مشفقون»[٣].

أي كان الناس يوجسـون خيفة من أعمال عمر الخفية للوصول إلى السلطة، قد أخبرهم بذلك خالد وابن الجرّاح.

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٣٩، تاريخ الطبري ٢ / ٦٢٢، تاريخ ابن الأثير ٢ / ٤٢٧.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٤٠.

(٣) الإمامة والسياسة ١ / ٢٠ ط الحلبي وشركاه ـ مصر.

وكان خوف عمر من خالد وأهالي الشام في محلّه، لكنّه وبخطّة ماكرة عبر تلك المشكلة بسلام إذ عيَّن ابن الجرّاح المحسوب على حزب أبي بكر والياً على الشام وجيشها فقام بتهدئة الأحوال وإرضاء الجيش بعلاقته القديمة معهم، وسكن أفئدة الحزب البكري.

ولمّا استتبّ الأمر لعمر في الشام وقام ابن الجراح بدوره بالكامل عزله عمر عن الشام وعيَّن معاوية بن أبي سفيان محلّه[1]!

ولولا مكر عمر بخالد وأبي عبيدة وعزله وقتله لهما لاحقاً، لأحاطت جيوشهما بالمدينة وقتلت عمر انتقاماً لأبي بكر.

وهكذا هي السياسة دائماً إلّا من عصم الله تعالىٰ من المعصومين.

ولقد أرسل عمر رسالته إلى مسلمي الشام بيد عامر بن أبي وقّاص وأمره بقراءتها على الناس وعدم إعطائها إلى خالد، إذ قال لخالد معي كتاب وإنّه أمرني أن أقرأه على الناس بالاجتماع. فاستنكر خالد ذلك واستراب الأمر، وجمع المسلمين، فقام عامر بن أبي وقّاص فقرأ الكتاب، فلمّا انتهىٰ إلى وفاة أبي بكر ارتفعت للناس ضجّة عظيمة بالبكاء والنحيب[2].

أي مكر عمر بخالد والي الشام قائلاً له إنّ الرسالة من الخليفة أبي بكر ولو قال: إنّها من عمر لمنع خالد من قراءتها على المسلمين.

والمدهش إنّ مبعوث عمر إلى الشام لم يخبر خالداً بوفاة أبي بكر وتولية عمر الأمر، بل إنّه قال لخالد لما سأله عن أبي بكر: إنّه بخير[3]. وهي عملية ماكرة.

---

(١) تاريخ الطبري ٣ / ١٦٥.

(٢) فتوح الشام، الواقدي ١ / ٨٨.

(٣) المصدر السابق.

فظنّ خالد أنّ أبا بكر بخير وأنّ الكتاب منه وأنّه طلب قراءة الكـتاب عـلى المسلمين هناك.

والمدهش انّ أوّل رسالة كتبها عمر بعد مقتل أبي بكر هي رسالته بتعيين ابن الجراح وعزل خالد خوفاً من ردّه فعل خالد.

والعجيب أيضاً سرعة سير مبعوث عمر إلى الشام بحيث أنّه سبق كلّ الأخبار بوفاة أبي بكر! فقد قال الواقدي عن مبعوثا عمر إلى الشام فانطلقا يجدّان في السير إلى أن وصلا إلى دمشق والناس مقيمون بها ينتظرون ما يأتيهم من خبر أبي بكر وما يأمرهم به[1].

فبان تفوّق المكر العمري على المكر البكري كيف لا ومع عمر عثمان ومعاوية وأبي سفيان وعمرو بن العاص والمغيرة وأبي هريرة وأبي موسى الأشعري وتميم الداري وعبدالله بن سلام ومحمد بن مسلمة وزيد بن ثابت.

فكتب عمر إلى أبي عبيدة بن الجرّاح رسالة سرّية جاء فيها:

قد ولّيتك على الشام وجعلتك أميراً على المسلمين وعزلت خالد بن الوليـد والسلام[2].

وبعد فتح دمشق من قبل خالد كتب خالد رسالة إلى أبي بكر بذلك فتعجّب عمر من عدم معرفة خالد بموت أبي بكر إلى ذلك التاريخ قائلاً لحامل الرسالة:

أما عرف المسلمون وفاة أبي بكر؟

فقال: لا يا أمير المؤمنين.

فقال: قد وجّهت بذلك كتاباً إلى أبي عبيدة وأمّرته على المسـلمين وعـزلت

---

(١) المصدر السابق.

(٢) فتوح الشام، الواقدي ١ / ٨٥.

خالداً وما أظنّ أبا عبيدة يريد الخلافة لنفسه[١].

وبالرغم من تعيين عمر لأبي عبيدة بقي شاكّاً في نواياه ومحتاطاً من طمعه في الخلافة.

قال الواقدي: وأقام عمر قلقاً على ما يرد عليه من أمور المسلمين وصرف همّته إلى الشام[٢].

وفي صلاة الجمعة في المدينة اعترض رجل من بني مخزوم على عزل خالد بن الوليد المخزومي قائلاً:

أتعزل رجلاً قد أشهر الله بيده سيفاً قاطعاً ونصر به دينه، وإنّ الله لا يعذرك في ذلك ولا المسلمين إن أنت أغمدت سيفاً وعزلت أميراً[٣].

وبينما أصرَّ عمر وصحبه على أبي بكر في ضرورة إرساله خالداً إلى الشام لحرب الروم بحجّة أنّ أبا عبيدة بن الجرّاح ليّن العريكة نجد عمر قد قلب مطلبه في ايّام سلطته يوم عزل خالد وعيّن ابن الجراح قائلاً:

لا يقول: قائلكم عزل الرجل الشديد وولّى الأمين اللّيّن للمسلمين فإنّ الله معه يسدّده ويعينه[٤]!

وانتقص عمر خالد بن الوليد قائلاً: ما كرهت ولاية خالد على المسلمين إلاّ؛ لأنّ خالداً فيه تبذير المال يعطي الشاعر إذا مدحه ويعطي للمجاهد والفارس بين يديه فوق ما يستحقّه من حقّه ولا يبقي لفقراء المسلمين ولا لضعفائهم شيئاً[٥].

---

(١) فتوح الشام، الواقدي ١ / ٨٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) فتوح الشام، الواقدي ١ / ٨٦.

(٤) فتوح الشام، الواقدي ١ / ٨٧.

(٥) فتوح الشام، الواقدي ١ / ٨٧.

ففسّر عمر حبّ الجيش لخالد بما بذله لهم من أموال لا يستحقوّنها حسداً منه لمنافسه القديم خالد بن الوليد يوم كان عمر عبداً عند أبيه الوليد بن المغيرة[١].

لكنّ أبا عبيدة ابن الجرّاح رضي بإمارة الشام وخان أبا بكر مثلما خان رسول الله ﷺ سابقاً وكان قد فرّ من حفر قبره ﷺ[٢]، بذهابه إلى سقيفة بني ساعدة لمبايعة أبي بكر على أن يكون هو ثالث الخلفاء!

وبعد نجاح عمر في عزل خالد عن إمارة الشام والجيش بدأ في المرحلة الثانية والمتمثّلة في تحطيمه معنوياً، فأرسل رسالة إلى ابن الجرّاح جاء فيها:

«إن كذّب خالد نفسه فيما كان قاله عمّه وإلاّ فانزع عمامته وشاطره ماله، فشاور خالد أخته فقالت: والله ما أراد ابن حنتمة إلاّ أن تكذّب نفسك ثمّ ينزعك من عملك، فلا تفعلن، فلم يكذّب نفسه، فقام بلال فنزع عمامته، وشاطره أبو عبيدة ماله، حتىٰ نعله فأفرد واحدة عن الأخرىٰ»[٣].

وكان خالد وعمر وبن العاص وآخرون يتّهمون أمّ عمر حنتمة بارتكاب المنكر وكانت جارية عند قبيلة خالد.

وقال عمر: لا يلي (خالد) عملاً أبداً[٤].

وأقام خالداً بالشام مع المسلمين[٥] دون عمل، وحاسبه عمر على مبلغ عشرة آلاف درهم أعطاها الأشعث بن قيس[٦].

---

(١) شرح النهج ١٢ / ١٨٣.

(٢) تاريخ الطبري ٢ / ٤٥٢، أسد الغابة ٢ / ٢٨٩، تاريخ ابن الأثير ٢ / ٣٢٣، الطبقات ٢ / ٢٩٤.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٤٠.

(٤) تاريخ ابن الأثير ٢ / ٤٢٧.

(٥) تاريخ ابن الأثير ٢ / ٤٢٧.

(٦) البداية والنهاية ٧ / ٩٣، تاريخ ابن عساكر ترجمة خالد بن الوليد.

واعترف عمر لاحقاً بأنّ فعله المذكور ما كان إلّا حسداً منه إليه إذ كتب إلى الأمصار: إنّي لم أعزل خالداً عن سخطة ولا خيانة، ولكن الناس فتنوا به فأحببت أن يعلموا أنّ الله هو الصانع[١].

ثمّ قتل عمر بن الخطاب خالداً في حمص ليقضي على أخطر منافس له في حياته ومنع مجلس النياحة عليه[٢].

وهكذا انتصر عمر وعثمان على أخطر منافس لهما في الخلافة والسلطة.

دور جيش الشام في القضاء على الانقلابات السياسية

بعد حادثة السقيفة ووصول الحزب القرشي إلى سلطة الدولة وفتح الشام تجمّعت القوّات الإسلامية في هذا البلد الجديد، وعندها اعتمد الخليفة على هذا الجيش في الفتوحات الخارجية أوّلاً ولردع الحركات الداخلية ثانياً.

لذلك عيّن أبو بكر أبا عبيدة بن الجرّاح والياً على الشام وبيده الجيش ثمّ أرسل خالد بن الوليد قائد جيش العراق إلى الشام وجعله قائداً على أبي عبيدة بن الجرّاح.

ولشدّة عداوة خالد لعمر بن الخطّاب المنافس لأبي بكر على الحكم فقد اعتمد عليه أبو بكر في هذا المضمار.

وأيّ حركة سياسية وعسكرية من قبل عمر مخالفة للدولة مصيرها الفشل فقوات خالد له بالمرصاد.

وعندها قرّر عمر وعثمان الإقدام على قتل أبي بكر وعزل خالد عن الجيش في

---

(١) البداية والنهاية ٧ / ٩٣.

(٢) مختصر تاريخ دمشق ٨ / ٢٦، عبقرية عمر، العقاد ٣٣.

وقت واحد، ولا يتمّ هذا الأمر إلّا بالاتّفاق مع ابن الجرّاح وغفلة أبي بكر.

فتمّ الاتّفاق مع ابن الجرّاح على توليته الخلافة بعد عمر مقابل قيامه بهذا الدور الخطير، وكان ابن الجراح محسوباً على الخطّ البكري في الحزب القرشي ولا يشكّك خالد في ولائه لأبي بكر.

فاغتال عمر أبا بكر بالسمّ ودفنه ليلاً دون تشييع جماهيري كي لا يرى الأطبّاء والناس أثر السمّ على وجهه[1].

وفي نفس الوقت أرسل عمر رسالة إلى أبي عبيدة بن الجرّاح بعزل خالد قبل معرفته بموت أبي بكر.

وتمّ الاتّفاق مع ابن الجراح على إخبار خالد والمسلمين على إنّها رسالة من أبي بكر، وفعلاً كانت الرسالة مختومة بختم أبي بكر المقتول.

فقد قال سفير عمر لخالد بأنّه حامل لرسالة سرّية من الخليفة أبي بكر لقراءتها على الناس.

فوافق خالد فقرأ الرسالة وإذا فيها أمر بعزل خالد وتعيين ابن الجرّاح.

ولمّا تمّ ذلك وعزل خالد عن الجيش الشامي علم المسلمون بموت أبي بكر وأنّها كانت مؤامرة عمرية تمّت بنجاح باهر.

ومثل هذه الخطّة فعلها عثمان مع محمّد بن أبي بكر قائد ثوّار مصر بإمضاء معاهدة علنية معه على ولايته لمصر ثمّ كتابة عثمان إلى واليه على مصر عبدالله بن أبي سرح بصورية تلك المعاهدة وضرورة الاحتيال لقتل محمد بن أبي بكر واتباعه[2].

(١) راجع كتاب اغتيال الخليفة أبي بكر والسيدة عائشة للمؤلّف.

(٢) تاريخ المدينة ابن شبة ٤ / ١١٥١.

ولمّا مضى الوقت وعرف خالد بموت أبي بكر وحقيقة القضية كان كلّ شيء قد انتهى، ثمّ أعقب ذلك إهانة عمر لخالد واتّهامه بسرقة الأموال العامّة فقاسمه في أمواله. فعاش خالد منفياً في مدينة حمص الشامية ولم تمض مدّة طويلة حتىٰ أصدر عمر أوامر بقتل خالد في الشام.

فَقُتِلَ خالد في الشام غريباً مطروداً منفياً.

مثلما قتلت الدولة سعد بن عبادة في الشام منفياً بيد خالد بن الوليد ومحمّد بن مسلمة !

ولم يظنّ ابن الوليد وابن مسلمة بأنّ دولة عمر ودولة معاوية ستقتلهما مثلما قتلا هما سعد بن عبادة[1].

وهكذا هي السياسة لا أخلاق فيها أبداً، إلّا أخلاق الأنبياء والأوصياء والصالحين، وهذا هو مصير القتلة كما جاء في الحديث:

وبشّر القاتل بالقتل.

اغتيال الدولة لخالد وأبي عبيدة في زمن عمر

ولمّا وصل عمر بن الخطاب إلى السلطة سار على ما سار عليه أبو بكر في الاعتماد على جيش الشام في القضاء على الحركات الداخلية والخارجية.

وكي لا يحصل له ما حصل لأبي بكر من خيانة ابن الجرّاح له فقد اعتمد عمر على شخصية داهية موالية له لا يفوتها ما فات خالد بن الوليد، وهذه الشخصية

(١) السقيفة والخلافة، عبدالفتاح ١٣، أنساب الأشراف البلاذري ١ / ٥٨٩، العقد الفريد، ٤ / ٢٤٧، صفة الصفوة، ابن الجوزي ١ / ١٦١.

متمثّلة في معاوية بن أبي سفيان.

ولمّا كان ابن الجرّاح والياً على الشام وأعلىٰ شأناً من معاوية وهو الذي هيّأ الحكم لعمر فقد صعب عليه عزله، لكن السياسة اقتضت عزله عن المشروع الإداري رغم الاتّفاق الحكومي معه.

فصدرت أوامر عمر بعزل ابن الجراح عن الشام وتعيين معاوية بدلاً عنه.

فغضب ابن الجراح غضباً شديداً على عمر واعتبر ذلك خيانة لتعهّداته في الحزب القرشي وفي السقيفة وفي اتّفاقه معه لعزل خالد وتوليه ولاية الشام ثمّ الخلافة.

ولم تنفع تلك الاحتجاجات والاتّفاقات بل كانت مردوداتها سلبية إذ صدرت أوامر عمر إلى معاوية بالقضاء على ابن الجراح المعارض للدولة.

وفعلاً قضىٰ معاوية على ابن الجرّاح سريعاً وأعلنت الدولة عن موته بالطاعون[1].

فانضمّ ابن الجراح إلى بقية الرموز الشهيرة المقتولة في الشام بيد رجال الدولة مثل سعد بن عبادة وخالد بن الوليد وبلال الحبشي.

وكان عمر يعتمد على جيشين في تهديده للصحابة المعارضين في المدينة أوّلاً جيش الشام وثانياً جيش اليمن.

ففي الشام قيادة معاوية بن أبي سفيان الملتزم في الجاهلية والإسلام بخدمة الحزب القرشي، وفي اليمن قيادة عبدالله بن أبي ربيعة أحد أركان الحزب القرشي كيف لا وهو سفير قريش إلى ملك الحبشة في قضية المسلمين المهاجرين إليها.

---

(١) تاريخ الطبري ١ / ٢٤٠١، شرح النهج ٨ / ٣٠٠.

وقد صرّح عمر علناً لأهل الشورىٰ الستّة بهذه القضية مهدّداً إيّاهم بجيشي الشام واليمن، مجبراً لهم على طاعة قراراته في هذه القضية، لمعرفته بعدم رغبة الإمام علي عليه السلام بدخول الشورىٰ وعدم إقراره بخلافة عثمان.

أي أراد عمر إلزام الصحابة بقرارته مثلما ألزمهم بقرارات السقيفة بالقوّة والإرهاب، ففي السقيفة خرج عمر وصحبه بيدهم الهراوات لابسين الأزر الصنعانية ماسحين يد كلّ صحابي بيد أبي بكر دلالة البيعة[1].

وبتلك الهراوات كسروا أنف الحباب بن المنذر الزعيم الثاني للأنصار فخاف الناس وتمّت البيعة لأبي بكر.

وفي قضية الشورىٰ لم يتحرّك الصحابة لمعارضة مجلس الشورى الصوري المعدّ لبيعة عثمان خوفاً من جيشي الشام واليمن.

وكان معاوية بن أبي سفيان مطيعاً لعمر بن الخطاب، وفي المقابل كان عمر حامياً له ومراعياً لمصالحه.

وكان معاوية داهية من الدهاة غير ملتزم بدين ولا مراعياً لعرف اجتماعي يصبو نحو السلطة بكلّ السبل الممكنة.

وكان المغيرة بن شعبة صديقاً لمعاوية في دربه المحفوف بالمخاطر والبعيد عن الإسلام والإنسانية.

وطال زمن حكم عمر بن الخطاب، وتمّ الاتّفاق بين الداهيتين على إرسال أبي لؤلؤة الفارسي غلام المغيرة إلى المدينة لاغتيال عمر.

واغتيال عمر يفسح المجال لوصول عثمان الأموي إلى الخلافة وفعلاً تمّ ذلك

(١) السقيفة، سليم بن قيس ١٣٩، السقيفة وفدك، الجوهري ٤٨، البحار ٢٨ / ٢٠٤.

واغتال أبو لؤلؤة عمر بن الخطاب[1].

ولا يتمكّن أحد من إرسال العبيد إلى المدينة في ظلّ الأمر الرسمي بمنع ذلك إلّا المقرّبون من عمر مثل المغيرة بن شعبة، والمغيرة صاحب معاوية بن أبي سفيان.

فزيّن المغيرة بن شعبة لعمر المواهب الرفيعة والفنون الدقيقة التي يتمتّع بها أبو لؤلؤة مستثنياً إيّاه عن أوامره في هذا الخصوص وجاء في الحديث:

إذا جاءت المقادير ارتفعت المحاذير.

فلم تمض فترة طويلة إلّا والتحق عمر بأبي بكر (بجماعة الرموز المقتولين) وسط دهشة الناس وتعجّبهم.

وبحسب الفعل المذكور للمغيرة في تسهيل قتل عمر فقد عيّنه معاوية والياً على الكوفة إلى أواخر أيّام سلطة معاوية!!

في زمن عثمان

ولمّا وصل عثمان بن عفان إلى السلطة سار على نظرية أبي بكر وعمر في الاعتماد على جيش الشام أيضاً.

فأبقى معاوية الأموي والياً عليها، وأطلق يده في الحكم أكثر ممّا أطلقها عمر، ولم يحدّد صلاحيّاته بأمر أبداً. فكانت تلك الصلاحيّات المطلقة دافعاً لمعاوية للتفكير في قبض السلطة بصورة جدّية وهي من أخطاء عمر.

وهذه من أخطاء عثمان بن عفان الفادحة أيضاً وتعدّ أحد أسباب مقتله وانتقال السلطة عنه.

---

(١) المستدرك، الحاكم ٣ / ٩١، السنن الكبرى، البيهقي ٤ / ١٦.

وسقوط أبي بكر وعمر وعثمان عن الرئاسة كان من خطأهم الفاحش في قضية اهتمامهم البيّن بالأعداء وترك الأصدقاء الأمر الذي سهّل سقوطهم بيد الأصحاب فلم يخطر على بال أبي بكر جدّياً مقتله بيد عمر بن الخطاب ولم يتصوّر عمر اشتراك المغيرة الداهية في قضيّة قتله وهو الذي عيّنه والياً على البلدان وأبعده عن القتل في قضية زناه بأمّ جميل.

ولم يعتقد عثمان الأموي يوماً خيانة معاوية الأموي له وعصيان أوامره بإرسال جيش الشام إلى المدينة للدفاع عنه وإبعاد الثوّار عن بيته.

وبلغ دعم عثمان لمعاوية إقدامه على نفي أبي ذر المعارض لمعاوية والمناهض له في الشام، والتسبّب في مقتله في منفاه الصحراوي فخسر عثمان سمعته في نفوس المسلمين!

ورغم التضحية الكبيرة من قبل عثمان لمعاوية وباقي الأمويين لم يهتمّ له هؤلاء أبداً. فقد باع عثمان سمعته ومنزلته السياسية والدينية في سبيل رخاء بني أمية ووصولهم إلى أهدافهم المرسومة، في حين لم يهتمّ الأمويون بحياته السياسية.

فعبدالله بن أبي سرح اتّهم معاوية بالتباطىء في مساعدة عثمان بالجيوش وإجبار جيوش الشام بالمكوث في طريق المدينة وعدم الحركة نحوها.

وكان معاوية عارفاً بالمصلحة الأموية الكبيرة له في قتل الثوار لعثمان فيصبح وليّ الدم، ولم يفهم عثمان هذا المشروع الطارىء على ذهن معاوية فاستمرّ في نداءاته العالية له بإرسال قوّات الشام!

وكان معاوية ينتظر أحد أمرين لوصوله إلى السلطة.

الأوّل: وصيّة عثمان له بالسلطة.

الثاني: مقتل عثمان ومناداة معاوية بدمه للوصول إلى الحكم.

فوجد معاوية الأمر الثاني هو الحاكم على الأوضاع فاختاره وتبنّاه، بالإضافة إلى أنّه لم يلحظ جدّية من عثمان في الوصية إليه في تلك الأوضاع، بل كان عثمان يفكّر في استمرار حياته السياسية في تلك الأزمة.

وما كان مروان بن الحكم وزير عثمان وصهره يسمح له بالوصية لمعاوية بالرئاسة وقد بلغ طموح مروان للزعامة إقدامه على قتل معاوية الثاني بن يزيد ملك البلاد المستقيل وإقدامه الثاني على قتل الملك الجديد للدولة وهو الوليد بن عتبة بن أبي سفيان في أثناء صلاته على معاوية الثاني الذي قال في خطبته: أيّها الناس ما أنا بالراغب في الائتمار عليكم ما أكرهه منكم، وإنّي أعلم أنّكم تكرهونا أيضاً؛ لأنّا بلينا بكم وبليتم بنا. إلّا أنّ جدّي معاوية نازع هذا الأمر من كان بهذا أولىٰ منه ومن غيره لقرابته من رسول الله ﷺ وعظيم فضله وسابقته أعظم المهاجرين قدراً وأشجعهم قلباً وأكثرهم علماً وأوّلهم إيماناً وأشرفهم منزلة، وأقدمهم صحبة ابن عمّ رسول الله وآله وصهره وأخوه، زوّجه رسول الله ابنته، وجعله لها بعلاً باختياره لها وجعلها له زوجة باختيارها له، أبو سبطيه سيّدا شباب أهل الجنة وأفضلا هذه الأمّة بعد الرسول ﷺ، وابنا فاطمة البتول عليها السلام من الشجرة الطيّبة الطاهرة الزكية، فركب جدي منه ما تعلمون، وركبتم منه ما لا تجهلون حتى انتظمت لجدّي الأمور.

فلمّا جاء القدر المحتوم واخترمته أيدي المنون بقي مرتهناً بعمله فريداً في قبره، ووجد ما قدّمت يداه ورأىٰ ما ارتكبه واعتداه، ثمّ انتقلت الخلافة إلى يزيد أبي فتقلّد أمركم لهوا أبوه فيه : لقد كان أبي بسوء فعله وإسرافه على نفسه غير

خليق بالخلافة على أمّة محمّد ﷺ... فقد خلعت بيعتي عن أعناقكم والسلام[١].

ومعاوية بن أبي سفيان الذي لم يحرّك قوّات الشام لمصلحة عثمان واستخدمها في سبيل مصلحته الشخصية إذ أوقف الفتوحات الخارجية في زمن خلافة الإمام علي عليه السلام وحشر تلك العساكر في حرب صفّين بصورة واسعة متسبّباً في مقتل عشرات الآلاف منها[٢].

مقتل عمر وأعضاء الشورى الذين عيّنهم

أسّس عمر مجلس الستّة أشخاص لانتخاب خليفة منهم، وهي طريقة جديدة وفريدة لا هي شورى كما تنصّ نظرية الشورى، ولا هي وصيّة لفرد كما أوصى النبي محمّد ﷺ لعلي عليه السلام.

وقد قال اليعقوبي في تاريخه: وصيّر (عمر) الأمر شورى بين ستّة نفر من أصحاب رسول الله:

علي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، وعبدالرحمن بن عوف، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبدالله، وسعد بن أبي وقاص.

وقال عمر: أخرجت سعيد بن زيد لقرابته منّي. فقيل له في ابنه عبدالله بن عمر. قال: حسب آل الخطاب ما تحمّلوا منها. وإنّ عبدالله لم يحسن أن يطلّق امرأته[٣].

وكانت الشورى بقيّة ذي الحجّة سنة ٢٣ هجرية. وأمر صهيباً أن يصلّي

---

(١) كتاب الأربعين، القمّي الشيرازي ٥٠٣، الصواعق المحرقة ١٣٤، شرح النهج ٦ / ١٥٢.

(٢) راجع وقعة صفين، ابن مزاحم.

(٣) الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٣ / ٦٥، تاريخ الطبري ٣ / ٢٩٢.

بالناس حتى يتراضوا من الستّة بواحد.

واستعمل أبا طلحة زيد بن سهيل الأنصاري وقال: لأن رضي أربعة، وخالف إثنان، فاضرب عنق الإثنين، وإن رضي ثلاثة، وخالف ثلاثة، فاضرب أعناق الثلاثة الذين ليس فيهم عبدالرحمن.

وذكر ابن أبي الحديد: حدّثني جعفر بن مكي، عن محمّد بن سليان حاجب الحجاب، بعد أن سئل عن أصل الاختلاف فقال: لا أعلم لهذا أصلاً إلّا أمرين: أحدهما: أنّ رسول الله ﷺ أهمل أمر الإمامة فلم يصرّح فيه بأحدٍ بعينه.

والثاني: جعل عمر الأمر شورى في الستّة، ولم ينصّ على واحد بعينه، إما منهم أو من غيرهم، فبقي في نفس كلّ واحد منهم أنّه قد رُشّح للخلافة وأهّل للملك والسلطان، فلم يزل ذلك في نفوسهم وأذهانهم؛ مصوّراً بين أعينهم، مرتسماً في خيالاتهم[1].

ونشأت فتنة ابن الزبير فرعاً من فروع يوم الدار[2]؛ لأنّ عبدالله كان يقول: إنّ عثمان لمّا أيقن بالقتل نصَّ عليٍّ بالخلافة، ولي بذلك شهود، منهم مروان بن الحكم، أفلا ترى كيف تسلسلت هذه الأمور فرعاً على أصل، وغصناً من شجرة، وجذوة من ضرام، هكذا يدور بعضه على بعض، وكلّه من الشورى في الستّة[3].

وقد أثبتنا في الكتاب بأنّ النبي ﷺ لم يهمل أمر الإمامة بل أوصى إلى علي عليه السلام في حجّة الوداع في مكّة وفي بيعة الغدير في السنة العاشرة حينما قال: إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي عليهم السلام ومن كنت مولاه فهذا عليّ

---

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٩ / ٢٨.

(٢) يوم قتل عثمان.

(٣) شرح نهج البلاغة ٩ / ٢٩.

مولاه اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله.

فبايع مائة وعشرون ألف مسلم حاضر في الغدير علي بن أبي طالب عليه السلام بالخلافة[١].

لقد كان عمر بين أمرين لا ثالث لهما، في مسألة الخلافة لمن بعده، الأمر الأوّل الوصيّة إلى الإمام علي عليه السلام. وكان يعتقد بنصّ الله سبحانه عليه، لذلك قال عمر عنه: لقد أراده الحقّ[٢].

وقال عمر عن علي عليه السلام بأنّه مولىٰ كلّ مؤمن ومؤمنة ومن ليس مولاه فليس بمؤمن[٣].

وقال عمر عن يوم الخميس: لقد أراد الرسول أن يتفوّه باسمه للخلافة فمنعته[٤].

فبيعة علي عليه السلام موافقة للناحية الاعتقادية الدينيّة للمسلمين.

أمّا من الناحية الاجتماعية والسياسية والنفسية، فإنّ مجموعة رجال قريش وعلى رأسهم الطلقاء والمقرّبون من عمر من أمثال ابن عوف، والمغيرة، وابن عاص، وابن أبي وقّاص، والأشعري ومعاوية، وعبدالله بن أبي ربيعة، وكعب الأحبار وتميم الداري، وعبدالله بن سلام كانوا يميلون إلى عثمان.

ومن الناحية النفسية كان عمر قد عمل مع عثمان جنباً إلى جنب في زمن خلافة أبي بكر وفي زمن خلافته. كما كانا في صفٍّ واحد في أحداث السقيفة، ضدّ

---

(١) طبقات ابن سعد ٣ / ٢٢٥، الامتناع، المقريزي ٥١٠، إرشاد الساري ٦ / ٤٢٩، السيرة الحلبية ٣ / ٢٨٣.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٦ / ٤٥.

(٣) أخرجه الدارقطني في صواعق ابن حجر، ١٠٧.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٣ / ١١٤، ١١٥.

منافسيهم على الخلافة والسلطة، وهم بنو هاشم والأنصار.

وفي طول حكم أبي بكر كان عثمان وعمر يعملان في الخفاء للإطاحة بحكمه والاستيلاء على السلطة.

إنّ معظم الأشخاص الذين أسّسوا السقيفة، لم يحصلوا على الحكم، إذ خاب ابن الجرّاح، وابن عوف، وسعد بن معاذ، وخالد، وانتصر خطّ أبي سفيان.

وفي الوقت الذي لم يقتل فيه كسرى الفُرس ولداً من أبناء الخلفاء، قتل كسرى العرب (معاوية) العديد منهم!

وكما كان أبو سفيان يحارب المهاجرين والأنصار كان ابنه (معاوية) يحاربهم.

لقد كثرت الأموال وازداد الطعام في جزيرة العرب في زمن الخليفة عمر، من الفتوحات الكثيرة فتحوّل انشغال الكثير من الناس من الاهتمام بالطعام إلى الاهتمام بالسياسة والمال.

وقد أصبح الصحابة يملكون أعداداً كثيرة من الجواري والعبيد، وقدم بعضهم إلى عاصمة الخلافة.

وخاف عمر من المجيء بالعبيد إلى المدينة. وفعلاً كان خوفه من العبيد والمال في محلّه، إذ قُتل هو نفسه بواسطة عبد، من العبيد (أبي لؤلؤة).

وبذلك يكون الأمويون قد قتلوا أبا بكر وعمر وابن عوف، وطلحة، وسعد بن أبي وقّاص.

وكان عمر قد هدّد أعضاء مجلس الستّة بمعاوية في الشام، وعبدالله بن أبي ربيعة في اليمن، إن لم يبايعوا واحداً منهم. وشرطي الشام (معاوية) هو الذي ساعد أو شارك في قتل الصحابة، تمهيداً لاستلامه السلطة!

ولم تقتصر مذابح الأمويين على سعد بن أبي وقاص، وعبدالرحمن بن عوف، وعبدالرحمن بن أبي بكر، وعبدالرحمن بن خالد بن الوليد، و محمّد بن سلمة، وأبي ذر، والحسن والحسين عليهما السلام، والأشتر، ومحمّد بن أبي بكر، وعمّار بن ياسر، وحجر بن عدي، بل شملت معاوية الثاني (ابن يزيد بن معاوية) الذي تنازل عن السلطة لصالح أهل بيت المصطفى صلى الله عليه وآله.

إذ جاء في مقتل معاوية الثاني بيد الأمويين أيضاً:

فلم يلبث بعدها إلّا أيّاماً حتى طُعن.

وذكر المسعودي: وقد تُنوزِع في سبب وفاته، فمنهم من رأىٰ أنّه سقي شربة، ومنهم من رأىٰ أنّه حتف أنفه، ومنهم من رأىٰ أنّه طُعن.

وقبض وهو ابن اثنتين وعشرين سنة، ودفن بدمشق، وصلّىٰ عليه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، ليكون الأمر له من بعده، فلمّا كبّر الثانية طُعن فسقط ميّتاً قبل تمام الصلاة[١].

فلم يسلم من هذه المذابح زعماء الأمويين أنفسهم، ثمّ قتلت أمّ خالد بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة (أي زوجة يزيد بن معاوية بن أبي سفيان) زوجها الثاني مروان بن الحكم.

إذ ذكر الواقدي: «فقام (مروان) عندها وقد واعدت جواريها، وقُمن إليه، فجعلن الوسائد والبراذع عليه، وجلسن عليه حتىٰ خنقنه، وذلك بدمشق في شهر رمضان[٢]».

وكذلك قُتل عمر بن عبدالعزيز في ظروف غامضة، وعمره تسع وثلاثون

---

(١) شرح النهج ٦ / ١٥٢، كتاب الأربعين، القمي الشيرازي ٥٠٣، البداية والنهاية ٨ / ٢٦٠.

(٢) شرح النهج ٦ / ١٦٥.

سنة، بعد حكم دام سنتين.

مجلس الشورى

بعد ما طعن أبو لؤلؤة الفارسي عمر بن الخطاب تيقّن الطبيب من موته فأُخبر بذلك عمر.

فأراد عمر الوصية لشخص يخلّفه في السلطة طبقاً لقرارات الحزب القرشي الموقّعة في مكّة والمدينة التي تنصّ على تناوب الحكم بين قبائل قريش، وإبعاد أهل البيت عليهم السلام عن الخلافة وتبعاً للنصّ القرشي الموقّع أيضاً والداعي لعدم اجتماع النبوّة والخلافة في بني هاشم.

وقد صرّح عمر نفسه بهذه القرارات القرشية وبواسطتها ابتعدت القبائل القرشية عن نصّ وبيعة الغدير.

وزعماء ورموز قريش لم تهتمّ بعقد البيعة الذي أُجري في الغدير بحضور رسول الله صلى الله عليه وآله ورفضته ممّا يبيّن عدم تبعيّتهم للشرع الإلهي والنصوص النبوية واعتمادهم على اجتهاداتهم الشخصية.

وهذا أمر خطير يكشف انحرافاً بيّناً عن منهج الدين وزيغاً عن أوامر ربّ العالمين، لذلك رفض عمر وأبو بكر وعثمان وصحبهم وصيّة رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام في يوم الخميس، وقالوا عن النبي صلى الله عليه وآله: يهجر يهجر[1].

فطردهم النبي صلى الله عليه وآله من مجلسه وبيته لمخالفتهم إيّاه مخالفة صريحة وقاطعة، واستمرّ هذا الحيد والزيغ عن أهداف وشرائع الباري عزّ وجل ليس في السقيفة

---

(١) صحيح البخاري باب جوائز الوفد من كتاب الجهاد ٢ / ١١٨، مسند أحمد ١ / ٣٢٥، شرح النهج ٣ / ١١٤.

فقط بل في وصيّة عمر أيضاً قبل موته.

فقد أعلن عمر في أيّام حكمه عن خلافة عثمان، وفي أيّام شكواه من الجرح أذاع عمر شيئاً يبيّن خلافة عثمان له، ويبيّن ميل عمر واتّفاقه مع عثمان إذ قال لابنه عبدالله: إنْ يولّوا عثمان يصيبوا خيرهم[١].

وقيل لعمر: مَن الخليفة بعدك؟

قال: عثمان بن عفان[٢].

وقال الإمام علي عليه السلام ما يبيّن انحياز القرشيين لعثمان إذ قال أمير المؤمنين علي عليه السلام لابن عوف: والله ما ولّيت عثمان إلّا ليردّ الأمر إليك[٣].

وقال الإمام علي عليه السلام أيضاً: يوليها عبدالرحمن عثمان ويوليها عثمان عبدالرحمن.

وقال عليه السلام أيضاً: ايها عنك إنّما آثرته بها لتنالها بعده دقّ الله بينكما عطر مَنشِم[٤].

وقال عليه السلام أيضاً: ليس هذا أوّل يوم تظاهرتم فيه علينا **﴿فصبرٌ جميلٌ واللهُ المُسْتَعانُ على ما تَصِفُونَ﴾**[٥].

وفي مجلس الشورىٰ المؤسّس من قبله ظهرت رغبته في تعيين عثمان خليفة له، إذ كان عبدالرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقّاص في الشورىٰ فالأوّل صديقه الحميم وصهره والثاني من أنصاره أيضاً، والإثنان معاديان لمنهج أهل البيت عليهم السلام ومنسجمان مع النظريّات القرشية.

(١) تاريخ المدينة المنوّرة ابن شبة ٢ / ١٤٨.

(٢) كنز العمال ٥ / ٧٢٧ ح ١٤٢٥٩م

(٣) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٧١.

(٤) منشم امرأة عطارة من خزاعة. فتحالف قومٌ فأدخلوا أيديهم في عطرها على أن يقاتلوا حتىٰ يموتوا فضرب ذلك مثلاً لشدّة الأمر. شرح النهج ٩ / ٥٦.

(٥) يوسف ١٨.

ووضع عمر قرار البيعة والخلافة بيد عبدالرحمن بن عوف لقرابته السببية مع عثمان أوّلاً.

ولاتّفاق عثمان وعبدالرحمن على تناوب السلطة بينهما بتعيين عبدالرحمن لعثمان أوّلاً، وإرجاع عثمان الحكم إلى عبدالرحمن ثانياً.

إذن كان الناس يعلمون بوصية عمر لعثمان ولكن بطريقة ماكرة فيها شيء من اللفّ والدوران، وهي نظرية قرشية معروفة في التعاون مع الأحداث.

ولم ينحرف عمر عن قرارات الحزب القرشي في تناوب الخلافة بين قبائل قريش لذلك لم يعيّن ابنه عبدالله خليفة، وكذلك لم يهيء أبو بكر ابنه عبدالرحمن للخلافة، الأمر الذي يبيّن سيرهما بدقّة على بنود معاهدة تلك القبائل وعدم خيانتهما لها، ولو راعيا القرارات والعقود النبوية بتلك الدقّة لفازا فوزاً عظيماً.

وكان عمر يعلم بمخالفة الإمام علي عليه السلام وطلحة والزبير لبيعة عثمان ومناصرة عبدالرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقّاص له فجعل مفتاح التعيين بيد ابن عوف.

وهذا مخالف للانتخابات الحرّة والنزيهة؛ ولأنّها انتخابات غير حرّة وغير منصفة فتحتاج إلى قوّة وقهر لإجبار أهل الشورى إلى مبايعة عثمان، لذا جعل عمر قوّة عسكرية قاهرة في مكان مجلس الشورى بقيادة صهيب الرومي المناصر للحزب القرشي.

وطلب عمر من تلك القوّة قتل الأعضاء الغير راغبين ببيعة عثمان.

ولينتقم عمر من أمير المؤمنين علي عليه السلام فقد جعل إمامة الصلاة في تلك الأيّام لصهيب الرومي، وأين منزلة صهيب من علي عليه السلام وصيّ المصطفى وصاحب بيعة الغدير وأمير الحاج في السنة التاسعة!

ولمعرفة عليﷺ بالمشروع القرشي الجديد فقد رفض الانضمام إلى مجلس الستّة العمري لكن الدولةأجبرته على دخول المجلس؛ لأنّ عدم دخوله في الشورىٰ المذكورة يعني مخالفته لبيعة عثمان وهذا يفسّر عدم مشروعيّة ذلك المجلس.

وممّا يؤسف له دعوة رسول اللهﷺ المسلمين لمبايعة عليﷺ في الغدير فبايعوه جميعاً (ومنهم عمر وعثمان وأبو بكر وابن عوف وابن أبي وقّاص) ثمّ مطالبة هؤلاء لعليﷺ بمبايعته لأبي بكر وعمر وعثمان!

فسحوا يد عليﷺ بيد أبي بكر واعتبورها بيعة، ثمّ أخذوا بيعة قهرية من عليﷺ لعثمان تحت ظلال السيوف المشهورة ولا يعتقد عاقل في هذه الدنيا بصحّة بيعة قهرية لرفض الأديان السماوية والقوانين الوضعية هذه البيعة الإجبارية.

ووقف طلقاء مكّة من أمثال الوليد بن عقبة وسعيد بن العاص وأبو سفيان ومعاوية وعمرو بن العاص وعبدالله بن أبي ربيعة والحكم بن أبي العاص وابنه مروان وأمثالهم إلى جانب عثمان.

ووقف أبو ذر والمقداد بن عمرو وحذيفة بن اليمان وأُبيّ بن كعب وقيس بن سعد بن عبادة وجابر بن عبدالله الأنصاري وأمثالهم إلى جانب علي بن أبي طالبﷺ.

وحدثت مناوشات بين الجانبين كانت امتداداً للصراعات في مكّة والمدينة، ففي مكّة كان عمار بن ياسر والمقداد وأبو ذر يحامي عن رسول اللهﷺ، وفي المدينة كانوا يحامون عن عليﷺ.

وكان الوليد بن عقبة والحكم بن أبي العاص ومعاوية وعمرو بن العاص

يدافعون عن أبي سفيان في مكّة، وفي المدينة أضحوا مدافعين عن عثمان الأموي!

فقد قال عمار بن ياسر.

خطب عثمان في زمن حكومته فقال: والله لأوثرنّ بني أميّة ولو كان بيدي مفاتيح الجنّة لأدخلتهم إيّاها، ولكنّي سأعطيهم من هذا المال على رغم أنف من رغم.

وقال أبو ذر: أنفي والله ترغم من ذلك.

قال عثمان: وإنّك لهناك يابن سمية ثمّ نزل إليه فوطئه فاستُخرج من تحته وقد غشي عليه وفتقه[١].

وهذا يبيّن إقدام الخليفة عثمان على ضرب المؤمنين برجله ويده لَكْماً وَرَفْساً وهذا مخالف للدين والأخلاق ومقوّمات الحضارة الراقية.

ويظهر تأثّره بأبي جهل وأبي لهب والوليد بن المغيرة!

وسألوا عمّاراً! أمؤمناً قتلتم عثمان بن عفان أم كافراً؟

فقال عمار: بل قتلناه كافراً، بل قتلناه كافراً[٢].

وهو نفس قول عائشة: اقتلوا نعثلاً فقد كفر[٣].

وكفَّر طلحة عثمان بن عفان وسمّاه نعثلاً أي اليهودي الكافر[٤].

قال الواقدي: وكان أشدّ الناس على عثمان عبدالرحمن بن عوف وطلحة بن

---

(١) تقريب المعارف، القسم الثاني.

(٢) التمهيد، الباقلاني ٢٣٠، وقعة صفين، نصر بن مزاحم ٣٦١ ـ ٣٦٩.

(٣) نهج البلاغة ٣ / ٣، الإيضاح، ابن شاذان ٢٥٧، وقعة الأخبار، المغربي ١ / ٣٤٥، مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب ٢ / ٣٣٩، تاريخ الطبري ٤ / ٤٧٧، الفتوح، ابن أعثم ٢ / ٣٢٥، تاريخ ابن الأثير ٣ / ٨٧، شرح النهج ٢ / ٧٧، النهاية ٤ / ١٥٦.

(٤) البحار ٣١ / ٢٨٦، صحاح اللغة ١ / ٨٨، القاموس ١ / ٣٧.

عبيدالله وسعد بن أبي وقاص[١].

وكفّره الزبير بن العوام[٢].

وقال أبو ذر لعثمان شيئاً فكذّبه عثمان.

فقال أبو ذر: ما ظننت أنّ أحداً أصدق من أبي ذر[٣].

وكلام أبي ذر هذا فيه إهانة قويّة لعثمان!

ولم يكن المقداد يصلي مع عثمان ولا يسمّيه أمير المؤمنين، وكذلك كان عمار[٤].

ولأنّ هؤلاء وأصحابهم ناصروا عليّاً عليه السلام في المدينة فقد ضربهم عثمان ضربات مميتة فقد قتل عثمان عبدالله بن مسعود وأبا ذر وأُبيّ بن كعب والمقداد بن عمرو وفتق بطن عمار بن ياسر.

أي سار عثمان علىٰ منهج أبي بكر الذي قتل معارضيه في بيعة السقيفة وهم فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله سيّدة نساء العالمين وسعد بن عبادة والحباب بن المنذر وخالد بن سعيد!

القيادة الحزبية والقبلية

وفيما يخصّ الحزب القرشي كان عمر أحد الملتزمين بأدبيّات وشروط ذلك الحزب الأمر الذي سهّل بيعة عمر لعثمان.

في حين كان عثمان قبلياً أكثر ممّا كان حزبيّاً، فقتل قادة الحزب أو عزلهم من

---

(١) البحار ٣١ / ٢٨٧.

(٢) البحار ٣١ / ٢٨٨.

(٣) البحار ١٠ / ٢٠، ط كباني وطبع جديد ٤٣ / ٦٦.

(٤) البحار ٣١ / ٢٨٥.

أمثال عبدالرحمن بن عوف وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وعائشة بنت أبي بكر وحفصة بنت عمر.

واختلاف عمر وعثمان في نظريّتهما الحزبية والقبلية كان بداية الفتنة التي أشعلها قادة الحزب من أمثال عائشة وابن العاص وابن عوف وطلحة.

فهؤلاء هم الذين أصدروا فتوىٰ بقتل عثمان وحاصروا بيته وألّبوا الناس عليه لمخالفته بنود واتّفاقات الحزب القرشي، ولسلبه امتيازاتهم التي حصّلوا عليها في زمن أبي بكر وعمر!

وبانحلال الحزب القرشي بدأ انحلال الحكومة العثمانية؛ لأنّ رجال الحزب خذلوه ودعوا إلى قتله بعدما دعموا أبا بكر وعمر.

ومعاوية والي الشام خذله أيضاً ليصبح وليّ الدم.

وبقيت مجاميع المسلمين وعلى رأسهم الصحابة في المدينة مستاءة من أفعال عثمان في حقّهم وحقّ الإسلام.

وخسارة عثمان تعتبر خسارة كبيرة لدنياه وآخرته ارتكبها في مسيرته السياسية والاجتماعية، ولو نهج نهجاً معتمداً على الحكمة لما فعل هذه الأفعال.

وبينما دفن المسلمون عثمان بن مظعون في تشييع جماهيري حافل وجد عثمان بن عفان نفسه ثلاثة أيّام على مزابل المسلمين يقذفه الصحابة بالحجارة وتلعنه الناس وأخيراً دفن في مقبرة اليهود إلى جنب الأحبار دون صلاة عليه ولا تشييع.

وإذا دقّقنا النظر في نتائج السقيفة وما جاءت به من ويلات على المسلمين نجد بأنّ السقيفة هي التي دفعت أبا بكر لقتل فاطمة بنت محمّدﷺ للقضاء على أكبر معارض له في دولته السالبة لحقّ علي بن أبي طالب؈.

الباب الثاني:

عثمان - قريش



الفصل الأول:

عثمان - ابن الجراح

كان ابن الجراح الخليفة الثالث، فلماذا أُبدل بعثمان؟

كان أبو عبيدة بن الجرّاح الفهري حفار قبور المهاجرين وآخى النبي ﷺ بينه وبين محمّد بن مسلمة[1] اليهودي السابق.

فكانا في طريق واحد لم يحضرا مراسم دفن النبي ﷺ لمشاركتهما في أحداث السقيفة، وكانا من المساهمين في قتل فاطمة عليها السلام سيّدة نساء العالمين.

لقد كان واضحاً وصول أبي بكر وعمر وابن الجرّاح إلى خلافة المسلمين على التناوب فهم أبطال السقيفة، والأحاديث الموضوعة في تلك الفترة من قبل الحزب القرشي على لسان النبي ﷺ تضعه (ابن الجرّاح) ثالثاً للخلفاء، وتسميه أمين هذه الأمّة[2]!

---

(١) طبقات ابن سعد ٣ / ٤٤٣.

(٢) الكامل في التاريخ ٢ / ٣٢٥.

ثمّ تغيّر ذلك بوضع الحزب القرشي عثمان ثالثاً للخلفاء وحذف ابن الجرّاح، فساءت على الأثر العلاقة بين الجانبين (ابن الجرّاح والدولة).

يمكن أن نستشفّ غضب ابن الجرّاح من هذا الإبعاد السياسي عن صدارة السلطة في قوله للخليفة عمر أثناء زيارة عمر للشام وامتناعه من دخول دمشق، خوفاً من الطاعون إذ قال عمر: أيّها الناس إنّي راجع فارجعوا.

فقال له أبو عبيدة بن الجرّاح (أمام جمهور المسلمين من أهالي الشام والحجاز): أَفَراراً من قدر الله؟

قال عمر: نعم فراراً من قدر الله، ثمّ قال عمر: لو غيرك يقول هذا يا أبا عبيدة[1].

وبعد ذلك بأشهر، مات أبو عبيدة بن الجرّاح المعزول عن الخلافة في نفس سنة زيارة عمر للشام.

إنّ غضب ابن الجرّاح على عمر لعزله عن الخلافة وموته بعد ذلك بأشهر يشابه كثيراً غضب ابن عوف على عثمان لعزله عن الخلافة وموته بعد ذلك بأشهر! والمستفيد الأوّل من موت ابن الجرّاح وابن عوف هم الأمويون! فلمّا مات ابن الجرّاح، أصبح عثمان محلّه في الخلافة والوزارة، وأصبح معاوية مكانه في ولاية الشام!

ولمّا قُتل عثمان عبدالرحمن بن عوف أصبحت الأوضاع مهيّأة لسلطة معاوية.

لقد كان ابن الجرّاح وابن عوف منافسين خطيرين للأمويين، فماتا بعد عزلهما بسرعة! وفي قضيّة ابن عوف ادّعى ابنه قتل عثمان له بالسمّ.

---

(١) تاريخ الطبري ٣ / ١٥٩، الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٢ / ٥٦٠.

وبعد موت ابن الجرّاح تمثّلت الخلافة القرشية المتناوبة على السلطة في أبي بكر وعمر وعثمان وابن عوف. ولمّا كان معاوية والياً على الشام، وعثمان خليفة عمر، فقد أصبح جناح بني أمّية أقوىٰ أجنحة قريش.

وعندما كان الخليفة أبو بكر ممتنعاً عن تولية أبنائه وأرحامه السلطة، وكذلك عمر، فقد استفاد بنو أميّة من هذه الفرصة الذهبية، وهذا الفراغ السياسي.

فبقي عبدالرحمن بن أبي بكر، وعبدالله بن عمر بعيدين عن العمل السياسي الماكر، و دهاء السياسة، ولم يكسبا تجربة في هذا المجال وامتناع أبي بكر وعمر من تولية أبنائهما نابع من طاعتهما لاتّفاق قبائل قريش بإعطاء الخلافة إلى باقي القبائل القرشية على قاعدة تناوب الخلافة.

وقاعدة تناوب الخلافة بين القبائل متغيّرة شأنها في ذلك شأن نظرية الإمامة المتقلّبة الأحوال في سيرة قريش، ممّا يثبت نظرية الغلبة في أنّ الحكم لمن غلب.

فأبو بكر قُتل بيد عمر وعثمان ولم يوصِ لأحد من بعده ولم يرفع منزلة أبنائه في السلطة[1]. وتبعاً لنظرية الغلبة فقد قتل الأمويون عمر بن الخطاب بطريقة ذكية لتسهيل قضيّة وصول عثمان إلى السلطة.

لقد غفل أبو بكر وعمر عن التخطيط الأموي الحثيث للوصول إلى السلطة، فبنوا أميّة لا يقبلون بسلطة أبي بكر وعمر اللذين كانا مغمورين في مكّة شخصياً وقبلياً ويصرّون على استحواذ بني أميّة على السلطة بصورة ملكية.

وفات هذا الأمر على أبي بكر وعمر فبينما انصبّت جهودهما لأبعاد بني هاشم والأنصار عن الدولة كان الأمويون يخطّطون بهدوء وسرّية كاملة للقبض على

---

(١) راجع كتاب اغتيال الخليفة أبي بكر والسيدة عائشة للمؤلف.

السلطة، فنجحوا في اغتيال أبي بكر بالاتّفاق مع عمر[١].

ثمّ نجحوا في اغتيال عمر بالاتّفاق مع المغيرة بن شعبة؟ ونظرة فاحصة في أحوال الحكومة المستولية على الحكم بعد أحداث السقيفة يبيّن مقتل هؤلاء بيد بعضهم البعض وانتهاء مسلسل الاغتيالات بوصول بني أمّية إلى السلطة!

فاهتمام الزعامة بالأعداء يسهّل سقوطها بيد الأصدقاء.

وخطأ ابن الجرّاح يتمثّل في اتّفاقه مع عمر على تنحية خالد عن قيادة الجيش وولاية الشام ممّا سهّل قضية وصول عمر إلى الخلافة على حساب أبي بكر وحزبه، فقد خان ابن الجرّاح الجناح البكري المنتمي إليه.

وما زال عمر حاقداً عليه لبيعته أبي بكر في السقيفة وإبعاده إياه عن الخلافة.

ولمّا زار عمر الشام والتقى عن قرب بأبي عبيدة بان اختلاف الأفكار والأصحاب فانتقم ابن الجرّاح لنفسه بإهانته عمر أمام جند المسلمين فلم ينفعه ذلك بل أسرع عمله في تحريك عمر على الانتقام منه وإنهاء حياته، فحدث ذلك.

وكانت الأيادي الأموية اليهودية تعمل في الخفاء للقضاء على رموز الحزب القرشي لتسهيل وصول الأمويين إلى الخلافة.

ولمّا قُتل أبو عبيدة بن الجرّاح ممثّل قبيلة بني فهر تقدّمت قبيلة بني أميّة خطوة مهمّة في طريق السلطة ولم يبق أمامها إلّا عمر وعبدالرحمن بن عوف.

ولمّا نجحت الأصابع الأموية اليهودية في اغتيال عمر وعبدالرحمن بن عوف أصبحت السلطة في كفّ الأمويين، وعندها بدأ تناحر جديد في داخل بيت العنكبوت الأموي برغبة سفيانية في إقصاء عثمان وإيصال معاوية إلى السلطة.

---

(١) المصدر السابق.

وسوف تقرأ كيف تمكّن الحزب السفياني من خوض هذه الجولة بنجاح باهر اعتماداً على الكيد الشيطاني والمكر الإبليسي!

من هو الأمين عثمان أم ابن الجرّاح؟

لقد سعى الحزب القرشي إلى إضفاء صفات وألقاب معظّمة وعالية لأفراده، ولكي تسمو هذه الألقاب وتحيا فقد نسبوها إلى رسول الله ﷺ.

ولقد لقّب أفراد بني أمية في الجاهلية أبا العاصي بن أمية بالأمين مقابل النبي محمّد ﷺ الملقّب بالأمين. ولقد ذكر مصعب الزبيري لقب الأمين لأبي العاص وكأنّها حقيقة[1].

وفي زمن الخلفاء حاول البعض إضفاء الصفات الراقية لأصحابهم لأسباب عديدة فأبو هريرة سارع لإضفاء لقب الأمين على عثمان قائلاً: قال رسول الله ﷺ: تكون بعدي فتن وأحداث والمنجا إلى الأمين وحزبه، وأشار إلى عثمان[2].

وكان أبو هريرة من أنصار الحزب القرشي والمقّربين إلى عمر أكثر منه إلى أبي بكر في حين كان أنس بن مالك من أنصار الحزب القرشي المقرّبين إلى أبي بكر أكثر منه إلى عمر؛ لذلك عيّن أبو بكر أنس بن مالك والياً على البحرين، ولمّا وصل عمر إلى الخلافة عزل أنس بن مالك وحاسبه، وعيّن أبا هريرة والياً على البحرين مكانه.

ولمّا كان عثمان بن عفان من جناح عمر بن الخطّاب وكان أبو عبيدة بن الجرّاح من جناح أبي بكر وهو واضح فقد سعى أبو هريرة لإضفاء لقب الأمين على عثمان

---

(١) نسب قريش مصعب الزبيري، نسب بني أمية.

(٢) نسب قريش، مصعب الزبيري ١٠٢.

بينما سعىٰ أنس بن مالك لإضفاء ذلك اللقب على ابن الجرّاح.

إذ جاء عن أنس بن مالك: قال رسول الله ﷺ: إنّ لكلّ أمّة أميناً، وإنّ أميننا أيتّها الأمّة أبو عبيدة بن الجرّاح"[1].

وفي رواية أخرىٰ عن أنس أيضاً أنّ أهل اليمن قدموا على رسول الله ﷺ فقالوا: ابعث معنا رجلاً يعلّمنا السنّة والإسلام. قال: فأخذ بيد أبي عبيدة فقال: هذا أمين هذه الأمّة"[2].

وبسبب هذه الاختلاقات الوهمية فقد نال أبو هريرة وأنس بن مالك أعلىٰ المناصب الحكومية!

وبينما عيّن أبو بكر أنس بن مالك على البحرين، وأبا عبيدة بن الجرّاح على الشام عزلهما عمر بن الخطّاب عن البحرين والشام لصالح أبي هريرة ومعاوية بن أبي سفيان.

وظاهر الأمر إنّ الصراع على لقب الأمين بين جناحي عمر وأبي بكر هو أعمق من قضية لقب سام، بل هو صراع على خلافة عمر؛ إذ لمّا عزل عمر أبا عبيدة بن الجرّاح عن الشام عيّن بدله معاوية الأموي.

ثمّ ساءت العلاقة بين عمر وابن الجرّاح فقتله عمر بعد أن جعله محكوماً من قبل والي الشام معاوية بن أبي سفيان، فتهيّأت الظروف لمجيء عثمان الأموي إلى السلطة.

وبينما جعل أنس وأبو هريرة لقب الأمين لابن الجرّاح وعثمان كانت الحقيقة تتمثّل في أنّ لقب الأمين من الألقاب المهمّة لرسول الله محمّد ﷺ؛ إذ جاء في

---

(١) صحيح مسلم ٤ / ١٨٨١ ح ٢٤١٩.

(٢) صحيح مسلم ٤ / ١٨٨١.

القرآن الكريم عدّة آيات:

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾[١].

﴿وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾[٢].

وقبل الإسلام كان الناس يسمّونه بالصادق الأمين، فعندما اختلفوا في الحجر الأسود اتّفقوا على التحاكم إلى رجل صادق أمين فاتفق زعماء مكة على محمد الصادق الامين قبل البعثة .

وعندما هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة أبقى علياً ﷺ ليوزّع أمانات الناس الموجودة عنده فبقي عليّ ﷺ ينادي بالناس لاستلام أماناتهم.

وبينما سعى أنس بن مالك لاختلاق فضيلة حزبية لابن الجرّاح أحد أفراد حزبه (الممتنع عن حفر قبر رسول الله ﷺ) تنكر لسماعه حديث الغدير. إذ جاء:

كان الإمام علي بن أبي طالب ﷺ قد طلب من الحاضرين في مسجد الكوفة الشهادة له بسماعهم حديث الغدير من فم النبي محمّد ﷺ يوم قال: من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه اللهمّ والِ من والاه وعادِ من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله.

فامتنع أنس وزيد بن أرقم فدعا عليهما الإمام علي ﷺ فبرص أنس بن مالك إلى درجة أخذ معها بوضع خرقة سوداء على وجهه حياءً من البرص[٣].

ولمّا قتل عمر وعثمان أبا بكر عزلا أتباعه ومنهم أنس.

ولقد تعرّض أنس بن مالك إلى العزل فقط؛ لأنّه أنصاري ولا ينافس غيره

---

(١) الشعراء ١٠٧، ١٢٥، ١٤٣، ١٦٢، ١٧٨، ١٩٣.

(٢) الأعراف ٦٨.

(٣) تفسير القرطبي ١ / ١٠، عيون الأثر، ٤٤٩.

على الخلافة في حين تعرّض أبو عبيدة بن الجرّاح القرشي إلى العزل والقتل[١]؛ لأنّه منافسهم على الزعامة.

وعلى كِلا المنحيين سعى الحزبان البكري والعمري لسرقة لقب الأمين من رسول الله ﷺ لصالح فردين من حزبهما وهما ابن الجرّاح وعثمان، ممّا يبيّن عدم احترامهما للنبي ﷺ. وحبهما المفرط للحزب القرشي!

عزل واغتيال أبي عبيدة بن الجرّاح

لقد عزل عمر واليه على الشام أبا عبيدة بن الجرّاح المحسوب على خطّ أبي بكر وعيَّن معاوية بن أبي سفيان مكانه[٢]!

وكان هذا العزل مقدّمة لاغتيال ابن الجرّاح. وكان كلّ عزل يتبعه اغتيال، وهذه نظرية معروفة من نظريّات عمر بن الخطّاب[٣].

فكان عمر قد عزل خالد بن الوليد والمثنّىٰ بن حارثة الشيباني وعتبة بن غزوان وشرحبيل بن حسنة وأبا عبيدة بن الجرّاح ومعاذ بن جبل وكلّ هؤلاء قد قُتلوا في زمن خلافة عمر بن الخطاب!

ومن الذين عُزلوا ولم يُقتَلوا كان أنس بن مالك، وفراره إلى البصرة وتركه السياسة أنقذاه من العقاب المذكور!

ولقد مات ابن الجرّاح ومعاذ وشرحبيل وبلال في وقت واحد! وادّعت الدولة بأنّ بلالاً ومجموعته قد قُتلوا بدعاء عمر عليهم!!

---

(١) راجع كتاب نظريات الخليفتين ج ٢. المؤلّف.

(٢) تاريخ الطبري ٣ / ١٦٥.

(٣) طالع كتاب نظريّات الخليفتين للمؤلّف ج ٢.

ولم يكن بلال من خطّ أبي بكر بل كان مخالفاً له أيضاً إذ ذكر الجاحظ:

وكان بلال وعمّار يطعنان على أبي بكر وعمر[١]. وكان بلال مخالفاً لعمر ويأوي معارضيه.

وقالوا بأنّ عمر بن الخطّاب قد قال قبل قتله بلالاً وأصحابه:

اللهمّ اكفني بلالاً وأصحاب بلال. فما حال الحول عليهم حتىٰ ماتوا جميعاً[٢]!

والظاهر أنّ الدولة قد شكّكت في قبول الناس بموت هذا العدد الكثير من الزعماء المعارضين بصورة طبيعية وفي وقت واحد.

وموت المعارضين بصورة جماعية وفي وقت واحد قد تكرّر، وأوّل ما حدث ذلك في زمن أبي بكر إذ مات أبو بكر وطبيبه وواليه على مكّة في يوم واحد. والظاهر أنّهم ماتوا بدعاء عمر عليهم!

ولا أدري لماذا لم يدعو عمر على الفسقة الآخرين من ولاته مثل ابن العاص ومعاوية والمغيرة والأشعري؟

والمرّة الثانية كان بموت بلال وأصحابه في الشام.

وكان معاوية بن أبي سفيان (والي عمر على الشام) ينفذ دعاء عمر بن الخطّاب على الأرض، وقدرة معاوية على اغتيال المعارضين لا يجاريها أحد. فعمر يدعو ومعاوية ينفّذ!

وسبب انتصار عمر ومجموعته على أبي بكر ومجموعته يعود إلى أمرين:

الأوّل: كانت مجموعة عمر أكثر دهاءً من مجموعة أبي بكر، إذ فيهم معاوية بن

---

(١) العثمانية الجاحظ ص ٢١.

(٢) مختصر تاريخ دمشق، ابن عساكر ١٠ / ٢٩٠، أسد الغابة، ابن الأثير ٢ / ٥١٣.

أبي سفيان والمغيرة بن شعبة وعمرو بن العاص وعبدالله بن أبي ربيعة[١]، وأبو هريرة وأبو سفيان والأشعري.

وثانياً: اهتمام أبي بكر وجماعته بالفتوحات الخارجية وقيادة الجيوش، بينما اهتمّت مجموعة عمر بالقضايا الأمنية والإدارية.

ولتلافي خطر الجيش فقد عزل عمر خالد بن الوليد في اليوم الأوّل من مجيئه إلى السلطة، فلم يفهم خالد بموت أبي بكر إلّا بعد عزله[٢].

ثمّ قُتل خالد في سنة ٢١ هجرية في ظروف مشكوكة في مدينة حمص.

وعزل عمر أنس بن مالك والي أبي بكر على البحرين[٣]، وعيّن أبا هريرة بدلاً عنه وبقي أنس موالياً لأبي بكر.

إذ كان أبو هريرة من الموالين لعمر وبني أميّة وكان أنس من الموالين لأبي بكر.

ولم يقتصر ملفّ الموت السريع على أبي بكر وولاته وقادته بل شمل أبا قحافة! إذ لم يعش أبو قحافة بعد أبي بكر إلّا ستّة أشهر وأيّاماً، وتوفّي في المحرّم سنة أربع عشرة بمكّة[٤].

وتعتبر عائلة أبي بكر من المعمّرين في السنّ فلولا قتلهم أبا بكر لعاش أكثر، ولكنّهم قتلوه وقتلوا أولاده!

ومجموع تلك الأحداث يثبت بأنّ عزل وقتل هؤلاء قد تمّ بواسطة جهة واحدة وبأمر واحد، ومن قبل طرف مستفيد من تلك الحالة.

---

(١) كان السفير الثاني لقريش إلى ملك الحبشة لإرجاع المسلمين إلى مكّة وقتلهم، وقد عيّنه عمر والياً له على اليمن.

(٢) طبقات ابن سعد ٧ / ٣٩٧، تاريخ اليعقوبي ٢ / ٩٥.

(٣) مختصر تاريخ ابن عساكر ٥ / ٧٣، تاريخ الإسلام، الذهبي، عهد الخلفاء الراشدين ١٢١، تاريخ خليفة ١٢٣.

(٤) تاريخ الطبري ٢ / ٢١٧، مرآة اليافعي ١ / ١٤٠.

وتلك الجبهة تتمثّل في عمر وعثمان وأبو سفيان ومعاوية والمغيرة وأبو هريرة وابن العاص وابن عوف الذين قسّموا مناصب الدولة فيما بينهم بعد طردهم لأعوان أبي بكر.

وأصبح عمر بن الخطّاب خليفة وعثمان وصيّاً له وابن عوف وصيّاً لعثمان!

من وراء اغتيال الصحابي أبي عبيدة بن الجرّاح

كان أبو عبيدة بن الجرّاح الفهري من الصحابة الذين هاجروا إلى المدينة المنوّرة، وهو أحد أعمدة الحزب القرشي[1] الثلاثة وهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة.

وقد لقّبه رجال الحزب بالأمين لاحتفاظهم بأسرار عصبة قريش عنده. وقد قالوا: لكلّ أمةٍ أَمين وأمين هذه الأمّة أبو عبيدة بن الجرّاح[2].

وهو الذي ترك عمر بن الخطّاب في السقيفة وهيّأ الأمور لبيعة أبي بكر، فغضب عمر عليه.

وأصبح المقرّر تناوب الخلافة بين أبي بكر وعمر وابن الجرّاح على أن يكون أبو بكر أوّلاً، وعمر ثانياً، وابن الجرّاح ثالثاً.

وقد كان ذلك واضحاً من الأحاديث التي اختلقها الحزب القرشي بإسم أحاديث نبوية، إذ جاء:

«قلت لعائشة: أيّ أصحاب النبي ﷺ كان أحبّ إليه؟

---

(١) وكان طوّالاً نحيفاً أجنى (محدب الظهر) معروق الوجه * صفة الصفوة ابن الجوزي ١ / ١٩٢، وكان ساقط الثنيتين، أهتم، أعسر، أعرج * المستدرك الحاكم ٣ / ٣٠٨، الطبري ص ٢٦١، الإصابة ٦ / ٣١٣، وكان حفّاراً لقبور المهاجرين * تاريخ الطبري ٢ / ٤٥١.

(٢) سنن الترمذي ٣ / ٢٢١، طبعة دار التربية لدول الخليج.

قالت: أبو بكر، قلت: ثمّ مَن؟

قالت: ثمّ عمر.

قلت: ثمّ مَن؟

قالت: ثمّ أبو عبيدة بن الجرّاح.

قلت: ثمّ مَن؟ فسكتت[١].

وجاء عن أبي هريرة قال ﷺ: نِعم الرجل أبو بكر، نِعم الرجل عمر، نِعم الرجل أبو عبيدة بن الجرّاح[٢].

وضعت الدولة هذه الأحاديث في زمن أبي بكر فأوّلاً لم يكن ذكر لعثمان بن عفان في أحاديث الحزب القرشي.

طبعاً لم يوافق بنو أميّة على ذلك الطرح فتدخّلوا في الأمر ليكون لهم حصّة في الخلافة.

فوجدوا إصراراً من أبي بكر على أبي عبيدة بن الجرّاح خاصّة وإنّه قائد الجيوش الإسلامية في الشام.

وهذا أحد الأسباب المهمّة في اغتيال أبي بكر إذ تمّ الاتّفاق على اغتياله وعزل أبي عبيدة بن الجرّاح عن الخلافة ووضع عثمان مكانه.

وفعلاً تمّ ذلك الأمر وعُزل أبو عبيدة بن الجرّاح وأصبح عثمان بن عفان وصّياً لعمر.

وعندها وجد الأمويون عائقاً أمامهم يتمثّل في الأحاديث الموضوعة المختلَقة من قبلهم التي تنصّ على خلافة وأفضلية أبي بكر وعمر وأبي عبيدة بن الجرّاح.

---

(١) سنن الترمذي ٣ / ٢٢٢ ح ٢٩٥٨ ـ ٤٠٢٧، سنن ابن ماجة ص ١٠٢ طبع مكتب التربية لدول الخليج.

(٢) سنن الترمذي ٣ / ٢٢٢.

وكانت شخصية أبي عبيدة بن الجراح أقوى من شخصية عثمان في رأي الناس.

١ ـ فقد كان أحد ثلاثة مهيأين للسلطة في السقيفة ولم يكن عثمان مرشّحاً للخلافة في السقيفة.

٢ ـ وقالوا: داهيتا قريش أبو بكر وأبو عبيدة بن الجرّاح، ولم يذكروا عثمان في هذا الجانب.

٣ ـ وقال أسامة بن زيد لابن عثمان بن عفان: قُبض رسول الله ﷺ وأنا أمير على أبيك وعلى مَن هو خير من أبيك على أبي بكر وعمر وأبي عبيدة[1].

وعندها شمَّر الأمويون عن سواعدهم فأوجدوا أحاديث جديدة تنصّ على خلافة وأفضليّة أبي بكر وعمر وعثمان، ومن تلك الأحاديث الكثيرة، ما وضعوه على لسان عائشة:

«قالت عائشة: كان رسول الله ﷺ مضطجعاً في بيتي كاشفاً عن فخذيه أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر فأذن له، وهو على تلك الحال، فتحدّث ثمّ استأذن عمر فأذن له وهو كذلك: فتحدّث.

ثمّ استأذن عثمان فجلس رسول الله ﷺ وسوّى ثيابه، فدخل فتحدّث.

فلمّا خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتشّ ولم تباله. ثمّ دخل عمر فلم تهتشّ ولم تباله. ثمّ دخل عثمان فجلست وسوّيت ثيابك.

فقال: ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة»[2].

في هذا الحديث نَفَس أموي، وإهانة للرسول ﷺ وأبي بكر وعمر. ولا يمكن

(١) أمالي الطوسي ٢١٣.

(٢) سنن مسلم ٤ / ١٨٦٦ ح ٢٤٠١، ٢٤٠٢ طبع دار إحياء التراث العربي، تحقيق عبد الباقي.

لعائشة نطق مثل هذا الحديث.

وعن الأشعري: بينا رسول الله ﷺ في حائط من حياط المدينة وهو متّكىء يركز بعود معه بين الماء والطين إذ استفتح رجل فقال: افتح وبشّره بالجنة قال: فإذا أبو بكر. ففتحتُ له وبشّرته بالجنة.

ثمّ قال استفتح رجل آخر فقال ﷺ: افتح وبشّره بالجنة. قال: فذهبت فإذا هو عمر. ففتحت له وبشّرته بالجنة.

ثمّ استفتح رجل آخر، قال: فجلس النبي ﷺ فقال: افتح وبشّره بالجنة على بلوىٰ تكون. قال: فذهبت فإذ هو عثمان بن عفان، قال: ففتحت وبشّرته بالجنة[1].

وجاء: كنّا نقول ورسول الله ﷺ حي أبو بكر وعمر وعثمان[2]. وهكذا غيّرت الدولة الأحاديث المصطنعة.

أي أنّه لمّا وصل عمر بن الخطّاب إلى السلطة وقتل أبو بكر دارت الدوائر على أبي عبيدة بن الجرّاح فهبطت منزلته عند الدولة.

وفي تلك الأيّام قتل أبو عبيدة بن الجرّاح بسهام السلطة مع المجموعة المعارضة للنظام المتمحورة حوله في الشام.

وقد توضّح الاتّفاق بين عمر بن الخطّاب والأمويين في عملية عزل أبي عبيدة بن الجرّاح عن الخلافة وولاية الشام لصالح الأمويّين عثمان بن عفان ومعاوية بن أبي سفيان.

إذ أفلس ابن الجرّاح من كلّ أمر بعد أن هيّأ الأمور في السقيفة لخلافة أبي بكر وخلافته الشخصية.

---

(١) سنن مسلم ٤ / ١٨٦٧، ح ٢٤٠٣ طبع دار إحياء التراث العربي، سنن الترمذي ٣ / ٢١١ ح ٢٩٢٧ ـ ٣٩٧٦.

(٢) سنن الترمذي ٣ / ٢١٠، ح ٢٩٢٤ ـ ٣٩٧٢ طبع مكتب التربية العربي لدول الخليج.

وقد قَتل معاوية يوم كان والياً على الشام من قبل عمر بن الخطاب بلالاً وأبا عبيدة بن الجراح وأصحابهم.

قال الواقدي وعمرو بن علي والبرقي ومحمّد بن إسحاق توفّي بلال سنة ٢٠ هجرية[1] بعد طاعون عمواس في حلب، وفي نفس السنة مات معاذ بن جبل وكان عمره ثمانياً وثلاثين سنة[2]، ومات أبو عبيدة بن الجرّاح بفِحْل الأردن[3].

ولمّا اشتدّ الصراع بين عمر وابن الجرّاح أثر عزل ابن الجرّاح عن الخلافة وامتناع عمر عن دخول الشام، قال ابن عوف:

قال رسول الله ﷺ: إذا سمعتم بهذا الوباء ببلد فلا تقدموا عليه، وإذا وقع ببلد وأنتم به فلا تخرجوا فراراً منه، فانصرف عمر بالناس إلى المدينة، وقد ذكر هذه الرواية البخاري ومسلم.

وآثار الوضع على هذه الرواية واضح، إذ لم يسمع بها ابن الجراح وأتباعه وأهل الشام، ولم يسمع بها عمر والوفد المرافق له!! كما إنّها مخالفة للعقل والمنطق إذ لا يوجد سبب عقلائي يوجب به النبي ﷺ على الناس البقاء في بلد يهلكه الطاعون.!

فتمكّن ابن عوف بهذا الحديث من انقاذ عمر وردع ابن الجرّاح المعزول عن الخلافة.

وخلعُ ابن الجراح عن الخلافة في صالح عثمان وابن عوف؛ لأنّه المنافس الأوّل لهما داخل الحزب القرشي. وكان المقرّر أن يصل ابن عوف الزهري إلى الخلافة بعد عثمان!

---

(١) أسد الغابة، ابن الأثير ١ / ٢٤٥، ١ / ١٩٧.

(٢) أسد الغابة، ابن الأثير ٥ / ١٩٧، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

(٣) تاريخ أبي زرعة ص ٣٠١.

ولمّا عاد عمر من الشام خلع أبا عبيدة بن الجرّاح من ولاية الشام وعيّن معاوية بدلاً عنه[١]، ثمّ مات أبو عبيدة في نفس السنة في فِحْل في الأردن معزولاً عن الخلافة والولاية!

وقد قتل الأمويون الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ثمّ قالوا: مات بالطاعون.

وكان أبو عبيدة بن الجرّاح قد تنحّىٰ عن عمر وجماعته، وهم في طريقهم إلى الحجّ، فراراً من غنائهم! إذ أخرج البيهقي عن خوات بن جبير:

«قال: خرجنا حجّاجاً مع عمر بن الخطاب، فسرنا في ركب فيهم أبو عبيدة بن الجرّاح، وعبدالرحمن بن عوف.

فقال القوم: غنّنا يا أخوات فغنّاهم، فقالوا: غنّنا من شعر ضرار. فقال عمر: ارفع لسانك يا خوات فقد أسحرنا.

فقال أبو عبيدة: هلمَّ إلى رجل، أرجو أن لا يكون شرّاً من عمر.

قال: فتنحيّت وأبو عبيدة، فما زلنا كذلك، حتىٰ صلّينا الفجر»[٢].

لذلك أصبح أبو يعلىٰ بن عمر بن الجرّاح ابن أخي أبي عبيدة بن الجرّاح معارضاً للحزب القرشي الذي قتل أباه فجعله الإمام علي عليه السلام على مقدّمته في معركة الجمل[٣].

فنفهم من ذلك بأنّ أفراد الحزب القرشي من جناح أبي بكر قد قتلتهم السياسة وصرعهم التنافس المدهش على خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله!

وهذا جزاء من يترك الوصية الإلهيّة لعلي بن أبي طالب عليه السلام ويسعىٰ للرئاسة دون رضا الله ورسوله صلى الله عليه وآله.

---

(١) تاريخ الطبري ٣ / ١٦٥ طبعة الأعلمي - بيروت.

(٢) السنن الكبرىٰ، البيهقي ٥ / ٦٩.

(٣) الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٣ / ٢٠٤.

الفصل الثاني:

عثمان - قريش

معاهدة قبائل قريش في تناوب الرئاسة

كانت القبائل القرشية متّفقة على تناوب المسؤوليّات فيما بينها قبل فتح مكّة واتّفقت هذه القبائل على تناوب الخلافة فيما بينها في اجتماعها السرّي في مكّة معارضة منها للنصّ النبوي في خلافة عليّ.

فوصل إلى الخلافة أبو بكر التيمي وعمر من قبيلة عدي وعثمان من بني أميّة.

قبيلتا تيم وعدي لم يكن لهما سهم في السلطة والوظائف السياسية والاجتماعية والدينية قبل الإسلام فأصبحتا تتحكّمان في الدولة.

وكان نسل إسماعيل هو المقدّم في مكّة في طول تأريخ هذه المدينة إذ بيدهم القيادة والسقاية والرفادة فأصبح هو الوحيد المبعد عن السلطة.

فبعد حصار الشعب اقصت القبائل المكية بني هاشم من السيادة وأصبح أبو طالب زعيمها محاصراً في الشعب.

واستمرّت هذه الحالة الكافرة والنادرة وتوّجت بتعهّد زعماء قبائل مكّة على اغتيال رسول الله ﷺ وإدارة دفّة الأوضاع في تلك المدينة المهمّة.

وقبل شهادة رسول الله ﷺ في السنة الحادية عشرة للهجرة اجتمعت رجالات عديدة في مكّة وتعهّدوا بنقض البيعة الإلهيّة لعلي بن أبي طالب عليه السلام والاستيلاء على خلافة رسول الله ﷺ.

وهذه الاجتماعات كانت استمراراً لاجتماعات طغاة قريش في مكّة، وبعض الرجال حضروا تلك الاجتماعات جميعاً مثل أبي سفيان ومعاوية وعمرو بن العاص وعمر بن الخطّاب، وخالد بن الوليد وعبدالله بن أبي ربيعة.

المطّلع للسيرة النبوية في موضوع السقيفة يلاحظ النصوص والشواهد والقرائن تنصّ على اتّفاق قيادات الحزب القرشي على استلام الخلافة وتقسيمها فيما بينهم، مثل أبي بكر وعمر وعثمان وأبي عبيدة بن الجرّاح وابن عوف[1].

فمع إلمام بسيط بذلك الموضوع يفهم القارىء هذه القضية ويؤيّد ذلك المطلب الأحداث اللاحقة للسقيفة من مطالبة عمر بالخلافة ودعوته أبا بكر بالتنازل عنها لصالحه، إعلاناً منه لقضيّة تناوب الخلافة.

ويجد المطالع للسيرة بأنّ الاتّفاق بين هؤلاء على تناوب السلطة لم يحدّد المدّة الزمنية لخلافة كلّ رجل منهم، وهذا ما سبّب مشكلة خطيرة أودت بحياتهم جميعاً.

فعمر طالب أبا بكر بالتنحّي عن السلطة بعد سنتين من خلافته وامتنع أبو بكر من ذلك وهذه الاختلافات ناجمة من عدم وجود نظرية قرشية واضحة في الحكم بعد رفض قريش النصّ الإلهي في خلافة علي عليه السلام وتسبّب ذلك الصراع في

(١) البحار ٢٨ / ٩٦ ـ ١١١، السقيفة، سليم بن قيس ١٦٨.

مقتل أبي بكر وزوال حكومته بيد عمر وعثمان[١].

ثمّ أقدم الإثنان على قتل أبي عبيدة بن الجراح لصالح عثمان الأموي[٢]؛ لوجود اتّفاق سرّي بين أبي بكر وعمر وأبي عبيدة على وصولهم للحكم بالتناوب.

ثمّ أقدم عثمان بن عفان على قتل وليّ عهده عبدالرحمن بن عوف لصالح معاوية[٣].

وكانت قبائل قريش الأصلية متعوّدة على تقسيم السلطات والوظائف فيما بينها قبل الإسلام، وامتداداً لهذه العادة اتّفقت تلك القبائل على تناوب الخلافة فيما بينها دون بني هاشم أي حذفوا أصل قريش من الخلافة وأدخلوا قبائل غير قرشية، ورجالات غير عربية في السلطة!

وقد أيّد عبدالفتّاح عبدالمقصود المصري: اتّفاق الثلاثة على اغتصاب السلطة مسبقاً قائلاً: «الموقف الظنين للرفاق الثلاثة الذي يؤيّده الاستنتاج أكثر ممّا ينفيه حتى ليوشك ألّا يكون لسلوكهم مفتاح سواه»[٤].

وقال الإمام علي عليه السلام لعمر ـ بعد أحداث السقيفة ـ: إحلب حلباً لك شطره توليه أنت اليوم ليردّها عليك غداً[٥].

وقال عمر: يا بن عباس إنّ قومكم يكرهون أنفتكم، ويخافون أن يصير الأمر لكم، ويرون أنّه إذا كان ذلك لم يكن لهم حظّ معكم[٦].

---

(١) راجع ذلك في كتاب اغتيال الخليفة أبي بكر للمؤلف.

(٢) راجع النصوص في هذا الكتاب في موضوع ابن الجرّاح.

(٣) راجع النصوص في هذا الكتاب في موضوع عبدالرحمن بن عوف.

(٤) السقيفة والخلافة ٣٦٤.

(٥) الإمامة والسياسة، لابن قتيبة ١ / ١٣.

(٦) الشيخان، البلاذري ٢٧٨.

إذاً قريش تريد السلطة لها ولو كان ذلك مخالفاً النصّ الإلهي لأهل البيت عليهم السلام.

وقال عبدالفتّاح عبدالمقصود أيضاً: إنّ افتراضي العمدية فيهم (أي اتّفاق الثلاثة مسبقاً على تولّي السلطة) ليس من قبيل المحال الذي ترفضه الأذهان بقدر ما هو المحتمل الجائز الورود[1].

وقال معاويه في رسالته لمحمّد بن أبي بكر: فكان أبوك وفاروقه أوّل من ابتزّه (عليّاً عليه السلام) حقّه، وخالفه على أمره، على ذلك اتّفقا واتّسقا، ولولا ما فعل أبوك من قبل ما خالفنا ابن أبي طالب ولسلّمنا إليه، ولكنّا رأينا أباك فعل ذلك به من قبلنا فأخذنا بمثله فعب أباك بما بدا لك[2]، فبيّن معاوية اغتصابهم للخلافة من علي عليه السلام بصورة واضحة لا تحتاج إلى بيان.

وقال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: أما وربّ السماء والأرض (ثلاثاً) إنّه لعهد النبي الأمّي إليّ لتغدرنّ بك الأمّة من بعدي[3].

وكان الاتّفاق أن يتولّى الخلافة أحد الثلاثة بالتناوب (أبو بكر وعمر وابن الجرّاح) فقال عمر لابن الجراح: أبسط يدك نبايعك فإنّك أمين هذه الأمّة على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله.

فقال: يا عمر، ما رأيت لك تهمة (فهّةً) منذ أسلمت قبلها، أتبايعني وفيكم الصدّيق[4].

كان أبو عبيدة بن الجرّاح مؤيّداً لأبي بكر ومفضّلاً إيّاه على عمر فلم يوافق

---

(١) السقيفة والخلافة ١٣٠.

(٢) مروج الذهب، المسعودي ٣ / ١٣.

(٣) شرح نهج البلاغة ٦ / ٤٥.

(٤) أنساب الأشراف ١ / ٥٧٩، كان ابن الجرّاح أميناً للاتّفاق القرشي في مكّة الساعي لاغتصاب الخلافة من أهل بيت النبوّة عليهم السلام.

على اقتراح عمر بأن يكون هو الخليفة، ولم يقل لعمر ابسط يدك لأبـايعك؛ لأنّـه مخالف لرئاسة عمر بن الخطاب.

وقال الإمام علي عليه السلام عن بيعة عبدالرحمن بن عوف لعثمان ما قاله سابقاً لعمر عند بيعته لأبي بكر: يوليها عبدالرحمن عثمان، ويوليها عثمان عبدالرحمن[١].

وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: لابن عوف: أيهاً عنك إنّما آثرته بها لتنالها بعده دقّ الله بينكما عِطرَ مَنْشِم[٢].

فبيّن الإمام علي عليه السلام المؤامرات القرشية لاغتصاب الخلافة بصورة جليّة.

ومن أدلّة الاتّفاق بين قبائل قريش الأعمال اللاحقة للسقيفة مثل اتّفاق الدولة مع أبي سفيان على إعطائه الصدقات الموجودة في يده وتولية ولديه يزيد وعتبة على الشام والطائف مقابل بيعته لأبي بكر[٣].

وهي رشوة كبرى زلزلت أركان الحكم الإسلامي!

وقال معاوية في رسالته لمحمّد بن أبي بكر بأنّ وصول الأمويين إلى الحكم كان بالاتّفاق مع أبي بكر ومساعدته إذ قال: أبوك مهّد مهادة وبنى لملكه وسادة، فإن يك ما نحن فيه صواباً فأبوك استبدّ به ونحن شركاؤه»[٤].

ولمّا جاء عثمان بن عفان بكتاب أبي بكر بعد موته قال للناس: أتبايعون لمن في هذا الكتاب؟

---

(١) تاريخ الطبري ٣ / ٢٩٤.

(٢) شرح نهج البلاغة ٩ / ٥٦.

(٣) السقيفة وفدك، الجوهري ٣٧، ٤٨، شرح نهج البلاغة ١ / ٢١٩، سيرة ابن هشام ٤ / ٣٤٠، الإمامة والسياسة ١ / ١٥، تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٠٣.

(٤) مروج الذهب، المسعودي ٣ / ١٣.

قال بعضهم: قد علمنا به[١].

وردّهم هذا يبيّن اطّلاعهم على الاتّفاقات السرّية لرجال الدولة ومؤامراتهم ضدّ بعضهم البعض!

من هو المؤسّس، والعقل المفكر لدولة بني أميّة في الشام؟

من خلال قراءتي لمجمل نصوص السيرة النبوية وسيرة خلفاء النبي ﷺ وصلت إلى قناعة كاملة بأنّ الخليفة عمر هو المؤسّس والعقل المفكّر لدولة بني أميّة في الشام.

قد لا يوافق البعض على اطروحتي هذه، وقد يشكّك فيها آخرون فأقول: (إنّ حكومة معاوية تنسجم إلى حدٍّ بعيد مع أهداف عمر بن الخطاب، ولو ذكرت أدلّتي على نظريّتي لانفكّت عرى أطروحات المخالفين لي:

الملاحظ من سيرة عمر أنّه مؤمن بنظرية حصر الخلافة في قرش وقد دلّل على ذلك في أقواله وأفعاله فقد قال:

من ينازعنا سلطان محمّد وميراثه، ونحن أولياؤه وعشيرته إلّا مدل بباطل أو متجانف لإثم أو متورّط في هلكة[٢].

وساعد عمر على تعيين أبي بكر في الحكم وعيّن عثمان في الحكم أيضاً وهناك انسجام بين نظريّات عمر المختلفة مع رؤى معاوية، من مثل حسبنا كتاب الله، وإبعاد بني هاشم والأنصار وغيرهم عن السلطة، وحصرها في قريش.

---

(١) الطبقات، ابن سعد ٣ / ٢٠٠.

(٢) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١ / ٨.

نظرية عمر المتمثّلة في الفاسق القوي أفضل من المؤمن الضعيف تتجسّد في شخص معاوية بن أبي سفيان.

ولقد صرّح عمر بتلك النظرية في المدينة أمام الصحابة، يوم ولّىٰ المغيرة بن شعبة على الكوفة.

احترام عمر لدهاة العرب، من أمثال المغيرة وابن العاص وعبدالله بن أبي ربيعة الحضرمي (واليه على اليمن) وكعب الأحبار، ينسجم مع حبّه للداهية معاوية بن أبي سفيان.

بعد تولية عمر لمعاوية على الشام لم يخلعه إلى يوم مقتله في سنة ٢٤ هجرية ولقد جمع عمر لمعاوية ولايات دمشق وحمص والقدس وباقي مدن فلسطين والأردن بينما فرّقها على عدّة ولاة قبله.

وفي العراق لم يجمع عمر الكوفة والبصرة لوال واحد، بل وضع الأشعري على البصرة والمغيرة على الكوفة، ممّا يبيّن تهيئة معاوية للخلافة.

لقد وصف عمرُ معاوية بكسرىٰ العرب[1]. وهذا الوصف يعبّر عن اعتقاده بقدرة معاوية على لعب هذا الدور، وحبّ عمر لذلك[2].

منع عمر باقي الولاة من تشكيل المواكب الفخمة وترتيب حرس على قصورهم إلّا معاوية فقد أجاز له ذلك.

فرض عمر في العطاء ما يرفع مكانة معاوية وأبيه، فقد ذكر اليعقوبي: قال عمر: اكتبوا الناس على قدر منازلهم وابدأوا ببني عبدمناف.

---

(١) الاستيعاب ١ / ٢٥٣، أسد الغابة ٤ / ٣٨٦، الإصابة ٣ / ٤٣٤، البداية والنهاية ٨ / ١٢٥.

(٢) المصادر السابقة.

فكتب أوّل الناس علي بن أبي طالب في خسمة آلاف والحسن بن علي في ثلاثة آلاف والحسين بن علي في ثلاثة آلاف. وقيل بدأ بالعباس بن عبدالمطّلب في ثلاة آلاف وكلّ من شهد بدراً من قريش في ثلاثة آلاف، ومن شهد بدراً من الأنصار في أربعة آلاف، ولأهل مكّة من كبار قريش مثل أبي سفيان بن حرب، ومعاوية بن أبي سفيان في خمسة آلاف[1].

فعاوية أصبح في العطاء بمنزلة علي بن أبي طالب عليه السلام وهذا ما لم يكن يحلم به معاوية نفسه في حين كان راتب الفرد من الطلقاء ستّمائة درهم.

لقد وصف عمر رجال الشورى الستّة بأوصاف عبّر فيها بما يعتقده فيهم فوصف سعداً بالشدّة والغلظة. ووصف عبدالرحمن بن عوف بفرعون هذه الأمّة، ووصف الزبير بمؤمن الرضا كافر الغضب، ووصف طلحة بالنخوة والكبر ولو وليها وضع خاتمه في إصبع امرأته، ووصف عثمان بالعصبية وحبّ قومه وأهله[2].

بينما وصف معاوية بكسرى العرب؟!

وهذا الوصف يعبّر عن اعتقاد عمر بقدرة معاوية على إدارة الأمور ووصف عرش العرب بعرش كسرى.

حبّ قريش لعثمان

أحبّت قريش عثمان كثيراً لسيره على نهجها ومساعدته لها ووفائه لها حتى تسبّب الأمر في مقتل عثمان فأخذ الشخص يقول لصاحبه: أحبّك والرحمن ـ حبّ

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٥٣.

(٢) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١ / ٢٤.

قريش لعثمان.

وقال عمر لعثمان بن عفان مبيّناً حبّ قريش له: هيهات إليك كأنّي بك قد قلّدتك قريش هذا الأمر لحبّها إيّاك فحملت بني أمية وبني أبي معيط على رقاب الناس وآثرتهم بالفيء فسارت إليك عصابة من ذؤبان العرب فذبحوك[(١)].

وتبيّن تلاحم عثمان مع قريش قبل الهجرة وبعدها فهما كالجسد الواحد لا يفترقان وقد أقدم عثمان على قتل زوجته رقيّة لاتّهامه لها بإفشاء سرّ معاوية بن المغيرة الأموي ـ جاسوس قريش ـ إلى النبي ﷺ[(٢)].

وكره عثمان الأنصار المحاربين لقريش سنوات طويلة ولم يعينهم في حكومته.

ولم يَقدِم مهاجر قرشي على التضحية بنفسه في سبيل قريش الكافرة الطاغية مثل عثمان بن عفّان.

الحزب القرشي والمنهج السياسي

بعدما أخذ أبو بكر وصحبه الخلافة من الإمام علي عليه السلام بقضيّة السقيفة اختلّت معادلات النظرية السياسية عند بعض المسلمين. فهي معادلة مخالفة للنظرية الإلهيّة في الغدير وهي ذات المنهجية القرشية البعيدة عن الإسلام.

فعادت القضية السياسية الإسلامية أحد عشر عاماً إلى الوراء إلى ما قبل الهجرة النبوية الشريفة إلى مكّة! وهذا هو عين المشروع الجاهلي للحزب القرشي

---

(١) شرح النهج، المعتزلي ١ / ٦٢، ١٨٥، كتاب الإمام علي عليه السلام عبدالفتاح عبدالمقصود ١ / ٣١٠.

(٢) الكافي ٣ / ٢٥١، الإصابة ٤ / ٣٠٤، الاستيعاب المطبوع بهامش الإصابة ٤ / ٣٠١، قاموس الرجال ١ / ٤٠٨ ـ ٤٠٩.

الحاكم في مكّة قبل الإسلام، القائم أوّلاً وأخيراً على المكر والخداع والحيلة.

والسقيفة أكبر مشروع دهائي للحزب القرشي ولد من جهود حثيثة لزعماء الدهاء في جزيرة العرب أثمر عن اغتصاب السلطة من وصيّ النبي علي عليه السلام لصالح ممثّل القبائل القرشية أبي بكر.

وهي أعظم ضربة للنظرية النبوية في السياسة والحكم الواضحة والبيّنة والقائمة على أسس رصينة وقواعد مستحكمة.

ومثلما كانت المشاريع الجاهلية مشتتة وبالية ومتعارضة مع بعضها كانت نظرية البيعة عند أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية. فبيعة أبي بكر في السقيفة كانت فلتة في رأي عمر وأبي بكر وقى الله المسلمين شرّها ومن عاد إليها فاقتلوه[1].

أي أنّها مؤامرة خبيثة ودنسة يستحقّ فاعلها القتل في شريعة الإسلام كما قال عمر. ولا يوجد ذمّ وقدح للسقيفة أعلىٰ درجة ممّا جاء به عمر بن الخطاب.

ولكنّ علماء السوء يتغافلون عن هذا الحكم العمري المنصف للسقيفة ويمدحون نظرية السقيفة! ممّا يبيّن زيغهم عن شريعة المصطفىٰ صلى الله عليه وآله وسلم وفتوىٰ عمر في هذا المجال. فهم بعيدون عن النظريّتين الإسلامية والقرشية في السياسة ويكيلون المديح والإطراء للسقيفة دون وعي ولا بصيرة. وقد ذمّ أبو بكر نفسه قضية السقيفة وأفتىٰ فيها بما أفتىٰ به عمر، وهو حكم منصف منه في بيعته القهرية في السقيفة.

وكان بدو جزيرة العرب يعتمدون على الصراحة العربية في بيان أخطائهم ومكائدهم بأعدائهم. مثلما صرّح عمر مراراً.

---

(١) شرح النهج ١ / ١٣٢، أنساب الأشراف، البلاذري ١ / ٥٩٠ ط مصر. صحيح البخاري كتاب الحدود ٨ / ٢٦ ط دار الفكر استانبول، الصواعق المحرقة ٥ / ٨ ط الميمنية، سيرة ابن هشام ٤ / ٢٢٦.

وثانياً كان رجال الحزب القرشي في مكّة يعتبرون الكيد بأعدائهم شطارةً ودهاءاً يستحقّ فاعله المدح والثناء، مثلما فعل عمرو بن العاص برفيق سفره إلى الحبشة، عمارة بن الوليد بن المغيرة. إذ هما ذهبا سفيرين إلى ملك الحبشة فنافس عمارة عمراً في زوجته فكاده عمرو بعثوره على مستند خيانة ملكة الحبشة الزوجية بنومها مع عمارة فانتقم الملك منه[1].

فاغتصاب حكم ومخالفة شريعة الله تعالىٰ وقتل أنفس في هذا الطريق لا يعدّ قبيحاً في ناموس الحزب القرشي.

وزعامة الحزب القرشي في أيّام السقيفة كانت بيد أبي بكر وعمر وعثمان وأبي سفيان وعبدالرحمن بن عوف وأبي عبيدة بن الجراح ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وأبي موسى الأشعري وخالد بن الوليد وعتبة بن غزوان وأنس بن مالك ومعاذ بن جبل وأسيد بن حضير وبشير بن سعد وزيد بن ثابت ومحمّد بن مسلمة وسعيد بن العاص وعتاب بن أسيد وطلحة بن عبيدالله وسعد بن أبي وقّاص ومحمّد بن مسلمة وآخرين.

وهؤلاء من الموقّعين على وثيقة المعارضة السياسية لوصيّة النبي ﷺ في حجّة الوداع في شهر محرّم في دار أبي بكر سنة عشرة هجرية. كما قالت زوجته أسماء بنت عميس[2]. وأخطاء بعض العلماء نبعت من عدم اطّلاعهم على المنهج الحركي للحزب القرشي القاضي بالتوسّل بكلّ الوسائل المتاحة للوصول إلى أهدافه المرسومة دون عناية بأخلاق سماوية وأعراف شعبية.

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٣٠.

(٢) البحار ٢٨ / ٩٦ ـ ١١١، السقيفة، سليم بن قيس ١٦٨.

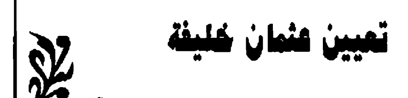
في أيّام السقيفة حدث صراع عنيف بين نظرية النبي ﷺ الأخلاقية وبين حركة الحزب القرشي الأعرابية. الأولى قائمة على المبادئ السامية والراقية والحضارية وبين ارهاصات طغاة مكّة البالية والعنصرية.

القسم الثالث:

عثمان في زمن حكمه

الباب الأوّل:

تعيين عثمان خليفة



الفصل الأوّل:

الدهاء في الحكم

الاحتيال في الحكم

وعن أعمال عثمان المنفّذة لخدمة بني أميّة قال المصريون لعثمان بعد عهده لهم واتّفاقه معهم ثمّ محاولته قتلهم غيلة:

«ما أنت إلّا صادق أو كاذب، فإن كنت كاذباً فقد استحققت أن تخلع نفسك لضعفك عن هذا الأمر، وغفلتك وخبث بطانتك، ولا ينبغي لنا أن نترك هذا الأمر بيد من تقطع الأمور دونه لضعفه وغفلته، فاخلع نفسك منه كما خلعك الله.

فقال: لا أنزع قميصاً ألبسنيه الله، ولكنّي أتوب وأنزع.

قالوا: لو كان هذا أوّل ذنب تبتَ منه، قبلنا، ولكنّا رأيناك تتوب ثمّ تعود، ولسنا منصرفين حتى نخلعك أو نقتلك، أو تلحق أرواحنا بالله تعالى»[1].

وقد قال النبي محمّدﷺ علامة المنافق ثلاث، إذا وعد أخلف وإذا أؤتمن

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير ٣ / ١٧٠.

خان، وإذا حدَّث كذب[١].

وقال مروان (لعثمان): أعطهم ما سألوك، وطاولهم ما طاولوك، فإنّهم قوم بَغَوا عليك ولا عهد لهم، فدعا علياً عليه السلام فقال له: قد ترىٰ ما كان من الناس ولستُ آمنهم على دمي، فارددهم عنّي، فإنّي أعطيهم ما يريدون من الحقّ من نفسي وغيري.

فقال علي عليه السلام: الناس إلى عدلك أحوج منهم إلى قتلك، ولا يرضون إلّا بالرضا، وقد كنت أعطيتهم أوّلاً عهداً فلم تفِ به فلا تغرَّني هذه المرّة، فإنّي معطيهم عليك الحقّ.

فقال عثمان: أعطهم فوالله لأفينّ لهم.

فكفّ الناس عنه، وقال عثمان: أجّلني في المدينة ثلاثة أيّام فأجابه إلى ذلك، وكتب بينهم كتاباً على ردّ كلّ مظلمة وعزل كلّ عامل كرهوه، وبينما عاهد عثمان الله في الوفاء بوعوده وكتب كتاباً معهم ذهب هو وأفراده يتأهّبون للقتال إذ جاء: «فجعل يتأهّب للقتال ويستعدّ بالسلاح واتّخذ جنداً، فلمّا مضت الأيّام الثلاثة، ولم يغيّر شيئاً ثار به الناس».

والمدهش قول عثمان بعد عهوده تلك، ومرور الأيّام الثلاثة: «إن كنت مستعملاً من أردتم وعازلاً من كرهتم فلست في شيء والأمر أمركم.

فقالوا: والله لتفعلن أو لتُخلعن أو لتُقتلن.

فأبىٰ عليهم، وقال: لا أنزع سربالاً سربلنيه الله»[٢].

عهود ووعود عثمان الكثيرة لعلي عليه السلام وللمسلمين القائمة على المكر والخديعة والكذب فضحت أموراً عديداً منها:

---

(١) المبسوط، السرخسي ١١ / ١٠٩.

(٢) الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٣ / ١٦٩، ١٧٠.

بيّنت الحالة التي يعيشها رمز من رموز الحزب القرشي وعلم من أعلام بني أميّة في الحياة والقواعد الأخلاقية الرثّة التي يعتمد عليها.

وأفصحت هذه القضايا الكاذبة، والمزيّفة مؤامرات عثمان السابقة والكثيرة في إسلامه في مكّة وهروبه في المعارك وتعاونه السرّي مع جواسيس قريش واشتراكه في محاولة قتل النبي ﷺ في العقبة، واتّهامه النبي ﷺ بالهجر في يوم شهادته، وأعماله في السقيفة وما بعدها، ومشاركته في قتل أبي بكر وتزوير وصيّته[١].

لقد حصر عثمان الناس في طريق مسدود فهو لا يخلع نفسه، مدّعياً تعيين الله تعالى له بينما عيّنه عمر بن الخطّاب، ولا يخلع وزيره ولا ولاته!

ولا ندّعي تغيّر عثمان بعد وصوله إلى الخلافة بل بقي عثمان كما كان عليه في زمن النبي ﷺ، فأخلاقه في مكّة والمدينة في نسق واحد.

فبعد خسارة المسلمين لمعركة أحد وبينما كانت الأحزان في كلّ مكان والبكاء والعويل في منازل المهاجرين والأنصار أخفى عثمان في بيته معاوية بن المغيرة الأموي أحد جنود قريش الأمويين الذين حاربوا الله ورسوله في معركة أحد، ومثّلوا بجسد حمزة.

فنزل جبرئيل من السماء وأخبر رسول الله ﷺ بفعل عثمان[٢].

وفي فتح مكّة بينما أمر رسول الله ﷺ جنوداً بقتل مجموعة من العاصين والمحاربين لله تعالى وعلى رأسهم عبدالله بن أبي سرح المدّعي لتغييره القرآن أخفى عثمان عبدالله بن أبي سرح في بيته[٣]!

---

(١) راجع كتاب اغتيال أبي بكر للمؤلف.

(٢) البحار ٣٠ / ١٤٥، سيرة ابن هشام ٣ / ١١١، الكافي، الكليني ١ / ٦٩.

(٣) سنن أبي داود ٢ / ٣٢٩، المستدرك، الحاكم ٣ / ٤٥، كنز العمال ١٠ / ٤٩٨، المحصول، الرازي ٦ / ١٤١.

وعندما طالب المسلمون بخلع عبدالله بن أبي سرح من ولاية مصر لم يهتمّ لقولهم عثمان مثلما لم يطع أمر النبي ﷺ بقتله في مكّة!

وكان عمر بن الخطّاب (رفيق عثمان) قد عرف انحياز عثمان لبني أمّية فصرّح بذلك قائلاً: هيهات إليك كأنّي بك قد قلّدتك قريش هذا الأمر لحبّها إيّاك فحملت بني أميّة وبني أبي معيط على رقاب الناس وآثرتهم بالفيء فسارت إليك عصابة من ذؤبان العرب فذبحوك»[1].

وقال عثمان للناس احتيالاً: لو أردتُ قتالكم لكتبتُ إلى الأجناد فقدموا عليَّ، بينما كان عثمان قد كتب فعلاً إلى الأجناد ليأتوه إذ جاء:

«وكتب إلى معاوية وابن عامر وأمراء الأجناد يستنجدهم ويأمرهم بالعجل وإرسال الجنود إليه.

فتربّص به معاوية فقام في أهل الشام يزيد بن أسد القسري جد خالد بن عبدالله القسري فتبعه خلق كثير، فسار بهم إلى عثمان، فلمّا كانوا بوادي القرى بلغهم قتل عثمان فرجعوا[2].

وقيل بل سار من الشام حبيب بن مسلمة الفهري، وسار من البصرة مجاشع بن مسعود السلمي، فلمّا وصلوا الربذة ونزلت مقدّمتهم صراراً بناحية المدينة أتاهم قتل عثمان فرجعوا»[3].

ولو وصلت القوّات المذكورة لعثمان لفعلوا بالمدينة ما فعله يزيد لاحقاً في معركة الحرّة، إذ كان عثمان حاقداً على الأنصار وبني هاشم وأنصارهم.

(١) شرح النهج، ابن أبي الحديد ١ / ٦٢، ١٨٥، كتاب الإمام علي ﷺ، عبدالفتاح عبدالمقصود ١ / ٣١٠.
(٢) الكامل في التاريخ ٣ / ١٧٠.
(٣) الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٣ / ١٧٠.

وطلب عثمان من ابن أبي سرح قتل أفراد الوفد المصري المطالب بحقوقه، وعلى رأسهم محمّد بن أبي بكر ليلحقه بأبيه الذي قتله بالسم.

ولمّا قتل أحد أفراد عثمان شخصاً من المعارضين له لم يرض عثمان بالاقتصاص منه، (وكان المقتول نيار بن عياض من أسلم والقاتل كثير بن الصلت الكندي) وقال عثمان: لم أكن لأقتل رجلاً نصرني[1]!

ولمّا قتل عبيدالله بن عمر الهرمزان وزوجة أبي لؤلؤة وصبيّته واسمها إسلام وجفينة لم يقتصّ منه أيضاً، فضاع القصاص الإسلامي[2].

وأقدم عثمان على قتل أبي ذر الغفاري نفياً وسجن ضابئ الأنصاري حتى الموت[3].

ولأجل تلك الأعمال الكثيرة المعتمدة على المكر والخداع والكذب فقد تبخّر اعتماد المسلمين على أقوال عثمان وعهوده لهم، وبسقوط هذا الأمر توجّه الناس لقتله فذبحوه.

وقد شاعت بين الناس أقوال عثمان اللامسؤولة وعدم التزامه بوعوده وعهوده للمسلمين، واعتماده على الحيلة في تسكين معارضيه وردعهم.

وسلاح الحيلة لا ينجح دائماً وخاصّة في المجتمعات الإسلامية المعتمدة على الصدق والصراحة وقرب عهدها مع أفضل الخلق محمّدﷺ.

وقال تعالى: ﴿وَيَكِيدُونَ كَيْداً وَأَكِيدُ كَيْداً فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً﴾.

وقد قال الإمام علي عليه السلام رافضاً الحيلة والمكر: لولا الدين لكنت أدهى الناس.

---

(١) الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٣ / ١٧٥.

(٢) المحلّى، ابن حزم، ١٠٠ / ٣٥١، تاريخ الطبري ٥ / ٤٢، الإصابة ٣ / ٦١٩.

(٣) الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٣ / ١٧٩.

وقد استخدم معارضو عثمان وعلى رأسهم طلحة والزبير وعائشة الحيل المختلفة لعزله وقتله فنجحت خططهم فقُتل عثمان صاحب نظرية المكر والخديعة!

الدهاة الثلاثة

وقد كان قادة السقيفة الثلاثة أبو بكر وأبو عبيدة بن الجرّاح وعمر بن الخطّاب من دهاة العرب، إذ جاء: كان يقال داهيتا قريش أبو بكر وأبو عبيدة بن الجرّاح[1].

ووصف المغيرة بن شعبة عمر بن الخطاب بالدهاء بل وصفه بزعيم الدهاة[2].

وبرز ميل عمر لزعامة ابن الجراح للخلافة أكثر من ميله لزعامة أبي بكر لها فقال له:

ابسط يدك أبايعك.

فلم يجد عمر مشكلة في بيعته لابن الجراح ومهنته حفّار قبور[3].

وكان أجنأ[4].

وقالت عائشة: كان أبو بكر أجنأ (أحدب الظهر)[5].

ممّا يبيّن تفضيل عمر لابن الجراح على أبي بكر، وإنّه سيعيد الحكم إلى عمر، ثمّ لم يجد عمر مانعاً في وصيّته لعثمان (بواسطة ابن عوف) ومن بعده لعبدالرحمن بن

---

(١) تهذيب الكمال، المزي ٩ / ٣٦٤.

(٢) شرح النهج ١٠ / ٢٣٠.

(٣) تاريخ الطبري ٢ / ٤٥٢، أسد الغابة ٢ / ٢٨٩، طبقات ابن سعد ٢ / ٢٩٤، ٢٩٨.

(٤) الأجنأ: الأحدب، أقرب الموارد ١ / ١٤١، الجنأ: ميل في الظّهر، وقيل في العنق، لسان العرب، ابن منظور ١ / ٥٠، تهذيب الكمال، المزي ٩ / ٣٦٥.

(٥) الطبقات ٣ / ١٨٨.

عوف الذي شارك في أحداث السقيفة(١).

ولأنّ الصراع على السلطة كان حاداً بين رجال الحزب القرشي فقد سعى الواحد منهم للوصول إلى الحكم ولو على أشلاء الآخرين، ولأجل ذلك قُتِل زعماء السقيفة بيد بعضهم البعض في مسلسل خطير.

فقد قتل عمر أبا بكر وأبا عبيدة بن الجرّاح وشارك عثمان في قتل أبي بكر وابن الجرّاح وقتل عثمان عبدالرحمن بن عوف، وكان معاوية بن أبي سفيان مترقّباً ومساعداً لمصرع هؤلاء بيد بعضهم ليتحقّق حلمه في الوصول إلى السلطة، وفعلاً ما أنْ مضت ثلاثة عقود إلّا ونجح مشروع معاوية وأبي سفيان في تملّك الحكم بصورة وراثية!

وتفضيل عمر لابن الجرّاح على أبي بكر فيه أمور كثيرة:

١ ـ أبطل عمر بذلك الأدلّة المزيّفة على أحقيّة أبي بكر بالخلافة، والتي وضعت في العصر الأموي مثل حضوره في الغار وإمامته لصلاة الجماعة في صبح يوم الإثنين.

٢ ـ بيَّن أفضليّة ابن الجرّاح على أبي بكر سياسياً واجتماعياً ودينيّاً.

وهذا يكذّب أحاديث المناقب التي اختلقها الحزبان القرشي والأموي الموضوعة في حقّ أبي بكر مثل: أفضل الناس بعد النبي ﷺ أبو بكر ثمّ عمر ثمّ ابن الجرّاح(٢).

ولمّا قتل عمر وعثمان ابن الجرّاح اختلقوا حديثاً جديداً:

أفضل الناس بعد النبي ﷺ أبو بكر ثمّ عمر ثمّ عثمان(٣)!

---

(١) كان ابن عوف شرّيراً. الطبقات ٣ / ١٣٠، وفيه جنأ (أحدب الظهر)، الطبقات ٣ / ١٣٣.

(٢) مسند أحمد ٦ / ٢١٨، تاريخ ابن عساكر ٧ / ١٦١، صحيح مسلم.

(٣) الثمر الداني، الآبي الأزهري ٢٣، المبسوط، السرخسي ١٠ / ١٤٦، البحر الرائق ٨ / ٣٣٢.

٣ ـ وكان عمر معتقداً بوفاء ابن الجراح للعهود والوعود أكثر من أبي بكر وفعلاً حدث هذا إذ أراد أبو بكر إبعاد عمر عن الخلافة.

٤ ـ وكان عمر ظاناً بإمكانية ردّ ابن الجراح لكلامه بقوله أنت أهل للخلافة يا عمر، ولكن ابن الجرّاح لم يفعل ذلك وعرض الخلافة على أبي بكر ممّا بيَّن إتّفاقاً مسبقاً بين الإثنين لم يعرف به عمر.

٥ ـ انتقم عمر من الإثنين فقتلهما شرّ قتله[1].

إضفاء عناوين خطيرة على الزعماء

حاول الحزب القرشي إضفاء عناوين خطيرة على زعمائه توجب مرجعيّتهم وزعامتهم، فسموا أبا بكر بالصدّيق، وسموا عمر بالفاروق، وأمير المؤمنين، وسمّوا عثمانا بذي النورين، وسمّوا ابن الجرّاح بأمين هذه الأمّة، وسمّوا خالداً بسيف الله، وسمّوا عائشة بحبيبة رسول الله ﷺ.

بينما ألقاب الصدّيق والفاروق وأمير المؤمنين مختصّة بعلي بن أبي طالب عليه السلام[2].

وعادة ما تكون التحالفات الحزبية مؤقّتة تنتهي بنزاعات خطيرة، وعندها ينكشف زيف العناوين والصفات الخاوية.

فقد كذّب عمر أبا بكر في مواطن عديدة، ووصفه بأحسد قريش.

وقال أبو بكر في حقّ عمر: الخيرة له أن لا يلي أمركم[3].

وسمّاه ابن العاص وخالد بن الوليد بابن حنتمة بدل الفاروق وأمير

(١) راجع كتاب اغتيال الخليفة أبي بكر للمؤلّف.

(٢) عيون أخبار الرضا، الصدوق ١ / ٩، ينابيع المودّة، القندوزي ٣ / ٤٠٢.

(٣) الثقات، ابن حبان ٢ / ١٩٢.

المؤمنين[1].

وقالت عائشة بأنّ النبي ﷺ وصف عثمان بنعثل اليهودي.

ودعا ابن عوف لقتل عثمان.

واعترف ابن العاص بقتله لعثمان، ومنع أهل المدينة دفنه في مقبرة المسلمين فدفنوه في مقبرة اليهود حش (كوكب).

وقال عثمان لعائشة: نزلت فيك وفي حفصة: **﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾**[2].

واتّهم عمر خالداً بسرقة أموال المسلمين[3].

ومن عادة التجمّعات والأحزاب والحكومات الطالبة للدنيا إضفاء ألقاب كبيرة وعظيمة على قياداتها لإدامة سيطرتها.

بيعة عمر لعثمان غير المباشرة

الناس تختلف في توسّلها بمناهج الحياة فمنهم من يسلك الدروب السهلة للوصول إلى مطالبها، ومنهم من يطوي الطرق الصعبة لنيل مراده. وكان عمر وعثمان ممّن ينهج المشاريع الصعبة للوصول إلى أهدافها ومآربها.

فعمر أوصى لعثمان بصورة غير مستقيمة.

ولم يوصِ عمر بن الخطاب للإمام علي ؑ وهو القائل فيه: لولا علي هلك

(١) النهاية ١ / ١٣٩، ١ / ٤٤.

(٢) التحريم ٥.

(٣) تاريخ الطبري ٢ / ٦٢٥.

عمر[1].

وقال: إنّ عليّاً مولاي ومولىٰ كلّ مسلم ومسلمة ومن ليس مولاه ليس بمسلم[2].

وقال عمر: إنّ ولّوها الأجلح (عليّاً عليه السلام) سلك بهم الطريق المستقيم. فقال له ابن عمر: ما يمنعك أن تقدّم عليّاً؟ قال عمر: أكره أن أتحمّلها حيّاً وميّتاً[3].

أي أراد الله ورسوله النبوّة والخلافة في بيت عبدالمطّلب وعصت قريش[4].

وكرّر عمر بن الخطاب مدحه لأمير المؤمنين علي عليه السلام مرّات كثيرة لكنّه استمرّ في منهجه في الوصية لخليفته عثمان بن عفان.

وكان رجال السياسة في زمن عمر عارفين بتحوّل السلطة إلى عثمان من بعده وقد صرّح عمر بذلك عدّة مرات. فعمر ملتزم باتّفاق قبائل قريش في تناوب السلطة فيما بينها وإبعاد أهل البيت عليهم السلام عنها، إذ قال النبي صلى الله عليه وآله للمسلمين سلّموا على عليّ عليه السلام بإمرة المؤمنين.

فقال عمر: لا والله لا تجتمع النبوّة والخلافة في أهل بيت أبداً، وأعلن نظرية الحزب القرشي في هذا المجال والمتمثّلة في عدم اجتماع النبوّة والخلافة في بيت واحد[5].

ووصف عمر هذه النظرية القرشية بحسد قريش لبني هاشم، ثمّ قال: إنّ أبا

(١) الجوهرة في نسب الإمام علي عليه السلام، البري ٧٢، ذخائر العقبىٰ ٨٠، مناقب الإمام علي عليه السلام، الخوارزمي ٥٧.

(٢) تفسير الرازي في آية بلّغ ما أُنزل، بسر العالمين ٢١، شواهد التنزيل ١ / ١٥٧، البحار ٢١ / ١٩٣، ٢٢٩، مسند أحمد بن حنبل ٤ / ٨١، تاريخ بغداد ٨ / ٢٩٠، البرهان في تفسير القرآن ٤ / ١٨٠.

(٣) البحار ٣١ / ٢٩٣، الاستيعاب المطبوع بهامش الإصابة ٢ / ٤٦٩.

(٤) طبقات ابن سعد ١ / ٨٦، تاريخ دمشق ٣ / ٤٢٢، ٤٨، ٣٤١.

(٥) الإيضاح، ابن شاذان ١٦٩.

بكر أحسد قريش كلّها، وقريش أحسد العرب[١].

فنزلت: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم﴾[٢].

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُم﴾[٣].

واعترف عمر في زمن حكمه بحسد قريش لاجتماع النبوّة والخلافة في بيت واحد فتبجّحوا فاختارت لنفسها ووفّقت وأصابت[٤].

وبيّن عمر منهجه ومنهج أبي بكر في مخالفة النصّ الإلهي في اجتماع النبوّة والخلافة في بيت عبدالمطّلب:

قال عمر لعبدالله بن عباس إنّ قومكم يكرهون اجتماع النبوّة والخلافة فيكم لكنّ أبا بكر أتى أحزم ما حضره ولو جعلها لكم ما نفعكم[٥]، أي إنّ أبا بكر يفهم الأوضاع الدنيوية أفضل من الله تعالى ومن رسوله!!!

لكن عمر سار على تلك النظرية المقيتة.

وردّ عمر قضية البيعة لعثمان واصفاً إيّاه بأوصاف ممقوتة قائلاً: لو وليها عثمان لحمل بني أبي معيط على رقاب الناس ولو فعلها لقتلوه[٦].

وإنّه كلف بأقاربه وقال عمر لعثمان: كأنّي بك قد قلّدتك قريش هذا الأمر لحبّها إيّاك فحملت بني أمية وبني أبي معيط على رقاب الناس وآثرتهم بالفيء فسارت

(١) شرح النهج ٢ / ٣١ ـ ٣٤، الشافي، المرتضى ٢٤١، ٢٤٤.

(٢) الزخرف ٨٠، البحار ٣٧ / ٣٠٥، مجمع البيان ٤ / ٣٠٤.

(٣) محمد ﷺ: ٩.

(٤) البحار ٣١ / ٧١، شرح النهج ١٢ / ٥٣، تاريخ ابن الأثير ٣ / ٣٤، النهاية ١ / ٢٤٢، مجمع البحرين ٥ / ٣١، القاموس / ١٢١، ديوان زهير ٢٨١، تاريخ الطبري في أواخر موضوع أحوال عمر ٧ / ١٩٩، نهج الصباغة ١٠ / ٢٩٧، ٦ / ٤٠٢.

(٥) تاريخ الطبري ٣ / ٢٨٨.

(٦) البحار ٣١ / ٣٩٥.

إليك عصابة من ذؤبان العرب فذبحوك على فراشك ذبحاً والله لئن فعلوا لتـفعلنّ، ولئن فعلت ليفعلنّ، ثمّ أخذ بناصيته فقال: إذا كان ذلك فاذكر قولي فإنّه كائن[١].

أحداث الشورىٰ

ورغم معرفة عمر بسيرة عثمان المستقبلية من لسـان رسـول الله ﷺ ومـن ملازمته له وولعه ببني أمية عيّنه خليفة على أمّة محـمّد ﷺ، غـير آبـه بحقوق المسلمين وغير مهتمّ بأهدافهم وآمالهم.

وكي لا تقع مسؤولية هذه الحادثة عليه فقد عيّنه بصورة غير مباشرة إذ وكّل عبدالرحمن بن عوف لهذه المهمّة على أن يرد عثمان له الخلافة من بعد.

فتتناوب بنو أمية وبنو زهرة الخلافة بعد بني تيم وبني عدي.

فقال عمر في وصيّته عن رجـال الشـورىٰ السـتّة: إن انـقسموا إلى قسـمين فترجّح مجموعة ابن عوف! فخصّ مجموعته بالحقّ وأمر أبا طلحة الأنصاري بقتل الفئة المخالفة له فكان أبو طلحة في خمسين رجلاً. وسعد بن ابي وقّاص لا يخـالف ابن عمّه عبدالرحمن، وعبدالرحمن صهر عثمان لا يختلفان فيولّيها أحـدهما الآخـر فلو كان الآخران طلحة والزبير مع علي ﷺ لم يغنيا شيئاً.

وقال عمر لأبي طلحة: إن اتّفق خمسة وأبىٰ واحد فاشدخ رأسه بالسيف، وإن اتّفق أربعة وأبىٰ إثنان فاضرب أعناقهما، وإن اتّفق ثلاثة وخـالف ثـلاثة فـانظر الثلاثة التي فيها عبدالرحمن بن عوف فإن أصرّت الثلاثة الأخرىٰ على خـلافها فاضرب أعناقها. وإن مضت ثلاثة أيّام ولم يتّفقوا على الأمـر فـاضرب أعـناق

---

(١) البحار ٣١ / ٣٨٩، السفيانية، الجاحظ، شرح النهج، المعتزلي ١ / ١٨٦، مـروج الذهب، المسـعودي ٣ / ٣٥٣، الفائق، الزمخشري ٣ / ٢٧٥، ٢٧٩ دار المعرفة، بيروت ٢ / ٤٢٥، ٤٢٦، النهاية، ابن الأثير ١ / ٢٢.

الستّة ودع المسلمين يختاروا لأنفسهم.

فوهب طلحة رأيه لعثمان حقداً على الإمام علي عليه السلام، ووهب الزبير حقّه للإمام علي عليه السلام حميّة للنسب فهو ابن عمّة الإمام عليه السلام من صفية بنت عبدالمطّلب. ووهب سعد بن أبي وقّاص حقّه لعبدالرحمن بن عوف؛ لأنّهما من بني زهرة، وكان سعد يعلم أنّ الأمر لا يتمّ له. ولمّا بقي الأمر محصوراً في ثلاثة قال عبدالرحمن لعلي عليه السلام وعثمان أيّكما ـ يخرج نفسه من الخلافة ويكون إليه الاختيار في الإثنين الباقيين فلم يتكلّم منهما أحد.

فقال عبدالرحمن: أشهدكم أنّي قد أخرجت نفسي من الخلافة على أن اختار أحدهما فأمسكا. فبدأ عبدالرحمن بعلي عليه السلام قائلاً أبايعك على كتاب الله وسنّة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وسيرة الشيخين أبي بكر وعمر.

فقال علي عليه السلام: بل على كتاب الله وسنّة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فعدل عنه إلى عثمان.

فعرض ذلك عليه فقال: نعم، فعاد إلى علي عليه السلام فأعاد قوله، فعل عبدالرحمن ذلك ثلاثاً. فلمّا رأىٰ أنّ عليّاً غير راجع عمّا قاله وأنّ عثمان ينعم له بالإجابة صفق على يد عثمان فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين.

فقال علي عليه السلام: والله ما فعلتها إلّا لأنّك رجوت منه ما رجا صاحبكما من صاحبه، دقّ الله بينكما عطر منشم.

فاستجاب الله تعالىٰ دعاء الإمام عليه السلام.

ففسد بعد ذلك الأمر بين عثمان وعبدالرحمن فلم يكلّم أحدهما الآخر حتىٰ مات عبدالرحمن فماتا متهاجرين متعادين[1].

---

(١) شرح النهج ١ / ١٩٦، البحار ٣١ / ٤٠٠، تاريخ ابن الأثير ٣ / ٣٦، تاريخ الطبري ٣ / ٢٩٥، النهاية، ابن الأثير ١ / ٣٩٤.

فالعجيب في القضية وضع عمر خمسين فارساً بسيوفهم على رقاب رجال الشورى الستّة. خلافاً لحريّة الانتخاب وحصانة الشورى وأناقة الحضارة.

والكلّ يعلم رغبة عمر في عثمان وملازمته له في حياته، والجميع فهم إصرار عمر على الوصية لعثمان من خلال حاكمية ابن عوف في الشورى. فقد أوكل إليه عمر قضية تعيين الخليفة من بعده دون حقّ ولا أهلية لازمة.

وكان الأفضل لعمر تعيين عثمان خليفة بصورة مستقيمة بعيداً عن هذا اللف والدوران الباطل، وإبتعاداً عن هذا التآمر البعيد عن الحكمة لكن عمر أصرّ على بيعة عثمان عبر منهجه القائم على الطرق الملتوية.

وأبرز عمر قضية الاستبداد السياسي بشكلها الجاهلي في قضية الخمسين رجلاً الرافعين سيوفهم على رقاب أهل الشورى.

ولم يفعل النبي محمّد ﷺ هذه الأعمال الأعرابية بل جعلها في قالب الحريّة والبيعة الشعبية والمؤهّلات المطلوبة للحاكم والوصية الإلهيّة؛ إذ كانت الوصية الإلهيّة للإمام علي عليه السلام وأكّدها النبي ﷺ ببيعة الغدير الشعبية، في الوقت الذي كان الإمام علي عليه السلام مؤهّلاً كاملاً للبيعة لا ينافسه فيها منافس ولا يرقى إلى منزلته صحابي. ورغم ذلك لم يضع خاتم الأنبياء السيوف على رقاب المعارضين بل رفدهم وأيّدهم بالتأييدات الإلهيّة وعرّفهم منزلة علي عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام في الدنيا والآخرة.

الفصل الثاني:

الإمام علي عليه السلام - شورى عمر

هل كان رأي المؤمنين مع الإمام علي عليه السلام أيّام الشورىٰ؟

قال عمّار بن ياسر لعبدالرحمن بن عوف: إن أردت أن لا يختلف الناس فبايع عليّاً عليه السلام. وقال المقداد بن عمرو: صدق عمار إن بايعت عليّاً عليه السلام قلنا سمعاً وطاعة.

فقال عبدالله بن أبي سرح: إن أردت أن لا تختلف قريش فبايع عثمان[1].

وقال عبدالله بن أبي ربيعة: صدق إن بايعت عثمان قلنا سمعنا وأطعنا[2].

فشتّم عمار ابن أبي سرح وقال: متىٰ كنت تنصح المسلمين؟ فتكلّم بنو هاشم وبنو أمية. فقال عمار: إنّ الله أكرمنا بنبيّه فأنّىٰ تصرفون هذا الأمر عن أهل بيت نبيّكم.

---

(١) وكان من المرتدّين عن الإسلام والمدّعين تحريفه القرآن فأمر النبي صلى الله عليه وآله بقتله في فتح مكّة ولو تعلّق بأستار الكعبة.

(٢) وهو من سفراء قريش الكافرة إلى ملك الحبشة لقتل المسلمين هناك مع عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بن المغيرة فعاش كافراً ومات منافقاً مثله مثل عبدالله بن أبي سرح ومروان وابن العاص.

فقال رجل من بني مخزوم: (وهو عكرمة بن أبي جهل) لقد عدوت طورك يا بن سمية وما أنت وتأمير قريش لأنفسها.

فقال سعد بن أبي وقّاص: يا عبدالرحمن أفرغ من أمرك قبل أن يفتتن الناس[١].

فبايع عبدالرحمن عثمان بن عفان.

فقال الإمام علي عليه السلام ليس هذا بأوّل يوم تظاهرتم فيه علينا «فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون». والله ما ولّيت عثمان إلّا ليردّ الأمر إليك والله كلّ يوم في شأن.

فقال عبدالرحمن: يا علي لا تجعلنّ على نفسك سبيلاً ـ يعني يقتلك أبو طلحة وفق ما أمره به عمر.

فخرج علي عليه السلام وهو يقول سيبلغ الكتاب أجله، إنّي لأعلم ما في أنفسهم إنّ الناس ينظرون إلى قريش وقريش تنظر في صلاح شأنها فتقول: إن ولي عليكم بنو هاشم لم تخرج منهم أبداً، وما كان في غيرهم فهو متداول في بطون قريش[٢].

وقال الإمام علي عليه السلام الحمد لله الذي اختار محمّداً صلى الله عليه وآله منّا نبيّاً وابتعثه إلينا رسولاً فنحن أهل بيت النبوّة ومعدن الحكمة وأمان لأهل الأرض ونجاة لمن طلب إنّ لنا حقّاً إن نعطه نأخذه وإن نمنعه نركب أعجاز الإبل وإن طال السرىٰ، لو عهد إلينا رسول الله عهداً لأنفذنا عهده ولو قال لنا قولاً لجادلنا عليه حتى الموت، لن يسرع أحد قبلي إلى دعوة حقّ وصلة رحم ولا حول ولا قوّة إلّا بالله، اسمعوا

(١) أي بايع عثمان قبل حصول ثورة إسلامية تطيح بعروشهم جميعاً.

(٢) البحار ٣١ / ٤٠٢ ـ ٤٠٣، تاريخ ابن الأثير ٣ / ٣٧ ـ ٣٨، شرح النهج، المعتزلي ١ / ١٩٥، النهاية، ابن الأثير ٣ / ١٨٥ ـ ١٨٦.

كلامي وعوا منطقي عسىٰ أن تروا هذا الأمر بعد هذا الجمع تنتضىٰ فيه السيوف وتخان فيه العهود حتىٰ لا يكون لكم جماعة وحتىٰ يكون بعضكم أئمة لأهل الضلالة وشيعة لأهل الجهالة[١].

وقال الإمام علي للناس في المدينة وفيهم الأنصار والمهاجرون: إنّ الذي نلتم به من خير الدنيا والآخرة منّا أهل البيت خاصّة دون غيرهم فإنّ ابن عمي رسول الله قال: إنّني وأهل بيتي كنّا نوراً بين يدي الله تبارك وتعالى قبل أن يخلق الله آدم بأربعة عشر ألف سنة فلمّا خلق الله آدم وضع ذلك النور في صلبه وأهبطه إلى الأرض ثمّ حمله في السفينة في صلب نوح ثمّ قذف به في النار في صلب إبراهيم ثمّ لم يزل الله عزّ و جل ينقلنا من الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة ومن الأرحام الطاهرة إلى الأصلاب الكريمة من الآباء والأمّهات لم يلتق واحد منهم على سفاح قط[٢].

أنشدك بالله أتعلمون حيث نزلت ﴿والسّابِقُوْنَ الأوَّلُوْنَ مِنَ الْمُهاجِرِيْنَ وَالأنْصار﴾[٣].

﴿والسّابِقُوْنَ السّابِقُوْنَ أُوْلئِكَ الْمُقَرَّبُوْن﴾[٤]، سُئل عنها رسول الله، فقال: أنزلها الله عزّوجل في الأنبياء وفي أوصيائهم، فأنا أفضل أنبياء الله ورسله وعلي بن أبي طالب وصيّي أفضل الأوصياء؟

---

(١) البحار ٣١ / ٤٠٤ـ ٤٠٥، شرح النهج ١ / ١٩٥.

(٢) سليم بن قيس تحقيق الأنصاري ١٩٤، الشفا، عياض ١ / ٨٣، المطالب العالية، ابن حجر ٤٢٥٦، سبل الهدى، الصالحي الشامي ١ / ٢٢٧.

(٣) التوبة ١٠٠.

(٤) الواقعة ١٠ـ ١١.

قالوا: اللهم نعم[١].

ونزلت آية ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً﴾[٢].

فكبّر رسول الله ﷺ وقال: الله أكبر تمام نبوّتي وتمام دين الله ولاية علي بعدي فقام أبو بكر وعمر وقالا: يا رسول الله هذه الآيات خاصّة في علي؟

قال النبي ﷺ: بلى فيه وفي أوصيائي إلى يوم القيامة. قالا: يا رسول الله: بيّنهم لنا، قال ﷺ: أخي ووزيري ووصيّي وخليفتي في أمّتي ووليّ كلّ مؤمن ومؤمنة بعدي ثمّ ابني الحسن، ثمّ ابني الحسين ثمّ تسعة من ولد الحسين واحداً بعد واحد.

القرآن معهم وهم مع القرآن لا يفارقونه ولا يفارقهم حتى يردوا عليّ الحوض[٣].

وقال النبي ﷺ: أتشهدون أنا سيّد ولد آدم وأخي علي سيّد العرب وفاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة؟ قالوا: نعم[٤].

اخبار علي عليه السلام بعلاقة أبي بكر ـ عمر المستقبلية وعلاقة عثمان ـ ابن عوف المستقبلية

لقد زقّ النبي ﷺ العلم إلى علي عليه السلام زقّاً فقال ﷺ: أنا مدينة العلم وعلي بابها

---

(١) البحار ٣١ / ٤٠٩ ـ ٤١٠.

(٢) المائدة ٣.

(٣) البحار ٣١ / ٤١١ ـ ٤١٢، سنن ابن ماجة ١ / ٨٤، ح ٢٣٠، سنن الترمذي ٥ / ٣٤، الجامع الصغير، السيوطي ٢ / ٢٢، ١٨٧، الكفاية، الخطيب البغدادي ٢٦٧، ٢٨٩، تدريب الراوي ٢ / ١٢٦.

(٤) البحار ٣١ / ٤٣٠، كتاب سليم بن قيس ١٢١.

وقد ذكر النبي ﷺ الأحداث المستقبلية إلى علي ﷺ كما أخذها من جبرئيل ﷺ؛ ولهذا فقد ذكر ﷺ الوقائع المستقبلية فقال لعبدالله بن عباس: يا أبا الأملاك دليلاً على ملوكيّة أبنائه الذين حكموا الدولة العباسية.

وبعد أحداث السقيفة وتواطؤ أبي بكر وعمر على أخذ الخلافة قال أمير المؤمنين لعمر: احلب حلباً لك شطره توليه أنت اليوم ليعيدها إليك غداً وفعلاً حدث ذلك وطالب عمر أبا بكر بإعادة السلطة إليه سريعاً فلم يفعل فقتله. وبعد تواطؤ عثمان بن عفان وعبدالرحمن بن عوف على اغتصاب الخلافة وتداولها بينهما قال علي ﷺ لعبدالرحمن بن عوف: أيّها عنك إنّما آثرته بها لتنالها بعده دقّ الله بينكما عطر منشم[1].

وقال له: ما أملت منه إلّا ما أمل صاحبك من صاحبه[2].

ويقصد اتّفاق أبي بكر وعمر على اغتصاب السلطة وتداولها بينهما، ففسدت العلاقة بين الإثنين ولم يكلّم أحدهما الآخر ثمّ قتل عثمان عبدالرحمن بن عوف[3]، ولمّا امتنع عثمان من إعادة الخلافة إلى عبدالرحمن بن عوف واشتدّت العداوة بينهما، قال ابن عوف:

يا معشر أصحاب محمّد ﷺ يا معشر المسلمين أُشهد الله وأُشهدكم أنّي قد خلعت عثمان من الخلافة كما خلعت سربالي هذا. فأجابه علي ﷺ قائلاً: الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين[4].

(١) السقيفة وفدك، الجوهري ٨٩، النهج ١ / ٦٣.

(٢) الجمل المفيد ٦١.

(٣) شرح النهج ١ / ١٨٧.

(٤) يونس ١٠ / ٩١، تقريب المعارف، الحلبي ٢٨١.

ولأجل ذلك فقد قتل عثمان عبدالرحمن بن عوف لمنع استمراره في تأجيج نار الثورة عليه، وكان عبدالرحمن بن عوف قد أوصىٰ أن يدفن سرّاً لئلا يصلّي عليه عثمان[١].

هناك أسئلة كثيرة تطرح نفسها في قضية زعامة عثمان بن عفان منها:

هل بيّن رسول الله ﷺ صلاح أو طلاح عثمان في أيّامه المستقبلية؟

وهل أفصح عن استلامه للحكم من بعده؟

وقال الإمام علي عليه السلام: أما إنّي أعلم أنّهم سيولّون عثمان وليُحدثنّ البدع والأحداث[٢].

وقال عمر في عثمان: لو استخلفته لحمل بني أبي معيط على رقاب الناس[٣].

وكان كعب الأحبار عارفاً بتعيين عثمان خليفة لعلاقته الوطيدة بعمر، ووصف الشاعر الفرزدق وصول عثمان إلى السلطة قائلاً:

صلىٰ صهيب ثلاثاً ثمّ أرسلها ـ إلى ابن عفان ملكاً غير مقسور[٤].

وكان عثمان بن عفان غير مطّلع على الأوضاع السياسية والاجتماعية والدينية للمسلمين جيّداً، ولا يعرف ردود فعل الصحابة على أفعاله، وما زال يستخدم الأساليب القرشية السالفة في معالجة الأحداث مثلما كان يتصرّف ويتعامل أمية وحرب بن أمية وأبو سفيان وهذه ثقافة بني أمية في الناس عموماً.

وكان عمر عارفاً بشخصية وتوجّهات عثمان المذكورة ومدركاً للحديث

(١) تقريب المعارف، الحلبي ٢٨١.

(٢) تاريخ الطبري ٤ / ٢٣٠.

(٣) أنساب الأشراف، البلاذري ٥ / ١٨.

(٤) التنبيه والإشراف، المسعودي ٢٥٣.

النبوي الشريف في نهايته المفجعة وحبّه المفرط لبني أمية لكنّه أصرّ على تعيينه خليفة!

فالقرشيون كانوا يعالجون مشكلاتهم بالمكر والخداع والعنف والشدّة والرشوة فلقد وضع أبو جهل المشيمة على رأس رسول الله ﷺ أثناء سجوده في مكّة.

وكسر عثمان بن عفان ضلع عبدالله بن مسعود في المسجد النبوي ثمّ كسر ضلع عمار بن ياسر في المسجد النبوي أيضاً[1].

وحاصر طغاة مكّة رسول الله ﷺ وقبيلته في شعب أبي طالب نفياً لهم عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية لمكّة، فمات أبو طالب بعد خروجه من الحصار بزمن قليل. ونفى عثمان أبا ذر إلى صحراء الربذة فمات هناك فوق رمال جزيرة العرب!

وقتل رؤساء مكّة سميّة أمّ عمار لعدم استطاعتهم التعامل معها منطقياً. وقتل عثمان رقية (أمّ كلثوم) لاختلافه معها في أهدافها وسلوكها.

وقتل المشركون طالب بن أبي طالب وياسر وغيرهم وكذلك قتل عثمان المقداد بن عمرو وأبيّ بن كعب وعبدالرحمن بن عوف وبقيّة المعارضين.

ومكر القرشيون برسول الله ﷺ والمسلمين في مكّة مراراً منها إرسالهم شياطين قريش للمكر بالمسلمين في الحبشة مستخدمين شتّى أنواع الكذب والافتراء في هذا الطريق.

وتعامل عثمان بالاحتيال مع ثوّار مصر وقيادتها (محمّد بن أبي بكر ومحمّد بن أبي حذيفة الأموي) بالتعاهد معهم على السلم علناً وإرسال غلامه إلى واليه على

(١) الإيضاح، ابن شاذان ٥١٥، شرح النهج ٢٠ / ٢٠.

مصر ابن أبي سرح طالباً منه الاحتيال في قتلهم[1]!

وكما فشلت الأساليب الماكرة في القضاء على المسلمين في مكّة فقد فشلت المشاريع العثمانية في إسكات المسلمين وإخضاعهم في المدينة.

وشاهد الموحّدون جثث أبي جهل وعتبة وشيبة في العراء منتشرة، وكذلك تبعثرت جثث السائرين على نهجهم لاحقاً.

وأصرّ عثمان طبقاً للثقافة القرشية على محاربة عمار والمقداد وأبي ذر وأهل البيت ﷺ إلى آخر لحظات حياته ولم يستفد من تجارب الماضي.

واعتمد المشركون في مكّة على رجال الدهاء والمكر مثل عمرو بن العاص والحكم بن أبي العاص وعقبة بن أبي معيط ومعاوية وعبدالله بن أبي ربيعة.

واعتمد عثمان على نفس الشخصيات المذكورة ومن سار على نهجهم مثل مروان ابن الحكم بن أبي العاص والوليد بن عقبة بن أبي معيط فانفجرت الثورة الإسلامية العظمى.

لو بايع الناس عليّاً ﷺ بعد عمر ماذا كان سيحدث؟

قبل موت عمر بن الخطّاب قال الصحابي الجليل عمّار بن ياسر لو مات عمر بايعت الإمام علي بن أبي طالب ﷺ.

فسمعه عبدالرحمن بن عوف وكان من رجال الدولة المقرّبين المنتفعين وكانت الحادثة في مكّة في أيّام الحج. فأخبر عمر بن الخطاب فأعلن الأخير عن نيّته الكلام إلى الناس لتحذيرهم هذا العمل من قبل هؤلاء الرهط الذين يريدون أن

(١) الاستغاثة، الكوفي ١ / ٦٠.

يغصبوا الناس أمرهم. فقال له عبدالرحمن بن عوف إنّ موسم الحج يجمع رعاع الناس وغوغاءهم وإنّهم الذين يغلبون على مجلسك وإنّي لخائف إن قلت اليوم مقالة ألّا يعوها ولا يحفظوها ولا يضعوها على مواضعها وأن يطيّروا بها كلّ مطير.

ولكن أمهل حتىٰ تقدم المدينة تقدم دار الهجرة والسنّة وتخلص بأصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار فتقول ما قلت متمكّناً، فيعوا مقالتك ويضعوها على مواضعها.

فقال عمر: والله لأقومنّ بها في أوّل مقام أقومه بالمدينة فلمّا قدموا المدينة قام عمر في خطبة يوم الجمعة قائلاً: أمّا بعد فإنّي أريد أن أقول مقالة قد قُدّر أن أقولها من وعاها وعقلها وحفظها فليحدّث بها حيث تنتهي به راحلته ومن لم يعها فإنّي لا أحلّ لأحد أن يكذب عليّ.

إنّه بلغني أنّ قائلاً منكم يقول: لو قد مات أمير المؤمنين أبايع عليّاً عليه السلام.

فلا يغرّنّ أحداً أن يقول: إنّ بيعة أبي بكر فلتة فقد كانت كذلك غير أنّ الله تعالىٰ وقىٰ شرّها وليس منكم من تقطع إليه الأعناق مثل أبي بكر.

وأنّه كان من خبرنا حين توفّىٰ الله نبيّه ﷺ أنّ عليّاً والزبير ومن معهما تخلّفوا عنّا في بيت فاطمة عليها السلام وتخلّفت عنّا الأنصار بأسرها[1].

فحذّر عمر الناس من بيعة أمير المؤمنين علي عليه السلام بعد موته ودعاهم إلى بيعة قريش أي رجال قبائل قريش من غير بني هاشم.

وهي ذات أطروحة السقيفة التي استند إليها أبو بكر في الوصول إلى السلطة وإبعاد الأنصار وغيرهم عن الخلافة.

---

(١) تاريخ الطبري ٢ / ٤٤٦، الأخبار الموفّقيّات، الزبير بن بكّار ٥٨٣.

وفعلاً تواثبت قبائل قريش وعينها على السلطة وكان الاتّفاق المعروف يتمثّل في وصول عثمان إليها ثمّ عبدالرحمن بن عوف من بني زهرة. فأحكم عمر قضية حصر الخلافة في قبائل قريش فقط وبنو هاشم ليس منهم.

فاستحكمت الأوضاع السياسية بيدهم وعادت الأوضاع إلى زمن أيّام السقيفة. واحتشد رجال قريش الطلقاء في المدينة من محاربي الإسلام مثل أبي سفيان وسعيد بن العاص والوليد بن عقبة وعبدالله بن أبي سرح وعكرمة بن أبي جهل وباقي المقهورين على الدخول في الإسلام.

وجعل عمر قضيّة الشورىٰ بيد عبدالرحمن بن عوف صهر عثمان على اخته من أمّه، أمّ كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط. فهذه مهزلة جاهلية وليس مجلس شورىٰ.

أي أخذ عمر من أعدائه زمام المبادرة وركز خيوط القضية في يد الدولة وقبائل قريش؛ لذلك لم تتدخّل الأنصار في بيعة عثمان بن عفّان وكذلك باقي المسلمين. إذ أصبحت الخلافة والسياسة بيد رجال قريش كذباً وزوراً وسيطرت قبائل قريش المحاربة للإسلام على الموقف، وأصبحت الأنصار وباقي سكنة جزيرة العرب تنظر إلى الحكم كقضية لا تعنيها.

وهذا أكبر انتصار سياسي حقّقته قريش في الميدان السياسي بعد خسارتها في الميدان الحربي في بدر والخندق وبعد فشل دينها الجاهلي البالي.

ولم يكتف عمر بهذا الحصر السياسي للخلافة في رجال قريش بل ضغط الأمور أكثر فأكثر بتقييدها في مجلس شورىٰ قرشي؛ لتصبح القضية أكثر شرعية وبعيدة عن متناول المعارضة السياسية لمعظم المسلمين. فجعل المعارضة الشرعية والسياسية المتمثّلة في الإمام علي عليه السلام في أقليّة داخل مجلس الشورى المذكور.

إذ لا يناصره هناك إلّا الزبير بن العوام مقابل أكثرية مؤلفة من أربعة أشخاص هم عثمان بن عفان وعبدالرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقّاص وطلحة بن عبيدالله التيمي. فإذا كانت القضية بالتصويت فالأكثرية في جانب الحزب القرشي ولا ينفع عليّاً عليه السلام رأي الزبير الوحيد.

ثمّ قيّد عمر المشروع السياسي المذكور بركن آخر في صالح حزبه يتمثّل في حصر الأمور بيد عبدالرحمن بن عوف فهو الحاكم على مجلس الشورى. أي يمكنه التنازل عن حقّه مقابل تعيينة الخليفة من بين الستّة.

فكلّ الاحتمالات في صالح أعوان عمر بن الخطاب. وفعلاً تنازل عبدالرحمن بن عوف عن حقّه في الخلافة مقابل بيعته لمن يحبّ. وكان واضحاً الاتّفاق السرّي بين عمر وحزبه على تعيين عثمان أوّلاً ثمّ ابن عوف. واشتهر هذا الاتّفاق المخالف للنصوص الإلهية والحقوق الشعبية بين المسلمين فأصبح ركناً من أركان سقوط عثمان وهزيمة أطروحة السقيفة والشورى.

هذا في الجانب السياسي أمّا في الجانب العسكري فحاصر عمر عاصمة المسلمين بجيوش جرارة من مختلف الجهات لا تقوى رجال المعارضة على محاربتها. وجعل عمر طوقاً حول العاصمة بقيادات سياسية وعسكرية هي ذاتها التي شاركت في جيش أبي سفيان في معركة بدر والخندق.

إذ لم يثق عمر بأيّ شخصية إسلامية مشاركة في بدر في صفوف المسلمين!! فقد جعل جيوش الشام الضخمة الكاملة العدد والعدّة في يد معاوية بن أبي سفيان زعيم مشركي قريش.

وجعل جيوش اليمن في يد عبدالله بن أبي ربيعة الذي كان سفيراً لطغاة مكّة

إلى ملك الحبشة في قضية المهاجرين إليها. والمحارب في صفوف الكفّار في بدر وأحد والأحزاب ولم يُسلم في فتح مكّة إلّا قهراً.

وجعل عمر جيوش الكوفة والري في يد المغيرة بن شعبة الذي وصفه بالفاجر والفاسق والمشارك في قضية السقيفة في صفوف أبي بكر وعمر، والمهاجم لبيت فاطمة عليها السلام بالنار والحطب.

والجيش الرابع يتركّز في البصرة في يد أبي موسى الأشعري المشارك في محاولة قتل رسول الله صلى الله عليه وآله في العقبة[1].

والجيش الخامس يتركّز في البحرين في يد أبي هريرة والي عمر هناك[2].

فلو بايع المسلمون الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بعد مقتل عمر لحدثت فتنة عظيمة كفتنة مقتل عثمان. ولاتّهم معاوية والمغيرة والأشعري وأبو هريرة عليّاً عليه السلام بمقتل عمر مثلما اتّهموه بمقتل عثمان. فالملك عقيم يرتكب معه العاصون شتّى أنواع المعاصي والذنوب في سبيل الوصول إليه.

بينما قتل الأمويون عمر أو ساعدوا على قتله وطمسوا ذلك بالقوّة والمال.

ولو بايع المسلمون عليّاً عليه السلام بعد مقتل أبي بكر بيد عمر وعثمان لاتّهمه رجال الحزب القرشي بذلك ولقادوا الجيوش الجرّارة من العراق وسوريا واليمن والبصرة والكوفة لحربه مثلما فعلوا بعد مقتل عثمان.

إذن هدف الحزب القرشي هو السلطة وكيفيّة الوصول إليها لا يهمّهم كثيراً فهم لا يلتزمون بأخلاق ولا يتحلّون بعدالة.

فإعادة الخلافة إلى أهلها الشرعيين بعد قضيّة السقيفة أصبحت عملية صعبة.

---

(١) المحلّى، ابن حزم الأندلسي ١١ / ٢٢٥، الإصابة، ابن حجر ٢ / ٣٦٠، طبقات ابن سعد ٥ / ١٥.

(٢) البداية والنهاية ٨ / ١١٦ ـ ١١٧، تاريخ اليعقوبي ٢ / ١١٣.

وفعلاً قاد زعماء الحزب القرشي حروب الجمل وصفّين والنهروان في حقّ أمير المؤمنين عليّ﵇، وتسبّبت حروبهم الطاحنة بقيادة عائشة وطلحة والزبير ومعاوية وعمرو بن العاص في فتن عظيمة ومذابح مريرة ومآسي خطيرة، انتهت بمؤامرة أموية ـ خارجية في مقتل الإمام علي﵇.

فقد حاك معاوية مشروعاً ماكراً مع الأشعث بن قيس الكندي لقتل الإمام علي﵇. وكان الأشعث بن قيس أموي الهوىٰ وخارجي العقيدة فاتّفق مع وردان وعبدالرحمن بن ملجم على تلك الخطّة الشيطانية[1].

واتّفق عبدالرحمن بن ملجم الخارجي مع قطام بنت شجنة بن عدي الخارجية (التي قتل الإمام علي﵇ أباها وأخاها يوم النهروان).

وبات ابن ملجم تلك الليلة التي عزم فيها أن يقتل عليّاً﵇ في صبيحتها يناجي الأشعث بن قيس الكندي في مسجده مسجد الأشعث بن قيس الكندي مسجد ضرار يقع في بني كندة وهو الذي منع الإمام علي﵇ الناس من الصلاة فيه[2] حتىٰ كاد أن يطلع الفجر فقال له الأشعث فضحك الصبح فقم، فسمعه حجر بن عدي الكندي فقام عبدالرحمن بن ملجم وشبيب بن بجرة فأخذا أسيافهما. فضرب ابن ملجم عليّاً﵇ في صلاة الصبح بسيف مسموم، فقال حجر للأشعث بن قيس:

يا أعور أنت قتلته[3].

ولمّا عرف الإمام علي﵇ بمشروع الأشعث الدنيء دعا عليه فعمىٰ بصره.

---

(١) شرح النهج، المعتزلي ٢ / ٣١، الإرشاد، المفيد ١ / ٢٠، البحار ٤٢ / ٢٢.

(٢) جامع الرواة، الأردبيلي ١ / ١٤٨، تهذيب المقال، الأبطحي ٣ / ٧٦، البحار ١٠٠ / ٤٣٨.

(٣) الطبقات الكبرىٰ، ابن سعد ٣ / ٣٦، أسد الغابة، ابن الأثير ٤ / ٣٦، أنساب الأشراف ٤٩٢.

فكان يفصح عن هذا قائلاً: هذا من دعوة أمير المؤمنين ولم يسمح أنصار الإمام علي عليه السلام للأشعث بالعيش الهنيء بعد مؤامرته المذكورة فألحقوه بعبدالرحمن بن ملجم سريعاً. فالفتنة السياسية لم تتأسّس بمقتل عثمان بن عفان بل تأسّست بمراسم السقيفة.

وأصبحت دافعاً رئيسيّاً لمقتل أبي بكر وعمر وعثمان ثمّ الإمام علي عليه السلام.

فهل يسلم من هذه المصيبة العظمىٰ قادة الحزب القرشي أبو بكر وعمر وعثمان وطلحة وسعد بن أبي وقّاص وعبدالرحمن بن عوف وسعيد بن العاص الأموي وخالد بن الوليد ومحمّد بن مسلمة؟

فالسقيفة منبع الفتنة وأس الأساس في خراب أوضاع المسلمين تجمع فيها قادة الحزب القرشي في المدينة ورؤساء حروب بدر واحد والأحزاب وطغاة الكفر في مكّة وزعماء الأعراب مثل أبي الأعور الأسلمي رئيس أسلم[1].

واليهود الداخلون في الإسلام كذباً مثل محمّد بن مسلمة وزيد بن ثابت وعبدالله بن سلام.

والمنافقون كعب بن مالك وبشير بن سعد وأسيد بن حضير، ومعاذ بن جبل.

رأي الإمام علي عليه السلام في شورىٰ عمر

الواضح في مجلس عمر للشورىٰ أنّه مجلس استبدادي على طريقة قريش الجاهلية أوجده لإيصال عثمان إلى السلطة عن طريق صهره عبدالرحمن بن عوف. بينما جعل الله تعالىٰ قضية الخليفة بيده فهو الذي عيّن عليّاً عليه السلام خليفة بقوله الشريف:

---

(١) الإصابة، ابن حجر ترجمة الأسلمي، واقرأ ترجمته في أسد الغابة وتاريخ دمشق.

﴿يا أَيُّها الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَه﴾[(١)].

فقال النبي ﷺ: من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه اللهمّ والِ من والاه وعادي من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله.

ثمّ طلب النبي ﷺ من المسلمين مبايعته بالخلافة فبايعوه جميعاً وأوّلهم أبو بكر القائل له: بخ بخ لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كلّ مسلم ومسلمة، ثمّ بايعه عمر[(٢)]. فهذه هي البيعة الإلٰهية لعلي ﷺ تبعتها البيعة الشعبية في الغدير فنزل قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً﴾[(٣)].

فهذه النظرية الإلٰهيّة في تعيين الخليفة واضحة لا لبس فيها تبعتها بيعة شعبية حرّة لجميع أفراد الأمّة من السود والبيض والأنصار والمهاجرين وأهالي اليمن والبحرين. أمّا بيعة عمر لعثمان فهي بيعة مؤلّفة من ستّة أفراد قائمة على رؤوسهم السيوف. والبيعة في هذا المجلس لابن عوف صهر عثمان وحليفه في الحزب القرشي، فاتّفقا على تولية الخلافة بالتناوب بينهما.

وبايع عثمان بالخلافة فاستأثر بها فلم يردّها إليه وفق الاتّفاق فأفتى ابن عوف بكفر عثمان وفسقه وتحلّله من شريعة الله تعالى.

لا؛ لأنّه ظلم الناس وبغى عليهم فهذا معروف عن عثمان في الزمان السابق بل لأنّه لم يرجع الحكم إليه حسب الاتّفاق. فتصاعد الشرّ بينهما فقطع عثمان راتب ابن

---

(١) المائدة ٦٧.

(٢) مسند أحمد ٤ / ٢٨١، التمهيد، الباقلاني ١٧١، تفسير الثعلبي، الطبري ٢ / ١٦٩، الفصول المهمّة، المالكي ٢٥، تفسير الفخر الرازي ٣ / ٦٣٦، الصواعق المحرقة ٢٦، التنبيه والإشراف ٢٢١.

(٣) المائدة ٣.

عوف المالي ثمّ قتله بالسم!

وثار المسلمون على عثمان الباغي الظالم في رأيهم فقتلوه وهذا من حصيلة عمل عمر. واستمرّ المسلسل الدامي بمجلس عمر المبكي المضحك فبعدما بايع الناس علياً ﷺ بيعة حرّه ونزيهه طالب الزبير وطلحة بحصّة في الحكم؛ لأنّهما من أعضاء مجلس عمر. ولمّا رفض الإمام علي ﷺ إعطائهما شيئاً ثارا عليه وافتعلا معركة الجمل. وطالب معاوية بالخلافة؛ لأنّه ابن عمّ عثمان فتصاعدت قرون الفتنة في كلّ مكان، فقُتل أكثر من مئة الف مسلم بسوء تدبير عمر في مجلسه السيّئ الصيت في معارك الجمل وصفين والنهروان[1].

وقال الإمام علي ﷺ عن ذلك المجلس وأعضائه:

فيا لله وللشورى متى اعترض الريب فيّ مع الأوّل (أبي بكر) منهم حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر، لكني أسففت إذ أسفوا وطرت إذ طاروا، فصغى رجل منهم لضغنه ومال الآخر لصهره، مع هن وهن، إلى أن قام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع إلى أن انتكث فتله، وأجهز عليه عمله وكبت به بطنته فما راعني إلّا والناس كعرق الضبع إليّ ينثالون عليّ من كلّ جانب حتى لقد وطيء الحسنان وشقّ عطفاي مجتمعين حولي كربيضة الغنم، فلمّا نهضت بالأمر نكثت طائفة، ومرقت أخرى، وقسط آخرون كأنّهم لم يسمعوا كلام الله حيث يقول:

﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِيْنَ لا يُرِيْدُوْنَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِيْنَ﴾، بلى والله لقد سمعوها ووعوها ولكنّهم حليت الدنيا في أعينهم

---

(١) صفين، المنقري ٥٥٨.

وراقهم زبرجها[١].

ولمّا أمر الإمام علي عليه السلام عثمان بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقعت مشاجرة بينه وبين عثمان فقال المغيرة بن الأخنس لعثمان: أنا أكفيكه.

فقال الإمام علي عليه السلام للمغيرة: يابن اللعين الأبتر والشجرة التي لا أصل لها ولا فرع أنت تكفيني؟ والله ما أعزّ الله من أنت ناصره، ولا قام من أنت منهضه، اخرج عنّا أبعد الله نواك، ثمّ أبلغ جهدك فلا أبقى الله عليك إن بقيت[٢].

وقال الإمام علي عليه السلام في خطبة ذاكراً عثمان: أمّا بعد فإنّي أخبركم عن أمر عثمان حتى يكون سمعه كعيانه إنّ الناس طعنوا عليه، فكنت رجلاً من المهاجرين أُكثر استعتابه[٣] وأقلّ عتابه، وكان طلحة والزبير أهون سيرهما فيه الوجيف وأرفق حدائهما العنيف، وكان من عائشة فيه فلتة غضب فأُتيح له قوم فقتلوه، وبايعني الناس غير مستكرهين ولا مجبرين بل طائعين مخيّرين[٤].

ثمّ قال: نشدتكم بالله أيّها النفر! هل فيكم أحد وحّد الله قبلي؟!. قالوا: اللهم لا.

قال عليه السلام: نشدتكم بالله هل فيكم أحد، قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي؛ غيري؟!

قالوا: اللهمّ لا. قال عليه السلام: نشدتكم بالله هل فيكم أحد ساق رسول الله صلى الله عليه وآله لربّ العالمين هدياً فأشركه فيه غيري؟!.

---

(١) نهج البلاغة، الإمام علي عليه السلام، ١ / ٣٢، الخطبة الشقشقية.

(٢) نهج البلاغة، الإمام علي عليه السلام ٢ / ١٩ رقم ١٣٥ وقال الإمام علي عليه السلام له يابن اللعين؛ لأنّ والده كان من رؤوس المنافقين، والنوى: الدار.

(٣) استرضاؤه.

(٤) نهج البلاغة، الإمام علي عليه السلام ٣ / ٢.

قالوا: اللهمّ لا.

قال عليه السلام: نشدتكم بالله هل فيكم أحد أُتي رسول الله صلى الله عليه وآله بطير يأكل معه.

فقال: اللهمّ ائتني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير، فجئته، فقال: اللهمّ والىٰ رسولك.. غيري؟!.

قالوا: اللهمّ لا.

قال عليه السلام: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله حين رجع عمر يُجبّن أصحابه ويجبّنونه قد ردّ راية رسول الله صلى الله عليه وآله منهزماً ـ فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: لأعطينّ الراية غداً رجلاً ليس بفرّار يحبّه الله ورسوله ويحبّ الله ورسوله لا يرجع حتىٰ يفتح الله عليه، فلمّا أصبح قال: ادعوا لي عليّاً. فقالوا: يا رسول الله صلى الله عليه وآله! هو رمد ما يطرف. فقال: جيئوني، فلمّا قمت بين يديه تفل في عيني وقال: اللهمّ اذهب عنه الحرّ والبرد، فأذهب الله عنّي الحرّ والبرد إلى ساعتي هذه، وأخذت الراية فهزم الله المشركين وأظفرني بهم؛ غيري؟!.

قالوا: اللهم لا.

قال عليه السلام: نشدتكم بالله هل فيكم أحد له أخ مثل أخي جعفر المزيّن بالجناحين في الجنّة يحلّ فيها حيث يشاء؛ غيري؟!.

قالوا: اللهم لا.

قال عليه السلام: نشدتكم بالله هل فيكم أحدله عمّ مثل عمّي حمزة أسد الله وأسد رسوله وسيّد الشهداء غيري؟!.

قالوا: اللهم لا.

قال عليه السلام: نشدتكم بالله هل فيكم أحد له سبطان مثل سبطي الحسن والحسين

ابني رسول الله ﷺ وسيّدي شباب أهل الجنّة؛ غيري؟!.

قالوا: اللهم لا.

قال ﷺ: نشدتكم بالله هل فيكم أحد له زوجة مثل زوجتي فاطمة بنت رسول الله ﷺ وبضعة منه وسيّدة نساء أهل الجنّة؛ غيري؟!.

قالوا: اللهم لا.

قال ﷺ: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ من فارقك فارقني ومن فارقني فارق الله؛ غيري؟!.

قالوا: اللهم لا.

قال ﷺ: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: لينتهيّن بنو وليعة[1] أو لأبعثنّ إليهم رجلاً كنفسي طاعته كطاعتي ومعصيته كمعصيتي يغشاهم بالسيف؛ غيري؟!.

قالوا: اللهم لا[2].

قال ﷺ: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ ما من مسلم وصل إلى قلبه حبّي إلّا كفّر الله عنه ذنوبه، ومن وصل حبّي إلى قلبه فقد وصل حبّك إلى قلبه، وكذب من زعم أنّه يحبّني ويبغضك؛ غيري؟!.

قالوا: اللهم لا.

قال ﷺ: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ أنت الخليفة في الأهل والولد والمسلمين في كلّ غيبة، عدوّك عدوّي وعدوّي عدوّ الله، ووليّك وليّ

---

(١) قال في القاموس ٣ / ٩٧: وبنو وليعة ـ كسفينة ـ حي من كِنْدَة.

(٢) لاحظ: مناقب الخوارزمي: ٢١٧.

ووليّي وليّ الله؛ غيري؟!.

قالوا: اللهم لا.

قال عليه السلام: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا علي! من أحبّك ووالاك سبقت له الرحمة ومن أبغضك وعاداك سبقت له اللعنة، فقالت عائشة: يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم! ادع الله لي ولأبي لا يكون ممّن يبغضه ويعاديه، فقال صلى الله عليه وآله وسلم اسكتي؛ إن كنت أنتِ وأبوك ممّن يتولّاه ويحبّه فقد سبقت لكما الرحمة، وإن كنتما ممّن يبغضه ويعاديه فقد سبقت لكما اللعنة، ولقد خبثت أنتِ، وأبوكِ أوّل من يظلمه وأنت أوّل من يقاتله، غيري؟!.

قالوا: اللهم لا.

قال عليه السلام: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثل ما قال لي: يا علي أنت أخي وأنا أخوك في الدنيا والآخرة ومنزلك مواجه منزلي كما يتواجه الإخوان في الخلد؟!

قالوا: اللهم لا.

قال عليه السلام: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا علي إنّ الله خصّك بأمر وأعطاكه ليس من الأعمال شيء أحبّ إليه ولا أفضل منه عنده، الزهد في الدنيا، فليس تنال منها شيئاً ولا تنال منك وهي زينة الأبرار عند الله عزّ وجل يوم القيامة، فطوبىٰ لمن أحبّك وصدّق عليك، وويل لمن أبغضك وكذّب عليك؛ غيري؟!.

قالوا: اللهم لا.

قال عليه السلام: نشدتكم بالله هل فيكم أحد بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليجيء بالماء كما

بعثني، فذهبت حتىٰ حملت القربة على ظهري ومشيت بها فاستقبلتني ريح فردّتني حتىٰ أجلستني، ثمّ قمت فاستقبلتني ريح فردّتني ثمّ أجلستني، ثمّ قمت فجئت إلى رسول الله ﷺ فقال لي ما حبسك؟

فقصصت عليه القصّة. فقال: قد جائني جبرئيل فأخبرني، أمّا الريح الأولىٰ فجبرئيل كان في ألف من الملائكة يسلّمون عليك، وأمّا الثانية فيكائيل جاء في ألف من الملائكة يسلّمون عليك؛ غيري؟!.

قالوا: اللهم لا.

قال عليه السلام: نشدتكم بالله هل فيكم من قال له جبرئيل: يا محمّد ﷺ أترىٰ هذه المواساة من علي عليه السلام، فقال رسول الله ﷺ إنّه منّي وأنا منه. فقال جبرئيل: وأنا منكما؛ غيري؟!.

قالوا: اللهم لا.

قال عليه السلام: نشدتكم بالله هل فيكم أحد كان يكتب لرسول الله ﷺ كما جعلت أكتب فأغفىٰ[1] رسول الله ﷺ فأنا أرىٰ أنّه يملي عليّ، فلمّا انتبه قال له: يا علي من أملىٰ عليك من هاهنا إلى هاهنا، فقلت: أنت يا رسول الله ﷺ فقال: لا، ولكن جبرئيل أملأ عليك؛ غيري؟!

قالوا: اللهم لا[2].

---

(١) قال في الصحاح ٦ / ٢٤٤٨: أغفيت إغفاءاً.. أي نمت.

(٢) هنا زيادة جاءت في المصدر وهي: قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد نادىٰ له منادٍ من السماء: لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتىٰ إلّا علي غيري؟! قالوا: اللهمّ لا. الخصال، الصدوق: ٥٥٦، كتاب سليم بن قيس بتحقيق الأنصاري ١٩٤، مسند أبي يعلىٰ ٢ / ١٦٦، المعجم الأوسط، الطبراني ٤ / ١٢٢، شرح النهج ٩ / ١٦٧، علل الدارقطني ٣ / ٢٧٧، تاريخ دمشق ٤٢ / ١٠٥، البداية والنهاية ٧ / ٢٧٥، المستدرك، الحاكم ٣ / ١٠٩، السنن الكبرىٰ، البيهقي ٩ / ٤٠، شرح مسلم، النووي ١٥ / ١٧٤.

الفصل الثالث:

عثمان - ابن عوف

عزل ابن عوف عن الخلافة

وهو عبدالرحمن بن عوف الزهري صهر عثمان بن عفان ومن المهاجرين إلى المدينة وفيه جنأ (أحدب الظهر)[1]. وهو من غير قريش المتحالفين مع بني زهير.

وآخى النبي ﷺ بينه وبين عثمان[2].

وكان عبدالرحمن من جناح[3] عمر في الحزب القرشي وحصل على أموال طائلة في زمن خلافة عمر.

ولحبّ عمر له فقد وهبه تلك الأموال العظيمة وحلّل له لبس الحرير من بين رجال أمّة محمّد ﷺ[4]!

---

(١) طبقات ابن سعد ٣ / ١٣٣.

(٢) مختصر تاريخ ابن عساكر ١٤ / ٣٤٧.

(٣) طبقات ابن سعد ٣ / ١٣٦.

(٤) طبقات ابن سعد ٣ / ١٣٠.

في حين حرّمها النبي ﷺ على الرجال كافّة.

وترك عبدالرحمن بن عوف ثروة مالية طائلة فكانت حصّة إرث الواحدة من نسائه ٣٢٠/٠٠٠ ألف درهم[١].

وندم ابن عوف على توليته عثمان الخلافة[٢]، لا لأفعاله السيّئة والكثيرة بل لنقضه العهد الموقّع بينهما على تداول الخلافة، بينهما، ممّا يبيّن مدىٰ سوء الأخلاق التي وصلها المسلمون.

وقد ذمّ أبو ذر، الغفاري كعب الأحبار وعبدالرحمن بن عوف[٣].

وأرسله عمر أميراً على الحجّ سنة ١٣ هجرية[٤]، وهو منصب خطير لا يُعطىٰ إلّا للطبقة الأولىٰ في السلطة وهي طبقة الخلفاء والأوصياء.

فقد أرسل النبي محمّد ﷺ عليّاً ﷺ أميراً على الحجّ في السنة التاسعة؛ لأنّه وصيّه وخليفته على أمّته[٥].

وعلى هذه النظرية سار أبو بكر وعمر وعثمان إذ كانوا يرسلون أوصياءهم على إمارة الحج.

وبعد بيعة ابن عوف لعثمان غضب الإمام علي ﷺ وقال: والله ما فعلتها إلّا لأنّك رجوتَ منه، ما رجا صاحباكما (أبو بكر وعمر) من صاحبه، دقَّ الله بينكما عِطْرَ مَنْشِمٍ، قيل ففسد بعد ذلك بين عثمان وعبدالرحمن، فلم يكلِّم أحدُهما صاحبه حتى

(١) تاريخ ابن عساكر ٥ / ٣٢٩، ١٤ / ٣٥٧، المعارف ٢٣٥، طبقات ابن سعد ٣ / ١٣٦.

(٢) مختصر تاريخ دمشق ١٤ / ٣٥٧، تاريخ المدينة، ابن شبه ٣ / ١٠٢٩، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٧.

(٣) تاريخ المدينة المنوّرة، ابن شبه ٣ / ١٠٣٧.

(٤) طبقات ابن سعد ٣ / ١٣٤.

(٥) تاريخ الطبري ٢ / ٣٨٢، مسند أحمد ٤ / ١٦٤، كنز العمال ٦ / ١٥٣، تاريخ ابن زرعة ٢٩٨.

مات عبدالرحمن[1].

ومن خلال قراءة سيرة عثمان، وما أعقبها نلاحظ انفتاح باب الفتنة على مصراعيه في زمنه، وحدوث هرج ومرج عجيبين.

ولقد انحرف عثمان عن وصيّة عمر بتولية سعد بن أبي وقاص الكوفة، إذ عيّنه أوّلاً وعزله لاحقاً ليولّيها الوليد بن عقبة بن أبي معيط؟!

واتّفق عثمان مع ابن عوف على تناوب السلطة ثمّ تخلّىٰ عثمان عن عهده واتّفاقه المذكور لصالح بني أمّية.

ذكر مسكوية في تجاربه سبب نفي عثمان لكاتبه حمران إلى البصرة فقال: إنّ عثمان اشتكىٰ شكاة، فقال له: اكتب العهد بعدي لعبدالرحمن بن عوف.

فانطلق حمران إلى عبدالرحمن بن عوف فقال له: البشرىٰ؟

فقال له لك البشرىٰ فماذا؟

فأخبره الخبر، فصار عبدالرحمن إلى عثمان، فأخبره بما قال حمران، فقلق عثمان وخاف أن يشيّع، فنفاه لذلك.

وروي أنّ عثمان اعتلّ علّة اشتدّت به، فدعا حمران بن أبان، وكتب عهداً لمن بعده، وترك موضع الإسم، ثمّ كتب بيده: عبدالرحمن بن عوف، وربطه وبعث به إلى أمّ حبيبة بنت أبي سفيان، فقرأه حمران في الطريق، فأتىٰ عبدالرحمن، فأخبره، فقال عبدالرحمن وقد غضب غضباً شديداً: استعمله علانيةً، ويستعملني سّراً، ونما الخبر وانتشر في المدينة، وغضب بنو أميّة فدعا عثمان بحمران مولاه، فضربه مائة سوط، وسيّره إلى البصرة، فكان سبب العداوة بينه وبين عبدالرحمن بن عوف[2].

---

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١ / ١٨٨.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٦٩.

وفي الواقع كانت وصيّة عثمان لابن عوف فضيحة للطرفين:

فمن ناحية كيف يوصي عثمان لابن عوف وفي الأمّة علي بن أبي طالب عليه السلام؟

ولماذا هذا التلاعب بحقوق الأمّة في بيعة زعيمها بوصايا لا قيمة شرعية لها.

وثانياً انكشاف مؤامرة عمر وابن عوف في بيعة ابن عوف لعثمان وردّها لاحقاً إلى ابن عوف، ممّا يثبت زيف مجلس الستّة.

والأنكى والأقبح هو تحلّل عثمان من عهده لابن عوف في ردّ الخلافة إليه بضغوط أموية، ممّا يبيّن رغبته في إعطائها لقبيلته. فلاحظ الناس تلاعب الحزب القرشي بالخلافة العظمى للمسلمين.

ابن عوف ـ خالد

وكان عبدالرحمن في جيش خالد وخالد من الحزب البكري وبينهما منافسة حادّة؛ لذا كذّب ابن عوف خالداً عند قتله بني جذيمة قائلاً له: أخذت بأمر الجاهلية قتلتهم بعمّك الفاكه، قاتلك الله تعالى، وأعانه عمر بن الخطاب على خالد فقال عبدالرحمن: كذبت والله لقد قتلت قاتل أبي بيدي وأشهدت عثمان بن عفان[1].

وقد فضح الإمام علي عليه السلام بيعة ابن عوف لعثمان وبيّن مشروع اغتصاب السلطة بين الإثنين وتناولها بينهما، إذ قال الإمام علي عليه السلام لابن عوف: ليس هذا أوّل يوم تظاهرتم فيه علينا **﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾**[2]، والله ما ولّيت عثمان إلّا ليردّ الأمر إليك[3].

---

(١) كنز العمال ١٣ / ٢٢٢.

(٢) يوسف، ١٨.

(٣) الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٣ / ٧١.

وبدعاء الإمام علي عليهما دبّ الصراع والخلاف بينهما فقتل عثمان ابن عوف[١].

وكان عبدالرحمن بن عوف من رموز رجال السقيفة الذين تركوا جثمان رسول الله دون غسل ولا صلاة وذهبوا إلى سقيفة بني ساعدة للسيطرة على خلافة المسلمين.

ولكن هل بيّن النبي أو وصيّه علي حالته المستقبلية في السياسة وما هي علاقته بعثمان؟

وكان ابن عوف من الجناح العمري في الحزب القرشي لذا لم يحصل على وظيفة بارزة في زمن حكومة أبي بكر وحصل على منزلة رفيعة في زمن سلطة عمر، فقد كان وزيراً مقرّباً في الدولة[٢].

وجعله عمر أحد رجال شورى الستّة فأصبح ابن عوف رجلاً معروفاً في زمن دولة عمر بعد أن كان مغموراً في مكّة والمدينة.

ولم تُعرف سيرة مشهورة لابن عوف في حروب الكافرين بل كانت له رسائل سرّية مع زعيم مكّي بارز دون علم المسلمين ودون موافقة رسول الله! وهي الرسائل السرّية بينه وبين أمية بن خلف، ولمّا أراد بلال الحبشي قتل أمية في معركة بدر قال له عبدالرحمن: يا ابن السوداء[٣].

ولاعتماد عمر على ابن عوف فقد جعله حاكماً على مجلس شورى الستّه قائلاً: إن انقسم المجلس إلى قسمين فالحكم بيد عبد الرحمن بن عوف.

---

(١) السقيفة وفدك، الجوهري ٧٩، الإرشاد، المفيد ١ / ٢٨٧، البحار ٨ / ٣٥١.

(٢) راجع كتاب نظريّات الخليفتين للمؤلّف ٢ / ٢٨٧.

(٣) سيرة ابن هشام ٢ / ٤٥٨ ـ ٤٦١.

وذلك لاطمئنان عمر من إقدام ابن عوف على مبايعة عثمان وتركه علياً عليه السلام؛ لأنّ ابن عوف من رجال الحزب القرشي الأشدّاء في بغض محمّد صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام.

وطبقاً لاتّفاق قبائل قريش في تداول السلطة فيما بينها دون قبيلة بني هاشم وتبعاً لوصية عمر لعبدالرحمن بتسليم الخلافة إلى عثمان، واعتماداً على اشتراط عبدالرحمن على عثمان[1] تداول الخلافة بينهما فقد سلّم ابن عوف الخلافة إلى عثمان مع علمه بالفارق الكبير بينه وبين أمير المؤمنين علي عليه السلام في العلم والنسب والأخلاق والعدالة والشجاعة والسابقة في الإسلام ووصيّة النبي محمّد صلى الله عليه وآله له بالخلافة في يوم الغدير[2].

وغفل ابن عوف أيضاً عن المكر الأموي واستحالة إرجاعهم الخلافة إليه، وكيف يعطي عثمان السلطة إليه مع حبّه العميق لبني أميّة، ومع وجود معاوية بن أبي سفيان ومروان بن الحكم!

وكثيراً ما يفعل طلاب السلطة أفعالاً تنمّ عن بعدهم عن الاستراتيجية السياسيّة والحكمة، فيهلكون في هاوية السياسة.

اعتراض عبدالرحمن بن عوف وارتباطه باليهود

وذكر الثقفي في تاريخه، قائلاً: كثر الكلام بين عبدالرحمن بن عوف وبين عثمان وندم عبدالرحمن على توليته الخلافة حتّى قال عبدالرحمن:

أما والله لئن بقيتُ لك لأُخرجنّك من هذا الأمر كما أُدخلتك فيه، وما غررتني

---

(١) البحار ٢٩ / ٢٧١.

(٢) تاريخ الطبري ٢ / ٤٤٣، أسد الغابة ٣ / ٤٦٩، المعجم الكبير، الطبراني ح ٥٠٥٨.

إلّا بالله[١].

وأضاف الثقفي قائلاً: كان بين عبدالرحمن بن عوف وبين عثمان كلام، فقال له عبدالرحمن: والله ما شهدتَ بدراً، ولا بايعتَ تحت الشجرة، وفررت يوم حنين.

فقال له عثمان: وأنت والله دعوتني إلى اليهوديّة[٢]. مما يبين ارتباط ابن عوف السري باليهود وكفار مكة.

وقال طارق بن شهاب: رأيت ابن عوف يقول: يا أيّها الناس إنّ عثمان أبى أن يقيم فيكم كتاب الله.

فقيل له: أنت أوّل من بايعه وأوّل من عقد له.

قال: إنّه نقض، وليس لناقض عهد[٣].

وعن أبي إسحاق قال: ضجّ الناس يوماً حين صلّوا الفجر في خلافة عثمان، فنادوا بعبدالرحمن بن عوف، فحوّل وجهه إليهم واستدبر القبلة، ثمّ خلع قميصه من جنبه[٤] فقال: [يا معشر أصحاب محمد][٥]، يا معشر المسلمين، أُشهد الله وأُشهدكم أنّي قد خلعتُ عثمان من الخلافة كما خلعتُ سربالي هذا.

فأجابه مجيب من الصفّ الأوّل: ﴿الآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِيْنَ﴾[٦]. فنظروا مَن الرجل، فإذا هو عليّ بن أبي طالب[٧] عليه السلام.

---

(١) كذا في البحار. وفي النسخة: «وما غزر نبي». مختصر تاريخ ابن عساكر ١٤ / ٣٦٠.

(٢) تقريب المعارف، الحلبي ٢٨١. مختصر تاريخ ابن عساكر ١٤ / ١٧٦.

(٣) تقريب المعارف، الحلبي ٢٨١.

(٤) في البحار: «من جيبه».

(٥) من البحار.

(٦) يونس ١٠: ٩١.

(٧) تقريب المعارف، الحلبي ٢٨١.

وعنه قال: أوصى عبدالرحمن أن يدفن سرّاً، لئلّا يصلّي عليه عثمان[١].

وذكر الواقدي في تاريخه، عن عثمان بن السريد قال: دخلتُ على عبدالرحمن بن عوف في شكواه الذي مات فيه أعوده، فذُكر عنده عثمان، فقال: عاجلوا طاغيتكم هذا قبل أن يتمادى في ملكه، قالوا: فأنت ولّيته، قال: لا عهد لناقضٍ[٢].

انقلاب ابن عوف على عثمان

وبعد هذه الحادثة أصبح ابن عوف ضدّ عثمان، إذ أدرك أنّ الخلافة قد ذهبت منه، وأنّ عثمان لا يلتزم بعهده وأصبح بنو أميّة معارضين لابن عوف لمنافسته لهم في الخلافة.

وإذا سؤلنا عن سبب كتمان عثمان لوصيّته وإخفائها في بيت أمّ حبيبة بنت أبي سفيان (زوج النبيّ ﷺ)؟

فالجواب يتمثّل في خوفه من الأمويين المسيطرين على السلطة، فاختار السرّية على العلنية، ولمّا سمع عبدالرحمن بن عوف بسريّة الوصية، غضب لذلك وشكّك في فعل عثمان، فأفصح عن ندمه في إعطائه السلطة لعثمان!

وهدف عثمان من الوصية السرية الاحتفاظ لنفسه بحقّ تغيير الموصى إليه متى أراد، وبما أنّ عبدالرحمن قد شرط على عثمان إعادة الحكم إليه، وشرط عليه عدم تولية بني أميّة السلطة، فقد ساءت العلاقة بين ابن عوف والأمويين عموماً، وأصبح وجود ابن عوف حيّاً في غير صالح عثمان، وبني أميّة.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

ولم يدرك ابن عوف خطورة المنحى السياسي الذي نحّاه في المطالبة بعزل عثمان، والثورة عليه؛ لأنّ ثوّار الكوفة والبصرة كانوا يطالبون بعزل الوليد بن عقبة، وعبدالله بن أبي سرح، في حين كان ابن عوف يطالب بعزل عثمان.

فهدف ابن عوف يخالف توجّهات جميع الأمويين، وعلى رأسهم معاوية ومروان، (الوالي الأوّل والوزير الأوّل) ولأجل خطورة مطلب ابن عوف فقد قضى الأمويون عليه!

وسبب غضب ابن عوف على عثمان، يعود إلى معرفته بعدم فائدة الوصية السرية له بالخلافة؛ لأنّ بني أميّة سوف ينكرونها إن عرفت، وقد لا تُعْرف الوصية بالمرّة؛ لأنّها عند أمّ حبيبة، وهي أُخت معاوية (المطالب بالسلطة والمترقّب لها)!

فحرّض ابن عوف الناس على الثورة على عثمان، منطلقاً من مبدأ الدفاع عن مصالح قريش واتّفاقها ومصالحه.

وكان الإمام علي عليه السلام قد قال له في يوم بيعته لابن عوف قائلا: والله ما ولّيت عثمان إلّا ليردّ الأمر إليك، والله كلّ يوم هو في شأن[1].

ولمّا لبّى الله تعالى دعاء الإمام علي عليه السلام على ابن عوف، خسر ابن عوف صفقته مع عثمان، وأُصبح عرضة لمؤامراته.

وبينما أُخرج عمر ابن الجرّاح من الخلافة لصالح عثمان أخرج عثمان ابن عوف منها لصالح الأمويين!

لقد كان عمر يعرف أنّ عثمان سوف يعطي السلطة والأموال لبني أميّة، وقد صرّح بذلك عدّة مرّات. فقد قال: وكيف لي بعثمان وهو رجل كلفٌ بأقاربه[2]؟

---

(١) تاريخ الطبري ٣ / ٢٩٧، تاريخ أبي الفداء ١ / ٢٣٢.

(٢) تاريخ المدينة المنوّرة، ابن شبه ٣ / ٨٨٣.

وقال أيضاً: وما يمنعني منك يا عثمان إلّا عصبيّتك وحبّك قومك وأهلك[١].

وقال عمر أيضاً في عثمان: هيهات إليك، كأنّي بك قد قلّدتك قريش هذا الأمر، لحبّها إيّاك، فحملت بني أميّة، وبني أبي معيط على رقاب الناس، وآثرتهم بالفيء، فسارت إليك عصابة من ذؤبان العرب فذبحوك على فراشك ذبحاً، والله لئن فعلوا لتفعلنّ، ولئن فعلت ليفعلن، ثمّ أخذ بناصيته فقال: فإذا كان ذلك فاذكر قولي فإنّه كائن[٢].

وقال عمر لابن عباس في وصف عثمان أيضاً: إنّ ولي حمل ابن أبي معيط وبني أميّة على رقاب الناس، وأعطاهم مال الله، ولئن ولي ليفعلن والله، ولئن فعل لتسيرن العرب إليه حتى تقتله في بيته[٣].

وبعد ذكر تلك الأدلّة ثبت عندنا تيقّن عمر بإعطاء عثمان للسلطة والأموال لبني أميّة. وهذا اليقين يعني معرفة عمر بانتقال الخلافة بعد عثمان إلى بني أميّة، وعلى رأسهم معاوية وإفلاس ابن عوف منها.

وتيقّن عمر بأنّ عثمان سوف لا يطرد ابن عوف فقط، بل سوف يطرد سعد بن أبي وقاص وأبي موسى الأشعري وغيرهم من السلطة، لذلك أوصى الخليفة اللاحق (أي عثمان) بتولية سعد على الكوفة، وتولية أبي موسي على البصرة.

وكان النبي ﷺ قد أخبر المسلمين بتولي عثمان السلطة ومقتله بيد الثوار ومنه أخذ عمر.

---

(١) تاريخ الطبري ٣ / ٢٩٢.

(٢) كتاب السفيانية، أبو عثمان، شرح النهج ١ / ٦٢، ١ / ١٨٥، كتاب الإمام علي ﷺ، عبدالفتّاح عبدالمقصود ١ / ٣١٠.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٥٨ ط الشريف الرضي، ط. ليدن.

وقد سار عثمان أوّلاً على وصيّة عمر، ثمّ خالفه بخلعه لسعد وأبي موسى الأشعري من ولايتي الكوفة والبصرة. ثمّ خلع ابن عوف من الخلافة.

وكانت العلاقة بين عمر وابن عوف وثيقة جدّاً وكان ابن عوف من الوزراء المقرّبين لعمر، إذ قال اليعقوبي: وكان الغالب عليه (عمر) عبدالله بن عباس، وعبدالرحمن بن عوف، وعثمان بن عفان[1].

وكان عبدالرحمن بن عوف يعتقد بأنّه ثالث الخلفاء[2].

أي أنّه مقدّم في الخلافة على عثمان بن عفان، وكان ابن عوف مخلصاً لعمر لذا وقف أمام أبي بكر في رغبته تنحية عمر عن السلطة قائلاً: هو والله أفضل من رأيك فيه[3].

وعندما خلع عثمان ابن عوف من الخلافة ساءت العلاقة بينهما مثلما ساءت العلاقة بين عمر وابن الجراح، ومثلما انتهت الحالة الأولى بمقتل ابن الجرّاح، انتهت الحالة الثانية بمقتل ابن عوف! وإليك ما يثبت ذلك: لقي عبدالرحمن بن عوف الوليد بن عقبة فقال له الوليد: مالك لا تأتي أمير المؤمنين ـ يعني عثمان ـ و لا تغشاه؟

فقال له عبدالرحمن: أبلغه عنّي أنّي لم أغب عن بدر، ولم أفرّ يوم عيين ـ يعني يوم أحد ـ ولم أخالف سنّة عمر[4].

وجاء أيضاً عن صالح بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف، عن أبيه قال: بينما نحن جلوس مع عبدالرحمن بن عوف في منزله، إذ جاء رجل فسلّم، فردّ عليه

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٥٩ طبعة الشريف الرضي، طظ. ليدن.

(٢) طبقات ابن سعد ٢ / ١٨١، تاريخ أبي الفداء ٢ / ٣٣٢.

(٣) طبقات ابن سعد ٤ / ١٩٩.

(٤) تاريخ المدينة المنوّرة، ابن شبة ٣ / ١٠٣٣، طبع مكّة المكرّمة.

عبدالرحمن السلام، فقال له الرجل: قُمْ إليّ هاهنا أكلّمك. فقام معه عبدالرحمن فوقف معه بين الباب والستر، ثمّ دخل علينا كأنّ وجهه البُسرُ صرفاً[١].

فقلت: له: لقد دخلت بوجهٍ ما خرجت به. فقال: أجل هذا رسول عثمان دعاني، فشتمني ما شاء ثمّ ذهب[٢].

وقال عمر عن عبدالرحمن بن عوف: فرعون هذه الأمّة[٣].

ورغم ذلك قرّبه في الحكومة ونال مناصب راقية فقد عيّنه أميراً للحاج سنة ١٣ هجرية وحلّل له لبس الحرير من دون باقي المسلمين[٤].

وقال عثمان لعبدالرحمن بن عوف: يا منافق[٥].

وذكر اليعقوبي في تاريخه علاقة عثمان بابن عوف قائلاً: فدعا عثمان حمران مولاه فضربه مائة سوط، وسيّره إلى البصرة، فكان سبب العداوة بينه وبين عبدالرحمن بن عوف[٦].

وجاء في كتاب المعارف: وكان عبدالرحمن بن عوف لا يكلّم عثمان[٧].

وقد دعا ابن عوف لحمل السلاح على عثمان وقد روىٰ ذلك الواقدي في قضية موت أبي ذر في الربذة.

---

(١) الصرف: صبغ أحمر يصبغ به.

(٢) تاريخ المدينة المنوّرة، ابن شبة ٣ / ١٠٣٣.

(٣) الإمامة والسياسة، ابن قتيبة ١ / ٢٤.

(٤) الطبقات، ابن سعد ٣ / ١٣٠.

(٥) تقريب المعارف، الحلبي ٢٣٠، تاريخ الخميس ٢ / ٢٦٨، الردّ على المتعصّب العند، لابن الجوزي ١٠٣، البحار ٣١ / ٢٦٢، ٢٨٨.

(٦) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٦٩ ط. الشريف الرضي، ط. ليدن، مختصر تاريخ دمشق، ابن منظور ١٤ / ٣٥٩.

(٧) تاريخ أبي الفداء ٢٣٢.

ذكر الواقدي: ما كان أحد أشدّ على عثمان من عبدالرحمن بن عوف حتى مات[١].

وقال ابن عوف بأنّ عمر قال عن عثمان: ذلك الرجل إنْ ولّيته جعل خاتمه في إصبع امرأته[٢].

وجاء أيضاً: وطُعن (عبدالرحمن) في حياته وزُعم أنّ عثمان سمّه فمات[٣]، وقد مات سنة ٣٢ هجرية[٤].

وكان عبدالرحمن بن عوف به برص[٥]، وبه جنأ (أحدب)[٦]، وأعرج واهتم (سقطت ثنيتاه)[٧].

ويُذكر أنّه مع وصول الحزب الأموي إلى السلطة كثرت عمليّات الاغتيال والسطو على بيت المال. فلقد قُتل عبدالرحمن بن عوف بالسمّ، كما قال ابنه، بعد أن اشتدّت العداوة بين عثمان وابن عوف[٨].

ولمّا سقىٰ عثمان السمّ لابن عوف مثلما سقىٰ أبا بكر سابقاً أوصىٰ ابن عوف إلى

---

(١) تقريب المعارف ٢٨٠.

(٢) الاستيعاب ٣ // ٢١٦، تهذيب الكمال ١٧ / ٣٢٨، طبقات ابن خيّاط ١٥.

(٣) بحار الأنوار ٢٨ / ٢٩٦.

(٤) الاستيعاب، تهذيب التهذيب ٥ / ١٥٤، ٢ / ٣٩٠.

(٥) المعارف ٢٣٥.

(٦) الواقدي، المعارف ٢٣٦.

(٧) تاريخ ابن عساكر ١٥ / ٣٤٤، المعارف ٢٣٥، تهذيب الكمال ١٧ / ٣٢٦.

(٨) المعارف، ابن قتيبة ص ٥٥٠، تفسير ابن كثير ١ / ٦٥٧، تاريخ دمشق ترجمة عبدالرحمن بن عوف، مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور ٢٨ / ٣٠١، توفي عبدالرحمن بن عوف لسبع سنين خلت من خلافة عثمان، السقيفة سليم بن قيس ١٠٩.

الزبير بن العوام عدوّ عثمان[١]، وصلىٰ عليه الزبير بن العوام[٢]، ووصيّة ابن عـوف للزبير وصلاة الزبير عليه أقوىٰ إهانة وجّهت لحكم عثمان من الناحية السـياسية والدينية فهي بمثابة عدم اعتراف منهما بشرعيّة خلافة عثمان والتشكيك في عدالته، ورفض سلطته!

(١) مختصر تاريخ دمشق، ابن منظور ١٤ / ٣٦١.

(٢) تهذيب الكمال ١٧ / ٣٢٨.

الفصل الرابع:

عثمان - اليهود

بولس الإسرائيلي

ويسمّى بولس وباولوس محرّف النصرانية عن قواعدها مثله مـثل نسـطور وهو مثل بعض القرشيين الذين دخلوا الإسلام كذباً لتحريفه وبـولس هـو الذي ترك شريعة موسى[1]. وبـعد مـطاردة الدولة الرومـية الكـافرة واليهـود لوصي عيسى ﷺ شمعون الصفا وبقيّة الحواريين والمؤمنين واضطهدوهم جاء بولس بـعد ثلاثين سنة وادّعى أنّ عيسى ﷺ ظهر له من السماء في حوران فكفّر أتباعه فتبنّت الدولة الرومانية مسيحية بولس وواصلت اضطهادها للحواريين واتباعهم حـتى انقرضوا[2]. وبولس هو الذي حرّف النصرانية.

وقتل بولص إستِفِنوس أحد الحواريين، ودخل النصرانـية وعـادى شمـعان الصفا وباقي الحواريين إلى حين موته، واختلق الإنجيل على منهجه واعترف بذلك، وأحلّ فيه الخنزير، والحـيّة وكـلب المـاء والخـمر بـينما الخـمر حـرام في التـوراة والإنجيل[3].

---

(١) شرح أصول الكافي، المازندراني ٥ / ٧٨.

(٢) السقيفة، سليم بن قيس تحقيق الأنصاري ٨.

(٣) التوراة ص: ١٧٠ شرح علي قلي جديد الإسلام.

واعتمد عمر على كعب الأحبار اليهودي الذي سعىٰ سعيه لتغيير الإسلام في زمن عمر وعثمان ومعاوية فكان الواعظ الأكبر في المسجد النبوي. ولأجل عيون كعب اليهودي قتل عثمان أبا ذر الغفاري الزاهد العابد الذي استنكر وجود كعب الأحبار في قصر عثمان قائلاً له:

يابن اليهوديين أتعلّمنا ديننا؟ فوالله ما خرجت اليهودية من قلبك[1].

فنفاه عثمان إلى صحراء الربذة القاتلة فمات هناك وأبقىٰ كعب الأحبار واعظاً في المسجد النبوي في يوم الجمعة يعلّم الناس الأحاديث والقصص اليهوديّة[2].

فعمر وعثمان ومعاوية استخدموا كعب الأحبار وقادة الروم جاءوا ببولس الإسرائيلي.

وعمل بولس لحرف النصرانية يساوي عمل عمر لحرف الإسلام فالاثنان سارا في ذات الخطوات والمناهج فعمر منع نسخ القرآن وحرّم تفسير القرآن ومنع تدوين الحديث وأبعد أهل البيت عن السياسة والشرع.

بولص محرّف النصرانية

ذكر القرطبي في تفسيره قتل بولص جماعة من أصحاب عيسىٰ عليه السلام فقال:

«إن كان الحقّ مع عيسىٰ عليه السلام فقد كفرنا وجحدنا وإلى النار مصيرنا، ونحن مغبونون[3]. إن دخلوا الجنّة ودخلنا النار، وإنّي أحتال فيهم فأضلّهم فيدخلون النار، وكان له فرس يقال لها العقاب.

فأظهر الندامة ووضع على رأسه التراب وقال للنصارىٰ: أنا بولص عدوكم

---

(١) البحار ٢٢ / ٤١٥.

(٢) راجع كتاب نظريّات الخليفتين، للمؤلّف. ج ٢. باب نظرية الحزب القرشي في اليهود.

(٣) تفسير القرطبي ٦ / ٢٤.

قد نوديت من السماء أن ليست لك توبة إلّا ان تتنصّر فأدخلوه في الكنيسة بيتاً فأقام فيه سنة لا يخرج ليلاً ولا نهاراً حتىٰ تعلّم الإنجيل، فخرج وقال:

نوديت من السماء أنّ الله قبل توبتك فصدّقوه وأحبّوه، ثمّ مضىٰ إلى بيت المقدس واستخلف عليهم نسطورا وأعلمه أن عيسىٰ بن مريم إلـه، ثمّ توجّه إلى الروم وعلّمهم اللاهوت والناسوت، وقال: لم يكن عيسىٰ عليه السلام بإنس فتأنس ولا بجسم فتجسم ولكنّه ابن الله، وعلّم رجلاً يقال له يعقوب ذلك، ثمّ دعا رجلاً يقال له الملك، فقال له: إنّ الإله لم يزل ولا يزال عيسىٰ، فلمّا استمكن منهم دعا هؤلاء واحداً واحداً وقال له: أنت خالصتي ولقد رأيت المسيح في النوم ورضي عني، وقال لكلّ واحد منهم: إني غداً أذبح نفسي وأتقرّب ملكاً بها، فادع الناس إلى نحلتك، ثمّ دخل المذبح فذبح نفسه، فلمّا كان يوم ثالثه دعا كلّ واحد منهم الناس إلى نحلته، فتبع كلّ واحد منهم طائفة، فاقتتلوا واختلفوا إلى يومنا هذا، فجميع النصارىٰ من الفرق الثلاث.

فهذا كان سبب شركهم فيما يقال والله أعلم. وقد رويت هذه القصّة في معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ »[1].

وكان المسيح يقول كثيراً عبدالله.

فترجمها بولص إلى طفل الله[2].

وبولص هذا الذي لم يدرك عيسىٰ عليه السلام وتنصّر على يد أناثيا أراد حرف النصرانية عن أساسها المستقيم. وبولص معرب پاولوس الإسرائيلي.

وأحلّ بولص للنصارىٰ أكل الخنزير والخمر وارتكاب المعاصي ما ظهر منها

---

(١) المائدة: ١٤.

(٢) نصوص متفرّقة في عقائد النصارىٰ ١٣٣.

وما بطن.

التحالف القرشي اليهودي

التحالف اليهودي ـ القرشي أمرٌ واقعي في مكّة والمدينة.

ونلاحظ في التحالف القرشي اليهودي الأمور التالية:

* كان بعض رجال ذلك التحالف من أصول يهودية وانتماءات حزبية قرشية.

* الخطّ اليهودي يدعو إلى دعم الخطّ الأموي السفياني ـ نسبة إلى أبي سفيان ـ.

* اشتدّ التعاون بين اليهود والخطّ القرشي في زمن خلافة عمر وعثمان ومعاوية.

* وصول كعب الأحبار إلى السلطة ومساعدته في انتخاب عثمان بن عفان ومعاوية بن أبي سفيان.

* اتّهام الدولة لليهود بقتل أبي بكر، وهي حقيقة مبتورة، إذ هيّأ اليهود السمّ وأعطاه رجال الانقلاب له ولطبيبه ولواليه على مكّة عتاب بن أسيد[1].

وتخصّص اليهود في انتاج السموم لا يجاريه أحد، ولا ينكره شخص.

وطبيعة التحالف القرشي ـ اليهودي طبيعة عدوانية معادية للدين ومخالفة للأخلاق ومناهضة للإنسانية.

ومكر اليهود وطغاة مكّة لا يجاريه مكر معتمد على المؤامرات وغير مقيّد بمبدأ أخلاقي.

---

(١) راجع كتاب اغتيال الخليفة أبي بكر والسيدة عائشة للمؤلف.

والمحقّق في أهداف اليهود سابقاً ولاحقاً يلحظ الحركة الشرّيرة في مشاريعهم وأهدافهم.

فالاغتيالات ونشر المخدّرات وإفشاء الفساد وبثّ بذور الفرقة والحروب نظريّات يهوديّة معروفة.

ورجال الحزب القرشي تتلمذوا عند اليهود وجاروهم في مساراتهم وتفوّقوا عليهم في أفعالهم.

فمعاوية تعلّم الطرق والدسائس اليهودية من كعب الأحبار في اليمن عند فراره إليها في فتح مكّة، ثمّ عملا سوية في زمن حكومة عمر وعثمان، وازدادت أفعالها وبرامجها في أيّام سلطة معاوية.

استخدام اليهود والنصارىٰ

كانت علاقة الأمويين بأهل الكتاب قوية ومتينة فهم لا يهمّهم الدين من قريب أو من بعيد.

فاستخدم عثمان كعب الأحبار وسمح له بالخطبة في يوم الجمعة وسمح له بالوعظ الديني في المسجد النبوي.

فاستفاد كعب الأحبار من هذه الفرصة في زمن عمر وعثمان ومعاوية بنشره الإسرائيليّات في أحاديث المسلمين. وعثمان رضي عن هذه الحالة وأيّدها لأغراض لم يفصح بها للناس.

في حين منع عثمان ذكر الحديث النبوي وتدوينه كما فعل أبو بكر وعمر من

قبل، ثمّ استخدم معاوية الطبيب النصراني ابن آثال وعيّنه على خراج حمص[١]. وابن أثال هو الذي قتل عبدالرحمن بن خالد بن الوليد[٢]، واستخدم معاوية الشاعر النصراني الأخطل في هجو الأنصار انتقاماً من سابقتهم في نصرة الإسلام[٣].

وعيّن معاوية كاتباً نصرانياً في قصره اسمه سرجون وكان الأخطل يتبختر بصليبه الذهبي ولحيته التي تنفض خمراً واستمرّ في علاقته الخاصّة بملوك بني أمية حتىٰ أنّه كان يدخل على عبدالملك بن مروان دون إذن وكان ينادم يزيد ويسكر معه وخرج إلى الحج مع يزيد[٤].

وبينما استخدم معاوية المشركين ولم يخف منهم خاف من إسلام غير العرب ودخولهم في الدين. فأعلن عن رغبته في قتل نصفهم قائلاً:

«إنّي رأيت هذه الحمراء قد كثرت وأراها قد طعنت على السلف وكأنّي أنظر إلى وثبة منهم على العرب والسلطان، فقد رأيت أن أقتل شطراً وأدع شطراً لإقامة السوق وعمارة الطريق. فخالفه الأحنف بن قيس وأيّده سمرة بن جندب ثمّ عدل معاوية عن قتلهم.

موقف النبيﷺ من نعثل اليهودي

كثر الحديث عن نعثل وهو الإسم الثاني لعثمان بن عفان لمن سمّاه بهذا الإسم

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢٢٣.

(٢) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٣٧٨، تاريخ الطبري ٢ / ٨٢ـ ٨٣، الأغاني ١٥ / ١٢ـ ١٣.

(٣) الأغاني ١٣ / ١٤٢.

(٤) الأغاني ٨ / ٣٠١، ١٦ / ٦٨، شرح النهج ١ / ١٥٩.

ولماذا؟

قالت عائشة في صلاة الجمعة في المسجد النبوي أمام الملأ من المسلمين بأنّ خاتم الأنبياء ﷺ هو الذي سمّى عثمان بنعثل اليهودي[١].

السؤال هو: هل كان كلام عائشة صحيحاً أم أنّها اختلقت ذلك اختلاقاً؟

قال قاتل عثمان رومان بن سرحان لعثمان على أيّ دين أنت يا نعثل؟

قال المزّي: نعثل اسم يهودي كان بالمدينة طويل اللحية، وكان بعض الناس وعائشة يسمّون عثمان بنعثل[٢].

إذاً كان بعض الناس مع عائشة يسمّون عثمان بنعثل اليهودي.

والأدلّة على ذلك:

قالت عائشة لعثمان: يا نعثل يا عدوّ الله إنّما سمّاك رسول الله ﷺ باسم نعثل اليهودي الذي باليمن فلاعنته ولاعنها[٣].

وقالت عائشة وحفصة لعثمان: سمّاك رسول الله ﷺ نعثلاً تشبيهاً بكر اليهودي[٤].

وقال عمار بن ياسر في مسجد قباء: ألا إنّ نعثلاً هذا...[٥].

عندما دخل عثمان المسجد ناداه بعضهم يا نعثل[٦].

---

(١) الطبقات، ابن سعد ٣ / ٧٣، ٧٨، ٧٩.

(٢) تهذيب الكمال، ١٩ / ٤٥٥، ميزان الاعتدال، الذهبي ٢ / ١١٠، أنساب الأشراف ٣١٥، الإمامة والسياسة ١ / ٦٣، الفتوح، ابن أعثم ١ / ٦٤.

(٣) كشف الغمّة، الإربلي ١٠٨.

(٤) الصراط المستقيم ٣، الباب ١٢ / ٣٠.

(٥) مختصر تاريخ دمشق، ابن منظور ١٨ / ٢٣٠.

(٦) تاريخ المدينة المنوّرة ٣ / ١١١١.

وعندما عطش عثمان وطلب الماء ناداه الزبير بن العوام يا نعثل لا والله لا تذوقه[١].

عن مجاهد عن ابن عباس: قَدِم يهودي يقال له: نعثل، فقال: يا محمّد أسألك عن أشياء تلجلج في صدري منذ حين[٢].

وقال الكلبي في كتاب المثالب: كان عثمان يضرب بالدفّ[٣].

وذكر العلماء فتوىٰ عائشة الخطيرة في حقّ عثمان وهي:

اقتلوا نعثلاً فقد كفر[٤].

وفي رواية: أراد عثمان أن يتهوّد بعد خسارة المسلمين في معركة أحد[٥].

ولمّا استقال عبدالله بن الأرقم من مسؤولية بيت المال أعطىٰ عثمان تلك الوظيفة العالية لزيد بن ثابت اليهودي[٦].

ولمّا قُتل عثمان قال الناس: قُتل عدوّ الله نعثل[٧].

وإنّه لمّا كانت وقعة أحد اشتدّ الأمر على طائفة من الناس تخوّفوا أن يدال عليهم الكفار، فقال رجل لصاحبه، أمّا أنا فإنّي ذاهب إلى ذلك اليهودي، فآوي إليه، وأتهوّد معه، لعلّه ينفعني إذا وقع أمر، أو حدث حادث، وقال الآخر: أمّا أنا فإنّي ذاهب إلى فلان النصراني في الشام، وأتنصّر معه، فأنزل الله: ﴿يا أيّها الّذين

(١) الجمل، الشيخ المفيد ٧٥.

(٢) ينابيع المودّة ٢ / ٥٢٩، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف.

(٣) الصراط المستقيم ٣، الباب ١٢ / ٣٠.

(٤) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٢٠٦، تاريخ الطبري ٣ / ٤٧٧.

(٥) نهج الحقّ، الحلّي ٣٠٥، البحار ٣٠ / ٣١٥، ٣٧٠.

(٦) مختصر تاريخ ابن عساكر ٩ / ١١٩.

(٧) الطبقات، ابن سعد ٥ / ٤٨.

آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾[١].

وقد ذكر المفسّر الكبير السدّي بأنّ الرجلين هما عثمان وطلحة[٢].

وبقي عثمان محبّاً لليهود كما سترىٰ ذلك في الموضوع القادم!

إذن كان معظم الصحابة في زمن عثمان يسمّونه بنعثل اليهودي طبقاً لقول النبي ﷺ فيه[٣].

كعب الأحبار وعثمان

كان كعب الأحبار يهوديّاً ماكراً ساعياً لتحطيم التراث الإسلامي بصور مختلفة منها دسّ الروايات اليهوديّة المزيّفة فيه.

روى ابن الأثير أنّ أبا ذر قال: لا ترضوا من الأغنياء حتىٰ يبذلوا المعروف، ويحسنوا إلى الجيران والإخوان ويصلوا الأقرباء.

فقال كعب الأحبار ـ وكان حاضراً ـ من أدّى الفريضة فقد قضىٰ ما عليه.

فضربه أبو ذر فشجّه، وقال له: يا ابن اليهودية، ما أنت، وما هاهنا؟

فاستوهب عثمان كعباً شجّته، فوهبه[٤].

وقال عثمان يوماً (والناس حوله): أيجوز للإمام أن يأخذ من المال شيئاً قرضاً، فإذا أيسر قضىٰ؟

---

(١) المائدة ٥ / ٥١، تفسير ابن كثير ٢ / ٦٨، وتفسير الخازن ١ / ٥٠٣، والدرّ المنثور ٢ / ٢٩١، عن ابن جرير وابن أبي حاتم عن السدّي.

(٢) ابن طاووس في الطرائف.

(٣) تقريب المعارف ٢٨٧.

(٤) الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٣ / ١١٥، تاريخ الطبري ٤ / ٢٨٣ ـ ٢٨٤، البداية والنهاية، ابن كثير ٧ / ١٧٠.

فقال كعب الأحبار: لا بأس بذلك.

فقال أبو ذر: يا ابن اليهوديين، أتعلّمنا ديننا؟

فقال عثمان: قد كثر أذاك لي، وتولّعك بأصحابي، إلحق بالشام، فأخرجه إليها[1].

فظهر من خلال النصوص عمق العلاقة بين عثمان وبين شيطان اليهود كعب إلى درجة إقدام عثمان على نفي أبي ذر وقتله في هذا السبيل!

فيلاحظ من ذلك بأنّ كعب الأحبار تدخل في النصوص الإسلامية، وقيّد الأعمال الصالحة كما قيّدها أهل الكتاب، ودافع عن الزعماء والأغنياء وأجاز لهم ما لا يجيزه لغيرهم. ونلمس دفاع عثمان بن عفان عنه كما كان يفعل عمر بن الخطاب معه إلى درجة وصفه كعباً بأنّه واحد من أصحابه.

ووصف أبو ذر كعباً باليهودية منكراً تدخله في الشريعة الإسلامية، شأنه في ذلك شان عمار بن ياسر وباقي أصحاب رسول الله ﷺ الذين شكّكوا في إيمان كعب الأحبار.

وفي تفسير الثعلبي قضى النبي ﷺ على عثمان ليهودي فغضب فنزل فيه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾[2].

وحصل اليهود على مراكز مهمّة في أيّام وزارة مروان بن الحكم لعثمان، وخطأ عثمان الكبير تمثّل في إعطائه الوزارة لمروان وإطلاق يده في الأمور يفعل ما يشاء.

---

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٨ / ٢٥٢ ـ ٢٥٦.

(٢) النساء ٦٥، تفسير السدّي النور ٤٨ ـ ٥٠ ـ المائدة ٥١.

فحصل معاوية بن حديج السكوني على منزلة جيّدة في الدولة، وكانت أمّه يهودية[١].

وهو من الأشخاص المتجاهرين بسبّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فظهر لنا من النصوص الصحيحة تسمية رسول الله صلى الله عليه وآله لعثمان بنعثل اليهودي لمغزاه في الحديث عمّن سار على منحى اليهود ومسلكهم، وخالف الإسلام والمسلمين.

وكان عثمان قد أعلن عن رغبته في التهوّد بعد هزيمة المسلمين في معركة أحد وفي أيّام حكومته قرّب اليهود وساعدهم وهم اليهود المعلنون للإسلام والذين يشكّك المسلمون في إسلامهم مثل كعب الأحبار وعبدالله بن سلام وزيد بن ثابت.

وأخذ الصحابة بقول رسول الله صلى الله عليه وآله حاكمين على عثمان بالتهوّد منادينه بنعثل اليهودي في المسجد النبوي جاعلين قبره بين قبور اليهود، في المقبرة اليهودية حش كوكب[٢].

من دُفن في مقبرة اليهود

قال ابن الأثير: وبقي عثمان ثلاثة أيّام لا يدفن[٣] ثمّ دُفن في مقبرة اليهود.

مقبرة اليهود في المدينة تسمّىٰ حشّ كوكب وهي التي دفن مسلموا المدينة فيها عثمان بن عفان لاعتقادهم بخروجه عن الإسلام وبينها وبين مقبرة البقيع

---

(١) الغارات، الثقفي ١٨٦، ١٨٨.

(٢) طبقات ابن سعد ٣ / ٧٨، ٧٩، مختصر تاريخ دمشق ١٥ / ١١٠، ١١١.

(٣) الكامل في التاريخ ٣ / ١٨٠.

حائط فهدمه معاوية وأمر الناس بدفن المسلمين فيها[١].

وإن تعجب، فعجب دفن عثمان بن عفان فقد ذكر محمد بن عمر الواقدي: خرجت نائلة بنت الفرافضة تلك الليلة (ليلة السبت بين المغرب والعشاء) وقد شقّت جيبها قُبُلاً ودُبُراً، ومعها سراج وهي تصيح: وا أمير المؤمنيناه.

فقال لها جُبير بن مطعم: أطفئي السراج لا يُفْطَن بنا فقد رأيتِ الغواة الذين على الباب. فأطفأت السراج، وانتهوا إلى البقيع، فصلّى عليه جبير بن مطعم، وخلفه حكيم بن حزام وأبو جهم بن حذيفة ونيار بن مكرم الأسلمي ونائلة بنت الفرافضة وأمّ البنين بنت عُيينه، امرأتاه.

وشقّ المرأة لجيبها قبلاً ودبراً حرام؛ لأنّه إظهار لمفاتناها، والأمر الآخر الذي نفهمه من الرواية عدم رغبة المسلمين الصحابة من المهاجرين والأنصار في الصلاة عليه.

فإذا كان المسلمون جميعاً رأيهم مخالفاً لعثمان فيا ترىٰ كيف تمكّن الأمويون من تحريف الكثير من الحقائق الواردة في حقّه.

وجاء في رواية أخرىٰ عن الربيع بن مالك بن أبي عامر عن أبيه قال كنتُ أحد حَمَلة عثمان بن عفان حين توفي، حملناه على باب، وإنّ رأسه ليَقْرَعُ الباب لإسراعنا به، وإنّ بنا من الخوف لأمراً عظيماً، حتىٰ واريناه في قبره في حشّ كوكب[٢].

ولمّا أرادوا دفنه في البقيع منع من ذلك رجال من بني ساعدة فردّوه إلى حشّ

---

(١) البحار ٣١ / ١٦٧، الفتنة، سيف بن عمر ٨٤، المعجم الكبير، الطبراني ١ / ٧٩، شرح النهج ٢ / ١٥٨، أسد الغابة ١ / ٧٥.

(٢) طبقات ابن سعد ٣ / ٧٨، ٧٩، مختصر تاريخ دمشق، ابن منظور ١٥ / ١١٠، ١١١.

كوكب[1].

وقالت عائشة في مسجد النبي ﷺ: اقتلوا نعثلاً قتله الله، فقد أبلىٰ سنّة رسول الله، وهذه ثيابه لم تبلَ وخرجت إلى مكّة[2].

وطبقاً لفتوىٰ عائشة في تكفير عثمان لا يجوز دفنه في مقبرة المسلمين! ولكن هل كُفِّرَ عثمان من قبل عائشة فقط؟

قال محمد بن أبي بكر لعثمان: على أيّ دين أنت يا نعثل[3]؟

وقالت جماعة طلحة بن عبيدالله عند قدوم جنازة عثمان: نعثل نعثل[4].

وكان عمار بن ياسر وعبدالله بن مسعود والمقداد بن عمرو يستحلون دم عثمان[5].

إذ قال عمّار: نزعت عثمان كما نزعت عمامتي هذه[6].

وقال مسلموا المدينة والأمصار عند جنازة عثمان: نعثل نعثل[7].

وهو نعثل بقول أعين[8].

وترك المسلمون أعوان عثمان حتىٰ أكلتهم الكلاب، ودفنوا عثمان ليلاً[9].

---

(١) العقد الفريد ٤ / ٢٧٠.

(٢) الفتوح، ابن أعثم ١ / ٤٢٠، كشف الغمّة ٢ / ١٠٨.

(٣) طبقات ابن سعد ٣ / ٧٢، البداية والنهاية ٧ / ١٩٣، تاريخ ابن الأثير ٣ / ١٧٨، شرح النهج ٢ / ١٥٧، الإمامة والسياسة ١ / ٤٤، أنساب الأشراف ٥ / ٨٢، ٩٢، ٩٨.

(٤) شرح النهج ١٠ / ٧.

(٥) أضواء على السنّة المحمّدية، محمود أبو رية ٣٦١.

(٦) مختصر تاريخ دمشق ١٦ / ١٨٤.

(٧) تاريخ الطبري ٣ / ٤٣٩.

(٨) تاريخ دمشق ١٦ / ١٧٥.

(٩) مختصر تاريخ ابن عساكر ١٦ / ٢٧٠.

ولمّا قُتل عثمان مكث ثلاثاً لا يدفن حتىٰ هتف بهم هاتف أن ادفنوه ولا تصلّوا عليه[١].

وقال مالك: قُتل عثمان فأقام مطروحاً على كُناسة (مزبلة) بني فلان ثلاثاً[٢].

وبلغت الحالة الدينية ضعفاً خطيراً عند الأمويين إلى درجة إقدام نائلة زوجة عثمان بن عفان على تقبيل رجل معاوية بن حديج الفاجر لقتله محمّد بن أبي بكر قائلة له: بك أدركت ثاري[٣].

وهكذا قتل الناس عمر وعثمان وقال الشعبي عن مقتل عمر: لم يقتل عمر حتىٰ ملته قريش[٤].

رغبة اليهود في اخراج النبي ﷺ من المدينة

بعدما سيطر رسول الله ﷺ على شبه جزيرة العرب ونشر فيها الإسلام وفرض فيها الأمن والسلام تحرّك نحو الشام لتبليغ الإسلام والقضاء على الظلم و الفساد في تلك البلاد.

وبينما كانت أهداف رسول الله ﷺ سامية وإنسانية وإلهيّة كانت العصابات الدنيوية تخطّط لتنفيذ غاياتها الاجرامية.

فاليهود يأملون في خروج النبي محمد ﷺ إلى الشام ليكون امام الامبراطورية الرومية والاثنان عدوان لليهود.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) مختصر تاريخ دمشق ١٦ / ٢٧٠. تاريخ ابن الأثير ٣ / ١٨٠.

(٣) الولاة. محمّد بن يوسف الكندي ٣٠.

(٤) مختصر تاريخ دمشق ١٦ / ١٨٤.

ورغبة اليهود جامحة للتخلّص من رسول الله ﷺ ونظامه الإسلامي.

أمّا الحزب القرشي بغلوله المتمثّلة في الطلقاء والأعراب ومنافقي المدينة وجواسيس قريش من المهاجرين فيهدفون إلى اغتيال خاتم الأنبياء والسيطرة على الحكومة الإسلامية.

وفي تلك الظروف العصيبة والأوقات المرّة قرّر سيد الرسل الشروع في حملة تبوك.

وعندما انتهى رسول الله ﷺ إلى تبوك أتاه يحنّه بن رؤبة صاحب أيلة فصالح رسول الله ﷺ وأعطاه الجزية وصالحه أهل جرباء وأذرح فأعطوه الجزية وكتب رسول الله لكل كتاباً.

أمّا عن علاقة اليهود بحملة تبوك فقد جاء في تفسير قوله تعالى:

﴿وَإِنْ كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّوْنَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجُوْكَ مِنْها وَإِذاً لا يَلْبَثُوْنَ خِلافَكَ إِلاّ قَلِيْلا﴾[1].

بأنّها نزلت في اليهود الذين قالوا لرسول الله: إنّ الأنبياء إنّما بعثوا بالشام وهي بلاد مقدسة وكانت مهاجر إبراهيم ﷺ فلو خرجت إلى الشام لآمنا بك واتبعناك وقد علمنا إنّه لا يمنعك من الخروج إلّا خوف الروم، فإن كنت رسول الله فالله مانعك منهم.

فغزا النبي ﷺ غزوة تبوك لا يريد إلّا الشام فلما بلغ تبوك انزل الله تعالى آياته في ذلك وأمره بالرجوع إلى المدينة ففيها محيّاه ومماته ومنها يبعث[2].

(١) الإسراء ٧٦.

(٢) الروض الأنف، السهيلي، موضوع غزوة تبوك، دلائل النبوة، البيهقي ٥ / ٢٥٤.

الفصل الخامس:

عثمان ـ أرحامه

دعم عثمان لأبي سفيان

أعطىٰ أبا سفيان بن حرب مائتي ألف من بيت المال في اليوم الذي أمر فيه لمروان بن الحكم بمائة ألف من بيت المال قاله ابن أبي الحديد في الشرح[1].

قال الأميني: لا أرىٰ لأبي سفيان المستحقّ للمنع عن كلّ خير أيّ موجب لذلك العطاء الجزل من بيت مال المسلمين، وهو ـ كما في الاستيعاب لأبي عمر عن طائفة ـ كان كهفاً للمنافقين منذ أسلم وكان في الجاهليّة ينسب إلى الزندقة. قال الزبير يوم اليرموك لمّا حدّثه ابنه أنّ أبا سفيان كان يقول: إيه بني الأصفر: قاتله الله يأبى إلّا نفاقاً أوَلسنا خيراً له من بني الأصفر؟ وقال له عليّ عليه السلام: «ما زلت عدوّاً للإسلام وأهله».

ومن طريق ابن المبارك عن الحسن: أنّ أبا سفيان دخل على عثمان حين

---

(١) شرح نهج البلاغة: ١ / ١٩٩ خطبة ٣.

صارت الخلافة إليه فقال: صارت إليك بعد تيم وعدي فأدرها كـالكرة، واجـعل أوتادها بني أُميّة، فإنّما هو الملك ولا أدري ما جنّة ولا نار. فصاح به عثمان: قم عنّي فعل الله بك وفعل[1].

وفي تاريخ الطبري[2]: يا بني عبدمناف تلقّفوها تلقّف الكرة، فما هناك جنّة ولا نار.

وفي لفظ المسعودي: يا بني أُميّة تلقّفوها تلقّف الكرة، فوالذي يحلف بـه أبـو سفيان ما زلت أرجوها لكم ولتصيرنّ إلى صبيانكم. مروج الذهب[3].

وأخرج ابن عساكر في تاريخه[4] عن أنس: أنّ أبا سفيان دخل عـلى عـثمان بعدما عمي فقال: هل هنا أحد[5]؟

فقالوا: لا.

فقال: اللهمّ اجعل الأمر أمر جاهليّة، والملك ملك غـاصبيّة، واجـعل أوتـاد الأرض لبني أُميّة.

وقال ابن حجر: كان رأس المشركين يوم أُحد ويوم الأحزاب، وقال ابن سعد في إسلامه: لمّا رأى الناس يطؤون عقب رسول الله ﷺ حسده، فقال في نفسه: لو عاودت الجمع لهذا الرجل. فضرب رسول الله في صدره ثمّ قال: «إذاً يخزيك الله» وفي رواية: قال في نفسه: ما أدري لِمَ[6] يغلبنا محمد؟ فضرب في ظهره وقال: «بالله

---

(١) الاستيعاب: القسم الرابع / ١٦٧٨ ـ ١٦٧٩ رقم ٣٠٠٥.

(٢) تاريخ الأُمم الملوك: ١٠ / ٥٨ حوادث سنة ٢٨٤ هـ

(٣) مروج الذهب: ٢ / ٣٦٠.

(٤) تاريخ مدينة دمشق: ٤٧١/٢٣ رقم ٢٨٤٩، وفي مختصر تاريخ دمشق: ٦٧/١١.

(٥) في المصدر: ها هنا أحد؟

(٦) في الإصابة: بِمَ...

يغلبك»(١).

وإن سألت مولانا أمير المؤمنين عن الرجل فعلى الخبير سقطت، قال في حديث له: «معاوية طليق ابن طليق، حزب من هذه الأحزاب، لم يزل لله عزّوجل ولرسوله ﷺ وللمسلمين عدوّاً هو وأبوه حتى دخلا في الإسلام كارهين»(٢).

وحسبك ما في كتاب له إلى معاوية بن أبي سفيان من قوله: «يابن صخر يابن اللعين»(٣) ولعلّه ﷺ يوعز بقوله هذا إلى ما رويناه من أنّ رسول الله ﷺ لعنه وابنيه معاوية ويزيد لمّا رآه راكباً وأحد الولدين يقود والآخر يسوق فقال: «اللهمّ العن الراكب والقائد والسائق»(٤).

حكومة الصبيان

قام الأنبياء والمرسلون بهداية البشر إلى الخير والصلاح وإرشادهم إلى الحضارة وانتشالهم من الظلم والسقم والمرض. فبذلوا في هذه الدروب الصعبة أرواحهم وقدّموا مهجهم رخيصة بلا تردّد. فكم من نبي قُتل دون معرفة قاتله وكم من نبيّ سجن ظلماً وعدواناً.

وفي الجانب الآخر سعى الطالحون الفاسدون المرجفون في سبيل كسر شوكة البشرية وسحقهم واستضعافهم دون تردّد لصالح فئة قليلة من الناس.

---

(١) الإصابة ٢: ١٧٩.

(٢) تاريخ الطبري: ٦/٤ [٥/٨ حوادث سنة ٣٧ هـ].

(٣) شرح ابن أبي الحديد: ٤١١/٣ و ٥١/٤ [٨٢/١٥ كتاب ١٠ و ١٣٥/١٦ كتاب ٣٢].

(٤) راجع ما أسلفناه في الجزء الثالث: صفحة ٢٢٢ الطبعة الأولى، و ٢٥٢ الطبعة الثانية [أنظر تاريخ الأمم والملوك: ٥٨/١٠ سنة ٢٨٤ هـ].

ومن هؤلاء أبو سفيان وأبو جهل وأبو لهب فقد قال أبو سفيان في مجلس عثمان بن عفان:

يا بني أمية تلقّفوها تلقّف الكرة، فوالذي يحلف به أبو سفيان ما زلت أرجوها لكم، ولتصيرنّ إلى صبيانكم وراثة[١].

إذن وضع أبو سفيان حجر الأساس للدولة الجديدة القائمة على الصبيان والمرتكزة على الوراثة السياسية، والمستندة على الكفر.

وكلّ هذه الأسس وضعت في قصر عثمان ولو علم أبو سفيان بمخالفة عثمان لقوله لما قاله.

لو عرف أبو سفيان بمعارضة أحد الأمويين لكفره لامتنع عنه. وحكومة الصبيان الأمويين التي أسّسها عثمان تثبت مراعاته هذا الجانب.

قال شبل بن خالد لعثمان في قصره والجالسون من الأمويين معترضاً على توليته أبي موسى الأشعري على البصرة: ما لكم معشر قريش؟ أما فيكم صغير تريدون أن ينبل؟ أو فقير تريدون غناه؟ أو خامل تريدون التنويه باسمه؟ علام أقطعتم الأشعري العراق يأكلها هضماً؟

فقال عثمان: ومَن لها؟

فأشاروا بعبدالله بن عامر (ابن خال عثمان) وهو ابن ستّ عشرة سنة فولّاه حينئذٍ[٢].

ولم يخالف عثمان هذا المنطق القبلي الجاهلي المخالف للعقل والحكمة والمتعارض

---

(١) مروج الذهب، المسعودي ١ / ٤٤٠، العثمانية، الجاحظ ٢٣.

(٢) الاستيعاب، القسم الثالث ٩٣٢ ترجمة عبدالله بن عامر.

مع الإسلام الداعي إلى تولية أهل العلم والعقل والإيمان والسابقة والتجربة والشجاعة مثلما ولّى النبي ﷺ خالد بن سعيد بن العاص على اليمن.

وسار عثمان على هذا المشروع الأموي كاملاً فتحقّق ما قاله سيد الرسل ﷺ: هلاك هذه الأمّة على يد أغيلمة من قريش[1].

وقال النبي ﷺ: إنّ فساد أمّتي على يدي غلمة سفهاء من قريش[2].

وقال النبي ﷺ أيضاً سيكون بعدي أمراء فمن دخل عليهم فصدّقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه وليس بوارد علَيّ الحوض ومن لم يدخل عليهم ولم يصدّقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه وسيرد علَيّ الحوض[3].

فعيّن عثمان عبدالله بن عامر على البصرة والوليد بن عقبة على الكوفة ثمّ عيّن بعده سعيد بن العاص على الكوفة وعيّن عبدالله بن أبي سرح الماجن على أفريقيا، وعين مروان وزيراً.

وقال عثمان: أتعلمون أنّ رسول الله ﷺ كان يؤثر قريشاً على سائر الناس ويؤثّر بني هاشم على سائر قريش؟

فسكت القوم، فقال عثمان: لو أنّ بيدي مفاتيح الجنّة لأعطيتها بني أمّية حتى يدخلوا من عند آخرهم[4].

لقد افترى عثمان على النبي ﷺ هنا إذ لم يعطِ النبي محمّدا ﷺ درهماً إضافياً

---

(١) مستدرك الحاكم ٤ / ٤٧٩، ٤ / ٥٢٦، سنن البيهقي ١٠ / ١١٨، مجمع الزوائد ٥ / ٢١١.

(٢) سنن البخاري، كتاب الفتن ١٠ / ١٤٦، ٣ / ١٣١٩ ح ٣٤١٠، المستدرك، الحاكم ٤ / ٤٧٠، ٤ / ٥١٧، ح ٨٤٥٠.

(٣) تاريخ الخطيب ٢ / ١٠٧ رقم ٥٠٠ مسند أحمد بن حنبل ٤ / ٢٦٧، ٥ / ٣٣٣ ح ١٧٨٨٩، ١ / ٤٥٦.

(٤) مسند أحمد بن حنبل ١ / ٦٢.

إلى ابنته فاطمة عليها السلام.

وكان أبو سفيان وعثمان ومعاوية متّفقين على الحكومة الوراثية لبني أمية، للعودة بالأمّة إلى العصر الجاهلي واستعباد مجموعة الناس! إذ قالها أبو سفيان وسار عليها عثمان بعزله وصيّه الذي جاء به إلى السلطة عبدالرحمن بن عوف.

ولمّا انتفض ابن عوف مطالباً بما اتّفقا عليه من توليته الخلافة لعثمان وإرجاعها إليه غضب عليه عثمان وقتله.

وأنا أعجب كيف اقتنع ابن عوف بإرجاع عثمان الخلافة إليه وفي بني أمية أبو سفيان ومعاوية ومروان وسعيد بن العاص والوليد!

لكن الله سبحانه وتعالىٰ أفقده حكمته بما خان بيعة الغدير ونكث صفقة الإسلام لصالح صفقة السياسة!

وقبل موته تركه الناس جميعاً لا يكلّموه ولا يبايعوه امتثالاً لأمر عثمان، وهو الذي جاء بعثمان إلى الخلافة! فعاش في حسرة عقيمة وندم وخسران.

عبدالله بن سعد بن أبي سرح

كان عبد الله بن سعد بن أبي سرح من طغاة قريش المحاربين للإسلام في مكّة والمدينة، وهو مثل جواسيس قريش الداخلين في الإسلام كذباً مثل عمرو بن العاص لكنّه لم يتحمّل الأجواء الإسلامية في المدينة وارتدّ راجعاً إلى مكّة معلناً عن تغييره لآيات من القرآن الكريم!

فحكم عليه رسول الله صلى الله عليه وآله بالقتل.

وأمّه من ذوات رايات الفحش في الجاهلية كما ذكرها الشاعر حسّان بن

ثابت.

ونزلت فيه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾[١].

إذ قال حسّان بن ثابت يهجو سعد بن أبي سرح:

واللهِ مـــا أدري وإنّـــي لســـائلٌ مهانَةُ[٢]، ذات الخيف الأم أم سعدُ
أعَـبْدُ هـجينٌ أحـمر اللـون فـاقعٌ مـوَتَّر عِـلْباءِ القـفا قـطَطٌ جَـعْدُ[٣]
وكَـان أبـو سـرح عـقيماً فـلم يكـن له ولدٌ حـــتى دُعـــيتَ له بَـعْدُ[٤]

وكان ابن أبي سرح طاغية لا يعتني بالأخلاق ولا يراعي حرمة للدماء فقد قتل شخصاً مؤمناً متظلّماً إلى عثمان بن عفان[٥].

وهو يتوافق مع عثمان في نظرته إلى النبوّة والإسلام والمسلمين والمال لذا كتب عثمان رسالة إليه يدعوه فيها إلى المكر بالمسلمين المتظلّمين في شأنه إليه.

والمكر بهم يعني قتلهم وإفناءهم[٦].

وهم محمد بن أبي حذيفة ومحمد بن أبي بكر وجماعة كثيرة من أهل أفريقيا.

ومما نقم الناس على عثمان: أنّه آوىٰ طريد رسول الله ﷺ الحكم بن أبي العاص ـ ولم يُؤوِهِ أبو بكر ولا عمر ـ وأعطاه مائة ألف.

وسيّر أبا ذر إلى الربذة.

---

(١) الأنعام: ٩٣، الكافي، الكليني ٨ / ٢٠١، معاني الأخبار، الصدوق ٣٤٧.

(٢) مهانة: اسم أمّ سعد واسم زوجته أيضاً.

(٣) موتر: مشدود، علباء: عصب العنق، القطط والجعد: القصير من الشعر، الشديد الجعودة.

(٤) ديوان حسّان بن ثابت ص ٨٢ طبعة صادر ـ بيروت.

(٥) سيرة ابن حبان ١ / ٥١٢.

(٦) راجع سيرة ابن حبان ١ / ٥١٤.

وسير عامر بن عبد قيس من البصرة إلى الشام؛ وطلب منه عبدالله بن خالد بن أسيد صلة، فأعطاه أربعمائة ألف، وتصدّق رسول الله ﷺ بمهزون ـ موضع سوق المدينة ـ على المسلمين، فأقطعها الحرث بن الحكم أخا مروان؛ وأقطع فدك مروان، وهي صدقة لرسول الله ﷺ، وافتتح أفريقيا، فأخذ خمس الفيء فوهبه لمروان[١].

ولما بعث ابن أبي سرح بخمس أفريقيا إلى عثمان اشتراه مروان بن الحكم بخمس مائة ألف دينار، فوضعها عنه عثمان، وهذه من الأمور التي أنكرت عليه[٢].

وكان النبي ﷺ قد أهدر دم ستّة رجال وأربع نسوة عكرمة بن أبي جهل ثمّ استأمنت له زوجته أمّ حكيم، فأمنه فقدم عكرمة فأسلم وهبار بن الأسود (الذي لحق زينب بنت النبي ﷺ في طريق المدينة) وعبدالله بن سعد بن أبي سرح وكان أخا عثمان بن عفان من الرضاعة، فأتى عثمان به النبي ﷺ وسأل فيه، فصمت النبي ﷺ طويلاً ثمّ أمّنه فأسلم، وقال لأصحابه: إنّما صمت ليقوم أحدكم فيقتله.

فقالوا: هلّا أومأت إلينا.

فقال: إنّ الأنبياء لا تكون لهم خائنة الأعين، وكان عبدالله المذكور قد أسلم قبل الفتح، ثمّ ارتدّ وادعى كذبا انه كتب الوحي وبدّل بعض كلمات القرآن.

ومقيس بن صبابة لقتله الأنصاري الذي قتل أخاه خطأ وارتدّ.

وعبدالله بن هلال، كان قد أسلم ثمّ قتل مسلماً وارتدّ، والحويرث بن نفيل، وكان يؤذي رسول الله ﷺ ويهجوه فلقيه علي بن أبي طالب عليه السلام فقتله، وأمّا النساء

---

(١) العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي ٤ / ٢٦٧.

(٢) تاريخ أبي الفداء ١ / ٣٣٣.

فإحداهنّ هند زوج أبي سفيان أمّ معاوية التي أكلت من كبد حمزة، فأسلمت هند وقينة لهلال بن عبدالله بن خطل فعفا رسول الله عنهما[١].

الحكم بن أبي العاص

الحكم بن أبي العاص من طغاة قريش وفراعنتها المصرّين على حرب الإسلام بكلّ السبل الممكنة.

كان خصّاء يخصي الغنم[٢] أحد جيران رسول الله ﷺ من أولئك الأشدّاء عليه ﷺ المبالغين في إيذائه شاكلة أبي لهب كما قاله ابن شهام في سيرته[٣]، وأخرج الطبراني[٤] من حديث عبدالرحمن بن أبي بكر قال: كان الحكم يجلس عند النبيّ ﷺ فإذا تكلّم اختلج، فبصر به النبي ﷺ فقال: «كن[٥] كذلك» فما زال يختلج حتى مات.

وفي لفظ مالك بن دينار: مرّ النبيّ ﷺ بالحكم فجعل الحكم يغمز النبي ﷺ بإصبعه فالتفت فرآه فقال: «اللهمّ اجعل به وزغاً»[٦] فرجف مكانه وارتعش. وزاد الحلبي: ومات بعد أن مكث شهراً مغشيّاً عليه[٧].

---

(١) تاريخ أبي الفداء ١ / ٢٠٦، فتوح البلدان، البلاذري ٥٤، عين العبرة، ابن طاووس ٣٤.

(٢) حياة الحيوان للدميري: ١ / ١٩٤ [١ / ٢٧٦] . (المؤلف)

(٣) السيرة النبويّة: ٢ / ٥٧.

(٤) المعجم الكبير: ٣ / ٢١٤ ح ٣١٦٧.

(٥) كذا في الإصابة، وفي المعجم الكبير: أنت.

(٦) الوزغ: الارتعاش والرعدة. (المؤلف)

(٧) الإصابة: ١/٣٤٥، ٣٤٦ [رقم ١٧٨١] ، السيرة الحلبيّة: ١/٣٣٧ [١/٣١٧] ، الفائق للزمخشري: ٢/٣٠٥ [٤/٥٧ـ٥٨] تاج العروس: ٦/٣٥. (المؤلف)

كما أسلفناه من طرق الحفّاظ[1] الطبراني والحاكم والبيهقي.

روى البلاذري[2]: إنّ الحكم بن أبي العاص كان جاراً لرسول الله ﷺ في الجاهلية وكان أشدّ جيرانه أذىً له في الإسلام، وكان قدومه المدينة بعد فتح مكّة وكان مغموصاً عليه في دينه، فكان يمرُّ خلف رسول الله ﷺ فيغمز به ويحكيه ويخلج بأنفه وفمه، وإذا صلّى قام خلفه فأشار بأصابعه، فبقي على تخليجه وأصابته خبلة، واطّلع على رسول الله ﷺ ذات يوم وهو في بعض حُجر نسائه فعرفه وخرج إليه بعنزة[3] وقال: «من عذيري من هذا الوزغ اللعين؟» ثمّ قال: لا يساكنني ولا ولده فغرّبهم جميعاً إلى الطائف، فلمّا قبض رسول الله ﷺ كلّم عثمان أبا بكر فيهم وسأله ردّهم فأبى ذلك وقال:

ما كنت لآوي طرداء رسول الله ﷺ. ثمّ لمّا استخلف عمر كلّمه فيهم فقال مثل قول أبي بكر.

فلمّا استخلف عثمان أدخلهم المدينة وقال: قد كنت كلّمت رسول الله فيهم وسألته ردّهم فوعدني أن يأذن لهم فقُبض قبل ذلك. فأنكر المسلمون عليه إدخاله إيّاهم المدينة، وكذبه على النبي ﷺ.

فالحكم بن أبي العاص كان من أشدّ الكفار عداوة وحرباً للرسول ﷺ في مرحلتي الدعوة والدولة، ثمّ صار طليقاً من الطلقاء بعد فتح مكّة، ولكن لم يتوقّف عن عداوته وكيده. ولكن عثمان أعطاه من بيت مال المسلمين ما حوله من الفقر المدقع إلى الغنى الفاحش، وكان عثمان يحبّه حبّاً شديداً، رغم كراهية الحكم

(١) المستدرك على الصحيحين: ٣ / ٦٧٨ ح ٤٢٤١، دلائل النبوة: ٦ / ٢٣٩، ٢٤٠.

(٢) الأنساب، البلاذري ٥ / ٢٧.

(٣) العنزة: عصاً في قدر نصف الرمح أو أكثر، فيها سنان مثل سنان الرمح.

للرسول ﷺ، وكراهية الرسول له.

وعندما مات الحكم أقام عثمان على قبره فسطاطاً، على عادة أهل الجاهلية بإظهار الحزن عليه[١]. فأظهر حبّه للحكم عدوّ النبي ﷺ وأقام مراسم جاهلية له!

وأمّا ابنه مروان، أحد أعمدة الشرك، فقد قرّبه عثمان، وزوّجه من ابنته، وجعله رئيساً لوزرائه وكاتماً لأسراره، وأعطاه خمس غنائم أفريقيا[٢]، ومنحه فدك التي اغتصبها من صاحبة الحقّ الشرعي فاطمة الزهراء عليها السلام[٣].

وصار الملك له ولأولاده من بعده، فأصبحوا خلفاء المسلمين، مع أنّ رسول الله ﷺ قد لعنهم وحرّم عليهم أن يسكنوا المدينة معه[٤].

وأمّا الحارث، فقد قرّبه عثمان أيضاً وزوّجه ابنته، وأغدق عليه من أموال المسلمين ما جعله مترفاً، وأقطعه منطقة مهزور التي تصدّق بها رسول الله ﷺ على المسلمين[٥]!

وعن سعيد بن المسيّب قال: خطب عثمان فأمر بذبح الحمام وقال: إنّ الحمام قد كثر في بيوتكم حتى كثر الرمي ونالنا بعضه، فقال الناس: يأمر بذبح الحمام وقد آوى طرداء رسول الله ﷺ.

وذكر بيتان لحسّان بن ثابت في عبدالرحمن بن الحكم الآتيين في لفظ أبي عمر فقال: كان يفشي أحاديث رسول الله، فلعنه وسيّره إلى الطائف ومعه عثمان الأزرق

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ٢ / ١٦٤.

(٢) تاريخ ابن الأثير: ٣ / ٩١، أنساب الأشراف: ٥ / ٢٥، تاريخ الخلفاء للسيوطي: ١٥٦.

(٣) تاريخ أبي الفداء: ١ / ١٦٩، العقد الفريد: ٤ / ٢٨٣، شرح نهج البلاغة: ١ / ١٩٨، سنن أبي داود: ٣ / ١٤٣، ح ٢٩٧٢، سنن البيهقي: ٦ / ٣٠١.

(٤) أنساب الأشراف: ٥ / ٢٧، أسد الغابة: ٢ / ٣٤ ـ ٣٥، الإصابة في تمييز الصحابة: ١ / ٣٤٥.

(٥) شرح نهج البلاغة: ١ / ١٨٩ و ١٩٩.

والحارث وغيرهما من بنيه، وقال: «لا يساكنني» فلم يزالوا طرداء حتى ردّهم عثمان، فكان ذلك ممّا نُقم عليه.

وفي السيرة الحلبيّة[1]: اطّلع الحكم على رسول الله من باب بيته وهو عند بعض نسائه بالمدينة، فخرج إليه رسول الله ﷺ بالعنزة، وقيل بمدرى[2] في يده وقال: «من عذيري من هذه الوزغة لو أدركته لفقأت عينه»، ولعنه وما ولد، وذكره ابن الأثير مختصراً في أسد الغابة[3].

وقال أبو عمر في الاستيعاب: أخرج رسول الله ﷺ الحكم من المدينة وطرده عنها فنزل الطائف وخرج معه ابنه مروان، واختلف في السبب الموجب لنفي رسول الله ﷺ إيّاه فقيل: كان يتحيّل ويستخفي ويتسمّع ما يسرّه رسول الله ﷺ إلى كبار أصحابه في مشركي قريش وسائر الكفّار والمنافقين، فكان يفشي ذلك عنه حتى ظهر ذلك عليه، وكان يحكيه في مشيته وبعض حركاته، إلى أُمور غيرها كرهت ذكرها، ذكروا: أنّ النبيّ ﷺ كان إذا مشى يتكفأ وكان الحكم يحكيه فالتفت النبيّ ﷺ يوماً فرآه يفعل ذلك فقال ﷺ: «فكذلك فلتكن». فكان الحكم مختلجاً يرتعش من يومئذٍ، فعيّره عبدالرحمن بن حسّان بن ثابت فقال في عبدالرحمن بن الحكم يهجوه:

إنّ اللعين أبوك فارمِ عظامَه ... إن ترمِ ترمِ مخلّجاً مجنونا
يمسي خميصَ البطنِ من عملِ التقى ... ويظلُّ من عملِ الخبيثِ بطينا[4]

---

(١) السيرة الحلبيّة: ١ / ٣١٧.

(٢) المدرى كالمسلة يفرق به شعر الرأس.

(٣) أُسد الغابة: ٢ / ٣٧ و ٣٨ رقم ١٢١٧.

(٤) الاستيعاب: ١ / ١١٨ [القسم الأوّل ٣٥٩ ـ ٣٦٠ رقم ٥٢٩]، أُسد الغابة: ٢ / ٣٤ [٢ / ٣٧ و٣٨ رقم ١٢١٧] (المؤلف).

ونزلت في الحكم ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾(١).

وأخرج ابن مردويه عن عائشة أنّها قالت لمروان: سمعت رسول الله ﷺ يقول لأبيك وجدّك ـ أبي العاص بن أُميّة ـ: «إنّكم الشجرة الملعونة في القرآن»(٢).

قالت عائشة لمروان: لعن الله أباك وأنت في صلبه، فأنت بعضٌ من لعنة الله. ثمّ قالت: والشجرة الملعونة في القرآن.

وأخرج ابن أبي حاتم عن يعلى بن مُرّة: قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت بني أُميّة على منابر الأرض وسيملكونكم فتجدونهم أرباب سوء»، واهتمّ رسول الله لذلك، فأنزل الله:

﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾(٣).

وأخرج ابن مردويه عن الحسين بن علي: «إنّ رسول الله ﷺ أصبح وهو مهموم فقيل: مالَك يا رسول الله؟

قال ﷺ: إني أُريت في المنام كأنّ بني أُميّة يحوّرون منبري هذا، فقيل: يا رسول الله لا تهتم فإنّها دنيا تناهم، فأنزل الله ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي﴾ الآية.

---

(١) القلم: ١٠ ـ ١١، الدرّ المنثور: ٧ / ٤٤٤، ٨ / ٢٤٦، السيرة الحلبيّة: ١ / ٣١٧، فتح القدير: ٥ / ٢٧٠، السيرة النبويّة: ١ / ١١٧، الدر المنثور: ٦ / ٤١، ٢٥١، السيرة الحلبيّة: ١ / ٣٣٧، تفسير الشوكاني: ٥ / ٢٦٣، تفسير الآلوسي: ٢٩ / ٢٨، سيرة زيني دحلان هامش الحلبيّة: ١ / ٢٤٥.

(٢) الدرّ المنثور: ٥ / ٣٠٩، ٣١٠، السيرة الحلبيّة: ١ / ٣١٧، فتح القدير: ٣ / ٢٤٠، الدرّ المنثور، السيوطي: ٤ / ١٩١، السيرة، الحلبي: ١ / ٣٣٧ تفسير الشوكاني: ٣ / ٢٣١، تفسير الآلوسي: ١٥ / ١٠٧، تفسير القرطبي: ١٠ / ٢٨٦، الجامع لأحكام القرآن: ١٠ / ١٨٥.

(٣) الإسراء: ٦٠.

وأخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي[١] وابن عساكر[٢]، عن سعيد ابن المسيّب قال: رأى رسول الله ﷺ بني أُميّة على المنابر فساءه ذلك، فأوحى الله تعالى إليه: إنّما هي دنيا أُعطوها. فقرّت عينه وذلك قوله تعالى:

﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ﴾. الآية.

وأخرج الطبري والقرطبي وغيرهما من طريق سهل بن سعد قال: رأى رسول الله ﷺ بني أُمية ينزون على منبره نزو القردة فساءه ذلك، فما استجمع ضاحكاً حتى مات، وأنزل الله تعالى **﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ﴾** الآية.

وروى القرطبي والنيسابوري عن ابن عباس: أنّ الشجرة الملعونة بنو أُميّة.

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عمرو[٣] أنّ النبي ﷺ قال: «رأيت ولد الحكم بن أبي العاص على المنابر كأنّهم القردة» فأنزل الله: **﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ﴾** يعني الحكم وولده.

وفي لفظ: إنّ النبيّ ﷺ رأى في المنام أنّ ولد الحكم بن أُميّة يتداولون منبره كما يتداول الصبيان الكرة فساءه ذلك[٤].

وفي لفظ للحاكم والبيهقي في الدلائل[٥] وابن عساكر[٦] وأبي يعلى من طريق أبي هريرة: «إنّي أريت في منامي كأنّ بني الحكم بن العاص ينزون على منبري كما تنزو القردة» فما روي النبيّ مستجمعاً ضاحكاً حتى توفّي.

---

(١) دلائل النبوة: ٦ / ٥٠٩.

(٢) مختصر تاريخ دمشق: ٢٤ / ١٩١.

(٣) وفي بعض المصادر: ابن عمر. (المؤلف)

(٤) كما في تفسير الخازن: ٣ / ١٦٩.

(٥) دلائل النبوة: ٦ / ٥١١.

(٦) مختصر تاريخ دمشق: ٢٤ / ١٩٠.

معاويــة

وقد شارك أبو سفيان ومعاوية في محاولة اغتيال النبي ﷺ في العقبة.

أخرج المتّقي الهندي عن عمر بن الخطاب في قوله تـعالى: ﴿آلـم... إلىٰ قـوله تعالى الّذينَ بَدَّلوا نِعمتَ اللهِ كُفراً﴾[1].

قال هما الأفجران من قريش: بنو المغيرة وبنو أُميّة[2].

وقال عمر: سمعته (رسول الله ﷺ) يقول: ليصعدنَّ بنو اميّة على منبري، وقد رأيتهم في منامي ينزون عليه نزو القردة وفيهم أُنـزل: ﴿وَمـا جَـعَلْنا الرُّؤيـا الَّتي أَرَيْناكَ إلّا فِتْنَةً لِلناسِ والشَّجَرَةَ المَلْعُونَةَ فِي القُرْآن﴾[3].

وقال الرسول ﷺ: «من أدرك هذا أميراً فليبقرن خاصرته بالسيف، فـرآن يخطب في الشام فأراد تنفيذ أمر رسول الله ﷺ فقالوا له: أتدري مـن اسـتعمله؟ قال: ومن؟ قالوا: عمر[4].

وقد روى الزبير بن بكار في الموفقيات، ما يناسب هذا عن المغيرة بن شـعبة قال لي عمر يوماً: يا مغيرة هل أبصرت بهذه عينك العوراء منذ أصيبت قلت: لا.

قال: أما والله ليعوّرنَّ بنو أميّة الإسلام، كما اعورَّت عينك هـذه، ثمَّ ليـعمينّه، حتى لا يدري أين يذهب ولا أين يجيْ، قلت: ثمَّ ماذا يا أمير المؤمنين.

قال: ثمَّ يبعث الله تعالى بعد مائة وأربعين أو بعد مائة وثـلاثين وفـداً كـوفد

---

(١) إبراهيم: ٢٨.

(٢) كنز العمال: ١ / ٤٤١، حديث ٤٤٥٢.

(٣) تفسير الدر المنثور، الدلائل البيهقي، تاريخ ابن عساكر، الاسراء: ٦٠.

(٤) البحار: ٩٢ / ٣٦.

الملوك، طيّبة ريحهم، يعيدون إلى الإسلام بصره وشتاته، قلت من هم يا أمير المؤمنين، قال: حجازي وعراقي.

وبعدما سمع المغيرة هذا الحديث النبوي اشتدّ في دعم ومساعدة الأُمويين!

وقال ابن أبي الحديد: معاوية عند أصحابنا، مطعون في دينه، منسوب إلى الإلحاد، قد طعن فيه النبي ﷺ(١).

وقال ابن أبي الحديد: روى نصر بن عاصم الليثي، عن أبيه قال: أتيت مسجد رسول الله ﷺ، والناس يقولون: نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله، فقلت: ما هذا؟

قالوا: معاوية قام الساعة فأخذ بيد أبي سفيان فخرجا من المسجد.

فقال رسول الله ﷺ: لعن الله التابع والمتبوع، ربَّ يوم لأُمتي من معاوية ذي الاستاه(٢).

وروى أحمد في مسنده شرب معاوية للخمر أيام حكمه(٣).

ودخل أبو سفيان على النبي ﷺ يوماً فقال: يا رسول الله أُريد أن أسألك فقال ﷺ: إن شئت أخبرتك قبل أن تسألني، قال: افعل، قال: اردت أن تسأل عن مبلغ عمري فقال: نعم يا رسول الله، فقال ﷺ: إني أعيش ثلاثاً وستين سنة وأشهد أنّك صادق فقال ﷺ: بلسانك دون قلبك(٤).

وجاء في كتاب أخبار الملوك: أنّ معاوية سمع المؤذّن يقول: أشهد أنّ لا إله إلاّ

---

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٤ / ٥٣٧.
(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٣ / ٧٩، أسد الغابة لابن الأثير: ٣ / ١١٦.
(٣) مسند أحمد: ٦ / ٤٧٦ ح ٢٢٤٣٢.
(٤) قصص الأنبياء، البحار: ٢٢ / ٤.

الله، فقالها ثلاثاً فقال: أشهد أنّ محمداً رسول الله، فقال: لله درّك يا ابن عبدالله لقد كنت عالي الهمّة، ما رضيت لنفسك إلّا أن يقرن اسمك باسم ربّ العالمين.

لذلك عزم المعتضد العباسي على لعن معاوية على المنابر، وأمر بإنشاء كتاب يقرأ على الناس، وكان من جملته في ذكر أبي سفيان: فحارب مجاهداً، ودافع مكايداً، وأقام منابذاً، حتى قهره السيف، وعلا أمر الله وهم كارهون، فتقوّل الإسلام غير منطو، واسرّ الكفر غير مقلع عنه، فعرفه بذلك رسول الله والمسلمون وميز له المؤلفة قلوبهم، فقبله وولده على علم منه، فمّا لعنهم الله به على لسان نبيّه ﷺ قوله: والشجرة الملعونة في القرآن، ونخوّفهم فما يزيدهم إلّا طغياناً كبيراً، ولا إختلاف بين احد أنّه أراد بها بني أُميّة، ومنه قول الرسول ـ وقد رآه على حمار ومعاوية يقوده ويزيد يسوقه ـ لعن اللهُ الراكبَ والقائدَ والسائقَ[(١)].

وقال أبو سفيان في بيعة عثمان: تلقّفوها يا بني عبد مناف تلقّف الكرة، فما هناك جنّة ولا نار[(٢)]، وفي لفظ المسعودي: يا بُني أُميّة تلقّفوها تلقّف الكرة، فوالذي يحلف به أبو سفيان ما زلتُ أرجوها لكم، ولتصيرنّ إلى صبيانكم وراثة[(٣)]. وقد لعن النبي ﷺ أبا سفيان في سبعة مواطن[(٤)].

وقال أبو سفيان في معركة اليرموك عند انتصار الروم: إيهٍ بني الأصفر، ثمّ انتصر المسلمون، وسمي كهف النفاق[(٥)].

---

(١) شرح النهج ٦ / ٢٨٩، ١٥ / ١٧٥، جواهر المطالب في مناقب الامام علي ﷺ، ابن الدمشقي ٢ / ٢٢٢.

(٢) تاريخ الطبري: ١١ / ٣٥٧، النزاع والتخاصم: ص ٥٦، الأغاني: ٦ / ٣٥١ـ ٣٥٦.

(٣) مروج الذهب، المسعودي: ١ / ٤٤٠، العثمانية، الجاحظ: ص ٢٣.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٢ / ١٠٢، ٣ / ٧٩، ٤ / ٥٣٧، أسد الغابة: ٣ / ١١٦.

(٥) كتاب النزاع والتخاصم ص ٣٠، تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢٦٨.

وقال الرسول ﷺ: إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه[١].

ولما قال معاوية لابن عباس: أنتم تصابون في أبصاركم قال ابن عباس: وأنتم تصابون في بصائركم[٢].

واستناداً لهذا كيف عُيِّن معاوية في ولاية الشام؟ ولا أدري على أي وجه استند عمر في توليته، بعد أن سمع بنفسه الآيات القرآنية والأحاديث النبويّة ضدّ معاوية وبني أُميّة؟ ولو وصل أبو سفيان إلى الحكم فهل كان سيولي غير معاوية ويزيد وعتبة وابن العاص والوليد وابن أبي سرح وابن أبي ربيعة المخزومي والمغيرة وسعيد بن العاص وعتاب بن أسيد؟

أمّا عن كيفية وصول بني أُميّة إلى الحكم بعد النبي ﷺ فالجواب عنه يتمثّل في أنّ القوم (جماعة السقيفة) أرادوا إرضاء أبي سفيان بعد بيعتهم أبا بكر. فولّوا إبنه يزيداً، وأعطوا لأبي سفيان ما جمعه من الصدقات. ولمّا قالوا لأبي سفيان: إنّه قد ولّى إبنك قال وصلتهُ رَحِم[٣].

ثمّ استمرّ هذا المنحى لإرضاء الأمويين، فولّى عمر معاوية على الشام وأبقاه فيها طيلة فترة حكمه، ولم يرهقه في شيء.

وبالرغم من ضرب عمر بعض الناس لتصرفاتهم إلّا أنّه اختلف تصرفه مع معاوية، إذ كان معاوية على رأس الولاة الذين أحبّهم، وقالت غانمة بنت غانم ليزيد بن معاوية: مَنْ أنت كلّاك الله؟

قال: يزيد بن معاوية.

(١) السيوطي في اللآلئ المصنوعة، فصل مناقب الصحابة.

(٢) المعارف: ٥٨٦.

(٣) تاريخ الطبري: ٢ / ٤٤٩، إذ ولّى أبو بكر يزيد على الشام وأقرّه عمر. المعارف، ابن قتيبة: ص ٣٤٥.

قلت: فلا رعاك الله يا ناقص لست بزائد.

فتغيّر لون يزيد، فأتى أباه فأخبره، فقال: هي أسنُّ قريش وأعظمهم. ثم قالت لمعاوية: وأمّا أنت يا معاوية؟ فما كنت في خير ولا ربيّت في خير[١].

وقال عمّار بن ياسر لابن العاص: والله ما قصدك وقصد عدوّ الله إبن عدوّ الله (معاوية بن أبي سفيان) بالتعلّل بدم عثمان إلّا الدنيا[٢].

وقال الأصمعي وابن هشام الكلبي: إنّ معاوية من أربعة وهم عمارة بن الوليد ومسافر بن عمرو وأبو سفيان والعباس بن عبدالمطلب[٣].

وقال الكلبي في كتابه مثالب العرب: كانت هند من المغيلمات، وكانت تميل إلى السودان من الرجال، وكانت إذا ولدت ولداً أسود قتلته.

وجاء في كتاب مثالب بني أُميّة: أنّ مسافر ابن عمر بن أُميّة بن عبد شمس كان ذا جمال وسخاء، عشق هنداً وجامعها سفاحاً، فاشتهر ذلك في قريش وحملت هند.

فلمّا ظهر السفاح هرب مسافر من أبيها عتبة إلى الحيرة، وكان فيها سلطان العرب (عمرو بن هند) وطلب عتبة (أبو هند) أبا سفيان ووعده بمال كثير، وزوّجه ابنته هنداً، فوضعت بعد ثلاثة أشهر معاوية، ثمّ ورد أبو سفيان على عمرو ابن هند أمير العرب، فسأل عن حال هند، فقال: إنّي تزوجّتها، فرض مسافر ومات[٤].

وقد عامل عمر بن الخطاب معاوية معاملة خاصّة، تختلف عن بقيّة الولاة إذ

---

(١) المحاسن والأضداد، الجاحظ ١٠٢ ـ ١٠٤، المحاسن والمساوئ، البيهقي: ١ / ٦٩ ـ ٧١.

(٢) التذكرة، سبط ابن الجوزي: ٥٣.

(٣) مثالب العرب، الكلبي، تذكرة الخواص، ابن الجوزي: ٢٠٢ ط. النجف، ربيع الأبرار، الزمخشري: ٣ / ٥٥١، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١ / ١١١.

(٤) كتاب مثالب أُميّة، بهجة المستفيد، الشيخ أبو الفتوح محمد بن جعفر بن محمد الهمداني.

كان معجباً به، وهذا ما أغضب عالم مصر محمود أبا رية إذ قال: ممّا يدعو من صلب عبد شمس إنّما هو عبد من الروم استخلفه عبد شمس إلى نفسه وكانت العرب في الجاهلية اذا كان لأحدهم عبد وأراد أن ينسبه إلى نفسه أعتقه وزوّجه كريمة من العرب فيلحق بنسبه[١]، وكذلك نسب العوام بن خويلد وأُميّة تصغير أمَة[٢].

أننا لم نجد عمر قد اتّبع هذه السنّة (معاملة الولاة بشدّة) في معاوية بن أبي سفيان، فقد أبقاه عاملاً على دمشق سنين طويلة، ولم يعجزه بالعزل كغيره، وكان ذلك ممّا أعان معاوية على طغيانه، وأن يحكم حكماً قيصرياً طوال أيّامه، وخاصّة بعد أن استولىٰ على الشام كلّه في عهد عثمان، ثمّ امتد هذا الطغيان الأُمويّ إلى ما بعد معاوية حتى تسلّم العباسيّون الحكم[٣].

وتوفّي يزيد في ذي الحجّة من ذلك العام (١٩ هـ) في دمشق واستخلف أخاه معاوية على عمله، فكتب إليه عمر بعهدِه على ما كان من عمل الشام، ورزقه ألف دينار في كل شهر[٤]. ذلك أن عمر قد جزع على وفاة يزيد بن أبي سفيان جزعاً شديداً، وكتب إلى معاوية بولايته الشام، فأقام أربع سنين، ومات عمر.

وقالوا: ورد البريد بموت يزيد على عمر، وأبو سفيان عنده، فلمّا قرأ الكتاب بموت يزيد قال لأبي سفيان: أحسن الله عزاك في يزيد ورحمه، ثمّ قال له أبو سفيان: مَنْ ولّيت مكانه يا أمير المؤمنين؟

قال (عمر): أخاه معاوية.

---

(١) البحار: ٣٣ / ١٠٧.

(٢) الأمالي، المفيد: ١٧١.

(٣) أبو هريرة شيخ المضيرة: ٨٦ ـ ٨٧.

(٤) الاستيعاب لابن عبد البر: ٣ / ٤٧١.

قال (أبو سفيان): وصلتك رحم يا أمير المؤمنين[١].

والاستفهام من جزع عمر على موت يزيد الطليق بن الطليق، وفي الجزيرة العربية عشرات الآلاف من المؤمنين السابقين!

وكانت علاقة عمر بمعاوية علاقة خاصّة تختلف عن علاقته ببقيّة الولاة. فقد كان عمر يمقت المواكب العظيمة للولاة فنعهم واستثنىٰ معاوية، وكان عمر يكره وقوف الناس في باب الولاة إلّا في باب معاوية.

وقال عمر إذ دخل الشام ورأىٰ معاوية: هذا كسرى العرب، فلمّا دنا منه قال له (عمر): أنت صاحب الموكب العظيم؟

قال: نعم يا أمير المؤمنين.

قال (عمر): مع ما يبلغني عنك من وقوف ذوي الحاجات ببابك!...

قال (عمر): لا آمرُك ولا أنهاك[٢].

وبعدما سمح عمر لمعاوية بالاحتجاب في ولايته اشتد معاوية في هذا الأمر في أيّام ملكه فردّ عبدالرحمن بن أبي ربيعة وعبدالله بن خالد بن أسيد ولم يأذن لواحد منهما مدة سنة، ولم يأذن للثاني مدة سنتين![٣]

في حين كان عمر نفسه لا يحجب، فقد جاء عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: خلا عمر لبعض شأنه، وقال أمسك عليَّ الباب، فطلع الزبير فكرهته حين رأيته، فأراد أن يدخل فقلت: هو في حاجة، فلم يلتفت إليّ وأهوىٰ ليدخُل، فوضعت يدي في صدره، فضرب أنفي فأدماه، ثمّ رجع، فدخلتُ على عمر فقال: ما بك؟

---

(١) الاستيعاب لابن عبد البر: ٣ / ٤٧١.

(٢) الاستيعاب لابن عبد البر: ٣ / ٤٧٢، تاريخ الطبري: ٦ / ١٨٤.

(٣) الأخبار الموفقيات: ٢٩٧ ـ ٢٩٩.

قلت: الزبير!

فأرسل إلى الزبير، فلمّا دخل جئتُ فقمتُ لأنظر ما يقول له.

فقال: ما حملك على ما صنعت، أدميتَني للناس؟

فقال الزبير يحكيه ويمطّط في كلامه: أدميتَني ! أتحتجب عنّا يا ابن الخطاب! فوالله ما احتجب منّي رسول الله ولا أبو بكر! فقال عمر كالمعتذر: إنّي كنتُ في بعض شأني!

قال أسلم: فلمّا سمعته يعتذر إليه يئستُ من أن يأخُذَ لي بحقّي منه.

فخرج الزبير فقال عمر: إنّه الزبير وآثاره ما تعلم! فقلت: حقّي حقك[1].

وكان حبّ عمر لمعاوية يبرز في مواطن عديدة: فقد ذُمّ معاوية عند عمر يوماً، فقال: دعونا من ذمّ فتى قريش، من يضحك في الغضب، ولا ينال ما عنده إلّا على الرضا، ولا يؤخذ ما فوق رأسه إلّا تحت قدميه[2].

ولمّا ولّىٰ عمر بن الخطاب عتبة بن أبي سفيان الطائف وصدقاتها ثمّ عزله تلقاه في الطريق، فوجد معه ثلاثين ألفاً.

فقال: أنّىٰ لك هذا؟

قال: والله ما هو لك ولا للمسلمين، ولكنّه مال خرجت به لضيعة اشتريها.

فقال عمر: عاملنا وجدنا معه مالا ما سبيله إلّا بيت المال، ورفعه. فلمّا ولي عثمان قال لأبي سفيان: هل لك في هذا المال؟ فإنّي لم أرَ لاخذ ابن الخطاب فيه وجهاً قال: والله إنّ بنا إليه حاجة، ولكن لا ترد فعل من قبلك فيرد عليك من بعدك، وقد شهد عتبة معركة الجمل مع عائشة فذهبت عينه يومئذ، وشهد صفّين مع معاوية،

---

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٢ / ٤٥.

(٢) الاستيعاب: ٣ / ٤٧٢.

ثمّ تولى الطائف.

وقد زار أبو سفيان معاوية فلمّا رجع من عنده دخل على عمر فقال: أجزنا أبا سفيان قال: ما أصبنا شيئاً فنجيزك به.

فأخذ عمر خاتمه فبعث به إلى هند وقال للرسول: قل لها: يقول أبو سفيان: انظري الخرجين اللذين جئت بهما فاحضريهما، فما لبث عمر أن أُتي بخرجين فيهما عشرة آلاف درهم، فطرحهما عمر في بيت المال، فلمّا ولي عثمان ردّهما عليه، فقال أبو سفيان: ما كنت لآخذ مالاً عابه عليّ عمر.

وكان أبو بكر قد عيّن يزيد بن أبي سفيان على جيش من جيوش الشام[1].

وعيّن عتبة بن أبي سفيان والياً على الطائف، وعيّن عمر يزيد بن أبي سفيان والياً على فلسطين، ولمّا مات يزيد عيّن بدله معاوية بن أبي سفيان[2].

وبذلك تكون عائلة أبي سفيان أهم عائلة اعتمد عليها عمر وأبو بكر في شؤونهم الخارجية بتعيينهم ثلاثة أخوة منها ولاة وهم يزيد وعتبة ومعاوية... وهذه بداية سيطرة عائلة أبي سفيان على حكم المسلمين، ولمّا عزل عمر سعداً وخالداً أبقىٰ معاوية في الشام، وهذا ما أثار استغراب العالم المصري محمود أبو رية الذي قال: «فبقي معاوية في حكم الشام طيلة حكم الخليفة عمر، ولمّا أوصىٰ عمر إلى عثمان الأموي فقد أوصىٰ بصورة غير مباشرة إلى معاوية بولاية الشام».

وهكذا عادت السلطة والقدرة إلى الأمويين في عام ٢٤ هجريه ببيعة عثمان، بعد أن فقدوها في عام فتح مكّة (٨ هجرية). وبقيت في يدهم إلى أيّام ظهور الدعوة

(١) أُسد الغابة لابن الأثير: ٥ / ٤٩٢.

(٢) أُسد الغابة لابن الأثير: ٣ / ٥٦٠.

العباسية وهزيمة جيش مروان الثاني آخر سلاطين بني أُميّة.

ويمكن القول إنّ الأمويين لم يفقدوا السلطة إلاّ في ثلاث سنوات فقط تبدأ بفتح مكّة وتنتهي بشهادة النبي ﷺ إذ ولّى أبو بكر العديد من الأُمويين الحكم وعلى رأسهم يزيد بن أبي سفيان في الشام، وعتبة بن أبي سفيان في الطائف، وعتاب بن أسيد في مكّة.

ثمّ زاد عمر في عدد الولاة منهم، ثمّ ضاعفهم عثمان، محتكراً الحكم لهم وقد حدث هذا في ضل حياة أبي سفيان وهند بنت عتبة تلك المرأة التي اقترحت على جيش زوجها وهم في طريقهم إلى معركة أُحد نبش قبر آمنة بنت وهب أم رسول الله ﷺ في منطقة الأبواء وأضافت: «فان أسر محمّد ﷺ منكم أحداً فديتم كل انسان بارب من آرابها أي جزء من أجزائها»[1].

ومثّلت بقتلى المسلمين في أُحد واتخذت من آذان الرجال وأُنوفهم خدماً وقلائد[2]. روى الزبير بن بكار في كتابه الموفقيات عن مطرف بن المغيرة بن شعبة أنّه قال: وفدت مع أبي المغيرة إلى معاوية، فكان أبي يأتيه يتحدّث عنده ثمّ ينصرف إليَّ، فيذكر معاوية، ويذكر عقله، ويعجب ممّا يرىٰ منه، إذ جاء ذات ليلة، فأمسك عن العشاء، فرأيته مغتماً فانتظرته ساعة، وظننت أنّه لشيء حدث فينا، أو في عملنا، فقلت له: مالي أراك مغتماً منذ الليلة؟ قال: يا بُنيّ إنّي جئت من عند أخبث الناس، قلت له: وما ذاك؟

قال: قلت له، وقد خلوت به: إنّك قد بلغت مُناك يا أمير المؤمنين! فلو أظهرت

---

(١) السيرة الحلبية: ٢ / ٢١٨.

(٢) تاريخ الطبري: ٢ / ٢٠٤.

عدلاً، وبسطت خيراً، فإنّك قد كبرت ولو نظرت إلى أخـوتك مـن بـني هـاشم، فوصلت أرحامهم، فوالله ما عندهم اليوم شيْ تخافه.

فقال لي: هيهات! هيهات! ملك أخو تيم فعدل وفعل ما فعل، فوالله ما غدا أن هلك، فهلك ذكره إلّا أن يقول قائل: ملك أبو بكر، ثمّ ملك أخو عدي فاجتهد وشمّر عشر سنين، فوالله ما غدا أن هلك فهلك ذكره إلّا أن يقول قائل: عـمر، ثمّ مـلك أخونا عثمان فملك رجل لم يكن أحد في مثل نسبه فعمل ما عمل، وعمل به، فوالله ما غدا أن هلك فهلك ذكره، وذكر ما فعل، وأنّ أخا هاشم يُصرَخ به في كل يوم خمس مرّات: أشهد أنّ محمداً رسول الله، فأيّ عمل يبقى مع هذا لا أُمَّ لك؟ لا والله إلّا دفناً دفناً[1].

وقال النبي ﷺ لمعاوية: إن ملكت فاحسن[2].

وقال الحسن بن علي عليه السلام لمعاوية: أنت ببيعة الرضـوان كـافر، وببيعة الفـتح ناكث، وانك يا معاوية وأباك من المؤلفة قلوبهم، تسرُّون الكفر وتظهرون الإسلام وتستمالون بالأموال[3].

وروى ابن مسعود قوله ﷺ: إنّ لكل دين آفة، وآفة هذا الدين بنو أميّة[4].

وقال الرسول ﷺ: يموت معاوية على غير الإسلام[5].

وأرسل قيس بن سعد كتاباً إلى معاوية جاء فيه: أمّا بعد فإنّك وثن ابن وثن،

---

(١) الموفقيات، الزبير بن بكار: ٥٧٦ ـ ٥٧٧ وذكره المسعودي في حوادث سنة اثنتي عـ[illegible] ابن الأثير: ٩ / ٤٩.

(٢) النزاع والتخاصم، المقريزي: ٧٨، العقد الفريد، ابن عبد ربه: ٤ / ٣٦٤.

(٣) كتاب المفاخرات، الزبير بن بكار، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٢ / ١٠٢.

(٤) كنز العمال: ١٤٠ / ٣٩.

(٥) قاموس الرجال، ترجمة معاوية، ص ٢١٧.

دخلت في الإسلام كرهاً، وخرجت منه طوعاً، ولم يقدم إيمانك، ولم يحدث نفاقك[١].

وكفّر الجاحظ معاوية[٢].

وقال له عقيل بن أبي طالب: تركته (علياً عليه السلام) على ما يحبّ الله ورسوله وألفيتك على ما يكره الله ورسوله[٣].

وقال صعصعة بن صوحان لمعاوية في مجلسه في الشام: علي وأصحابه من الأئمة الأبرار، وأنت وأصحابك من أولئك (الفسقة)[٤].

واعترافات أفراد بني أُميّة بالكفر واضحة، إذ دخل أبو سفيان على عثمان بعدما عمي فقال: أها هنا أحد؟

قالوا: لا.

قال: اللهمّ اجعل الأمر أمر عالمية، والملك ملك جاهلية، واجعل أوتاد الأرض بني أُميّة[٥]، قال: تلقّفوها تلقف الكرة فوالذي يحلف به أبو سفيان ما من جنة ولا نار[٦].

وقال أبو سفيان عند قبر حمزة: إنّ الأمر الذي كنت تقاتلنا عليه بالأمس قد ملكناه! وكنّا أحق به من تيم وعدي[٧]، وكفر صراحة قبل موته[٨].

---

(١) البيان والتبيين، الجاحظ: ٢ / ٨٧.

(٢) في بني أُميّة الملحقة بكتاب النزاع والتخاصم ٦٦.

(٣) مروج الذهب، المسعودي: ٣ / ٣٦.

(٤) المصدر السابق.

(٥) مختصر تاريخ دمشق، ابن عساكر: ١١ / ٦٧، مروج الذهب، المسعودي: ٢ / ٣٤٣، الأغاني ٦ / ٣٥٥.

(٦) مروج الذهب: ص ٣٤٣، شرح نهج البلاغة: ٩ / ١٧.

(٧) النزاع والتخاصم: ٨٤.

(٨) ابن عساكر: ٢٠ / ١٧.

وفي معركة تبوك شاهد النبي ﷺ معاوية وعمرو بن العاص يسيران ويتحدثان فقال: إذا رأيتموهما اجتمعا ففرّقوا بينهما، فإنّهما لا يجتمعان على خير أبداً[١].

وقال الحسن البصري: أربع خصال في معاوية، لو لم تكن فيه منهنّ إلّا واحدة لكانت موبقة: الأولى: انتزاؤه على هذه الأمّة بالسفهاء بغير مشورة، وفيهم بقايا الصحابة وذووا الفضيلة.

الثانية: استخلاف ابنه السكير الخمير، يلبس الحرير، ويضرب بالطنابير.

الثالثة: ادّعاؤه زياداً.

الرابعة: قتله حجر بن عدي وأصحابه، ويل له من حجر وأصحابه، ويل له من حجر وأصحابه[٢].

وقد قال علي عليه السلام: لكل أُمّة آفة، وآفة هذه الأُمّة بنو أُميّة[٣].

وقال النبي ﷺ: اللهمّ العن الراكب والقائد والسائق (أبا سفيان ومعاوية وعتبة)[٤]. وبينما كان بنو أُميّة أبغض الخلق إلى الله تعالى ورسوله ﷺ والصحابة، أصبحوا أقرب المقرّبين في زمن أبي بكر وعمر وعثمان! بل وصف عمر معاوية بالمصلح![٥]

حبّ عثمان اللامحدود لمروان

أحبّ عثمان مروان بن الحكم لأمور عديدة أهمّها:

---

(١) العقد الفريد، ابن عبد ربه: ٤ / ٣٢١.

(٢) تاريخ الطبري في حوادث سنة ٥٠ هجرية، الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٣ / ٢٠٢، تاريخ ابن عساكر: ٢ / ٣٢٩.

(٣) كنز العمال: ٦ / ٩١، النزاع والتخاصم: ص ١٤.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٢ / ١٠٢، المفاخرات، الزبير بن بكار.

(٥) كنز العمال: ١٢ / ٦٠٦ ح ٢٧٥٤٩.

أنّه على شاكلته في المراوغة ومسايسة الناس.

شبيه الشيء منجذب إليه، وهو ابن عمّه. فروان طريد النبيﷺ المنفي إلى الطائف قد أُشبع كرهاً وحقداً على الإسلام.

فحبّه عثمان وزوّجه ابنته وعيّنه وزيره الحاكم دون قيود على رقاب المؤمنين المبغض لهم.

وكلّما قتل مروان شخصاً أو ارتكب موبقة أيّده عثمان وسانده حتى طفح الكيل وثارت الأمّة الإسلامية برجالها ونسائها منادية بقول رسول الله ﷺ: اقتلوا نعثلاً فقد كفر.

أعطى مروان بن الحكم بن أبي العاص ابن عمّه وصهره من ابنته أُمّ أبان خُمس غنائم إفريقية وهو خمسمائة ألف دينار، وفي ذلك يقول عبدالرحمن بن حنبل الجمحي الكندي مخاطباً الخليفة:

سأحلف بالله جهد اليميـ ـن[1] ما ترك الله أمراً سُدى
ولكن خلقت لنا فتنة لكي نبتلي لَكَ[2] أو تبتلى
فإنّ الأمينين قد بيّنا منار الطريق عليه الهدى
فما أخذا درهماً غيلةً وما جعلا درهماً في الهوى
دعوت اللعينَ فأدنيتَهُ خلافاً لسنّة من قد مضى
وأعطيت مروانَ خمس العبا د ظُلماً لهم وحميت الحمىٰ[3]

---

(١) في الطبعة المعتمدة لدينا من المعارف: أحلف بالله ربّ الأنام.

(٢) في المعتمدة: نبتلي بك.

(٣) في المعتمدة ورد الشطر الثاني هكذا: فهيهات شأوك ممن سمى، هكذا رواه ابن قتيبة في المعارف، ص: ٨٤، ١٩٥، وأبو الفداء في تاريخه: ١ / ١٦٨.

وذكر البلاذري الأبيات في الأنساب[1] ونسبها إلى أسلم بن أوس بن بجرة الساعدي الخزرجي الذي منع أن يدفن عثمان بالبقيع، وإليك لفظها:

أُقسمُ باللهِ ربِّ العبا — د ما ترك الله خلقاً سُدىٰ
دعوتَ اللعينَ فأدنيته — خلافاً لسنّة من قد مضىٰ

قال: يعني الحكَم والد مروان.

وأعطيت مروان خمس العبا — د ظلماً لهم وحميت الحمىٰ
ومالٌ أتاك به الأشعريُّ — من الفيء أنهيته من ترىٰ
فأمّا الأمينان إذ بيّنا — منار الطريق عليه الضُوىٰ
فلم يأخذا درهماً غيلةً — ولم يصرفا درهماً في هوىٰ

وذكرها ابن عبد ربّه في العقد الفريد[2] ونسبها إلى عبدالرحمن، وروى البلاذري من طريق عبدالله بن الزبير أنّه قال: أغزانا عثمان سنة سبع وعشرين إفريقية فأصاب عبدالله بن سعد بن أبي سرح غنائم جليلة فأعطى عثمان مروان بن الحكم خمس الغنائم، فابتاع الخمس بمائتي ألف دينار فكلّم عثمان فوهبها له فأنكر الناس ذلك على عثمان[3].

وفي رواية الواقدي كما ذكره ابن كثير: صالحه بطريقها على ألفي ألف دينار وعشرين ألف دينار، فأطلقها كلّها عثمان في يوم واحد لآل الحكَم ويُقال: لآل مروان[4].

---

(١) أنسا الأشراف، البلاذري: ٥ / ٣٨.

(٢) العقد الفريد: ٤ / ١٠٣.

(٣) الأنساب: ٥/ ٢٧، ٢٨. (المؤلف)

(٤) تاريخ ابن كثير: ٧/ ١٥٢ [٧/ ١٧٠ حوادث سنة ٢٧ هـ]، لا يخفى على القارئ تحريف ابن كثير رواية الواقدي، والصحيح ما ذكره الطبري عنه.

وفي رواية الطبري عن الواقدي، عن أُسامة بن زيد، عن ابن كعب قال: لمّا وجّه عثمان عبدالله بن سعد إلى إفريقية كان الذي صالحهم عليه بطريق إفريقية جُرجير ألفي ألف دينار وخمسمائة ألف دينار وعشرين ألف دينار، فبعث ملك الروم رسولاً وأمره أن يأخذ مهم ثلاثمائة قنطار كما أخذ منهم عبدالله بن سعد. إلى أن قال: كان الذي صالحهم عليه عبدالله بن سعد ثلاثمائة قنطار ذهب، فأمر بها عثمان لآل الحكم. قلت: أو لمروان؟ قال: لا أدري. تاريخ الطبري[1].

وقال ابن الأثير في الكامل[2]: وحُمل خمس إفريقية إلى المدينة فاشتراه مروان بن الحكم بخمسمائة ألف دينار فوضعها عنه عثمان، وكان هذا ممّا أُخذ عليه، وهذا أحسن ما قيل في خمس إفريقية، فإنّ بعض الناس يقول: أعطى عثمان خمس إفريقية عبدالله بن سعد. وبعضهم يقول: أعطاه مروان بن الحكم، وظهر بهذا أنّه أعطى عبدالله خمس الغزوة الأولىٰ، وأعطى مروان خمس الغزوة الثانية التي افتتحت فيها جميع إفريقية. والله أعلم.

وروىٰ البلاذري وابن سعد: أنّ عثمان كتب لمروان بخمس مصر وأعطىٰ أقرباءه المال، وتأوّل في ذلك الصلة التي أمر الله بها، واتّخذ الأموال واستسلف من بيت المال وقال: إنّ أبا بكر وعمر تركا من ذلك ما هو لهما، وإنّي أخذته فقسّمته في أقربائي. فأنكر الناس عليه ذلك[3].

وأخرج البلاذري في الأنساب من طريق الواقدي عن أُمّ بكر بنت المسور قالت: لمّا بنىٰ مروان داره بالمدينة دعا الناس إلى طعامه وكان المسور فيمن دعا،

(١) تاريخ الأمم والملوك: ٤ / ٢٥٦ حوادث سنة ٢٧ هـ

(٢) الكامل في التاريخ: ٢ / ٢٣٧ حوادث سنة ٢٧ هـ

(٣) طبقات ابن سعد: ٣ / ٤٤ طبع ليدن [٣/٦٤]، الأنساب للبلاذري: ٥/٢٥.

فقال مروان وهو يحدّثهم:

والله ما أنفقت في داري هذه من مال المسلمين درهماً فما فوقه. فقال المسور: لو أكلت طعامك وسكتّ لكان خيراً لك، لقد غزوت معنا إفريقية وإنّك لأقلّنا مالاً ورقيقاً وأعواناً وأخفّنا ثقلاً، فأعطاك ابن عفّان خمس إفريقية وعملت على الصدقات فأخذت أموال المسلمين. فشكاه مروان إلى عروة وقال: يغلظ لي وأنا له مكرمٌ متّقٍ.

وقال ابن أبي الحديد في الشرح[1]: أمر ـ عثمان ـ لمروان بمائة ألف من بيت المال وقد زوّجه ابنته أمّ أبان، فجاء زيد بن أرقم صاحب بيت المال بالمفاتيح فوضعها بين يدي عثمان وبكى.

فقال عثمان: أتبكي أن وصلت رحمي؟

قال: لا ولكن أبكي لأنّي أظنّك أنّك أخذت هذا المال عوضاً عمّا كنت أنفقته في سبيل الله في حياة رسول الله ﷺ، ولو[2] أعطيت مروان مائة درهم لكان كثيراً.

فقال: ألق المفاتيح يابن أرقم فإنّا سنجد غيرك، وأتاه أبو موسى بأموال من العراق جليلة، فقسّمها كلّها في بني أميّة.

وقال الحلبي في السيرة[3]: وكان من جملة ما انتقم به على عثمان أنّه أعطى ابن عمّه مروان بن الحكم مائة ألف وخمسين أوقية.

مروان بن الحكم

صحّ من لعن رسول الله ﷺ لعنه الحكم بن أبي العاص و من يخرج من صلبه.

---

(١) شرح نهج البلاغة: ١ / ١٩٩ خطبة ٣.

(٢) في المصدر: والله لو.

(٣) السيرة الحلبية: ٢ / ٧٨.

وصحّ من قول عائشة لمروان: لعن رسول الله ﷺ أباك فأنت فضض من لعنة الله.

وأخرج الحاكم في المستدرك[١] من طريق عبدالرحمن بن عوف وصحّحه أنه قال: كان لا يولد لأحد بالمدينة ولد إلّا أُتي به إلى النبيّ ﷺ [فدعا له] فأدخل عليه مروان بن الحكم فقال: هو الوزغ بن الوزغ، الملعون ابن الملعون.

وذكره الدميري في حياة الحيوان[٢]، وابن حجر في الصواعق[٣]، والحلبي في السيرة[٤]، ولعلّ معاوية أشار إليه بقوله لمروان: يابن الوزغ لست هناك. فيما ذكره ابن أبي الحديد[٥].

وأخرج ابن النجيب من طريق جبير بن مطعم قال: كنّا مع رسول الله ﷺ فمرّ الحكم بن أبي العاص فقال النبيّ ﷺ: «ويل لأُمتي ممّا في صلب هذا»[٦].

وفي شرح ابن أبي الحديد[٧] نقلاً عن الاستيعاب[٨]: نظر عليّ ﷺ يوماً إلى مروان فقال له: «ويل لك وويل لأمّة محمد منك ومن بيتك إذا شاب صدغاك». وفي لفظ ابن الأثير: «ويلك وويل أُمّة محمد منك ومن بنيك». أُسد الغابة[٩]. ورواه ابن عساكر بلفظ آخر كما في كنز العمال[١٠].

---

(١) المستدرك على الصحيحين: ٤ / ٥٢٦ ح ٨٤٧٧. وما بين المعقوفين منه.

(٢) حياة الحيوان: ٢ / ٤٢٢.

(٣) الصواعق المحرقة: ص ١٨١.

(٤) السيرة الحلبية: ١ / ٣١٧.

(٥) شرح نهج البلاغة: ٦ / ١٥٥ خطبة ٧٢.

(٦) أُسد الغابة: ٣٤/٢ [٣٧/٢ رقم ١٢١٧]، الإصابة: ٣٤٦/١ [رقم ١٧٨١]، السيرة الحلبية: ٣٣٧/١ [٣١٧/١]، كنز العمال: ٤٠/٦ [١٦٧/١١، ح٣١٠٦٦].

(٧) شرح نهج البلاغة: ٦ / ١٥٠ خطبة ٧٢.

(٨) الاستيعاب: القسم الثالث / ١٣٨٨ رقم ٢٣٧٠.

(٩) أُسد الغابة: ٥ / ١٤٥ رقم ٤٨٤١.

(١٠) كنز العمال: ١١ / ١٦٧ ح ٣١٠٦٧.

وقال مولانا أمير المؤمنين يوم قال له الحسنان السبطان: «يبايعك مروان يا أمير المؤمنين»... «أوَلم يبايعني قبل قتل عثمان[١]؟ لا حاجة لي في بيعته، إنّها كفّ يهودية[٢]».

مساعدة عثمان للحارث بن الحكم

أعطى الحارث بن الحكم بن أبي العاص ـ أخا مروان وصهر الخليفة من ابنته عائشة ـ ثلاثمائة ألف درهم كما في أنساب البلاذري، وقال: قدمت إبل الصدقة على عثمان فوهبها للحارث بن الحكم[٣].

وقال ابن قتيبة في المعارف[٤]، وابن عبد ربّه في العقد الفريد[٥]، وابن أبي الحديد في شرحه[٦]، والراغب في المحاضرات[٧] تصدّق رسول الله ﷺ بموضع سوق بالمدينة يعرف بمهزون[٨] على المسلمين فأقطعه عثمان الحارث بن الحكم!

وقال الحلبي في السيرة[٩]: أعطى الحارث عشر ما يباع في السوق، أي سوق المدينة!

---

(١) في نهج البلاغة وشرحه: بعد قتل...

(٢) نهج البلاغة: ١٠٢ رقم ٧٣.

(٣) أنساب الأشراف ٥ / ٥٢.

(٤) المعارف: ص ١٩٥.

(٥) العقد الفريد: ٤ / ١٠٣.

(٦) شرح نهج البلاغة: ١ / ١٩٨ خطبة ٣.

(٧) محاضرات الأدباء: مج ٢ / ج ٤ ص ٤٧٦.

(٨) في المعارف: مهزوز. وفي شرح ابن أبي الحديد: نهروز. وفي محاضرات الراغب: مهزور.
[في طبعتي المعارف وشرح النهج المعتمدين لدينا: مهزور] (المؤلف)

(٩) السيرة الحلبية: ٢ / ٧٨.

قال الأميني: لقد اصطنع الخليفة لهذا الرجل ثلاثاً لا أظنّه يخرج من عهدة النقد عليها:

١ ـ إعطاءه ثلاثمائة ألف ولم يكن من حرّ ماله.

٢ ـ هبته إبل الصدقة إيّاه وحده.

٣ ـ إقطاعه إيّاه ما تصدّق به رسول الله ﷺ على عامّة المسلمين.

أنا لا أدري بماذا استحقّ الرجل هذه الأعطيات الجزيلة؟ وكيف خصّ به ما تصدّق به رسول الله ﷺ على كافّة أهل الإسلام، وحرمه الباقين؟ ولو كان الخليفة موفّراً عليه بهذه الكمّيّة من مال أبيه لاستكثر ذلك نظراً إلى حاجة المسلمين وجيوشهم ومرابطيهم، فكيف به وقد وهبه ما لا يملك من مال المسلمين ومن الأوقاف والصدقات؟

وما كان الرجل يعرف بشيء من الأعمال البارّة والمساعي المشكورة في سبيل الدعوة الإلهيّة وخدمة المجتمع الديني حتى يحتمل فيه استحقاق زيادة في عطائه، وهب أنّا نجّزنا ذلك الاستحقاق لكنّه لا يعدو أن يكون مخرج الزيادة ممّا يسوغ للخليفة التصرّف فيه، لا ممّا لا يجوز تبديله من إقطاع ما تصدّق به النبي ﷺ وجعله وقفاً عامّاً على المسلمين لا يخصُّ به واحد دون آخر، ﴿**بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ**﴾[1].

فلم يبق مبرّر لتلكم الصنائع أو الفجائع إلّا الصهر بينه وبين الخليفة والنسب لأنّه ابن عمّه. ولك حقّ النظر في صنيع كلّ من الخليفتين: ١ ـ عثمان؛ وقد علمت ما ارتكبه ها هنا وفي غيره. ٢ ـ مولانا عليّ ﷺ؛ يوم جاءه عقيل يستميحه صاعاً من

---

(١) البقرة: ١٨١.

البرّ للتوسيع له ولعياله ممّا قدّر له في العطاء، فأدّى ما هو حقّ الأُخوّة والتربية، ولا سيّما في مثل عقيل من الأشراف والأعاظم الذين يجب فيهم التهذيب أكثر من غيرهم، فأدنىٰ إليه الحديدة المحماة فتأوّه فقال:

«تجزع من هذه وتعرّضني لنار جهنّم؟»[١].

سعيد بن العاص المترّف

من رجال الفسق والفجور والعصبية وطّن نفسه على ركوب المعاصي.

قد شكاه إلى الخليفة الكوفيّون مرّة فلم يعبأ بها، فقال: كلّما رأى أحدكم من أميره جفوة أرادنا أن نعزله، فانكفأ سعيد إلى الكوفة، وأضرّ بأهلها إضراراً شديداً[٢].

ونفى في سنة (٣٣) هجرية بأمر من خليفته جمعاً من صلحاء الكوفة وقرّائها إلى الشام.

إذ سيّر الأشتر وزيد وصعصعة ابنا صوحان وعائذ بن حملة الطهوي وكميل بن زياد النخعي وجندب بن زهير الأزدي والحارث بن عبدالله الأعور الهمداني وباقي قرّاء الكوفة، فحبسهم معاوية في الشام[٣].

ولم يفتأ على سيرته السيّئة إلىٰ أن رحل من الكوفة إلى عثمان مرّة ثانية سنة (٣٤) والتقى هناك بالفئة الشاكية إلى عثمان وهم:

الأشتر بن الحارث، يزيد بن مكفّف، ثابت بن قيس، كميل بن زياد، زيد بن

(١) الصواعق لابن حجر: ص ٧٩ [ص ١٣٢].

(٢) أنساب البلاذري: ٥ [ص ٣٩ ـ ٤٥].

(٣) النفي والتغريب، الطبسي ٣٨، الأنساب ٥ / ٣٩.

صوحان، صعصعة بن صوحان، الحارث الأعور، جندب بن زهير، أبو زينب الأزدي أصفر بن قيس الحارثي.

وهم يسألون الخليفة عزله ، فأبى عثمان وأمره أن يرجع إلى عمله، وقفل القوم قبله إلى الكوفة واحتلّوها ، وركب الأشتر مالك بن الحارث في جيش يمنعه من الدخول فمنعوه حتى ردّوه إلى عثمان، فجرى هنالك ما جرى، ويأتي نبأه بعد حين إن شاء الله تعالى.

وأعطاه عثمان أموالا كثيرة جدا .

لقد أراد الخليفة ان يصل رحمه من هذا الشابّ المجرم بإعطاء تلك الكمّية الزائدة على حدّه وحقّه من بيت المال، إن كان له ثمّة نصيب، ولو كان هذا العطاء حقّاً لَما نقده عليه أعاظم الصحابة وفي طليعتهم مولانا أمير المؤمنين سلام الله عليه.

وأمّا ما تترّس به من المعذرة من الاحتساب بصلة الرحم كما احتسب مَن قبله بمنع رحمهم عن الزيادة في إعطياتهم من بيت المال فتافه؛ لأنّ الصلة إنّما تستحسن من الإنسان إن كان الإنفاق من خالص ماله لا المال المشترك بين آحاد المسلمين؛ ومن وهب مالا يملكه لا يُعدّ أميناً على أرباب المال، فهو إلى الوزر أقرب منه إلى الأجر.

ثم ولي المدينة لمعاوية[1]، وقالوا بأنّه صلّىٰ على الإمام الحسن بن علي عليهما السلام بعد مقتله بيد معاوية بأمر الإمام الحسين عليه السلام[2].

واستبعد ذلك؛ لأنّ الإمام الحسين عليه السلام أولىٰ من سعيد بن العاص الفاجر والي معاوية بالصلاة عليه، وما كان الحسين عليه السلام يسمح لسعيد بن العاص بالصلاة عليه

---

(١) شرح الأخبار، القاضي المغربي ٣ / ١٢٦.

(٢) الذكرى، الشهيد الأوّل ٥٦.

وهم الذين قتلوه!

ونظرية سعيد بن العاص أنّ السواد بستان قريش[١].

لذا دعا الإمام الحسين عليه السلام على سعيد بن العاص حين مات ولعنه[٢]، ومن أسباب مقتل عثمان أعمال سعيد بن العاص الظالمة في الكوفة[٣].

موقفة من الجمل

ذكر سعيد بن العاص عثمان بن عفّان وترحّم عليه ثمّ قال: زعمتم أيّها الناس أنّكم تخرجون لتطالبوا بدم عثمان فإن كنتم ذلك تريدون فإنّ قتلة عثمان على صدور هذه المطايا وأعجازها فيلوا عليهم بأسيافكم وإلّا فانصرفوا إلى منازلكم ولا تقتلوا في طاعة المخلوقين أنفسكم ولا يغني الناس عنكم يوم القيامة. فقال مروان نضرب بعضهم ببعض فمن قُتل كان الظفر فيه ويبقي الباقي وهو ضعيف[٤].

ويقصد سعيد بقتلة عثمان عائشة وطلحة والزبير وهم الذين يتصدّرون جيش الجمل فدعا إلى قتلهم والثار لعثمان[٥].

ولم يستجب الأمويون له واستجابوا لرأي مروان وقد أسر الإمام علي عليه السلام سعيد بن العاص في معركة الجمل وعفا عنه[٦]، وسعيد بن العاص هو الذي كتب صحيفة نكث بيعة علي بن أبي طالب عليه السلام في مكّة وإنّ الأمر لقريش بالتناوب[٧].

---

(١) تاريخ الطبري ٤ / ٣١٨، الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٣٢ / ١٣٧، البداية والنهاية ٧ / ١٧٣.

(٢) الأحكام، الإمام يحيى بن الحسين ١ / ١٥٤.

(٣) البحار ٣١ / ١٤٩، الخلاف الطوسي ١ / ٦٣٧.

(٤) رسائل المرتضى ٤ / ٦٨.

(٥) شذرات الذهب ١ / ٦٥، الإصابة ٢ / ٤٤، أسد الغابة ٢ / ٣٠٩.

(٦) كشف الغطاء، كاشف الغطاء ١ / ١٦.

(٧) كتاب السقيفة، سليم بن قيس الهلالي تحقيق الأنصاري ١٥٥.

ولم يبايع سعيد بن العاص علياًﷺ في خلافته مَثله مثل مروان بن الحكم والوليد بن عقبة[1]، وكان أبوه أبو أحيحة من أعمدة الظالمين في مكّة وقد قتله الإمام علي بن أبي طالبﷺ في معركة بدر، وقد بقي سعيد حاقداً على أمير المؤمنين عليﷺ. وكان سعيد على سرّ أبيه منافقاً حاقداً على الإسلام والمسلمين والعجيب في الأمر تولية عثمان له على الكوفة تلك المقاطعة المهمّة الشاملة لأراضي واسعة في إيران.

وفي المسلمين من هو أولىٰ بالأمر منه مثل المهاجرين والأنصار الذين قاتلوا في بدر واحد والخندق وعلى رأس هؤلاء حذيفة بن اليمان والمقداد وعمّار وأبو ذر وعبدالله بن مسعود وأبيّ بن كعب وغيرهم.

فأصبح سعيد بن العاص وجهاً من وجوه عثمان بن عفّان في الدولة يمثّله في سياسته وأحكامه، فتسبّب في مقتل بعض المسلمين وسيطر على أموال المؤمنين، وأفتىٰ خطئاً في أحكام الدين.

وهذه الأعمال الظالمة تقع على عاتق عثمان، الذي عيّنه والياً على الكوفة ومكّنه من أموال المسلمين، وأخطر نظريات سعيد بن العاس المعروفة تتمثّل في أنّ الدنيا بستان قريش.

وهي نظرية عثمان وباقي القرشيين أفصح عنها سعيد بن العاص متسبّباً في ثورة أهالي الكوفة على النظام وفقدان الدولة سيطرتها على هذا الأقليم المهمّ.

فأصبح سعيد بن العاص الناطق الرسمي باسم عثمان باعتباره والياً مهمّاً له فتعرّف المسلمون المجاهدون الفاتحون للعراق والشام وإيران على أخلاق عثمان من

(١) الجمل، ضامر المدني ٦٧.

خلال سعيد بن العاص فثاروا عليه وشاركوا في قتله.

وكان سعيد بن العاص على نهج أبيه وكذلك كان ابنه (عمرو بن سعيد الأشدق) على مسلك أبيه، فهم جميعاً على شريعة الغاب القرشية ينظرون إلى الناس كعبيد لقريش وإنّ أموالهم ملك قريش!!

فلقد شارك سعيد بن العاص في حروب الكفر على الإسلام فعفا عنه رسول الله ﷺ وأصبح طليقاً بعد فتح مكّة، فلم يستقم في أمره بل عاث في الأرض فساداً، وشارك في محاربة الإمام علي عليه السلام في معركة الجمل فأُسِر مرّة في معركة الجمل فعفا عنه أمير المؤمنين علي عليه السلام ولم يستقم مرّة أخرىٰ فأصبح جندياً من جنود معاوية يساهم في جرائمه إلى أن مات في سنة موت إمامه معاوية.

وكان معاوية قد قتل كلّ الشخصيّات السياسية المعروفة الصالحة والطالحة المنافسة لابنه يزيد في السلطة بدءاً من الإمام الحسين بن علي عليهما السلام وسعد بن أبي وقاص وانتهاءً بعبدالله بن زياد وسعيد بن العاص.

الوليد الفاسق

وهو الذي نزلت في حقّه آية قرآنية بيّنت حاله: ﴿إِذَا جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ فهو بنص القرآن الكريم من المنافقين[1].

ذكر ابن الأثير: ولا خلاف بين أهل العلم بتأويل القرآن أنّ قوله تعالى: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾[2]، أُنزلت في الوليد بن عقبة، وذلك أنّ رسول الله ﷺ

---

(١) تفسير القرطبي ١٦ / ٣١١، البرهان، الزركشي ١ / ١٦٠، الدرّ المنثور ٦ / ٨٩، الفصول في الأصول، الجصّاص ٣ / ١٥٢.

(٢) الحجرات: ٥.

بعثه مصدّقاً إلى بني المصطلق، فعاد وأخبر عنهم أنّهم ارتدوا ومنعوا الصدقة[١].

وذكر ابن قتيبة أنّ عمر قد أرسله على صدقات بني تغلب[٢] أولا.

يعني بالمؤمن علياً ﷺ وبالفاسق الوليد بن عقبة[٣].

ثم عيّنه والياً على عرب الجزيرة[٤].

وكان عمر بن الخطاب أوّل من أرسل الوليد والياً على عرب الجزيرة[٥].

وعندما أرسل عثمان الوليد والياً على الكوفة وعزل سعد بن أبي وقاص قال له سعد: والله ما أدري أكِسْتَ بعدنا أم حَمِقنا بعدك[٦].

وكان سعد بن أبي وقاص ينتقص سلمان الفارسي في نسبه[٧]. ولما فرّ سعد في بئر معونة قال له رسول الله ﷺ: ما بعثتك قط إلّا رجعت اليَّ من بين أصحابك[٨].

وفي سنة ٢٥ هجرية عيّنه عثمان والياً على الكوفة تلك الولاية المهمّة والخطيرة الشاملة لمناطق واسعة من إيران والعراق.

وفي زمن ولايته على الكوفة، تجاهر الوليد بالفسق والفجور غير مبال باعتراض المسلمين في ظلّ حماية عثمان ورعايته، وحكم الوليد الكوفة من سنة ٢٥

---

(١) أسد الغابة، ابن الأثير: ٥ / ٤٥١، طبعة دار أحياء التراث، مختصر تاريخ ابن عساكر: ٢٦ / ٣٣٨.

(٢) المعارف، ابن قتيبة: ص ٣١٩.

(٣) مختصر تاريخ ابن عساكر، ابن منظور: ٢٦ / ٣٤٠.

(٤) تاريخ الطبري ٣ / ٣١١، سيرة ابن هشام ١ / ٣٨٥، ٢ / ٢٥، وتفسير الآيات ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ...﴾ الفرقان: ٣٠ ـ ٣٢ من تفسير القرطبي والطبري والزمخشري وابن كثير والرازي، البداية والنهاية، ابن كثير ٣ / ٣٢ طبعة دار إحياء التراث.

(٥) تاريخ الطبري: ٣ / ٣٢٧ طبعة الأعلمي، الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٣ / ٨٢ ط صادر بيروت.

(٦) سيرة ابن هشام: ٤ / ١٥٥٤، أسد الغابة، ابن الأثير: ٥ / ٤٥٢.

(٧) تاريخ ابن عساكر: ١٠ / ٤٥.

(٨) مغازي الواقدي: ١ / ٣٥٢.

إلى سنة ٣٠ هجرية شارباً للخمر علناً ومصلّياً بالناس سكراناً حتىٰ صلىٰ بهم الصبح أربع ركعات ولمّا اعترضوا عليه قال لهم هل أزيد؟

وفي الحقيقة كشف الأمويون عن أهدافهم في ظلّ حكومة عثمان راغبين في إعادة المسلمين إلى الجاهلية الكافرة.

وجاء الوليد بساحر يهودي إلى مسجد الكوفة يعمل السحر والشعوذة بعد صلاة الجماعة! غير مهتمّ بإدخال كافر إلى المسجد وغير متورّع عن الأعمال المحرّمة في بيت الله.

ويذكر بأنّ كفرة الجاهلية وبواسطة مثل تلك الأعمال أدخلوا الأصنام إلى الكعبة وبدّلوا دين الله تعالىٰ.

وسرق الوليد أموال الناس وظلمهم بشتّىٰ صنوف الظلم والعدوان فانتشرت الثورة بين المسلمين وكثرت الفوضىٰ في صفوفهم وكلّهم رغبة ودعاء في إنقاذهم من تسلّط آل أميّة.

وبينما نشر الوليد الكفر والظلم في الكوفة، كان ابن أبي سرح ينشر الإلحاد والفجور في أفريقيا.

وكان عبدالله بن عامر يقوم بذلك الدور في البصرة وجنوب إيران.

أمّا معاوية فكان يزرع الأفكار والنظريات الجاهلية، في الشام مثلما زرعها آباؤه وأجداده في مكّة!

فتضرّع المسلمون إلى الباري تعالىٰ في إنقاذهم من هذا الكفر المستشري في صفوفهم ومن هذا الفجور المنتشر في صفوفهم.

وارتفعت نداءات الله أكبر في الأمصار الإسلامية كلّ ينادي للجهاد لا لفتح

الصين وأفريقيا بل لإسقاط الدولة الظالمة!

فكتب أهالي المدينة المنوّرة إلى مسلمي الأقطار الإسلامية أنّ أقدموا للجهاد في المدينة.

وكان عثمان بن عفان يملك جيشاً قوياً في المدينة يمنع الناس من الحركة ويملك عثمان وحده ألفاً من العبيد!

وهو يعادل ثلاثة أضعاف المسلمين المشاركين في معركة بدر! ولكنّ هؤلاء أصبحوا مع الحقّ وتركوا عثمان يصارع الجماهير الغاضبة وحده.

وأعطى عثمان الوليد بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أُميّة أخا الخليفة من أُمّه ما استقرض عبدالله بن مسعود من بيت مال المسلمين ووهبه له. قال البلاذري: لمّا قدم الوليد الكوفة ألفى ابن مسعود على بيت المال فاستقرضه مالاً وقد كانت الولاة تفعل ذلك ثمّ تردُّ ما تأخذ، فأقرضه عبدالله ما سأله، ثمّ إنّه اقتضاه إيّاه، فكتب الوليد في ذلك إلى عثمان، فكتب عثمان إلى عبدالله بن مسعود:

إنّما أنت خازن لنا فلا تعرض للوليد فيما أخذ من المال، فطرح ابن مسعود المفاتيح وقال: كنت أظنُّ أنّي خازن للمسلمين، فأمّا إذا كنت خازناً لكم فلا حاجة لي في ذلك، وأقام بالكوفة بعد إلقائه مفاتيح بيت المال[1].

وعن عبدالله بن سنان قال: خرج علينا ابن مسعود ونحن في المسجد وكان على بيت مال الكوفة، وفي الكوفة الوليد بن عقبة بن أبي معيط فقال: يا أهل الكوفة فقدت من بيت مالكم الليلة مائة ألف لم يأتني بها كتاب أمير المؤمنين ولم يكتب لي بها براءة، قال: فكتب الوليد بن عقبة إلى عثمان في ذلك فنزعه عن بيت

(١) أنساب الأشراف: ٥ / ٣٠.

المال. العقد الفريد[١].

وفي الكوفة جاء الوليد بساحر يهودي لابراز سحره في مسجد الكوفة أمام المسلمين، فأحدث فتنة هناك واضطر جندب لقتل ذلك الساحر، فلاحق الوليد بن عقبة وعثمان بن عفان جندباً لقتله بذلك اليهودي.

فافهم أيّها القارىء الحالة السياسية السيّئة في زمن عثمان.

وشرب الوليد الخمر وصلّى سكران،قال عمر بن شبّة: صلّى الوليد بن عقبة بأهل الكوفة صلاة الصبح أربع ركعات، ثم التفت إليهم فقال: ءأزيدكم؟ فقال عبدالله بن مسعود: ما زلنا معك في زيادة منذ اليوم[٢].

وقال ابن عبد البر: صلّى الوليد الصبح أربع ركعات وقال: هل أزيدكم[٣].

وقال أبو الفداء في تاريخه: إنّ قصّة صلاته بالناس الصبح أربعاً وهو سكران مشهورة مخرجة[٤].

وقال السيوطي: صلّى الوليد بأهل الكوفة أربع ركعات، وصار يقول في ركوعه وسجوده: اشرب واسقني[٥].

مقتل عقبة في الأسر هل هي قضية مختلقة ؟

وكان أبوه عقبة بن أبي معيط من أشدّ الناس على رسول الله ﷺ في إيذائه من

(١) العقد الفريد: ٤ / ١١٩.

(٢) الاستيعاب: ٤: ١٥٤، أسد الغابة، ابن الأثير: ٥ / ٤٥٢.

(٣) الاستيعاب، ابن عبد البر: ٣ / ٦٣٤، مسند أحمد: ١ / ١٤٤، سنن البيهقي: ٨ / ٣١٨، تاريخ اليعقوبي: ٢ / ١٤٢.

(٤) تاريخ أبي الفداء: ١٧٦، الاصابة، ابن حجر: ٣ / ٦٣٨.

(٥) تاريخ الخلفاء، السيوطي: ١٠٤، سيرة الحلبي: ٢ / ٣١٤، الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني: ٤ / ١٧٨.

جيرانه، أخرج ابن سعد بالإسناد من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عـائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «كنت بين شرّ جارين بـين أبي لهب وعـقبة بـن أبي معيط، إن كانا ليأتيان بالفروث فيطرحانها على بابي، حتى إنّهم ليأتون ببعض مـا يطرحون من الأذى فيطرحونه على بابي»[1].

وقال ابن سعد في الطبقات[2]: كان أهل العـداوة والمـناواة لرسـول الله ﷺ وأصحابه الذين يطلبون الخصومة والجدل أبو جهل، أبو لهب، إلى أن عدّ عقبة بن أبي معيط، والحكم بن أبي العاص فقال: وذلك أنّهم كانوا جـيرانـه، والذي كـان تنتهي عداوة رسول الله ﷺ إليهم: أبو جهل، وأبو لهب، وعقبة بن أبي معيط.

وقال ابن هشام في سيرته[3]: كان النفر الذين يؤذون رسول الله ﷺ في بيته أبو لهب، والحكم بن أبي أُميّة، وعقبة بن أبي معيط.

وقال ابن هشام[4]: كان أُبيّ بن خلف وعقبة بن أبي معيط متصافيين حَسَناً ما بينهما، فكان عقبة قد جلس إلى رسول الله ﷺ وسمع منه فبلغ ذلك أُبيّاً فأتى عقبة فقال له: ألم يبلغني أنّك جالست محمداً وسمعت منه؟ ثمّ قال: وجهي مـن وجـهك حرام أو أكلّمك، واستغلظ له من اليمين إن أنت جلست إليه أو سمعت منه أو لم تأته فتتفل في وجهه. ففعل ذلك عدوّ الله عقبة بن أبي معيط لعنه الله، فـأنزل الله تـعالى فيهما:

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً يَا

---

(١) طبقات ابن سعد: ١ / ١٨٦ طبع مصر [١ / ٢٠١].

(٢) المصدر السابق: ١ / ٢٠٠ ـ ٢٠١

(٣) السيرة النبوية: ٢ / ٥٧.

(٤) المصدر السابق: ١ / ٣٨٧.

﴿وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلاً لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنْسَانِ خَذُولاً﴾[1].

وأخرج ابن مردويه وأبو نعيم في الدلائل بإسنادٍ صححهُ السيوطي من طريق[2] سعيد بن جبير عن ابن عباس: أنّ عقبة[3] بن أبي معيط كان يجلس مع النبيّ بمكّة لا يؤذيه، وكان له خليل[4] غائب عنه بالشام، فقالت قريش: صبا عقبة. وقدم خليله من الشام ليلاً فقال لامرأته: ما فعل محمد مما كان عليه؟

فقالت: أشدّ مما كان أمراً.

فقال: ما فعل خليلي عقبة؟

فقالت: صبا. فبات بليلة سوء. فلمّا أصبح أتاه عقبة فحيّاه فلم يردّ عليه التحية.

فقال: ما لك لا تردّ عليّ تحيّتي؟

فقال: كيف أردُّ عليك تحيّتك وقد صبوت؟

قال: أوَقد فعلتها قريش؟

قال: نعم.

قال: فما يبرئ صدورهم إن أنا فعلته؟

قال: تأتيه في مجلسه فتبزق في وجهه وتشتمه بأخبث ما تعلم من الشتم، ففعل.

---

(١) الفرقان: ٢٧ ـ ٢٩.

(٢) دلائل النبوّة: ٢ / ٦٠٦ ـ ٦٠٧ ح ٤٠١.

(٣) وقع في الدرّ المنثور [٦/ ٢٥٠] الاشتباه في اسم الرجل فجعله أبا معيط، وتبعه على علاّته من حكاه عنه كالشوكاني [في تفسيره: ٤/ ٧٤] وغيره.

(٤) هو أُبيّ بن خلف كما سمعت، وفي غير واحد من المصادر: أُميّة بن خلف.

فلم يردُّ رسول الله ﷺ على أن مسح وجهه من البزاق ثمّ التفت إليه فقال: «إن وجدتك خارجاً من جبال مكّة أضرب عنقك صبراً».

فلمّا كان يوم بدر وخرج أصحابه أبى أن يخرج، فقال له أصحابه: أخرج معنا.

قال: وعدني هذا الرجل إن وجدني خارجاً من جبال مكّة أن يضرب عنقي صبراً، فقالوا: لك جمل أحمر لا يدرك فلو كانت الهزيمة طرت عليه، فخرج معهم، فلمّا هزم الله المشركين وحمل[1] به جمله في جدود من الأرض أخذه رسول الله ﷺ أسيراً في سبعين من قريش وقدّم إليه عقبة.

فقال: أتقتلني من بين هؤلاء؟

قال ﷺ: «نعم، بما بزقت في وجهي».

وفي لفظ الطبري: «بكفرك وفجورك وعتوّك على الله ورسوله». فأمر عليّاً ﷺ فضرب عنقه فأنزل الله فيه:

﴿وَيَومَ يَعضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيهِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَكَانَ الشَّيطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً﴾.

والصحيح: لقد قتل الامام عقبة بن ابي معيط في ارض المعركة وابن ابي سفيان وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة ضمن عدة من المقتولين من الكافرين بسيف علي والرواية اختلقها الامويون وسندها ضعيف.

ولان عقبة كان يهوديا من بين هؤلاء فقد افردوا له قصة خاصة على غرار قصص اليهود الاخرى في اثبات مظلومية اليهود في التاريخ وانهم قتلوا اسرى بعيدا عن سوح القتال.

(١) في الدر المنثور: وَحَلَ به جملُهُ في جدد من الأرض.

مثلما حرّفوا مقتل اليهود في معركتهم مع نبوخذنصر في القدس الى مقتلهم وهم أسرى[(١)].

فديدن اليهود يتمثل في اختلاق مظلوميات لافرادهم ليس لها وجود ولا حقيقة.

والهدف الاخر لليهود يتمثل في تشويه صورة اعدائهم بأنهم يقتلون الاسرى ويبتعدون عن قوانين الانسانية والاديان السماوية في صيانة حقوق الاسرى.

فهذه القصص المختلقة اوجدها كعب الاحبار حينما سمح له عمر في الوعظ الديني في المسجد النبوي ثلاث مرات في الاسبوع فأصبحت قصصهم ورواياتهم مشهورة يتناقلها المسلمون ويكتبها المؤرخون وهي معارضة للاخلاق ومخالفة لمبادئ الرحمن.

وكان الوليد يهودياً من الشام وينتمي إلى بني أميّة بالانتساب وهو من طغاة مكّة المحاربين للإسلام بقوّة سائراً على منهج أبيه عقبة بن أبي معيط.

وقال عقيل بن أبي طالب للوليد: إنّك لتتكلم يابن أبي معيط كأنّك لا تدري من أنت، وأنت علج من أهل صفورية ـ وهي قرية بين عكا واللجون من أعمال الأردن من بلاد طبرية كان ذكوان أبوه يهودياً منها ـ[(٢)].

وقال النبيﷺ لعقبة بن أبي معيط: إنّما أنت يهودي من أهل صفورية[(٣)].

وأصبح الوليد طليقاً من الطلقاء بعد فتح مكّة، فأصبح من المسلمين

---

(١) راجع كتاب ليالٍ يهودية للمؤلف في هذا الخصوص.

(٢) مروج الذهب، المسعودي: ١ / ٣٣٦. وراجع نسب ذكوان في كتاب مثالب العرب لابن الكلبي، باب ادعياء الجاهلية.

(٣) السيرة الحلبية: ٢ / ١٨٦.

المنافقين المضمرين حقداً دفيناً على التوحيد والساعين للإطاحة بالإسلام.

عبدالله بن عامر بن كريز

كان من الموالين لبني أمية على نهج طغاة مكّة غير معتقد بالدين وغير ملتزم بالأخلاق واستمرّ على مسيرته المذكورة في زمن خلافة الإمام علي عليه السلام إذ شجّع الزبير وطلحة على حرب الجمل فاستدرجهما إلى البصرة. وصرف خزائن المسلمين في البصرة في طريق الفتنة بلا ورع[١].

وبعدما عيّنه عثمان على البصرة تعجّب الناس من ذلك وأنكروه وهو ابن خال عثمان واستمرّ في خدمة الباطل إلى أن قتله معاوية في سنة ٥٩ هجرية تمهيداً لوصول يزيد إلى السلطة. ومن مهالك السلطان أنّ عثمان زوّج ابنته من عبدالله بن خالد بن أسيد وأمر له بستّمائة ألف درهم وكتب إلى عبدالله بن عامر أن يدفعها إليه من بيت مال البصرة[٢].

والشيء المضحك أنّ عثمان قدّم ابنته إلى عبد الله بن خالد وجعل مهر العروس من بيت المال!

واستمرّ عبدالله بن عامر والياً على البصرة إلى سنة ٣٦ هجرية وعندما بايع الناس للإمام علي عليه السلام في البصرة هرب ابن عامر[٣].

وعزل عثمان لأبي موسى الأشعري عن البصرة وتوليته عبدالله بن عامر كان

(١) خصائص الأئمّة، الشريف الرضي ٦١.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٤٥، البحار ٣١ / ٢٢٢.

(٣) البحار ٢٠ / ٢٧٦.

من أسباب نفرة الأشعري من عثمان. وجمع عثمان له البصرة وفارس[(١)].

ولمّا ولّىٰ عثمان عبدالله بن عامر على البصرة، قال أبو موسىٰ الأشعري: قد أتاكم رجل كثير العمّات والخالات في قريش، يبسط فيهم المال بسطاً وقد كنت قبضته عنكم[(٢)].

(١) الاستيعاب، ابن عبدالبرّ ٩٣١، شرح النهج ٣ / ١٢.

(٢) البحار ٣١ / ٢٩٢.

الفصل السادس:

القرآن - عثمان

آيات القرآن في بني أميّة

قال تعالىٰ آيات كثيرة في لعن بني أمّية تلك الشجرة الخبيثة.

﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾[1].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾[2].

سُئِل الإمام علي عليه السلام عن الآية الثانية فقال: هما الأفجران من قريش بنو أمية وبنو المغيرة، ودار البوار دار الهلاك، والشجرة الملعونة في القرآن بنو أمية[3].

---

(١) إبراهيم: ٢٦.

(٢) الإسراء ٦٠.

(٣) مجمع البيان ٦ / ٣١٣، البحار ٣١ / ٥٠٨، تفسير البرهان ٢ / ٤٢٥.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1]. نزلت في بني أمية[2].

وقال تعالى: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا﴾[4]، وهي نزلت في الأفجرين وهما بنو أمية وبنو المغيرة[5].

وقال النبي محمد ﷺ: إذا بلغ آل أبي العاص ثلاثين رجلاً اتخذوا مال الله دولاً وعباده خولاً ودينه دخلاً[6].

ما نزل من القرآن في عثمان

ونزل قرآن في عثمان: قوله تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم﴾[7] نزلت في عثمان في الخندق[8].

وقوله تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ﴾ يعني عثمان[9].

(١) الأنعام ٢٧.

(٢) تفسير علي بن إبراهيم القمي ١ / ٢٧٩.

(٣) إبراهيم: ٢٦، تفسير القمي ١ / ٣٦٩.

(٤) إبراهيم ٢٨.

(٥) تفسير القمي ١ / ٣٧١، تفسير الكشاف ٢ / ٥٥٥، تفسير البيضاوي ٣ / ١٦٠.

(٦) العمدة، ابن بطريق ٤٧١، ح ٩٩٢، مسند أحمد بن حنبل ٣ / ٨٠، الفائق، الزمخشري ١ / ٤٢٠، البحار ٣١ / ٥٣٧، كنز العمال ١١ / ١٦٥، النهاية، ابن الأثير ٢ / ١٠٨، لسان العرب ١١ / ٢٥٢.

(٧) الحجرات ١٧، ١٨.

(٨) البحار ٢٠، ٢٤٣، ٣١ / ٥٩٩، تفسير القمي ٢ / ٣٢٢.

(٩) تفسير القمي ٢ / ١٠٦.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ﴾[1].

نزلت في عثمان وصحبه المنهزمين في معركة حنين، إذ قال عثمان لمن عيّره بالهزيمة في حنين قائلاً: أمّا قوله: إنّي فررت يوم حنين فلم يعيبني بذنب قد عفا الله عنه[2].

أحبّ عثمان بن عفّان قبيلته بني أمية وفضّلها على الناس وقدّمها على القبائل حبّاً قبلياً أعمىٰ كما قال الشاعر الجاهلي:

لا يسألون أخاهم حين يندبهم ... في النائبات على ما قال برهاناً[3]

وبينما قضىٰ الإسلام على الظلم والبغي والسطوة على الأموال وإزهاق الأنفس جاء بنو أمية لإحياء هذا الأمر وإعادة الأمور إلى مجاريها الجاهلية.

ولم يهتمّ عثمان بما قاله الله تعالىٰ في بني أميّة من كونهم الشجرة الملعونة في القرآن الكريم.

شجرة طيّبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، وشجرة خبيثة اجتثّت من فوق الأرض ما لها من قرار.

﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَاناً كَبِيراً﴾[4].

---

(١) آل عمران: ٥٥.

(٢) تاريخ دمشق، ابن عساكر ٣٩/ ٢٥٨.

(٣) أمثال الحديث، الرامهرمزي ١٠٤، فيض القدير، المناوي ٢/ ٥٣٠، خزانة الأدب ٧/ ٤٤١، تفسير الآلوسي ١٩/ ١٠٧، تفسير البغوي ٣/ ٣٩٢.

(٤) الاسراء ٦٠.

وما قاله خاتم الأنبياءﷺ في لعن بني أميّة[١]. و ما ذكره الرسول الكريم في فضح منهجيّة آل أبي العاص عائلة عثمان.

والمدهش في عثمان ليس عدم مراعاته أحاديث رسول اللهﷺ؛ لأنّ هذا ديدنه بل عدم مبالاته بأقوال رفيقه عمر، فلم يهتمّ عثمان بما أنذره عمر قبل موته قائلاً: لو وليها عثمان لحمل بني أبي معيط على رقاب الناس ولو فعلها لقتلوه[٢].

وقال عمر أيضاً: لو وليها عثمان لحمل بني أبي معيط على رقاب الناس والله لو فعلت لفعل ولو فعل لأوشكوا أن يسيروا إليه حتىٰ يجزّوا رأسه[٣]. وقال عمر أيضاً: إنْ وليت هذا الأمر فاتّق الله ولا تحمل آل أبي معيط على رقاب الناس[٤].

ولمعرفة الناس باستماع عثمان لعمر وعدم مراعاته لأقوال النبي الكريم قال له الإمام عليؑ والزبير وطلحة: ألم يوصك عمر ألّا تحمل آل أبي معيط وبني أمية على رقاب الناس فلم يجبهم بشيء[٥].

كان عمر يوصي عثمان بالأعراف الجاهلية في تناوب الرئاسة وتوزيع الحصص السياسية ومساهمة القبائل في الافتخارات الدينية.

فجعلها عثمان أموية خالصة مخالفة للاسلام أوّلاً ومعارضة للعرف الجاهلي ثانياً.

فبنو أميّة لم يتسلّطوا على السلطة الدينية والسياسية في العهد الجاهلي

---

(١) تفسير النيسابوري ١٥ / ٥٥، شرح النهج ٩ / ٢٢٠، النزاع والتخاصم، المقريزي ٢٣، تاريخ الطبري ١١ / ٣٥٦، تاريخ الخطيب ٣ / ٣٤٣، تفسير القرطبي ٢٨٦.

(٢) أنساب الأشراف ٥ / ١٦.

(٣) الآثار، أبو يوسف ٢١٧، ح ٩٦٠.

(٤) أنساب الأشراف ٥ / ١٦، طبقات ابن سعد ٣ / ٢٤٧، الرياض النضرة ٢ / ٧٦.

(٥) المصدر السابق.

لاستبدادهم فكيف يتمّ هذا في الإسلام؟

ذكر مفسّر القرآن السدّي: نزل في عثمان بن عفان قوله تعالى:

﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾[١].

لمّا فتح رسول الله ﷺ بني النضير وقسّم أموالهم قال عثمان لعلي ؑ إئت رسول الله ﷺ فاسأله أرض كذا وكذا فإن أعطاكها فأنا شريكك فيها أو آتيه أنا فأسألة إيّاها فإن أعطانيها فأنت شريكي فيها.

فسأله عثمان فأعطاه إيّاها فقال له علي ؑ: أشركني فأبىٰ عثمان الشركة فقال علي ؑ بيني وبينك رسول الله ﷺ فأبي عثمان أن يخاصمه إلى النبي ﷺ فقيل له: لم لا تنطلق معه إلى النبي ﷺ. فقال عثمان: هو ابن عمّه فأخاف أن يقضي له، فنزل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُم إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[٢].

وقال السدّي: ونزل في عثمان وطلحة قوله تعالى: ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصارَىٰ أَوْلِياءَ بَعْضُهُم أَوْلِياءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[٣].

قال السدّي: لمّا أُصيب أصحاب النبي ﷺ بأحد قال عثمان لألحقنّ بالشام فإنّ لي به صديقاً من اليهود يقال له دهلك فلآخذنّ منه أماناً فإنّي أخاف أن يدال

---

(١) النور: ٤٧.

(٢) النور: ٤٨ ـ ٥٠، الطرائف، ابن طاووس ٤٩٤، البحار ٣١ / ٢٣٨.

(٣) المائدة: ٥١.

علينا اليهود.

وقال طلحة بن عبيدالله لأخرجنّ إلى الشام فإنّ لي صديقاً من النصارىٰ فلآخذنّ منه أماناً فإنّي أخاف أن يدال علينا النصارىٰ.

قال السدّي فأراد أحدهما أن يتهوّد والآخر أن يتنصّر[1].

وقال الثعلبي ونزل في عثمان بن عفّان قوله تعالىٰ:

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ وَأَعْطَىٰ قَلِيلاً وَأَكْدَىٰ﴾.

وقوله تعالىٰ: أفرأيت الذي تولىٰ يعني فرار عثمان في معركة أحد حين فرّ من المعركة وعاد بعد ثلاثة أيّام وقال عبدالله بن أبي سرح لعثمان: أعطني ناقتك برحالها وأنا أتحمّل عنك ذنوبك كلّها. فأعطاه وأشهد عليه وأمسك عن الصدقة[2].

ونزل قوله تعالىٰ: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾، في عثمان عند حفر الخندق إذ مرّ عثمان بعمّار بن ياسر وقد ارتفع الغبار فوضع عثمان كمّه على أنفه ومرّ فقال عمّار:

لا يستوي من يبني المساجدا يظلّ فيها راكعاً وساجداً
كمن يمرّ بالغبار حائداً يعرض عنه جاحداً معانداً

فالتفت إليه عثمان قائلاً: يابن السوداء إيّاي تعني؟ ثمّ أتىٰ رسول الله ﷺ فقال له: لم ندخل معك الإسلام لتسبّ أعراضنا.

فقال له: رسول الله ﷺ: قد أقلتك إسلامك فاذهب، فأنزل الله تعالىٰ قوله الشريف: يمنون عليك أن أسلموا... إن كنتم صادقين[3].

ولمّا كان عثمان بن عفّان بخيلاً شحيحاً على الناس وكريماً جواداً على بني أمية

(١) الطرائف، ابن طاووس ٤٩٤.

(٢) عين العبرة، أحمد آل طاووس ٣٥، تفسير القرطبي ١٧ / ١١١.

(٣) تفسير القمي ٦٤٢، البحار ٣٠ / ١٧٣.

زوّر بنو أمية قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى﴾[1]، إنّها نزلت في عثمان في واقعة تبوك.

في حين نزلت الآية في المدينة قبل غزوة تبوك بعدة سنوات وفي سند تلك الرواية الأموية إبراهيم بن عبدالله المخرمي وهو ليس بثقة قال عنه الدارقطني ليس بثقة حدّث عن الثقات بأحاديث باطلة[2].

وقال ابن حبان عن الشخص الآخر سلمة بن حفص السعدي: كان يضع الحديث[3].

ونزل في عثمان قوله تعالى: ﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ﴾[4].

فيمن نزلت سورة عبس وتولّى؟

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ﴾.

وعبس أي اكفهرّ والمُكفهِر: العبوس[5]. وقد نزلت في ابن أمّ مكتوم الذي اختلف في اسمه قيل اسمه عمرو بن زائدة أو عمرو بن قيس بن زائدة وقيل زياد بن الأصمّ وقيل عبدالله العامري مؤذّن رسول الله ﷺ الذي هاجر إلى المدينة قبل

---

(١) البقرة ٢٦٢ ـ ٢٧٤.

(٢) لسان الميزان ١ / ٧٢.

(٣) لسان الميزان ٣ / ٦٧، راجع تفسير القرطبي ١ / ١٣١، تفسير الخازن ١ / ٢٩، الغدير ٨ / ٥٨، الحلية ١ / ٣٣، تفسير الرازي ٢ / ٣٤٧.

(٤) تفسير البرهان ١٥٦، البحار ٨ / ٢١٧، تفسير الصافي ١ / ٢٢٥، مستدرك سفينة البحار، النمازي ١ / ١٠١.

(٥) الكافي ٥ / ٥٩.

النبي ﷺ واستخلفه النبي ﷺ على المدينة مرّات عديدة وكان يؤذّن بعد أذان بلال[1].

أمّا الشخص الثاني فقد اختلفوا فيه فقالت السنة نزلت في رسول الله ﷺ، وقالت الشيعة نزلت في عثمان بن عفّان.

وعائشة هي أوّل مَن قالت بنزول سورة عبس في خاتم الأنبياء ﷺ، وتبعها على ذلك أنس بن مالك فعن عائشة: نزلت في النبي ﷺ وابن أمّ مكتوم. إذ كان عند رسول الله ﷺ عتبة وشيبة فالتفت إليهما ولم يلتفت إلى ابن أمّ مكتوم. وقيل عند النبي ﷺ رجل من عظماء المشركين، وقيل أبيّ بن خلف. وقال الفخر الرازي: أجمع المفسّرون على أنّ الذي عبس وتولّى هو رسول الله ﷺ. وقال مقاتل إنّ ابن أمّ مكتوم جاء ليؤمن فأعرض عنه النبي ﷺ منشغلاً بالرؤساء فنزلت فيه هذه الآيات[2]. وقال النبي ﷺ إنّ الله يبغض المعبّس في وجه إخوانه[3]. ومنه قيل يوم عبوس قال تعالى: ﴿يَوماً عَبُوساً قَمطَرِيراً﴾، وتتمثّل القصّة في حضور عثمان بن عفّان مع جماعة عند النبي ﷺ منهم ابن أمّ مكتوم الأعمى فقدّمه النبي ﷺ على عثمان بن عفّان فعبّس عثمان وجهه فأنزل الله تعالى سورة عبس وتولّى. ثمّ خاطب

---

(١) تحرير الأحكام، الحلي ٣١/٥٩٨.

(٢) سنن الترمذي ٥ / ١٠٣، المستدرك، الحاكم ٢ / ٥١٤، ٣ / ٦٣٤، مجمع الزوائد، الهيثمي ٢ / ٤٣، فتح الباري، ابن حجر ٨ / ٥٣، مسند أبي يعلى ٥ / ٤٣١، صحيح ابن حبّان ٣ / ٢٩٤، أسباب النزول، الواحدي النيسابوري ٢٩٧، زاد المسير، ابن الجوزي ٨ / ١٧٩، تفسير القرطبي ١٩ / ٢١١، تفسير ابن كثير ٤ / ٥٠١، تفسير الجلالين، السيوطي ٨١٥، الدرّ المنثور، السيوطي ٢ / ٢٠٤، الأحكام، ابن حزم ٥ / ٧٠٠، أصول السرخسي ٢ / ٩٥، الذهبي ١ / ٣٦٢، الأنساب، السمعاني ١ / ١٩١، بحار الأنوار ٣٠ / ١٧٤، تفسير الصافي ٥ / ٢٨٤، تفسير الفيض الكاشاني ٢ / ١٤٠٥.

(٣) المستدرك، النوري ٢ / ٦١.

عثمان:

﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّى﴾.

أي إذا جاءك غني ترفعه. ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى﴾، أي لا تبالي زكيّاً جاء أو غير زكي إذا كان غنياً ﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى﴾ يعني ابن أمّ مكتوم ﴿وَهُوَ يَخْشَى فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾، أي تلهو ولا تلتفت إليه[1].

البراهين على نزول السورة في عثمان

قال الطوسي: قول الفخر الرازي فاسد؛ لأنّ النبي ﷺ قد أجَلَّ الله قدره عن هذه الصفات وكيف يصفه بالعبوس والتقطيب وقد وصفه بأنّه على خلق عظيم! وقال: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾، وكيف يعرض عمّن تقدّم وصفه مع قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[2].

والقرآن الكريم يعارض نزولها في رسول الله ﷺ بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾.

﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

---

(١) البحار ٣١ / ٣٩٨.

(٢) الأنعام ٥٢، تفسير القمي ٢ / ٤٠٤.

٢ ـ وظاهر الآيات القرآنية في السورة لا تؤيّد نزولها في النبي ﷺ ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَىٰ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّىٰ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَىٰ وَهُوَ يَخْشَىٰ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾.

٣ ـ سيرة رسول الله ﷺ الأخلاقية لا تتوافق مع السيرة المذكورة في السورة القرآنية.

وسيرة عثمان بن عفّان تتناسب مع سيرة الشخص المذكور في القرآن. فالنبي ﷺ كان مع الفقراء والمساكين يجالسهم ويستمع إليهم ويتودّد لهم ويعطف عليهم. وسيرة عثمان مخالفة لقضية التقارب مع المساكين فأصبح في زمن حكمه مع الأغنياء، وظلم الفقراء لصالح الظالمين فثار عليه الفقراء وقتلوه، وتركوه على مزبلة المسلمين ثلاثة أيّام دون دفن ثمّ دفنوه في مقبرة اليهود. وعثمان بن عفان لم يعبّس في وجه ابن أمّ مكتوم فقط بل تشاجر مع عمار بن ياسر في غبار المسجد، فوقف خاتم الأنبياء مع عمار بن ياسر[1]، واستمرّ عثمان بن عفان في أيّام حكمه مخالفاً لمجالسة المؤمنين الفقراء مقرّباً لطواغيت بني أمية وفراعنة قريش.

وفي زمن حكمه أفصح عثمان عن نهجه وسلوكه أكثر فأكثر بضربه لعمار بن ياسر وفتق بطنه وضربه بنفسه أيضاً لعبدالله بن مسعود وكسره ضلعه، ونفيه لأبي ذر إلى صحراء الربذة ليموت هناك[2]، فأعماله المذكورة تتناسب مع عبوسه في وجه ابن أمّ مكتوم الأعمى.

(١) صحيح البخاري باب التعاون في بناء المسجد ١ / ٩٣.

(٢) البحار ٨ / ٣٢٥ طبعة أمين الضرب. ٣١ / ١٨٧، الإيضاح ٥٦، السيرة الحلبية ٢ / ٨٧، مروج الذهب ٢ / ٣٣٢، طبقات ابن سعد ٣ / ٥٨، تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٤٨ ط الغري.

ولمّا زار عثمان عبدالله بن مسعود قبل موته من كسر ضلعه: قال له استغفر لي. قال عبدالله بن مسعود: أسأل الله أن يأخذ لي حقي منك[١].

وقال السيد المرتضىٰ: أمّا ظاهر الآية فغير دال على توجّهها إلى النبي ﷺ ولا فيها ما يدلّ على أنّه خطاب له بل هي خبر محض لم يصرّح بالمخبر عنه، وفيها ما يدلّ عنه التأمّل على أنّ المعني بها غير النبي ﷺ؛ لأنّه وصفه بالعبوس وليس هذا من صفات النبي ﷺ في قرآن ولا خبر مع الأعداء المنابذين فضلاً عن المؤمنين المسترشدين.

ثمّ وصفه بأنّه يتصدّىٰ للأغنياء ويتلهّىٰ عن الفقراء وهذا ممّا لا يوصف به نبيّنا ﷺ، فليس هذا مشابهاً لأخلاقه الواسعة وتحنّنه على قومه وتعطّفه.

وكان هذا القول إغراء ترك الحرص على إيمان قومه[٢]، وهل من المعقول وصف النبي ﷺ في القرآن إنّك لعلىٰ خلق عظيم وهو يعبّس في وجه الفقراء لا لأجل ذنب اقترفوه، هذا مخالف للقرآن، وهو مخالف لقوله **﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾**.

٤ ـ وقال الصادق ؑ: إنّها نزلت في رجل من بني أميّة[٣]. وكان النبي عيسىٰ يبرأ الأكمة والأبرص فكيف يعبّس النبي في وجوههم!

وحاول المنافقون سلب العصمة من رسول الله ﷺ بسورة عبس وتولىٰ واتّهام النبي ﷺ بالخطأ في مواطن عديدة. قال السيد شبّر: العصمة عبارة عن قوّة العقل من حيث لا يغلب مع كونه قادراً على المعاصي كلّها كجائز الخطأ وليس معنى

---

(١) شرح النهج ٣ / ٤٠.

(٢) تنزيه الأنبياء، المرتضىٰ ١٦٦.

(٣) مجمع البيان ٥ / ٤٣٧ طبعة صيدا.

العصمة أنّ الله يجبره على ترك المعصية، بل يفعل به ألطافاً يترك معها المعصية باختياره مع قدرته عليها كقوّة العقل وكما الفطنة والذكاء ونهاية صفاء النفس وكمال الاعتناء بطاعة الله تعالىٰ ولو لم يكن قادراً على المعاصي بل كان مجبوراً على الطاعات لكان منافياً للتكليف وعدم الإكراه في الدين والنبي أوّل من كلّف حيث قال: فأنا أوّل العابدين وأنا أوّل المسلمين وقال تعالى:

﴿فَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِيْن﴾[1].

ولأنّه لو لم يكن قادراً على المعصية لكان أدنىٰ مرتبة من صلحاء المؤمنين القادرين على المعاصي التاركين لها[2]. وعلى عكس ذلك كان النبي ﷺ معروفا بمجالسة الفقراء والمساكين ومساعدتهم مثل عمار وأبي ذر.

٥ ـ الحكم الأموي حرّف الروايات لصالح عثمان الأموي وفي غير صالح رسول الله ﷺ، وقد جاءتنا الكثير من الأحاديث النبوية الكاذبة في حقّ عثمان على يد مرتزقة الحكومة الأموية وقد كذّبها العلماء، ممّا يبيّن سعي بني أُميّة للنيل من خاتم الأنبياء ﷺ لصالح ابن عمّهم عثمان وعلى رأس تلك الأعمال قضيّة سورة عبس وتولّىٰ.

وقد فضّل الأمويون أيضاً عثمان على أبي بكر وعمر وباقي الناس في محاولة مفضوحة منهم في هذا المجال. فكيف يصدّق عاقل نزول سورة عبس في حقّ النبي ﷺ ويبرّأ ساحة عثمان.

وقد بكى الفقراء على موت رسول الله ﷺ أياماً عديده في حين قتل الفقراء عثمان بن عفان ودفنوه في مقبرة اليهود، بعد ثورة شعبية عارمة، أطاحت بعرشه

---

(١) الحجر ٩٩.

(٢) حقّ اليقين: ١.

المبني على جماجم المؤمنين.

٦ ـ كان تفسير السورة القرآنية في زمن رسول الله ﷺ بنزولها في عثمان لذا لم يحصل عثمان على مرتبة محمودة عند النبي ﷺ ولم يولّه النبي ﷺ منصباً مهمّاً. وإنّما جاءت لنا الأكاذيب في زمن حكم الأمويين، وقد وصفه رسول الله ﷺ بأنّه فرعون هذه الأمّة قائلاً:

لكلّ أمّة فرعون وعثمان فرعون هذه الأمّة؛[1] لذلك أحبت طغاة قريش الكافرة عثمان وقالت:

أحبّك والرحمن حبّ قريش لعثمان.

مقابل ذلك حقد المسلمون على عثمان وأبغضوه، فهذه النصوص القرآنية والحديثيّة والروائية تؤيّد نزول سورة عبس في حقّ عثمان بن عفان المقتول بيد فقراء المسلمين.

(١) بحار الأنوار ط كمباني ٨ / ٣٤١، طبع جديد ٣١ / ٢٩٨.

الفصل السابع:

عثمان ـ الحديث

منع عثمان لتدوين الحديث

سار عثمان على نظرية أبي بكر وعمر في منع تدوين الحديث النبوي والسماح لكعب الاحبار في ذكر الاسرائيليات في المسجد النبوي لتحل محل الحديث.

جاء في كنز العمال[1] وفي كتاب تذكرة الحفاظ[2] عن عائشة أنها قالت: جمع أبي الحديث عن رسول الله فكانت خمسمائة حديث فبات يتقلب، فقلت يتقلب لشكوى او لشيء بلغه، فلمّا أصبح قال: أي بنيّة هلمي بالأحاديث التي عندك فجئته بها فاحرقها[3] وهذا كله ضمن نظريتهم المعلنة: حسبنا كتاب الله.

وقال قرضة بن كعب: لما سيّرنا عمر الى العراق مشى معنا الى صرارة ثم قال: أتدرون لم شيعتكم؟ قلنا اردت ان تشيعنا وتكرمنا، قال: مع ذلك حاجة: إنكم

---

(١) كنز العمال ٢٣٧/٥.

(٢) تذكرة الحفاظ ٥/١.

(٣) تذكرة الحفاظ، الذهبي ٥/١.

تأتون أهل قرية لهم دويٌ بالقرآن كدوي النحل فلا تعدوهم بالاحاديث عن رسول الله وانا شريككم قال قرضة: فما حدَّثت بعده حديثاً عن رسول الله.

وروى الذهبي في تذكرة الحفاظ[1] أن عمر حبس ثلاثة وقال لهم: اكثرتم الحديث عن رسول الله، وهم ابن مسعود وأبو ذر وأبو الدرداء.

وذكر عبد الرحمن بن عوف: ما مات عمر بن الخطاب حتى بعث الى اصحاب رسول الله فجمعهم من الآفاق عبد الله بن حذيفة وابو الدرداء وعقبة بن عامر فقال: ما هذه الأحاديث التي افشيتم عن رسول الله في الافاق؟

قالوا اتنهانا؟ قال: اقيموا عندي لا والله لا تفارقوني ما عشت فنحن اعلم نأخذ منكم ونرد عليكم فما فارقوه حتى مات.

وقد جمع ابو بكر الناس بعد وفاة نبيهم فقال: إنكم تحدثون عن رسول الله احاديث تختلفون فيها، والناس بعدكم اشد اختلافاً. فلا تحدثوا عن رسول الله شيئاً فمن سألكم فقولوا بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلوا حلاله وحرّموا حرامه[2].

وذكر ابن سعد في طبقاته قائلاً[3]: إن الاحاديث كثرت على عهد عمر بن الخطاب فأنشد الناس أن يأتوه بها وظن الناس أنه سيجمعها فلما أتوه بها أمر بتحريقها.

وقال ابو هريرة: ما كنّا نستطيع ان نقول: قال رسول الله ﷺ حتى قبض عمر[4]. إذ قال عمر لأبي هريرة: لتتركنّ الحديث عن رسول الله ﷺ أو لألحقنك

---

(١) ج ١ ص٧.

(٢) تذكرة الحفاظ للذهبي ٢/١، العواصم من القواصم، ابن عربي ص ٧٥، ٧٦.

(٣) الطبقات ١٤٠/٥ بترجمة محمد بن أبي بكر.

(٤) تاريخ ابن كثير ١٠٧/٨، البداية والنهاية ١١٥/٨.

بارض دوس[١]، وقال عمر : أقلوا الرواية عن رسول الله ﷺ إلّا فيما يعمل به[٢].

إنّ منع كتابة الحديث وعدم اتخاذ الاسس الصحيحة في التدوين هو الذي ادى الىٰ انتشار احاديث مخالفة لآيات القرآن الكريم والحديث المتواتر . . .

وبلغت حالة المعارضة لنسخ الكتاب وتفسيره وتدوين الحديث في زمن عمر بن الخطاب درجة مشهودة .

وجاء عثمان فصعد المنبر ثم قال : لا يحل لاحد ان يروي حديثاً لم يسمع به في عهد ابي بكر وعمر[٣].

وبقي قرار منع كتابة الحديث قائماً مـدّة ١٠٠ سـنة مـع احـراق للأحـاديث الموجودة ، ومنع الرواة من النطق بها خاصّة اذا كانت أحاديث في فـضائل أهـل البيت .

فقد قال ابن شهاب الزهري : كنا نكره كتابة العلم حتىٰ اكرهنا عليه هـؤلاء الامراء فرأينا ان لا نمنعه احداً من المسلمين .

ولكن عمر بن عبد العزيز الذي ارجع فدكاً لاصحابها رفع الحظر عن تدوين الحديث ودعا لكتابته حرصاً على السنّة النبوية من الضياع .

ومنعُ تدوين الحديث في زمن ابي بكر وعـمر هـو الذي سـاعد عـلىٰ نـشر الحديث الموضوع في زمن بني أميّة فذكر محمود ابو ريّة قسماً من الوضع السياسي للحديث قائلاً : اخرج ابو يعلىٰ عن ابي هريرة قال رسول الله : عرج بي الى السماء فما مررت بسماء إلّا وجدت فيها اسمي محمد رسول الله وابو بكر الصديق خـلفي وان

---

(١) البداية والنهاية ٨/١١٥.

(٢) المصدر السابق .

(٣) منتخب الكنز بهامش مسند احمد بن حنبل ٤ / ٦٤.

الملائكة لتستحي من عثمان كما تستحي من الله سبحانه ورسوله . وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على الطعام وان النبي قال لمعاوية : اللهم اجعله هادياً مهدياً[١] .

وقال أبو رية : أشدُّ الكهان دهاءً ومكراً كعب الأحبار ووهب بن منبه وعبدالله بن سلام . وقال كعب : ما رأيت أحداً لم يقرأ التوراة أعلم بما فيها من أبي هريرة !

وقد اتهم عمر والزبير وعثمان والامام علي عليه السلام ومروان ابا هريرة بالكذب[٢] .

وكذّب ابو حنيفة أنس بن مالك وابا هريرة وسمرة بن جندب[٣] وقال أبو رية : إنَّ عبد الله بن عمر هو احد تلاميذ كعب الأحبار[٤] . وفي رواية أنّ أبا هريرة يخلط أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وكعب الأحبار[٥] .

وعن احراق عمر لمكتبة الإسكندرية وفيها أكثر من خمسين الف كتاب جاء إنّ العالم يحيى النحوي قد طلب من عمرو بن العاص كتب الحكمة في الخزائن الملوكية والتي جمعها من بلدان مختلفة بواسطة ابن زمرة ثم بدأ بجمع كتب السند والهند وفارس وجرجان والأرمان وبابل والموصل وعند الروم فعجب الملك (المحب للعلم والعلماء) من ذلك وقال له : دم على التحصيل فلم يزل علىٰ ذلك إلى إن مات . وهذه الكتب لم تزل محروسة محفوظة يراعيها كل من يلي الأمر من الملوك واتباعهم الىٰ وقتنا هذا فاستكثر عمرو ما ذكره يحيى النحوي وعجب منه وقال له :

---

(١) اضواء على السنة المحمدية لمحمود ابو رية ص١٢٧.

(٢) البداية والنهاية ٨/١١٢ ـ ١١٨، تاريخ دمشق، ترجمة أبي هريرة.

(٣) المصدر السابق ص ٢٠٥.

(٤) المصدر السابق ص ١٧١.

(٥) البداية والنهاية ٨/١١٧.

لا يمكنني أن آمر بأمر إلّا بعد استئذان امير المؤمنين عمر بن الخطاب وكتب إلى عمر وعرّفه بقول يحيى الذي ذكر واستأذنه ما الذي يصنعه فيها فورد عليه كتاب عمر يقول فيه: أما الكتب التي ذكرتها فإن كان فيها ما يوافق كتاب الله ففي كتاب الله عنه غنىٰ، وإن كان فيها ما يخالف كتاب الله تعالىٰ؟ فلا حاجة اليها فتقدم باعدامها، فشرع عمرو بن العاص في تفريقها علىٰ حمامات الإسكندرية وإحراقها في مواقدها، وذكر عدّة حمامات يومئذ وأنسيتها فذكروا أنّها استنفدت في مدة ستة أشهر.

ومؤسس تلك المكتبة هو بطليموس الاول وهو الذي بنىٰ مدرسة الاسكندرية المعروفة باسم الرواق وجمع فيها جميع علوم تلك الازمان من فلسفة ورياضيات وطب وحكمة وآداب وهيئة[1].

ولما فتح المسلمون فارس عمل عمر نفس عمله السابق في الاسكندرية ا فقد جاء: إنّ المسلمين لما فتحوا بلاد فارس واصابوا من كتبهم، كتب سعد بن ابي وقاص الىٰ عمر بن الخطاب يستأذنه في شأنها وتنقيلها للمسلمين فكتب اليه عمر ابن الخطاب: أن اطرحوها في الماء فإن يكن فيها هدىٰ؟ فقد هدانا الله تعالىٰ بأهدىٰ منه، وإن يكن ضلالاً، فقد كفانا الله تعالىٰ فطرحوها في الماء او في النار فذهبت علوم الفرس فيها.

وذكر في أثناء كلامه عن أهل الإسلام وعلومهم: إنهم أحرقوا ما وجدوا من الكتب في فتوحات البلاد[2].

---

(١) الكافي في تاريخ مصر ١/٢٠٨ - ٢١٠، فهرست ابن النديم ص٣٣٤، تراجم الحكماء المخطوط (توجد نسخة في دار الكتب الخديوية مكتوبة سنة ١١٩٧، كما في تاريخ التمدن الاسلامي ٣/٤٢.

(٢) كشف الظنون ١/٢٥، ١/٤٤٦.

وقال ابن خلدون في تاريخه : فالعلوم كثيرة والعلماء في أُمم النوع الانساني متعددون ، ومالم يصل الينا من العلوم اكثر مما وصل ، فاين علوم الفرس التي امر عمر رضي الله عنه بمحوها عند الفتح[١].

ولما سأل صبيغ عن بعض الآيات القرآنية أهانه عمر وحطّمه اجتماعياً إذ قال ليقم خطيب ثم يقول : إنَّ صبيغاً ابتغى العلم فاخطأه . فلم يزل وضيعاً في قومه حتىٰ هلك وكان سيِّد قومه[٢].

وعن علم الكلام وحظه عند عمر بن الخطاب قال الغزالي : هو الذي سدَّ باب الكلام والجدل[٣].

وعن الحديث قال عروة بن الزبير بن العوام : إنَّ عمر بن الخطاب أراد ان يكتب السنن فاستفتىٰ اصحاب رسول الله ﷺ في ذلك فاشاروا عليه ان يكتبها فطفق عمر يستخير الله فيها شهراً ثم اصبح يوماً وقد عزم الله له فقال : إني كنت اريد ان اكتب السنن وإني ذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتباً فاكبّوا عليها وتركوا كتاب الله[٤].

ولكن المصطفىٰ ﷺ كان يحث علىٰ كتابة الحديث[٥] وخالفه في ذلك الخلفاء الثلاثة.

ثم جاءوا الى السنة المحمدية فاحرقوها ومنعوا نطقها وتدوينها ، واشاعوا عدم

---

(١) تاريخ ابن خلدون ٣٢/١.

(٢) سنن الدارمي ١ / ٥٤، تاريخ ابن عساكر ٦ / ٣٨٤، سيرة عمر لابن الجوزي ص١٠٩، تفسير ابن كثير ٤ / ٢٣٢، فتح الباري ١٧/٨.

(٣) احياء اصول الدين ، الغزالي ٣٠/١.

(٤) طبقات ابن سعد ٣٠٦/٣، مختصر جامع بيان العلم ص٣٣.

(٥) سنن الدارمي ١ / ١٢٥، مستدرك الحاكم ١ / ١٠٤، مختصر جامع العلم ص٣٦.

عصمة النبي ﷺ بأنّه ﷺ يغضب ويرضا كلامه ليس بحجة فقد جاء في سنن ابي داود عن عبد الله بن عمرو: كنت اكتب كل شيء أسمعه من رسول الله اريد حفظه، فنهتني قريش، وقالوا: أتكتب كل شيء ورسول الله بشر يتكلم في الغضب والرضا، فأمسكت عن الكتاب فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فأومأ باصبعه الىٰ فيه فقال: اكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلّا حق[1].

فكانت نظرية عمر واصحابه تعتمد علىٰ شقين، الاول الاكتفاء بكتاب الله (حسبنا كتاب الله) دون تفسير، وحرق الحديث ومنع تدوينه، وابعاد اهل البيت ﷺ عن مسرح القرار والتفسير والحديث.

وعمل عمر بنظرية أبي بكر في احراق الحديث فاحرق الحديث النبوي وسار عثمان علىٰ ذلك. واحرق عثمان المصاحف فسمي بحراق المصاحف[2].

وزاد ابو بكر في النظرية فاحرق الفجاءة ثم ندم علىٰ ذلك[3].

وضع الحديث في عثمان

كلّ من يذكر منقبة في عثمان عند عامل من عمّال معاوية يكتب اسمه ويعطىٰ مالاً حتىٰ كثر الحديث في عثمان وعلا حدّه فقال معاوية:

إنّ الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كلّ مصر وفي كلّ ناحية فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأوّلين ولا تتركوا

---

(١) سنن ابي داود، باب كتابه العلم ص ٦٩٥.

(٢) فتح الباري لابن حجر ص٤٨.

(٣) لسان الميزان ١٨٩/٨ في ترجمة علوان، تاريخ الطبري ٦١٩/٢، ميزان الاعتدال ٢١٥/٢، كنز العمال ٦٣١/٥ط. مؤسسة الرسالة، بيروت، مروج الذهب، المسعودي ٣٠١/٢، الامامة والسياسة ١٨/١.

خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلّا وأتوني بمناقض له في الصحابة مفتعلة فإنّ هذا أحبّ إليّ، وأقرّ لعيني، وأدحض لحجّة أبي تراب وشيعته، وأشدّ عليهم من مناقب عثمان وفضله فقرئت كتبه على الناس فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها.

وجدّ الناس في رواية ما يجري هذا المجرىٰ حتىٰ أشاروا بذكر ذلك على المنابر وألقي إلى معلمي الكتاتيب فعلّموا صبيانهم وغلمانهم من ذلك الكثير الواسع حتىٰ رووه وتعلّموه كما يتعلّمون القرآن وحتىٰ علّموا بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم فلبثوا بذلك ما شاء الله.

فظهر حديث كثير موضوع وبهتان منتشر ومضىٰ على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة. وكان أعظم الناس في ذلك بليّة القرّاء المراءون والمستضعفون الذين يظهرون الخشوع والنسك فيفتعلون الأحاديث ليحظوا بذلك عند ولاتهم ويقرّبوا مجالسهم ويصيبوا به الأموال والضياع والمنازل حتىٰ انتقلت تلك الأخبار إلى أيدي المتديّنين الذين لا يستحلّون الكذب والبهتان فقبلوها ورووها وهم يظنّون أنّها حقّ، ولو علموا أنّها باطلة لما رووها ولا تديّنوا بها وقد سموا هذه الأحاديث الموضوعة بسنة النبي ﷺ والويل لمن أنكرها ولم يؤمن بها ولم يصدّقها[1].

اختلاق معاوية للحديث

بعدما أصدر معاوية أوامره بإيجاد مناقب للصحابة وعلى رأسهم الخلفاء لدحض حجج بني هاشم ومناقبهم، كثرت الروايات الكاذبة في هذا المجال ومن

(١) شرح النهج ٣ / ١٥ ـ ١٦، فجر الإسلام، أحمد أمين ٢٧٥، تاريخ بغداد، الخطيب ١٤ / ٧.

الأكاذيب وصفهم بالثراء في مكّة والأموال جاءت من الفتوحات ومعظم الناس في جزيرة العرب قبل الإسلام فقراء إنّما الخير في العراق والشام.

وعرفت مكّة والمدينة الخيرات والأموال بعد فتح بلاد فارس وبلاد الروم فقدمت كنوز الفرس والروم ووزّعت على المسلمين.

وحصل المسلمون على أموال لم تخطر في بالهم، ولقلّة الأموال في شبه جزيرة العرب كانت العملة بالدرهم الفضي ثمّ تداولوا الدينار الذهبي بعد عهد الفتوحات.

وكان الدرهم الواحد له وزنه في العهد الجاهلي يحلم به الفقير.

وقد بشّر النبيﷺ بكنوز الروم وفارس في معركة الخندق فاستهزأ بقوله المنافقون.

ولأنّ معاوية بذل الدنانير الذهبية في زمنه لاختلاق الأحاديث الكاذبة على النبيﷺ فتصوّر هؤلاء حياة الناس في العصر الجاهلي وبداية العصر الإسلامي على نسق حياتهم المترفة.

وإليك بعض هذه الأحاديث المزّورة:

واستفاد الأمويون من هذه الصفات الخيالية لمحو ذنوب أصحابهم.

إذ ورد: جاء عثمان إلى النبيﷺ بألف دينار حين جهّز جيش العُسرة، ففرّغها في حجر النبيﷺ، فجعل يقلّبها ويقول: ما ضرّ عثمان ما عمل بعد اليوم[1].

فالأمويون عجزوا عن إيجاد عذر لأعمال عثمان الكثيرة والمنكرة ضدّ المسلمين من قتله لأبي ذر وضربه لعمّار، وابن مسعود، واغتصابه لأموال المسلمين وغيرها، بإيجاد أحاديث نبويّة مزيّفة فيها صكوك غفران لعثمان تُجوّز له فعل

(١) رواه أحمد في مسنده ٥ / ٦٣، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٥٧، ٥٨، والذهبي في المغازي / ٦٢٩٠.

المنكرات وإيجاد شتى المظالم، غير مبالين بأثر ذلك على الإسلام.

إنّ أفعال المسلمين الثائرين على عثمان وهم جميع سكّان المدينة ومكّة وغيرهم تثبت عدم صحّة هذه الروايات الأموية، فقد كذّبها عبدالله بن مسعود وزيد بن أرقم باحتجاجهم على عثمان واستقالتهما من وظيفتيهما كأميني لبيت مال المسلمين!

وأبطل الله تعالىٰ هذه الأكاذيب في كتابه العظيم بقوله: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه﴾[1].

وظهر كذب عظيم في الحديث وكذّب السيوطي في كتابه اللآلىء المصنوعة فضائل أبي بكر[2].

وكذّب السيوطي فضائل عمر[3].

وكذّب السيوطي أيضاً فضائل عثمان[4].

وتقوّلوا حديثاً على لسان عمّار بن ياسر بأنّ جبرئيل قال للنبي ﷺ: لو حدّثتك بفضائل عمر منذ ما لبث نوحٌ في قومه ما نَفِدَتْ، وإنّ عمر حسنة من حسنات أبي بكر[5].

بينما قال عمر قبل موته: يا ليتني كنت تبنة.

وقالت عائشة: يا ليتني كنتُ حيضة ملقاة.

---

(١) الزلزلة ٧، ٨.

(٢) اللآلىء المصنوعة ١ / ٢٨٦ ـ ٣٠٤.

(٣) اللآلىء المصنوعة ١ / ٣٠٤ ـ ٣١١.

(٤) اللآلىء المصنوعة ٣١٢ ـ ٣٢٠.

(٥) تاريخ الخلفاء، السيوطي ٥١.

ووضع الأمويون مئات الأحاديث على لسان علي عليه السلام والصحابة كي يوثق بها بعد أن بان زيف أحاديث أبي هريرة وعبدالله بن عمر وابن العاص!

وكيف يجيب الأمويون عن الأحاديث في فرار أبي بكر وعمر وعثمان عن المعركة في الحروب الحاسمة (أحد، خيبر، حنين) وتركوا خاتم الأنبياء يواجه سيوف الأعداء!

ولمّا رفع أبو بكر وعمر صوتيهما على صوت النبي صلى الله عليه وآله نزل قرآن فيهما إذ قال البخاري: كاد الخيران (أبو بكر وعمر) أن يهلكا[1].

اختلاق العباسيين للحديث

ولم يتورّع ملوك بني العباس عن اختلاق الحديث الذي يريدونه في إيجاد فضائل لقريش الجاهلية وزعماء بدر من المشركين مثل أبي سفيان والعباس بن عبدالمطّلب.

وتشجيع الأكاذيب المفتراة على عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فسرقوا فضائل العباس بن نضلة الأنصاري في بيعة العقبة لصالح جدّهم العباس بن عبدالمطلب.

في حين لم يكن العباس بن عبدالمطّلب في حينها مسلماً ولم يكن مدافعاً عن الإسلام، والذي دافع عن الإسلام بقوّة هم الأنصار من أمثال العباس بن نضلة وسعد بن عبادة.

ولقد خالف العباسيون أهل البيت عليهم السلام وساروا على منهج الحزب القرشي والأمويين فقتلوا من ذريّة النبي صلى الله عليه وآله أضعاف ما قتله الأمويون، حتى تمنّى

(١) صحيح البخاري ٣ / ١٩٠ ـ ١٩١.

المؤمنون ظلم بني أميّة على ظلم بني العباس.

فلقد قتل المنصور الدوانيقي الإمام جعفر الصادق عليه السلام في عملية حاقدة أظهر فيها تبعيّته لمسيرة الحزب القرشي في قتله للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.

ثمّ قتل العباسيون باقي الأئمّة الأطهار: موسى الكاظم، وعلي بن موسى، ومحمّد بن علي، وعليّ بن محمّد، والحسن بن علي عليهم السلام، وفشلوا في قتل الإمام المهدي عليه السلام.

ولم يكتف العباسيون بذلك بل خرّبوا مراقد الأئمّة في العراق وعلى رأسها ضريحي الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وضريح الإمام الحسين بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فقد أراد بنو العباس إلغاء وجود أهل البيت عليهم السلام من الناحية الدنيوية ومن الناحية التراثية، لذلك حرّكوا القصّاصين وغيرهم في هذا الطريق فبذلوا الأموال الطائلة لوضع الحديث المختلق وكتابة السيرة.

ومن الأمور المضحكة والمبكية في آن واحد والمبيّنة لمّا قلناه ما كتبه أبو عون أحد رجال الدولة العباسية لملكه المهدي العباسي قائلاً:

وهو والله على الأمر الذي خرجنا عليه ودعونا إليه فإن كان قد بدا لكم فرونا بما أحببتم حتىٰ نطيعكم[1].

فأبو عون ما زال على النهج الأوّل لدولة بني العباس في الدعوة لمحمّد وآل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم لكنّه وجد انحرافاً عن ذلك المسار والشعار المعروف فطلب من الملك بيان المتغيّرات الحاصلة حتىٰ يدعوا لها.

---

(١) الدولة العباسية، الخضري ١١١، الشيعة الكبرىٰ ٢٩٨.

ممّا يبيّن عدم وجود اعتقادات دينيّة ولا أهداف رسالية عند الحكومات بل مجموعة شعارات هوائية تتغيّر بتغيّر المصلحة والأحوال.

وفعلاً غيّر العباسيون مشروعهم الديني الذي وصلوا به إلى السلطة باسم حكومة محمّد وآل محمدﷺ إلى مشروع بني أميّة الذي حاربوه وخالفوه!

فصحّح ملوك بني العباس الأحاديث والسيرة المختلقة لعثمان بن عفان الأموي،ولم يحيدوا عن نظرات وإرشادات معاوية بن أبي سفيان!

وهذا مصداق لما قاله الله سبحانه وتعالىٰ في سيرة الملوك:

﴿إِنَّ المُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾[1].

وأوامر معاوية تمثّلت في الكذب في الحديث فقد جاء:

«إنّ أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة افتعلت في أيّام بني أمية تقرّباً إليهم بما يظنّ أنّهم يرغمون به أنوف بني هاشم»[2].

(١) النمل ٣٤.

(٢) فجر الإسلام، أحمد أمين ٢١٢.

الفصل الثامن:

الإمام علي ـ عثمان

خلافة علي بن أبي طالب عليه السلام

لما قُتل عثمان بن عفّان، أقبل الناس يهرعون إلى الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فتراكمت عليه الجماعة في البيعة، فقال: ليس ذلك إليكم، إنّما ذلك لأهل بدر ليبايعوا. فقال: أين طلحة والزبير وسعد؟ فأقبلوا فبايعوا، ثمّ بايعه المهاجرون والأنصار، ثمّ بايعه الناس، وذلك يوم الجمعة لثلاث عشرة[1] خلت من ذي الحجّة سنة خمس وثلاثين، وكان أوّل من بايعه طلحة، وكانت أصبعه شلّاء، فتطيّر منها عليّ عليه السلام وقال: ما أخلقه أن ينكث! فكان كما قال علي عليه السلام[2].

الواجب المنطقي والعرفي يحتم على الحاكم مراعاة ثقافة الناس ودينهم ومراسمهم وعاداتهم.

---

(١) انظر في تحديد يوم بيعته الطبري ٥ / ١٥٧ تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٧٨، مآثر الإنافة ١ / ١٠٠ نهاية الإرب ٢٠ / ١٠، تاريخ الخلفاء لابن يزيد: ٢٤، مروج الذهب ٢ / ٣٨٥، العقد الفريد ٤ / ٢٩٠.

(٢) العقد فريد ٤ / ٢٩٠.

لكن عثمان بن عفان خالف هذا واستكبر عليه وطمس أركانه ودمَّر بنيانه.

حتىٰ بلغ الأمر أنّ معاوية بن أبي سفيان الطليق المحارب للدين جوهراً أظهر تديّناً كاذباً في بعض الجوانب أكثر ممّا أظهره عثمان.

والسبب في ذلك محاولة معاوية الابتعاد عن الأسباب المؤدّية إلى مقتل عثمان والدواعي المؤثّرة في الثورة عليه.

ومن هذه الأعمال تعيينه الكثير من غير الأمويين ولاة للدولة مثل المغيرة بن شعبة وعمرو بن العاص وزياد بن أبيه وهي سياسة عمر في الحكم.

في حين جعلها عثمان أموية خالصة لا شائبة فيها متسبّبة في غضب الناس عليه وثورتهم.

شكوى الإمام علي عليه السلام من قريش

قال الإمام علي عليه السلام لابن عوف: ليس هذا أوّل يوم تظاهرتم فيه علينا **﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾**[1].

والله ما ولّيت عثمان إلّا ليردَّ الأمر إليك[2].

وقال الثقفي في تاريخه، عن بلال ابن الحارث: كنت مع عبدالرحمن جالساً، فطلع عثمان حتىٰ صعد المنبر، فقال عبدالرحمن: فقد أكثرك شَعراً.

فأنفذ عثمان المسوّر بن مخرمة إلى عبدالرحمن يسأله الكفّ عن التحريض عليه.

فقال له عبدالرحمن: أنا لا أقول هذا القول وحدي، ولكن الناس يقولون

---

(١) يوسف، ١٨.

(٢) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ٣ / ٧١.

جميعاً: إنّه غيّر وبدّل.

قال المسوّر: قلت: فإن كان الناس يقولون فدع أنت ما تقول فيه.

فقال عبدالرحمن: لا والله ما أجده يسعني أن أسكت عنه، ثمّ قال له: قل له يقول لك خالي: إتّق الله وحده لا شريك له في أمّه محمّد ﷺ، وما أعطيتني من العهد والميثاق، لتعملنّ بكتاب الله وسنّة صاحبيك فلم تفِ[1].

وأنّ ابن مسعود قال لعبد الرحمن في أحداث عثمان: هذا ممّا عملت!

فقال عبدالرحمن: قد أخذت إليكم بالوثيقة، فأمركم إليكم.

وقال علي عليه السلام لعبدالرحمن بن عوف: هذا عملك.

فقال عبدالرحمن: فإذا شئت فخُذ سيفك وآخُذ سيفي[2].

علاقة الامام علي عليه السلام ـ عثمان

لم يشترك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في قتل عثمان بن عفّان وقد قال الإمام علي عليه السلام وقد أشرف على سفينة في دجلة: والذي أرسلها في بحره مسخّرة بأمره، ما بدأت في أمر عثمان بشيء ولئن شاءت بنو أمية لأباهلنّهم عند الكعبة خمسين يميناً ما بدأت في حقّ عثمان بشيء، فبلغ هذا الحديث عبدالملك بن مروان فقال: إنّي لأحسبه صادقاً[3].

ولمّا طلب عثمان الماء نادى بإيصال صوته إلى علي عليه السلام ليسقيه الماء فسقاه[4].

---

(١) تقريب المعارف ٢٨٢.

(٢) المصدر السابق.

(٣) العقد الفريد ٤ / ٢٨٣.

(٤) العقد الفريد ٤ / ٢٧٤، ٢٧٥.

ولو أراد الإمام علي عليه السلام موته عطشاً ما سقاه الماء.

ولمّا ذهب الإمام علي عليه السلام إلى ماله بينبع واشتدّت الثورة طلب منه عثمان العودة إلى المدينة ليسيطر على الحكم ان قتله الثوار.

وقال الإمام علي عليه السلام عن مقتل عثمان: نقم الناس عليه أموراً فقتلوه[1]، وقد اتّهم الأمويون علياً عليه السلام بدم عثمان بعد بيعته لذا قال محمّد بن سيرين: ما علمت أنّ علياً اتُّهِم في دم عثمان حتىٰ بويع فلمّا بويع اتّهمه الناس[2]، واتّهمه أيضاً طلحة والزبير وعائشة لذا قال محمّد بن الحنفية سمعنا صوت عائشة في معركة الجمل وهي تلعن قتلة عثمان. فقال علي عليه السلام لعن الله قتلة عثمان في السهل والجبل والبحر والبرّ[3]، ولمّا سيطر معاوية على الحكم وقُتل علي عليه السلام سكت معاوية عن الطلب بدم عثمان! واعتذر لزوجة عثمان عن ذلك بأنّ الناس أعطوه الطاعة ممّا يبيّن اعترافه بقتل الناس لعثمان وبراءة علي عليه السلام من دمه.

دعاء الإمام علي عليه السلام على أعدائه

وكان الإمام علي عليه السلام قد دعا على أنس بن مالك فأصابه البرص وكان برصه لا يغطّيه العمامة[4]، وسبب دعائه تنكّره لحديث الغدير.

ودعا الإمام علي عليه السلام على الأشعث بن قيس فذهبت كريمتاه وهو يقول: الحمد لله الذي جعل دعاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بالعمىٰ في الدنيا ولم يدع عليّ

(١) العقد الفريد ٤ / ٢٨٤.

(٢) العقد الفريد ٤ / ٢٨٥.

(٣) العقد الفريد ٤ / ٢٨٥.

(٤) البحار ٣١ / ٤٤٧، تاريخ ابن كثير ٥ / ٢١١، مسند أحمد ١ / ١١٩.

بالعذاب في الآخرة فأعذّب[1]، والشخص الثاني الذي كتم حديث الغدير في الكوفة هو زيد بن أرقم فذهبت كريمتاه[2]، وبعد بيعة عبدالرحمن بن عوف لعثمان لاغتصاب الحكم وتناوله بينهما دعا عليهما الإمام عليه السلام قائلاً: دقّ الله تعالىٰ بينكما عطر منشم[3].

فساءت علاقتهما إلى درجة دعوة عبدالرحمن بن عوف لقتل عثمان وعزله، ثمّ أقدم عثمان على سمّه فمات مسموماً.

الملاحظ في أعداء الإمام علي عليه السلام يتمثّل في أنّهم أعداء النبي صلى الله عليه وآله أيضاً، فمعاوية حامل راية المشركين في بدر قاد معركة المنافقين في صفين.

فتعجّب المشاركون في حرب بدر من تكرّر هذا المشهد مرّة أخرىٰ بعد مرور أربعة عقود على معركة بدر.

وشاهد الصحابة البدريون عمرو بن العاص مرّة أخرىٰ في صفين بعدما شاهدوه في الحبشة ملاحقاً لهم.

ودهش المسلمون من رؤية أبي الأعور الأسلمي رئيس قبيلة أسلم الأعرابية المحارب للإسلام في معركة الأحزاب مرّة أخرىٰ محارباً للإمام علي عليه السلام[4].

علوم الغيب عند الإمام علي عليه السلام

قال الإمام علي عليه السلام لابن عوف قبل بيعة عثمان: إنّي أعلم أنّهم سيولّون عثمان

---

(١) البحار ٣١ / ٤٤٧.

(٢) المعجم الكبير، الطبراني ٥ / ١٧١.

(٣) البحار ٣١ / ٣٥٨، معجم البلدان ٧ / ١٥٤، بلوغ الإرب ٢ / ٧٣.

(٤) لاحظ ترجمته في كتب الإصابة، ابن حجر، وأسد الغابة لابن الأثير، وتاريخ دمشق لابن عساكر.

وليحدثنّ البدع والأحداث ولئن بقي لا ذكرنك وإن قُتل أو مات ليتداولنّها بنو أميّة بينهم وإن كنتَ حيّاً لتجدني حيث تكرهون[(١)].

هنا بيّن أمير المؤمنين عليه السلام سيرة ملوك الإسلام بعد عمر ابتداءاً من عثمان إلى ملوك بني أمية، فقد بيّن وصول عثمان إلى الحكم ومقتله واعتلاء بني أميّة السلطة بعد عثمان. ووصول الإمام إلى الخلافة الفعلية وهو ما تكرهه قريش وهذه من علوم الغيب التي علّمها رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام.

وقال النبي صلى الله عليه وآله: أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأت الباب[(٢)].

فالعلم كلّ العلم عند الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، لذا قال الإمام عليه السلام: اسألوني قبل أن تفقدوني.

لو شئت أخبرت بمن قد مضىٰ ـ وما بقي في الزمن الغابر[(٣)].

ونزل قوله تعالى: **﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾**.

ضمن الله تعالىٰ أن يجمع القرآن علي عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، فجمع الله تعالىٰ القرآن في قلب علي عليه السلام وجمعه علي عليه السلام بعد موت رسول الله بسته أشهر[(٤)].

وقال علي عليه السلام: ما من فتنة إلّا وقد علمت كبشها ومن يقتل فيها، والعلم بما يكون لا يحصل إلّا للرسول لقوله تعالى: **﴿لَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَداً إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ**

---

(١) تاريخ الطبري ٣ / ٢٩٥، تاريخ ابن الأثير ٣ / ٣٥، شرح النهج ١ / ١٨٧، البحار ٣ / ٣٩٨.

(٢) المستدرك، الحاكم ٣ / ١٢٧، مسند أبي يعلىٰ ٢ / ٥٨، حديث خيثمة بن سليمان ٢٠٠، المعجم الكبير، الطبراني ١١ / ٥٥، كنز العمال ١١/ ٦٠٠، فيض القدير، المناوي ١/ ٤٩، كشف الخفاء، العجلوني ١/ ٢٠٣، فتح الملك العلي، المغربي ١٠، تفسير أبي حمزة الثمالي ٢٢٢.

(٣) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب ١ / ٢١٩.

(٤) المصدر السابق.

مِن رَسُوْل﴾[١]. والرسول يُطلع الإمام.

وأخبر الإمام علي عليه السلام حجر بن عدي بمقتله فطلب معاوية منه البراءة من علي عليه السلام فأبى[٢].

رأي الإمام عليه السلام في قتل عثمان

ورغم تحلّله من كلّ العقود والعهود والوعود طلب عثمان من الإمام إنقاذه من هجوم الثوّار مثلما أنقذه مّرات عديدة سابقة كي تهدأ الأمور ويعود عثمان إلى أعماله القديمة في القتل والضرب والسطوة ببيت مال المسلمين!

وجاء في القول يشبّ ابن آدم ويشبّ معه الحرص وطول الأمل[٣].

فعثمان قتل نفسه في سبيل رفعة بني أمية وأهان نفسه صيانة لصهره مروان بن الحكم الأموي. وتحلّل من العهود الصارمة استجابة لمطالب معاوية وسعيد بن العاص وعبدالله بن أبي سرح وباقي زمرة الأمويين. ولم يقتل أمير المؤمنين علي عليه السلام عثمان إذ قال الإمام عليه السلام: إن شاء الناس قمت لهم خلف مقام إبراهيم فحلفت لهم ما قتلت عثمان ولا أمرت بقتله، ولقد نهيتهم فعصوني[٤].

ولمّا أحاط الثوّار بقصر عثمان وقرب أجله كتب عثمان رسالة إلى الإمام علي عليه السلام جاء فيها: «أمّا بعد فقد جاوز الماء الزبى وبلغ الحزام الطبيين[٥]، وتجاوز

---

(١) الجن ٢٧.

(٢) البحار ٤٢ / ٢٩٠.

(٣) البحار ٧٠ / ٢٢، البداية والنهاية ١٣ / ٤١٨، لسان الميزان ٦ / ٦٨، كشف الخفاء، العجلوني ٢ / ٣٩٦.

(٤) أمالي الشيخ الطوسي ١ / ٢٧٥، البحار ٣١ / ٥٠٥.

(٥) كناية عن المبالغة في تجاوز الحدّ.

الأمر بي قدره، وطمع فيّ من لا يدفع عن نفسه فإن كنتُ مأكولاً فكن خير آكل، وإلّا فأدركني ولمّا أمزّق[1])

العجيب في الأمر أنّ عثمان فقد توازنه في أواخر أيّامه فهو يتوسّل بالإمام علي عليه السلام لإنقاذه وهو الذي فعل ما فعل بالإمام عليه السلام وأصحابه.

فهو الذي شارك في حمل الحطب على بيت فاطمة عليها السلام وأحرق بابها وساهم في قتلها مع عمر بن الخطّاب. وهو الذي قتل أبا ذر الغفاري صاحب الإمام علي عليه السلام وتلميذ النبي محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وهو الذي فتق بطن عمار بن ياسر صاحب الإمام علي عليه السلام وهو الذي قتل عبدالله بن مسعود الصحابي الجليل وقتل المقداد بن عمرو صاحب الإمام علي عليه السلام، وهو الذي أتلف بيت مال المسلمين وضيّع حقوقهم وخان عهده للمصريين، ذلك العهد الموقّع من قبل الإمام علي عليه السلام.

ومن كلام له عليه السلام بعدما بويع بالخلافة قال[2] له قوم من الصحابة: لو عاقبت قوماً ممّن أجلب على عثمان.

فقال عليه السلام: يا إخوتاه! إنّي لست أجهل ما تعلمون، ولكن كيف لي بقوّة والقوم المجلبون على حدّ شوكتهم يَمْلِكونَنا ولا نَمْلِكُهم، وهاهم هؤلاء قد ثارت معهم عِبْدانُكُم، والْتَفَّتْ إليهم أعرابُكم، وهم خلالكم يسومونكم ما شاؤا، وهل ترون موضعاً لقُدْرةٍ على شيء تريدونه؟ إنّ هذا الأمر أمر جاهلية، وإنّ لهؤلاء القوم مادّة، إنّ الناس من هذا الأمر ـ إذا حُرِّك ـ على أمور فِرْقَةٌ ترىٰ ما ترون، وفرقة

---

(١) البحار ٣١ / ٤٧٦ ـ ٤٧٧، مجمع الأمثال ١ / ١٦٦، فرائد اللآل ١ / ١٤٠، المستقصى، الزمخشري ٢ / ١٤، النهاية، ابن الأثير ٢ / ٢٩٥، لسان العرب ١٤ / ٣٥٣، الصحاح ٦ / ٢٣٦١.

(٢) القاموس ٤ / ٤٩.

ترىٰ ما لا ترون، وفرقة لا ترىٰ لا هذا ولا هذا[1]، فاصبروا حتىٰ يهدأ الناس، وتقع القلوب مواقعها، وتؤخذ الحقوق مُسْمِحَةً، فاهدأوا عني، وانظروا ماذا يأتيكم به أمري، ولا تفعلوا فعلة تضعضع قوة وتُسقط مُنَّةً، وتُورث وهناً وذلّة، وسأُمْسِكُ الأمرَ ما استمسك، وإذا لم أجد بُدّاً، فآخر الدواء الكيُّ[2].

لو عاقبت.. جزاء الشرط محذوف.. أي لكان حسناً ونحوه. واجلبوا[3] عليه.. تجمّعوا وتألّبوا. قوله عليه السلام: على حدّ شوكتهم.. أي لم ينكسر سورتهم، والحدّ: منتهى الشيء ومن كلّ شيء: حدّته، ومنك: بأسُك. والشوكة: شدّة البأس والحدّ في السلاح[4].

وروي أنّه عليه السلام أجمع الناس ووعظهم، ثمّ قال: لتقم قتلة عثمان، فقام الناس بأسرهم إلّا قليل، وكان ذلك الفعل منه عليه السلام استشهاداً على قوله، والعِبْدانُ[5] جَمْعُ عبدٍ[6].

وهناك أمران يجب أن يعرفا للجميع الأوّل المشاركة في قتل عثمان.

والثاني المشاركة في الثورة الداعية إلى عزل الولاة الفاسدين وإيقاف الظلم

---

(١) نهج البلاغة ـ محمّد عبده ـ ٢ / ٨٠، صبحي صالح: ٢٤٣، خطبة ١٦٨.

(٢) البحار ٣١ / ٥٠٣.

وانظر شرح كلامه صلوات الله عليه وآله في شرح ابن أبي الحديد ٩ / ٢٩١ وما بعدها، وشرح ابن ميثم البحراني ٣ / ٣٢٠ ـ ٣٢٣، ومنهاج البراعة ٢ / ١٤٣، وغيرها.

(٣) قال هذا في النهاية ١ / ٢٨٢، وقال بعده: أجلبه: أعانه، وأجلب عليه: إذا صاح به واستحثّه. وبنصّه ذكره في الصحاح ١/ ١٠٠.

(٤) قاله في مجمع البحرين ٥ / ٢٧٧، وفي معناه في لسان العرب ١٠ / ٤٥٤، والمصباح المنير ١ / ٣٩٦، والقاموس ٣ / ٣١١٠ وانظر ـ أيضاً ـ: النهاية ٢ / ٥١٠، والصحاح ٤ / ١٥٩٥.

(٥) أقول: عُبْدان، وعِبدان، وعِبِدّان... كلّها جمع عبد، كما قاله في القاموس ١ / ٣١١.

(٦) صرّح به في الصحاح ٢ / ٥٠٢، والقاموس ١ / ٣١١.

ونشر العدل والمساواة والحريّة.

وكان الإمام علي عليه السلام مع الأمر الثاني المتمثّل في الإصلاح وهو مع أتباعه من المهاجرين والأنصار.

المنهج العثماني والمنهج العلوي

في زمن حكم عثمان بن عفّان كان الإمام علي عليه السلام المصلح الأعظم الهادي الناس إلى الحقّ والمرشد إلى النور في فترة سياسية حالكة الظلام. فشخّص الناس منهجا عثمان وعلي عليه السلام بصورة دقيقة عارفين أسسهما وبرامجهما وأهدافهما.

فانقسم الناس إلى قسمين قسم مع الباطل العثماني وقسم مع الحقّ العلوي. وازدادت الجماهير معرفة راسخة بباطل النظام العثماني يوميّاً فكان عثمان يضرب المؤمنين بيده ورجله وينال منهم بلسانه ويتوسّل بقتلهم وضربهم بغلمانه حتى أفقد مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله مكانته الدينية! فخلط عثمان أوراق الخير والباطل والمدنية والجاهلية والأحاديث النبوية والإسرائيلية يساعده في هذا المشروع الأموي كعب الأحبار اليهودي وتميم الداري النصراني. فكانت فتنة عظيمة أفقدت الناس توازنها وأضحت أخبار المدينة المنوّرة مسيطرة على الأذهان. وأصبح المسجد النبوي منبراً للمعارضة والحكومة فكعب الأحبار يلقي موعظة الدولة هادفاً إلى دحر الشريعة وراغباً في نشر الأحاديث اليهودية. وعثمان يأمر بمنع ذكر وتدوين أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله ويرفض تفسير القرآن.

يساعده في برنامجه هذا زعيم المنافقين كعب بن مالك وطاغية قريش حكيم بن حزام وطريد النبي صلى الله عليه وآله مروان وباقي الطلقاء واليهود الداخلين في الإسلام

ظاهراً مثل عبدالله بن سلام وزيد بن ثابت ومحمّد بن مسلمة. وفي الجانب الآخر تنادي عائشة في كلّ صلاة جمعة اقتلوا نعثلاً لقد كفر تؤيّدها حفصة بنت عمر بن الخطّاب(١).

ويقف عبدالرحمن بن عوف أمام الملأ معلناً غدر عثمان بشروط الخلافة ومخالفته القرآن والسنّة وسيرة الشيخين.

وما أن يبدأ عثمان خطبته حتى ترتفع أصوات المعارضين لأعماله من كلّ مكان ناشرين أمرهم أمام الأمّة وفي مسجد رسول الله ﷺ، فترتفع وتيرة المعارضة الجماهيرية، بين مستنكرٍ لأفعاله وبين مطالب بعزله وإقالته. وعثمان يردّهم بالتهديد والوعيد بدل تلبية مطاليبهم وإجابة حاجاتهم.

وجماهير الأمّة المتربّية تربية نبوية تصعق بالأخبار الواصلة إليها من نهب عثمان وأعوانه أموال المسلمين واعتداءاتهم المتواصلة على الصحابة المتّقين وتلاعبهم بالحديث وإحراقهم القرآن.

فأصبحت السنوات الخمس الأخيرة، من حكم عثمان زماناً للثورة الإسلامية الكبرى، وأضحت المدينة مسرحاً لهذه الانتفاضة العظمى.

وكان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ربّان هذه السفينة الهائجة مانعاً إيّاها من الغرق ومحافظاً على الدين من الإنحراف، ومربّياً للمؤمنين.

فكانت جموع الأمّة تزوره بانتظام وتسأله عن مشاكلها الدينية في تفسير القرآن وردّ البدع ومعرفة الشريعة وهو يجيبها ويهديها الصراط المستقيم.

---

(١) الفتوح، ابن أعثم ١ / ٦٤، الصراط المستقيم ٢ / ١٦٤، الجمل، المدني ٢٤، البحار ٣١ / ٢٩٦، شرح النهج ٦ / ٢١٥، تاريخ الطبري ٤ / ٤٥٩.

فهو المصلح الأكبر للأمّة بعد النبي ﷺ وهو العروة الوثقى للمخلصين، وكلّما سعى الطالحون لتقوية كفّة الفاسدين جاهد علي عليه السلام لترسيخ دعائم المهتدين ولمّا انكشفت الغمّة عن الأمّة وجد عثمان وكعب الأحبار فشل جهودهما وخيبة آمالها.

فالأمّة أيّام حصار عثمان كانت مع الحقّ بأجمعها نسائها ورجالها، طفلها وعجوزها فسقط في يد النظام العثماني وهو يجد نفسه معزولاً عن الجماهير الشعبية. ولم تصله الإمدادات الحربية التي اعتمد عليها فخسر الجولة خسارة بيّنة. إذ كان عثمان معتمداً على جيوش الشام الخشنة في قتل المعارضين وردع المصلحين.

فكان رهانة خاسراً إذ وافق قائد الشام معاوية على مقتل عثمان ليصل هو إلى الرئاسة فبقي عثمان بلا مساعدة عسكرية ودون حماية شعبية.

والمنهجان العثماني والعلوي مستمرّان من أيّام عثمان وإلى زمننا هذا لا حصر لروّاده بلباس معيّن ولا قوميّة خاصّة ولا لون واحد ولا لغة معروفة.

بل أنصار الخطّين في كلّ زمان وفي كلّ مكان، فكلّ محبّ للدنيا مخلص لها ساع لها وبائع للآخرة في سبيلها هو من أتباع الخطّ العثماني.

وكلّ مخلص للآخرة وداعٍ لها ومضحٍّ لها وبائع للدنيا في طريقها فهو من أتباع الخطّ العلوي.

وروّاد وقدوات المشروعين معروفون عند الناس جميعاً ففي جانب عثمان ومروان وكعب الأحبار وعبدالله بن سلام والوليد بن عقبة ومعاوية ويزيد وعبدالله بن عامر وعبدالله بن أبي سرح. وفي الجانب الآخر علي عليه السلام وأبو ذر وعمار وعبداللهبن مسعود والمقداد بن عمرو وحذيفة بن اليمان وجابر بن عبدالله الأنصاري ومالك الأشتر ومحمّد بن أبي بكر وقيس بن سعد بن عبادة. ويعرف

المخلص للخطّ العلوي بعمله وتضحيته وإنفاقه وعبادته لا بادّعائه ولباسه ونسبه.

وقد قال سيّد الرسل ﷺ: عليّ إمام المتّقين وقائد الغرّ المحجّلين يوم القيامة[١].

فالعلوي الصحيح هو المعتقد بالتوحيد والنبوّة والإمامة والعدل والمعاد الزاهد في حياته العابد في محرابه المخلص في أخلاقه المنفق في حاجاته والشجاع في قراراته والمتّقي في أفعاله.

والمتكبّر البخيل المسرف على نفسه وأهله الحريص على جمع المال والوصول إلى السلطة المتحلّل من الشريعة، هو ذاته على خطّ مروان وإن ادّعى اتّباعه الخط العلوي.

مواقف معارضة لأهل بيت النبوّة عليهم السلام

لم يتحمّل بعض الصحابة سماع فضائل ومناقب علي عليه السلام فحسدوه بطرق مختلفة وأزمان متباينة، وهذه عادة مألوفة في بني الإنسان إلّا من عصم الله تعالىٰ.

فقد عارض الحارث الفهري بيعة النبي ﷺ لعلي عليه السلام في الغدير فنزلت آية: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ...﴾[٢].

وبكىٰ حمزة عمّ الرسول ﷺ بعد أمر النبي ﷺ بسدّ الأبواب إلّا بابه وباب علي عليه السلام، معتبراً ذلك إهانة لمنزلته.

ووجد أبو بكر بعد عزله من إمارة الحج في السنة التاسعة وتوليتها عليّاً عليه السلام

---

(١) المستدرك، الحاكم ٣ / ١٣٨، مجمع الزوائد، الهيثمي ١ / ٧٨، المعجم الصغير، الطبراني ٢ / ٨٨، شرح النهج ٩ / ١٦٩، كنز العمال ١١ / ٦١٩.

(٢) المعارج: ١.

وبكىٰ، وخاف نزول قرآن فيه[١].

وغضب أبو بكر وعمر وجماعتهما من طلب النبي ﷺ ورقة ودواة لكتابة وصيّته لعلي ﷺ في يوم الخميس فقالوا جميعاً: يهجر، يهجر، حسبنا كتاب الله، رافضين ولاية علي ﷺ وثقل أهل البيت ﷺ[٢].

وغضب أبو لهب في بيت النبي ﷺ بعد قوله ﷺ: علي خليفتي ووزيري فيكم فاسمعوا له وأنصتوا فقال هذا ما سحركم به محمد[٣].

وبقي في قلب أبي بكر وعمر شيء أثر ردّ النبي ﷺ خطبتهما لفاطمة ﷺ وموافقته ﷺ على زواجها من علي ﷺ فقال ﷺ:

لقد زوّجها الله تعالىٰ في السماء، وإنّ علياً ﷺ غير دجّال[٤].

واحتجّ عثمان بن عفان على تفضيل رسول الله ﷺ لأهل البيت ﷺ على باقي الناس فقال: النبي ﷺ يؤثر بني هاشم على قريش، ولو أنّ بيدي مفاتيح الجنّة لأعطيتها بني أمّية حتىٰ يدخلوا من عند آخرهم[٥].

وردّ عثمان هذا يبيّن مدىٰ مخالفة بعض الصحابة لله ورسوله! فالله تعالىٰ يلعن بني أمّية قائلاً: والشجرة الملعونة في القرآن[٦].

---

(١) أخرجه ابن مردويه عن سعد بن أبي وقّاص، مسند أحمد بن حنبل ١ / ١٥١، كنز العمال ١ / ٢٤٧.

(٢) صحيح البخاري، باب جوائز الوفد من كتاب الجهاد ٢ / ١١٨، مسند أحمد ١ / ٣٢٥، شرح النهج ٢ / ١١٤، تاريخ ابن الأثير ٢ / ٣٢٠، طبقات ابن سعد ٢ / ٢٤٣، ٢٤٤.

(٣) البحار ١٨ / ١٨١، تفسير القمي ٢ / ١٢٤، تفسير فرات ١١١، ١١٢.

(٤) مجمع الزوائد، الهيثمي ٩ / ٢٠٤، طبقات ابن سعد ٨ / ١٢، الإصابة ١ / ٣٧٤، معرّضاً بأبي بكر وعمر.

(٥) الإصابة، ابن حجر ٣ / ٥٩١.

(٦) الكافي ٥ / ٧، البحار ٢٤ / ١٩٦، شرح النهج ٩ / ٢٢٠، فتح القدير، الشوكاني ٣ / ٢٣٩، تاريخ دمشق ٥٧ / ٣٧٣.

والنبي ﷺ يلعنهم.

وعثمان يفضّلهم على باقي المسلمين.

يريد عثمان إدخال بني أميّة المنافقين في الجنة جميعاً، ولم يكفه ما أعطاهم في الدنيا من مناصب وأموال ونساء.

وعارضت عصبة طلقاء قريش وحلفاؤهم تفضيل الله ورسوله لأهل البيت عليهم السلام فقالوا: عن النبي ﷺ بأنّه شخص يخطأ ويصيب فمنعوا تدوين الحديث النبوي وهدفهم طمس السنّة النبوية الصحيحة، وتحريف تفسير القرآن! وفعلاً طبّقوا هذا المشروع الجاهلي مدّة مئة سنة تقريباً إلى أن جاء عمر بن عبدالعزيز فأحيا تدوين السنّة النبوية.

ولم يقتصر أمر المعارضة لأهل البيت عليهم السلام على بني أميّة وطلقاء مكّة وحلفاءهم، بل التحق بنو العباس بهذا الركب بعد سيطرتهم على الدولة، فسارعوا للحفاظ على سلطتهم في قتل أئمة أهل البيت عليهم السلام وأنصارهم، ومحو فضائلهم، وطمس معالمهم، ليحتكر بنو العباس السلطة الأمر الذي ساعدهم على احتكارها أربعة قرون ونصف!

وبالإضافة إلى منع أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية تدوين السنة فإنّ معاوية أصدر قراراً بمسخها وتحريفها بتدوين مطاعن على علي بن أبي طالب عليه السلام[1].

وبسبب عطايا معاوية للكاذبين في الحديث فقد كثرت مناقب الخلفاء والصحابة بصورة مزرية ومضحكة، حتى قال علماء السنّة:

---

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١ / ٣٦١.

فظهر حديث كثير موضوع، وبهتان منتشر[١].

وقد كثرت الأحاديث الموضوعة في مناقب عثمان إلى درجة أزكمت أنف معاوية بن أبي سفيان الذي أمر بالتوقّف عنها قائلاً:

إنّ الحديث في عثمان قد كثر وفشا في مصر (مكان ولاية ابن العاص) وناحيته (الشام). فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأوّلين[٢].

فسمّى الرواة يوم أحد بيوم طلحة بن عبدالله بوضع بطولات وتضحيات مزيّفة له، بينما ذكرت المصادر فراره إلى أعلى الجبل مع عثمان بن عفان، وتصريحه برغبته في اللجوء إلى الشام والتنصّر فيها[٣]!

وأماط عمر بن الخطاب اللثام عن قضية فرار طلحة بن عبيدالله، أمام الملأ[٤]!

وقد مجّد الأمويون طلحة لمحاربته علي بن أبي طالب عليه السلام فمدحوه نفاقاً بعد قتلهم له، في معركة الجمل! وقتل الأمويين لطلحة جسدياً ومدحه معنوياً يبيّن درجة الفساد الحاصلة في علم الحديث.

وغدا حقد الأمويين على عموم المسلمين فأحرق معاوية محمّد بن أبي بكر بعد قتله، وأمر بقتل عبدالرحمن بن أبي بكر في زيارته إلى الحجاز لأخذ البيعة من الناس ليزيد ولم يأمر بقتل عبدالله بن الزبير الأخطر على الدولة.

---

(١) راجع الاستيعاب، ابن عبدالبرّ ١ / ٦٥، الإصابة، ابن حجر ١ / ١٥٤، الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٣ / ١٦٢، تاريخ الطبري ٦ / ٧٧، تاريخ ابن عساكر ٣ / ٢٢٢، وفاء الوفاء ١ / ٣١، الأغاني، أبو الفرج الاصفهاني ١٥ / ٤٤، شرح النهج، ابن أبي الحديد ١ / ١١٦.

(٢) المصدر السابق.

(٣) البحار ٣٢ / ٢١٨، قاموس الرجال ٥ / ١٦٩.

(٤) طبقات ابن سعد ٣ / ١٥٥، السيرة النبوية، ابن كثير ٣ / ٥٨، كنز العمال ١٠ / ٢٦٨، تاريخ الخميس ١ / ٤٣١، حياة الصحابة ١ / ٢٧٢، تاريخ الإسلام، الذهبي ١٩١، المستدرك، الحاكم ٣ / ٢٧.

ثمّ قتل عائشة في سنة ٥٧ هجرية[1]، ثمّ قتل هشام بن عبدالملك عبدالله بن عمر.

ولما زار عبدالله بن الزبير معاوية وافتخر أمامه بالوقوف في الحرب أمام علي بن أبي طالب ﷺ، غضب معاوية لهذا الافتخار الكاذب قائلاً: إذن والله لقتلك بيده اليسرىٰ وبقيت يده اليمنى يطلب بها من يبارز.

ومن علامات ردود الفعل تلك قول معاوية بن أبي سفيان لمحمّد بن أبي بكر: أمّا بعد فقد أتاني كتابك. وما اصطفىٰ به رسول الله ﷺ مع كلام كثير لك فيه تضعيف، ولأبيك فيه تعنيف، ذكرت فيه فضل ابن أبي طالب وقديم سوابقه.. فأحمد ربّاً صرف هذا الفضل عنك، وجعله لغيرك[2].

الربيبة جمعها ربائب بنت الزوجة من غيره[3].

وجاء في الكتاب الشريف:

﴿حُرِّمت عليكم .... وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾[4].

ولم تكن زينب ورقية ربيبتا النبي ﷺ أطلقوا عليهما هذا الوصف كما سمّت أهالي مكة زيد بن حارثة ربيب النبي محمد ﷺ ولم يكن كذلك.

وقد وصف القرشيون زيد بن حارثة بابن محمّد ﷺ فقال الله تعالىٰ في قضية زواجه من زوجة زيد.

---

(١) الصراط المستقيم ٣/باب ١٢/ ٤٥.

(٢) مروج الذهب، المسعودي ٣/ ١٢.

(٣) معجم لغة الفقهاء، محمد قلعجي ٢١٩.

(٤) النساء ٢٣.

﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولاً﴾[١].

وكان القرشيون يصرّون على تسميته بزيد بن محمد[٢]، فنزل قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾.

وقال عبدالله بن عمر: ما كنّا ندعوه إلّا زيد بن محمّد حتى نزل القرآن ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله[٣].

(١) الأحزاب ٣٧.

(٢) الحدائق الناضرة ١٢ / ٤١٩، خزانة الأدب، البغدادي ١ / ٣٦٣، الروض الأنف ١ / ١٦٤، البحار ٢٢ / ٨٢، ٨٣.

(٣) مسند أحمد ٢ / ٧٧، صحيح البخاري ٦ / ٢٢.